رودولفو غراتسياني

حياة لإيطاليا

"لقد دافعت عن الوطن"

ترجمة آلية - إعداد ومراجعة

خالد عياد الشقروني

من الصعب العثور على شخصية أكثر إثارة للجدل، ومناقشة، وفي بعض النواحي، غير قابلة للتفسير – بين كبار القادة العسكريين الذين برزوا خلال الفاشية – من تلك التي قدمها رجل مثل رودولفو غراتسياني. قائد القوات الليبية عام 1913، شارك في الحرب العالمية الأولى وحصل على رتبة رائد لخدماته الحربية. جنرال فرقة عام 1930، وبعد عامين أصبح جنرال فيلق. عام 1935 حاكماً للصومال، وفي عام 1936 تم تعيينه مارشال إيطاليا. مع حرب الأربعين، بدأ التدهور السريع بسبب انسحابه من سيدي البراني إلى العقيلة. أجبر على التقاعد في عام 1941، وبعد 8 سبتمبر 1943 انضم إلى جمهورية سالو، وأصبح رئيساً للأركان العامة فيها. استسلم للحلفاء في 1 مايو 1945، ودخل السجن. أُطلق سراحه عام 1950، وانضم إلى اليمين المتطرف ليغادره بعد سنوات قليلة. شخصيته، التي كانت صعبة وقاسية في سنوات نجاحه الأكبر، أصبحت أكثر انغلاقاً وخشونة. كان غراتسياني، الذي يفتقر إلى الدبلوماسية بامتياز، متمرداً ومنعزلاً، وكثيراً ما أراد أن يكون بطلاً، ولكن في معظم الأحيان لم يكن سوى شخصية "مزعجة"، من بين الأكثر إزعاجاً التي رعاها "النظام" في داخله.

رودولفو غراتسياني (1882-1955)، أحد أكثر الشخصيات إثارة للجدل في التسلسل الهرمي العسكري الفاشي، كتب بهذا المجلد الذي نقدمه هنا مذكرات دفاع ذاتي حقيقية تعكس تاريخنا الدرامي خلال الصراع الأخير ولقاءاته وصراعاته مع موسوليني، بالبو، وبادوليو.

ترجمة آلية – إعداد ومراجعة:

خالد عياد الشقروني

يناير 2026

الكتاب الذي أُخذت منه الترجمة

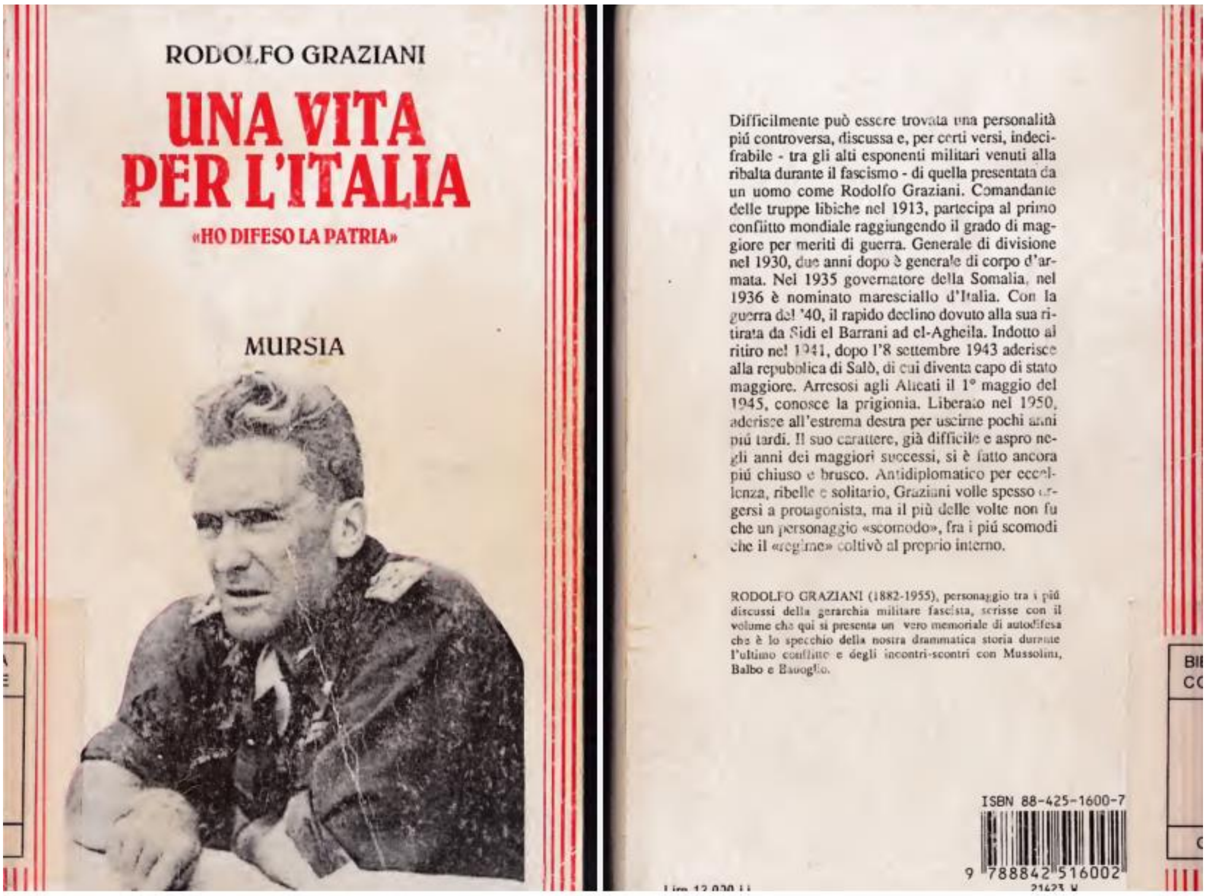

المحتويات

المحتويات 1
تقديم 3
1. بين الحلم والواقع 11
2. في ليبيا من 1921 إلى 1934 27
3. قيادة فيلق أوديني 41
4. من أجل غزو إمبراطورية 48
5. نائب الملك في إثيوبيا 56
6. مؤامرة أديس أبابا 69
7. أسطورة أورفيوس 88
8. رئيس الأركان العامة للجيش 93
9. حملة شمال أفريقيا 1940-1941 114
10 - عودة إلى الأرض 137
11 غير المتوقع والحقيقة 154
12. عشرون شهرا في غاردا 175
13. علاقاتي مع الكاردينال شوستر، رئيس أساقفة ميلانو 229
14. نحو النهاية 247
الملحق 271

رودولفو غراتسياني

حياة لإيطاليا

تقديم

"إن الخطأ الأكبر للجنرالات،" كما قال سانت بوف، "ليس خسارة الحروب، بل إرهاقنا بمذكراتهم." ومع ذلك، أتذكر أنني قرأت مذكرات رودولفو غراتسياني هذه، عندما صدرت لأول مرة في ديسمبر 1947، بعناية. سأكون كاذباً لو قلت إنها أثارت حماسي بأسلوبها: الذي، على الرغم من المبالغات التمجيدية المتضمنة في شخصية الرجل، كان له أحياناً فعالية صارمة. نشأ اهتمامي، بصرف النظر عن اهتمام "المهنة"، من سببين آخرين. أحدهما بعيد، والثاني ظرفي. اسم غراتسياني نفسه، ذكرني بأجمل مغامرات شبابي، والتي كانت جزءاً من المغامرة الأكثر إثارة لإيطاليا في قرننا: غزو الإمبراطورية التي كان المارشال، بسبب عدم كفاءته التي أظهرها في ديسمبر 1940، مسؤولاً عنها - زمنياً - أولاً. علاوة على ذلك، في تلك الأيام التي تلت الحرب مباشرة، أزعجني حقيقة أن انتصار المنتصرين - أولئك الذين اتخذوا كلمة "تحرير" ذريعة للهزيمة والاستسلام - حول غراتسياني، الذي كان محتجزاً آنذاك في نابولي، إلى كبش فداء. وليس فقط في المحاكمة الحتمية، والمشروعة أيضاً، ضد سالو (جمهورية سالو)[1]، حيث كان شخصية بارزة، بعد انضمام متردد وشبه قسري. وقبل كل شيء، كانت هناك "محاكمة" جارية أيضاً ضد أولئك الذين، لكونهم قد نشأوا كجيل في فترة العشرين عاماً الفاشية، وصلوا إلى معاداة الفاشية من الداخل، بطريقة اعتبرها دي جاسبيري والكونت سفورزا غير مقبولة.

من هنا جاء اهتمامي بهذا الكتاب. أعترف أنني، خاصة عند إعادة قراءة الفصل الرابع منه، شعرت مرة أخرى بشعور يتداخل فيه العاطفة مع الأسف. عندما وصلت إلى إريتريا، برتبة ملازم، من بين الأوائل، بل من بين الأوائل المتطوعين، في أبريل 1935، أي قبل خمسة أشهر من اندلاع الأعمال العدائية، كنت مليئاً بالحماس. جذبتني أفريقيا بآفاقها الواسعة، وبمساحاتها الحرة، حيث يمكن لرئتي أن تتمدد. لم يغرني فقط فكرة الهروب من الطقوس، والمضايقات، من الاحتفالات الفاشية والتجمعات. في ذهني، وفي أذهان شباب جيلي، على هذا العنصر الرومانسي - حيث اختلطت أصداء دوغالي و أودوا، وجاليانو وتوزيلي بذكرى قراءات كيبلينغ - تغلغل أيضاً عنصر سياسي وقومي. دون أن

---

[1] جمهورية سالو، والمعروفة رسمياً باسم الجمهورية الاجتماعية الإيطالية (RSI)، أسسها موسوليني عام 1943 إثر انقلاب الملك عليه، وكانت مدينة سالو الصغيرة في شمال إيطاليا مقراً لحكومة الجمهورية. [المترجم]

نفهم أن عصـر الإمبراطوريات كان يقترب من نهايته، فإن منظور "المكان تحت الشـمس" أغرانا لـدرجة أن الكثيرين منا - بمن فيهم الكاتب - فكروا في البقاء في إثيوبيا حتى بعد انتهاء الحرب، لبناء "إيطاليا الرواد" هناك، خالية من القيود والظروف، وتحقيق التجديد الفاشي الذي كنا نحلم به.

كان غراتسياني أيضاً جزءًا من هذا الحماس. صحيح أننا كنا منزعجين من حقيقة أنه - بعد أن "انتفخت" الدعاية بسبب إنجازاته ضد المتمردين في ليبيا - انتهى به الأمر إلى الاعتقاد بأنه ليوتاي[1]، متخذاً نبراته الدرامية والمسرحية ومعتبراً المغامرات الاستعمارية من حقوقه الطبيعية. ومع ذلك، عندما رأيناه محتجزاً في قيادة القوات المنتشـرة في الصومال، كنّا إلى جانبه لأنه كان يعضّ على الشفاه، وجعل زوجته تقول إنه يجب إزالة الكبار، بما في ذلك بادوليو، وإفساح المجال للقوات الشابة. كانت هذه موسيقى لآذاننا.

زاد تعاطفي مع غراتسـياني، الملقب بـــ "الأفريقي"، عندما، لحسـن حظي، تم تكليفي بكتيبة أصلية، الكتيبة الإريترية العشرين. بعيدًا عن المدن والقرى، وجدت نفسي أتجول في منطقة شـاسـعة، منخرطًا في حرب منفردة لا تختلف كثيرًا، في النهاية، عن تلك التي كان هو قادرًا على قيادتها. لأن هذا كان غراتسـياني: مقاتلاً عظيماً في حرب العصـابات الاسـتعمارية. كان كذلك بالعقلية والخبرة وحتى بالوسـائل المتاحة له، حيث أثبت براعة كبيرة ضد المتمردين في برقة، وبعد فترة وجيزة، ضد جحافل الحبشة. لكنه كان غير قادر على قيادة حرب حديثة، وكانت هذه هي حدوده الحقيقية.

لكن ذلك النوع من "الغرب الخاص بنا" الذي كان عليه غزو الإمبراطورية، كان كذلك أيضاً لوجود حرب العصابات. كنت مفتوناً بها. لم نكن نعرف إلى أين نتجه. المهم هو أننا كنا نتحرك ونقاتل. ولكن إلى حماسي أضيفت مخاوف أدبية: وفي تجوالي من ساغانيتي إلى ديغرا، ومن ديغرا إلى أدي كايد، ومن أدي كايد إلى سـينافيه، ثم في تيغراي التي سـقطت بالفعل تحت حكم راس سيجوم، كتبت خلال فترات الراحة الليلية - صفحة تلو الأخرى، فصـل تلو الآخر - الكتاب الذي ربما هو الأحب إلى قلبي، بعنوان "الكتيبة الإريترية العشـرون". كنت أعمل في منطقة مختلفة عن منطقة غراتسـياني، الذي كان متمركزاً جنوباً على طول حدود الصومال (التي أصبح حاكمها وقائدها). لكن سـرعان ما وصلني صدى حملته الهجومية الأولى، التي كانت بالفعل نموذجية.

[1] هوبير ليوتاي Hubert Lyateyy مارشال فرنسي ومنظر استعماري، اشتهر بأنه أول مقيم عام (حاكم) لفرنسا في المغرب (1912-1925)، ويعدّ "باني المغرب الحديث" تحت الحماية الفرنسية. [المترجم]

في البداية، في منتصف ديسمبر 1933، تقدم غراتسياني نحو غَرلوغوبي وغابيدار، ووسع نطاق عملياته نحو هرارينو، ثم شرع في بناء طريق إسفلتية كبيرة من مقديشو إلى غابيدار، لتأمين الإمدادات في وقت الهجوم الفعلي. أخيراً، ركز قواته بين غانالي بوريا وباوا بارما، جاهزاً للهجوم. كان لديه فرقة وطنية واحدة فقط، "بيلوريتانا"، متمركزة في دولو بـ 14 ألف رجل، و780 رشاشاً، و26 مدفعاً، و700 شاحنة، و3700 حيوان رباعي الأرجل، وعشرات من المركبات المدرعة. بالتواصل المباشر مع موسوليني (متجاوزاً بشكل أساسي، ولكن ليس رسمياً، مقر قيادة بادوليو، الذي أراد حصره في عمليات دفاعية بحتة)، تحرك في 12 يناير 1936 للهجوم على قوات راس ديستا، التي كانت في طريقها إلى مقديشو. كانت هذه القوات هي الأفضل في الجيش الإثيوبي، وتضم 40 ألف رجل، لكن مسيرة طويلة - عبر 400 كيلومتر على أرض قاحلة وغير مضيافة - قللت عددهم بمقدار الثلث. انتصر غراتسياني عليهم، واحتل (20 يناير) نغيلي، التي تُعرف بـ "بوابة أديس أبابا". كان انتصاراً مهماً، لدرجة أن بادوليو لم يشن هجومه من الشمال إلا في اليوم التالي لسقوط نغيلي، محتلاً أديس أبابا في 5 مايو. من الجنوب، احتل غراتسياني بعد ذلك هرار في 8 مايو، وفي 9 مايو ديري داوا، على خط سكة حديد أديس أبابا-جيبوتي.

"ليس بدون دلالة" يكتب غراتسياني "أن موسوليني انتظر اليوم التاسع لإعلان نهاية الحملة، لأن الاستيلاء على السكة الحديدية وحده كان يعني تصفية قوات الإمبراطور". حتى في هذه السطور، يتضح التنافس العميق الذي كان بينه وبين بادوليو: أحد المفاتيح لفهم جميع أعماله اللاحقة. ترك بادوليو إثيوبيا، وتنازل عن منصب نائب الملك لغراتسياني، الذي جلب له النصر رتبة المارشال ولقب النبالة ماركيز نغيلي. لكن "حساب" بادوليو كان أكثر قسوة: دوقية أديس أبابا، المعاملة الاقتصادية لنائب الملك مدى الحياة، وهدية سكن فاخر بتكلفة خمسة ملايين.

غراتسياني، كنائب للملك، لم يفعل الكثير. في كل مكان فرض فيه الاحتلال عسكرياً بشكل دائم، أعادت بيروقراطية الدولة والحزب تأكيد صلاحياتها، وتغلب الموظف على الرائد. تم تنظيم كل شيء من الأعلى، تقليداً دقيقاً للنظام الحضري. لم تكن إيطاليا أخرى تولد في الحبشة، بل نفس إيطاليا، بطقوسها المزعجة، وغابتها من اللوائح المتناقضة، ومحسوبياتها، وفصائلها. انتهى الأمر بالشباب إلى عدم إعجاب غراتسياني، الذي كان مكروهاً جداً من قبل الأحباش الذين ظلوا موالين للإمبراطور. لم يكن مكروهاً بسبب الاستخدام العشوائي للغاز خلال الحرب (اتهام لا أساس له: لم تستخدم الأسلحة الكيميائية إلا على نطاق محدود، وبأي حال من الأحوال لم تغير مسار الصراع بشكل كبير)، بل بسبب إجراءاته القمعية. أقام غراتسياني معسكرات اعتقال، وأعدم القادة

الثوار، بمن فيهم راس ديستا (في المقابل، تم نفي راس إميرو إلى بونزا): إجراءات ضرورية لتهدئة إثيوبيا، لكنها جعلته غير محبوب بين السكان الأصليين. لدرجة أنه، في 19 فبراير 1937، كان هدفاً لهجوم دموي في أديس أبابا. خلال احتفال في ساحة القصر الإمبراطوري، ألقيت سبع قنابل يدوية من الحشد، مما أسفر عن إصابة غراتسياني وحوالي ثلاثين شخصاً. فتح جنودنا النار، واستمر إطلاق النار ثلاث ساعات. كان الانتقام وحشياً. أبلغ غراتسياني نفسه موسوليني بهذه البرقية: "منذ 19 فبراير حتى اليوم [22 فبراير - ملاحظة المحرر] تم تنفيذ ثلاثمائة وأربعة وعشرين إعداماً فورياً، ومع ذلك، مع إدانة مميزة ومثبتة دائماً (أكرر ثلاثمائة وأربعة وعشرين). دون تضمين، بالطبع، في هذا الرقم قمع أيام التاسع عشر والعشرين من فبراير. كما قمت بإرسال ألف وخمسمائة شخص من الرجال والنساء والأطفال إلى معسكر اعتقال موجود هناك منذ الحرب."

أذكر هذه التفاصيل ليس فقط لأن غراتسياني لا يذكرها في الكتاب، ولكن الأهم من ذلك لأن ذلك الهجوم هز جهازه العصبي بشكل نهائي. بعد أن أقاله موسوليني، الذي استبدله بدوق أوستا في نوفمبر 1937، عاد غراتسياني إلى إيطاليا فقط في منتصف فبراير من العام التالي. كان يطمح لأن يصبح سيناتوراً، لكنه لم ينجح لأنه كان صغيراً جداً (كان عمره 55 عاماً، بينما كان العمر المطلوب للسيناتور 60 عاماً على الأقل)، ثم قرر الذهاب إلى الصومال، إلى مزرعة اشتراها في مقديشو. أبلغ موسوليني بذلك، على أمل أن يتم احتجازه، في اجتماع (غراتسياني لم يكن رجلاً ذكياً، لكن الدوتشي كان كذلك) كما هو موضح في الكتاب: "استمع إليّ موافقاً وودعني قائلاً: "أنصحك بزراعة الكثير من الموز، فسوقنا يحتاجه دائماً"."

لكن الحرب العالمية كانت على الأبواب، ومنعته من أن يكون سينسيناتوس[1] في المستعمرة. استدعاه موسوليني، وكلفه بقيادة الجيوش الشرقية، مع تعيينه رئيساً للأركان العامة للجيش. في يونيو 1940 أرسله ليحل محل إيتالو بالبو - الذي توفي أثناء تحليقه فوق طبرق - في حكومة ليبيا. بالنسبة لمستعمراتنا، كانت هذه بداية النهاية. لفهم موقف ومسؤوليات غراتسياني خلال الصراع، أنصح بقراءة - كعنصر مكمل لهذه المذكرات - مذكرات تشيانو، ابتداءً من عام 1939. في البداية (13 سبتمبر 1939) "غراتسياني متشائم بشأن ظروف الجيش." ثم (2 يناير 1940)، على خلاف مع بادوليو،

---

[1] رجل دولة وقائد عسكري روماني في القرن الخامس قبل الميلاد، تم استدعاوه من مزرعته الصغيرة ليتولّى منصب ديكتاتور مؤقتا في روما خلال أزمة عسكرية كبرى. بعد انتصاره على العدو وإنقاذ الجيش الروماني؛ تخلّى على الفور عن السلطة بعد 16 يوما وعاد إلى حياته كمزارع. [المترجم]

"يتصور الحرب إلى جانب ألمانيا ويعمل لدى الدوتشي لتسريع عمله." لدرجة أن تشيانو، بالاتفاق مع بادوليو، قرر إيقاف غراتسياني، "الذي لديه طموح أكثر من العقل، ويقوم بدعاية تدخلية سهلة ولكن خطيرة على الدوتشي" (10 يناير 1940). ولكن بعد أربعة أشهر، بدى غراتسياني، "قلقاً من المسؤولية، وأخذ يعبّر عن معارضة واضحة لأي عمل حربي لنا، بما في ذلك العمل في كرواتيا" (3 مايو 1940).

بعد تدخلنا في الصراع، كُلّف بتصميم هجوم على مصر. وصفه بـ"مهمة جدية للغاية، تتطلب تحضيراً بعيداً عن الكمال" (8 أغسطس 1940). ترددات مشروعة، لكنها أثارت غضب موسوليني، الذي أكد أنه "لا يجب تكليف مهام لمن ليس لديهم على الأقل رتبة ليحرزوها. غراتسياني لديه الكثير ليخسره" (نفس المرجع). تم اتخاذ قرار الهجوم في أكتوبر، من سيدي البراني، وتم تأجيله لمدة شهرين من قبل المارشال نفسه. ولكن، لمنع ذلك، جاء الهجوم البريطاني المضاد المفاجئ والعنيف: الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الهندية بقيادة الجنرال ويفل اجتاحت بسهولة تحصينات غراتسياني القديمة. كانت الكارثة: 38 ألف أسير إيطالي (من بينهم أربعة جنرالات) وغنيمة 237 مدفعاً، و70 دبابة، وحوالي 1000 مركبة.

نقرأ في "يوميات تشيانو"، بتاريخ 12 ديسمبر: "وضع سيء للغاية في ليبيا. غراتسياني يرسل برقيات قليلة وغير دقيقة. لم يتعافَ بعد من الصدمة التي تعرض لها، ومن ناحية أخرى يبدو أن أعصابه كانت متوترة جداً منذ حادثة الهجوم في أديس أبابا. أخبروني أنه حتى في إيطاليا كان يخاف جداً من الهجمات لدرجة أنه كان يحيط فيلته في أرتشينازو بـ 18 من الشرطة. في ليبيا كان قد بنى ملجأ لنفسه في قبر روماني في قورينا، بعمق عشرين أو ثلاثين متراً. الآن هو مضطرب ولا يستطيع اتخاذ القرارات." ثم (13 ديسمبر): "أجد الدوتشي هادئاً وغاضباً من غراتسياني بسبب برقية أرسلها إليه. برقية طويلة مليئة بالشكوى يتحدث فيها "كرجل لرجل" ويلوم الدوتشي على السماح لنفسه بالانخداع من قبل المتعاونين العسكريين الرومان، وعلى عدم الاستماع إليه أبداً، وعلى دفعه إلى مغامرة تتجاوز الآن الإمكانيات البشرية وتدخل في مجالات القدر. يقرأها موسوليني لي ويقول: "هذا رجل آخر لا أستطيع أن أغضب منه لأنني أحتقره"."

موسوليني كان يميل إلى تحميل غراتسياني - الذي كان يتحمل مسؤولياته الخاصة - جميع مسؤوليات الهزيمة في ليبيا. وبعد سقوط - بين ديسمبر 1940 وفبراير 1941 - بارديا، طبرق، بيرنا، بنغازي، وأجدابيا، قبل استقالة المارشال، مع الاحتفاظ بحقه في تقديمه للمحاكمة. اعتزل غراتسياني ليعيش حياة هادئة في مزرعته في فياني دي أرتشينازو، لمدة ثلاث سنوات.

في 23 يوليو أحزنه الخبر، وفي 8 سبتمبر فاجأه. لكي يقدّر القارئ بشكل أفضل انضمام غراتسياني القسري والمتأخر إلى جمهورية سالو[1] - الموصوف بالتفصيل في الفصل الحادي عشر من هذه المذكرات - أقدم هنا شهادة وقحة (لكن في هذه الحالة موثوقة) ليوجين دولمان، اليد الطولى لهيملر في إيطاليا. كتب دولمان (في روما النازية، لونغانسي 1949): "حتى 8 سبتمبر، لم يكن لرودولفو غراتسياني علاقة خاصة بالألمان (...) انقلب الوضع فجأة مع هروب الخصم الكبير [بادوليو - ملاحظة المحرر] من روما، وغراتسياني، وهو يروي كيف اتخذ في 23 سبتمبر 1943 القرار المصيري بالانضمام إلى حكومة موسوليني التي كانت على وشك الانهيار، ساق حججاً عاطفية تكرم وطنيته أكثر من ذكائه السياسي. كان غراتسياني قد زار السفارة الألمانية لأول مرة بعد ظهر يوم 12 سبتمبر، برفقة المارشال كافيليا (...) صباح يوم 23، جرت في السفارة الألمانية أيضاً المحادثة التاريخية مع ران والجنرال وولف: وفقاً لغراتسياني، كانت هذه المحادثة قد تحولت إلى قمع روحي، خضع خلاله القائد المستقبلي للقوات الفاشية الجديدة لأغاني حورية البحر الخادعة للدبلوماسي المتكلم. كان الجو مربكاً: الأبواب تُفتح باستمرار، والراديو يبث الأخبار باستمرار، والمقر العام كان متوتراً، والدوتشي متحمس، والحكومة تشكلت بالفعل، لم ينقص سوى "نعم" غراتسياني لإدراج اسمه في القائمة، وران يصور إيطاليا بدون حكومة وبدون غراتسياني بألوان قاتمة."

بالتأكيد، كل هذا ساهم في استسلامه. في الواقع، يضيف دولمان، "كانت مأساة جندي لم يكن على مستوى الموقف، بالإضافة إلى تأثره، وإن لم يكن بشكل حاسم، بسراب الفرصة التي سنحت له أخيراً لتسوية الحسابات مع بادوليو". من هذه العناصر، في لحظة بهذه الخطورة لإيطاليا، لا أستبعد الوطنية: غراتسياني كان جندياً قديماً، وفي شبابه كان شجاعاً، وقد رقي إلى رتبة رائد لخدماته الحربية على جبل سان ميشيل في عام 1917، وأصيب مرتين، في عام 1917 على كول دي بيريتا وفي عام 1918 على هضبة آسياغو. لقد كرس حياته وطموحاته للمهنة العسكرية، ولإيطاليا: لذلك لا يمكن استبعاد حسن النية، في مجموعة الدوافع التي دفعته ليصبح منظم ومحفز جيش الجمهورية الإيطالية الاشتراكية RSI .

عندما أحضره دولمان إلى هتلر في أكتوبر 1943 بصفته "الممثل الأول" للجيش الإيطالي بعد 8 سبتمبر، قال: "فوهرر، أنا فخور بأن أقدم نفسي لكم اليوم كضابط إيطالي، ورأسي مرفوع. لقد توليت منصبي، مدركاً لخطورة المهمة التي تنتظرني، لخدمة الوطن في

---

[1] بلدة شمال إيطاليا كانت المقر الفعلي للحكومة الفاشيستية خلال المرحلة الأخيرة. [المترجم]

العلاقات مع الحليف، كوني أحد القلائل من كبار الضباط القادرين على فعل ذلك بعد 8 سبتمبر". كان المارشال بالتأكيد يدرك مدى كون الجمهورية الإيطالية الاشتراكية "أسيرة" للألمان في ذلك الوقت. ومع ذلك، يروي دولمان، كان المشهد محترماً: "تصرف غراتسياني بدون ذل زائف أو تملق". لا شك أن الرجل كان فخوراً.

موسوليني، الذي لم يحبه قط، تسامح معه. "من بين الشريرين العسكريين اللذين اضطررت لتحملهما طوال حياتي، بادوليو وغراتسياني"، قال في تلك الأيام لدولمان بسخرية مستسلمة، "بقي لي الأقل شراً". بعد أن اجتاحته دوامة الحرب الأهلية المأساوية، أصدر غراتسياني سلسلة من الأوامر القاسية (بما في ذلك أمر أبريل 1944، الذي فرض عقوبة الإعدام، رمياً بالرصاص في الظهر، على المتخلفين عن التجنيد، مع تهديد بالانتقام من العائلات ومصادرة الممتلكات). كقائد لجيش سالو، كان مسؤولاً أخلاقياً عن الإعدامات بإجراءات موجزة، والاعتقالات، والترحيلات، والعمليات الانتقامية الوحشية. ومع ذلك، لم يكن متورطاً بشكل مباشر. أما بالنسبة لي، فيجب أن أكون ممتناً له - كما يتذكر هو نفسه في هذه المذكرات - للمساعدة أو على الأقل حسن المعاملة التي قدمها لوالدتي عندما كنت سجيناً للألمان في سان فيتور. لم يتبع، في أيام الخاتمة، قافلة موسوليني نحو "ثيرموبيلا فالتيللينا" معلناً ببرود أنه، بما أن الفرق الإيطالية الموكلة إليه كانت تحت قيادة كيسيلرينغ، فإنه يرفض التضحية بها، مفضلاً المشاركة في الانسحاب الألماني. وهكذا، نجا من المذبحة.

محاصراً من قبل البارتيزان[1] في فيلا بالقرب من كومو، سلم نفسه في 26 أبريل لضابط أمريكي، داداريو، واحتُجز في سان فيتور. بفضل داداريو، لم ينفذ أمر إعدامه؛ في 29 أبريل، تم استدعاؤه من قبل كادورنا ونقله إلى قيادة الفيلق الرابع الأمريكي المتمركز في بريشيا، حيث وقع غراتسياني أمر الاستسلام للقوات المنهزمة لجمهورية إيطاليا الإشتراكية RSI. ثم تم ترحيله إلى فلورنسا، روما، والجزائر (12 يونيو)، ليصبح سجين الحرب AA252433 في المعسكر 211. تم تسليمه إلى إيطاليا في 16 فبراير 1946، واحتُجز في بروتشيدا. وهناك بدأ في كتابة هذا الكتاب.

عندما صدر هذا الكتاب، كان غراتسياني - تحت المراقبة المشددة في مستشفى "إيلينا د'أوستا" في نابولي منذ أغسطس 1946 - قيد المحاكمة. ومن هنا جاءت نبرة العديد من الصفحات، بين الجدلية والتبريرية: لكنها كُتبت أيضاً بمرارة من كان يدرك أن السنوات من 1940 إلى 1943 لم تكن، لبلدنا، فصولاً مجيدة. كان الكتاب مفيداً له: أطال

[1] حركة المقاومة الإيطالية ضد الألمان ونظام "جمهورية إيطاليا الاشتراكية" الفاشي حليف ألمانيا. [المترجم]

المحاكمة إلى 79 جلسة حتى أعلن القضاة، قبولاً لطلب الدفاع، عدم اختصاصهم، وأحالوا الملفات إلى المحكمة العسكرية. بالنسبة للمارشال العجوز، الذي تم تخفيض رتبته بالفعل، كان هذا حظاً: وجد نفسه يُحاكم من قبل "جنوده"،

بدأت المحاكمة الجديدة في 23 فبراير 1950، واستمرت 33 جلسة أخرى. اعترف القضاة بأن غراتسياني مذنب بـ "التعاون العسكري مع الغازي الألماني بعد 8 سبتمبر 1943". لكنهم حكموا عليه بالسجن 19 عاماً، مقابل 24 عاماً طلبها المدعي العام، مع عفو عن 13 عاماً و8 أشهر. وبما أن غراتسياني كان قد قضى بالفعل 3 سنوات و8 أشهر، لم يبق له سوى 20 شهراً في السجن: لكن المحكمة ألغت هذه المدة، قبولاً لاستئناف الدفاع، الذي تمكن من احتساب العقوبة من لحظة احتجازه في الجزائر.

في 29 أبريل 1950، غادر غراتسياني مستشفى تشيليو - حيث كان قد نقل إليه في الأثناء - وعاد إلى أفيلي، ضيفاً على شقيقتين. انضم إلى حركة "إم إس آي" Msi (الحركة الاجتماعية الإيطالية)، وشارك في بعض الحملات الانتخابية. تدهورت حالته الصحية بشكل متزايد، مع قرحة مثقوبة وتليف كبدي، وتوفي في الساعة السادسة صباحاً من يوم 11 يناير 1955. قبل وفاته بقليل، أراد أن يكون بجانبه ابن نازاريو سورو، وطلب منه مساعدته في ارتداء زي مارشال إيطاليا؛ وهذه حقيقة تستدعي التفكير. كانت الجنازة، الخاصة، مهيبة للغاية، مع مشاركة حاشدة من الناس. لكن غالبية الإيطاليين كانوا قد نسوه بالفعل. ومن حسن الحظ أن هذا الكتاب ينقطع عند عام 1946: غراتسياني، حتى في ذلك الفصل المرير من وجوده، كان لا يزال إنساناً. بعد ذلك، لم يكن سوى شبح.

إندرو مونتانيللي

ملاحظة التحرير. - كتاب "حياة لإيطاليا" Una vita per Vltalia ليس كتاباً جديداً، بل هو الإصدار الأخير، الذي راجعه المؤلف شخصياً قبل وفاته، مع العديد من الإضافات والحذف، من الطبعة السابعة عشرة من كتاب "لقد دافعت عن الوطن" Ho difeso la Patria ، الذي نشره في وقته (يناير 1950) الناشر غارزانتي. بعد مراجعته بعناية من الناحية التحريرية، أصبح - بالإضافة إلى كونه مذكرات الدفاع الذاتي في ذلك الوقت - خلاصة حياة وكذلك مرآة لعصر يبدو، اليوم، بعيداً جداً في الزمن.

1. بين الحلم والواقع

ولدت في فيليتينو، قرية خلابة تقع في وادي آنييني عند سـفح جبل فيجليو، على ارتفاع 1083 متراً فوق سطح البحر، على حدود أبروتسو، في سلسلة جبال أبينيني.

على ارتفاع 1650 متراً ؛ تمثل "سِـرّا دي سـانت أنطونيو"، خط تقسـيم المياه بين نهر ليري ونهر آنييني.

يتعرج مسـار ضـيق من قاع وادي "ليري" ليعبر الممر وينزل إلى وادي آنييني، إلى فيليتينو، حيث ينبع هذا النهر الذي، تندمج مياهه مع مياه نهر سـيمبريفيو، وينحدر نحو سـوبياكو، بين المنحدرات والقفزات، محاذياً بقايا "فيلا نيرونيانا"، بالقرب من جسر سان ماورو.

في الأعلى، ترتفع ديرتا "سان بينيديتو" و"سانتا سكولاستيكا"، مهد النظام البيندكتي.

وهناك أكمل بينيديتو من نورسيا بداياته. تقول الأسطورة إن جيوش حنبعل عبرت ممر "سيرا دي سـانت أنطونيو"، عندما انتقل من أبروتسـو إلى روما، واشـتبك مع فيالق "أُوربي" Urbe، بالقرب من نهر آنييني، بالقرب من جسر مامولو.

اشتهر سكان فيليتينو منذ أزمان سحيقة بتربية الأغنام. في فصل الشتاء، تنزل قطعان الأغنام إلى السـهول، نحو البحر: يتبعها الرعاة، مع النسـاء القادرات والأطفال. يبقى في القرية كبار السـن والعجزة فقط. قبل تجفيف منطقة بونتين، كانت هذه هي منطقة الرعي، وكان الرعاة يتحدون قسوة المناخ وخطورته، منهكين ولكن غير مهزومين بالملاريا.

أحدث الاستصلاح ضربة قاسية لتربية الأغنام الجبلية، التي كانت ترعى هناك، ولكن بعد انتهاء فترة الأزمة، تم توجيه القطعان نحو الأغرو ومارّيما، وبدأ العدد، الذي كان قد انخفض في البداية، في الزيادة والازدهار مرة أخرى.

كان جدي الأكبر، جوزيبي دي تشـيزاري، والد جدتي لأبي، راعياً عظيماً في ذلك الوقت، وكان يتحكم في خمسـة عشـر ألف رأس من الأغنام في تنقلاته الشـتوية والصـيفية بين المسـتنقع والجبل. عندما ينزل إلى السـهل، كان يقيم مقره في سـيسـتيرنا. أثناء مروره تحت فراسـكاتي، كان

يتوقف عند الأيقونة، التي لا تزال موجودة حتى اليوم، عند مفترق طرق روما-فراسكاتي-مونتيكومباتري، "للتبرك بأم الإله" لقبيلته من الرجال والأغنام. أمام هذه الأيقونة ركعت طفلاً.

جدي لأبي، بينيديتو غراتسياني ، من مواليد أفيلي، كان ابن مزارعين وتزوج في فيليتينو، عام 1838، ابنة دي تشيزاري، التي أنجبت أربعة عشر طفلاً، وكان من بينهم أبي فيليبو.

كان طبيباً وجراحاً؛ وتزوج في روما من والدتي، أدليا كليمنتي، التي تنتمي أيضاً إلى عائلة من المزارعين المشهورين، والتي تضم أيضاً الموسيقي العظيم[1] في القرن الثامن عشر.

بسبب روابطه الأمومية، عمل والدي طبيباً لعدة سنوات في فيليتينو وهناك ولدت في 11 أغسطس 1882.

في سجل الأحوال المدنية، في المحفوظات البلدية، بين مواليد عام 1882، كُتب اسمي بالحبر الأحمر، بينما كُتبت أسماء الآخرين جميعاً بالأسود. حول هذه المصادفة الغريبة، في القرية، نسجت العديد من التكهنات بمجرد أن بدأت حياتي تأخذ منحى غير عادي.

خلال مأدبة تقليدية، وبسبب تحطم بعض القوارير، غمر المنزل بالنبيذ، ومن هذا الحدث الباخوسي[2] استوحيت بشائر خاصة.

فتحت عيناي إذاً على أفق مليء بقطعان الأغنام، ولم أنسَ أبداً هذه الأصول، بل كانت بالنسبة لي، في كل الأوقات، مصدر فخر وشرف.

في عام 1888، انتقل والدي كطبيب إلى أفيلي، وبقي هناك حتى عام 1904، وهو العام الذي توفي فيه.

من ممتلكات جدي، التي كان لا بد من تقسيمها بين أبنائه العديدين، لم يبق له إلا قطعة أرض مساحتها ثلاثة ونصف هكتارات؛ وهو ما أملكه حتى اليوم مع أخي الوحيد وشقيقتي العازبتين، اللتين بالكاد تستفيدان منها في حياتهما.

بجهود وتضحيات كبيرة، تمكن والدي من بناء منزل صغير حيث أقام عائلته، وحيث ترعرع تسعة أطفال.

كان يكسب القليل جداً، ولسد احتياجات الأسرة، تولى أيضاً إدارة بلدة أرتشينازو رومانو، حيث كان يذهب يومياً سيراً على الأقدام أو على ظهر حمار، الذي كنا نطلق عليه، بعد أحداث عام 1896، اسم مينليك.

---

[1] Muzio Clementi ، (1752- 1832) أحد أهم الموسيقيين في الفترة الكلاسيكية. [المترجم]

[2] نسبة إلى إله الخمر في الميثولوجيا الرومانية. [المترجم]

كان والدي طبيباً جراحاً ذو سـمعة ممتازة؛ تخرج من العيادة الأولى "باكتشـيللي"، حيث كان زملاؤه دورانتي، ماركيافا، بنسوتي وغيرهم من الأطباء اللامعين الذين شغلوا الساحة في روما. لم يتمكن من الاستقرار هناك بسبب نقص الإمكانيات، وكان عليه أن يكتفي بالعمل كطبيب محلي. ترك وراءه ذكرى طيبة جداً؛ كان مطلوباً في جميع القرى المجاورة عندما يتعلق الأمر بالحالات الصعبة، وكان يؤدي مهمته بحماس ودقة لدرجة أنها لم تستطع إلا أن تؤثر في مخيلتي الشابة وتشير لي إلى طريق الواجب. كان بالنسبة لي معلماً في الحياة والصدق؛ له الفضل في مبادئ الاستقامة التي قادتني دائماً. والدتي، امرأة ذات فضائل عالية جداً، علمتني الشعور الديني وتقدير الخير، ومنحتني في نفس الوقت إحساساً بالفخر وحب الحياة الذي دفعني دائماً نحو أهداف نبيلة ورفيعة.

في هذا الجو العائلي الأبوي، في أواخر القرن التاسع عشر، عشت سنوات طفولتي وبداية مراهقتي وشكلت شخصيتي.

أنهيت آخر سنتين من التعليم الابتدائي في روما، كضيف عند خالتي. لقد أثرت روعة المدينة الأبدية عميقاً في مخيلتي وخيالي، مطورةً فيّ ذلك الحب للكلاسيكية الذي سيرافقني طوال حياتي.

قرر والدي أن يضعني في معهد سوبياكو Subiaco الديني حيث كان جدي ومن ثم هو نفسه قد تلقيا تعليمهما ودراساتهما. يعود تاريخ هذه المؤسسة الدينية إلى نهاية القرن السابع عشر، وكانت تتمتع بسمعة طيبة لدرجة أن الشباب، سواء كانوا مكرسين للحياة الكهنوتية أم لا، كانوا يتوافدون إليها بأعداد كبيرة من مناطق بعيدة مثل بوليا وأبروتسو ومناطق أخرى، بالإضافة إلى مقاطعة روما.

تحت إشراف رجال دين مثقفين وذوي أفكار حديثة، طورت هيكلها لتوفير ضمان أكيد للانتقال إلى الثانوية في المعاهد الملكية.

كانت "القواعد" المتبعة هناك صارمة للغاية ومقوية ليس فقط من وجهة نظر الممارسة الدينية، بل في جميع النواحي الأخرى. قضيت هناك السنوات الخمس في المرحلة الثانوية من عام 1895 إلى 1899، ثم حصلت على شهادتي من معهد "إينيو كويرينو فيسكونتي" في روما.

في تلك المناسبة، تلقيت درساً كان لي بمثابة قاعدة طوال حياتي. أراد صديق من سوبياكو أن يتدخل لمصلحتي، عن طريق وسيط، وهو أستاذ في تلك الثانوية، وزودني برسالة توصية كان علي أن أسلمها. كان الظرف غير ملتصق جيداً؛ لذا كان من السهل جداً قراءتها وإعادة إغلاقها. كان الإغراء يحرقني.

أوقفتني إحدى أخواتي، التي كانت قادمة معي إلى روما لإجراء بعض الامتحانات أيضاً، لفترة وجيزة عن ارتكاب هذا التطفل، حيث أن القطار كان يمر بنفق طويل، مما أتاح الظلام لي القيام

بالفعل الشرير دون أن تلاحظ ذلك. في بداية الرسالة، قال الصديق للأستاذ حرفياً: "فقط للتخلص من عبئه، أقدم لك...".

كان الأمر أشبه بضربة مطرقة وجهت إلى حسن ظني الشبابي. منذ ذلك اليوم فصاعداً، تعلّمت أن أعتمد على نفسي، ولا أعتمد على توصيات الآخرين. ربما كانت هذه بداية ذلك الشعور بالثقة المطلقة في نفسي، الذي سيرافقني طوال حياتي. لقد تلقى طالب اللاهوت عقيدة قاسية من الواقع.

على الرغم من حماسة الشعور الصوفي الذي كان يُبعث في روحي، لم أشعر أبداً برغبة حقيقية في الكهنوت، باستثناء فترات عابرة من الحماس. على العكس من ذلك، شعرت في داخلي برغبة عميقة في العمل في أي مجال، رغبة كانت آنذاك تفلت من تحقيقات ضميري ولم تنفصل عن إحساس صوفي.

كانت تلك سنوات المغامرات الأفريقية، التي توجت بـ"عدوة"[1]، وتلك الأحداث تردد صداها في داخلي لدرجة أنها أثارت حركات من القلق ونوبات من الفرح تركتني مضطرباً، فريسة للتأملات والنشوات غير السطحية.

بدأت أحلم بأنني قد أتمكن يوماً ما من خوض غمار أراضي إفريقيا كجندي؛ لقد أثارني، على الرغم من البيئة الخاصة، ذلك الحب الحصري للسلاح الذي استولى بعد ذلك على حياتي، كعلامة من علامات القدر.

أنهيت دراستي الثانوية بين روما وألاتري، حيث حصلت على الشهادة عام 1902. خلال تلك السنوات، كانت تتطور لدي بشكل متزايد الرغبة في المهنة العسكرية، مع رؤية ملتهبة لإمكانية المساهمة في زيادة هيبة الوطن في العالم.

مع اهتمامي الشديد بالقضية الاجتماعية، التي وصلت في تلك السنوات إلى ذروتها، لم تكن السياسة تجذبني، ولم أفهم الصراع الطبقي إلا كعنصر مضطرب ومخرب للنظام الاجتماعي واقتصاد الأمة. بدلاً من ذلك، اعتقدت أن نظاماً جيد التصميم للتعاون بين رأس المال والعمل، وبالتالي دمج الطبقات المختلفة، قد يحل القضية التي تؤرق البشرية منذ آلاف السنين.

عندما كنت أكمل سنتي الأولى في المدرسة الثانوية عام 1900، كانت أسس قصر العدل الجديد توضع في روما. كنت أسكن عند خالتي في براتي دي كاستيلو، وكان علي الذهاب إلى المدرسة في أحياء لودوفيسي البعيدة، إلى ثانوية "توركواتو تاسّو"، أربع نزهات غير مريحة كل يوم، سيراً على الأقدام لأسباب اقتصادية. أثناء مروري المتكرر أمام ورشة البناء في القصر قيد الإنشاء، كنت

[1] بلدة بأثيوبيا جرت بها معركة فاصلة في الحرب الإيطالية الأثيوبية سنة 1996 انهزمت فيها إيطاليا. [المترجم]

أتوقف لمراقبة العمل، وتأثرت برؤية العمال وهم ينقلون، باستخدام الرافعات والروافع والبكرات، الكتل الحجرية الضخمة. لكن لم تفوتني المهام الإدارية الدقيقة للمهندسين، وفكرت في رأس المال الذي يحرك تلك الآلة البنائية الضخمة. لماذا نتشاجر بيننا، فكرت، إذا كانت الأيدي والعقول ورأس المال ضرورية بنفس القدر لإنجاز العمل؟ الأفضل تحقيق تعاون مربح للجميع بشكل عادل.

تماماً هكذا: لقد اتبعت الأخلاق الأصلية للكتلة الفاشية لأنها كانت، منذ ذلك الوقت البعيد، تتفق مع فكرتي عن ضرورة التعاون بين الطبقات.

من الناحية المؤسسية، رباني والدي على المبادئ الملكية، التي كان يؤمن بها بقوة مع شعور خاص بالولاء لبيت سافوي. ولد عام 1843، وعاش ملحمة "النهضة" بأكملها: في الصراع بين الملكية والجمهورية، ظل مؤيداً للملكية حتى النهاية.

لن أنسى أبداً الضربة الرهيبة التي تلقاها في 29 يوليو 1900، عندما كان عليّ في أفيلي أن أبلغه بالخبر المأساوي لمقتل الملك أومبرتو الأول.

كان شاعراً مرتجلاً، وفي تلك المناسبة ألف سونيتة ناجحة للملكة مارغريتا؛ والتي وصلته منها رسالة تقدير جميلة.

هكذا كانت طريقة تفكيري في سن العشرين، لكنني لم أشعر برغبة في المشاركة الفعالة في السياسة، على الرغم من طبعي الإرادي والقتالي، والعاطفي والاندفاعي.

ومع ذلك، فقد عملت مكابحي المانعة دائماً أمام الانضباط العسكري، منذ أن كنت جندياً وحتى أعلى الرتب. حتى في الصراع مع رؤسائي، لم أحيد أبداً عن مبادئ الانضباط. كانت تلك هي السمات المتأصلة في دعوتي. ولكن كم من الجهد قبل أن أتمكن من تحقيقها! بعد الحصول على شهادة الثانوية، كان الأمر يتعلق في الواقع باختيار مسار. أخبرت والدي أنني اخترت المهنة العسكرية، لكن مع أسفه الشديد لم يتمكن من تلبية رغبتي: مواردنا المالية لم تسمح لي بالبقاء لمدة عامين في الكلية العسكرية، ولا كان بإمكان العائلة أن تخفف عني فيما بعد ندرة الراتب.

كانت تلك أول خيبة أمل كبرى، وهددت بانهيار جميع أحلامي. عانيت منها حتى الدموع، لكن كان علي أن أقر بأن الوالد لم يكن مخطئاً. لو كان علي اختيار مهنة، لكنت درست الطب بحماس، مثل والدي، لكن هذه الدراسات كانت ستكون طويلة ومكلفة للغاية بالنسبة لنا دائماً.

تنازل آخر. تمكنت من التسجيل في كلية الحقوق، ولكن فقط لسنتين في مجال التوثيق، مما يعني رسوماً أقل ويوفر إمكانية الدخول فوراً إلى مكتب وكسب لقمة العيش. كنت سأواصل

وأحصل على شهادة في القانون لاحقاً، مما يفتح لي الطريق أمام ترتيبات متنوعة. برنامج واقعي، ولكن على حساب كل وهم عزيز!

وهكذا، سجلت في أكتوبر 1902 في جامعة روما حيث كان يدرّس في تلك السنوات أساتذة مثل فيلوموسي-غويلفي، سالاندرا، شيالوجا، أورلاندو، كيمينتي، بانتاليوني، أوتولينغي، فيري، وبييرانتوني، وهم رواد القانون والمحاماة والسياسة الوطنية.

لقد اقتربت على مضض من التخصصات القانونية، التي كانت أقل جاذبية بالنسبة لي، لكن سحر هؤلاء الرجال، ومعرفتهم الواسعة والعميقة، وبلاغتهم وعمق تفكيرهم جعلوني سريعاً طالباً مجتهداً واستحوذوا على اهتمامي.

أدركت لاحقاً أنني لو واصلت تلك الدراسات، لربما أصبحت محامياً جنائياً جيداً ورجلاً سياسياً شغوفاً.

للوفاء بالالتزامات العسكرية دون الاستفادة من الامتيازات الجامعية، التي سمحت بتأجيل إنجازها إلى السنة السادسة والعشرين، انضممت إلى فصيلة ضباط الطلاب التي كانت تتشكل آنذاك في فوج المشاة 94 في روما. وهكذا قسمت وقتي بين الجامعة والخدمة العسكرية. وفّرت لي الثكنة السكن والطعام، مما خفف العبء على إمكانيات الأسرة المتناقصة باستمرار.

بعد الانتهاء من الدورة، في 1 مايو 1904، تم تعييني ملازماً ثانياً وتم نقلي إلى فوج المشاة 92، ومقره في فيتيربو. هناك أكملت خدمتي الأولى التي انتهت في ديسمبر. لكن مصيبة خطيرة حلت بعائلتي بفقدان والدي المبكر الذي حدث في شهر مايو نفسه. منع عنه هذا الحدث سعادة رؤيتي ضابطاً، ولو كان ضابط احتياط، كان سعيداً بذلك من أجلي، لأنه كان يعلم أنني كنت مرتبطاً دائماً بحلم شبابي. الآن برزت مشكلة استكمال الدراسات، والحصول على وظيفة مجزية، بشكل أكثر إلحاحية من أي وقت مضى. في تلك الفترة، أُعلنت مسابقة لقبول طلاب مفوضين في سلك الأمن العام؛ أعددت نفسي تحت إشراف المفوض غريببو، في فيتيربو، وتقدمت للامتحانات التي جرت في محافظة روما، حتى قبل أن أكمل خدمتي كضابط.

على الرغم من أن طبيعتي لم تكن تميل إلى مهنة الشرطة، إلا أنني كنت قد أعددت نفسي جيداً للغاية. كنت سأحل المشكلة الملحة للحياة اليومية وأواصل دراستي الجامعية.

لكن لم يكن ذلك طريقي؛ القدر كان قد رُسم بالفعل. عند المناداة على المتسابقين عند بوابة مبنى المحافظة في روما، شعرت كأنني مسمر في مكاني ولم أتحرك. عدت إلى فيتيربو دون أن أشارك في المسابقة.

وفي نهاية ديسـمبر، بعد انتهاء فترة الخدمة الأولى، تم تسـريحي وعدت إلى روما. هنا حدث الأمر الأساسي في حياتي.

أعلنت وزارة الحرب للمرة الأولى عن مسابقة لخمسين وظيفة بين ضباط الصف الاحتياطيين لتعيينهم ضـباطاً دائمين، أي في الخدمة الدائمة. ومع ذلك، كان يجب أن يكون المتقدم قد أكمل سـتة أشـهر من الخدمة، بينما كنت قد أكملت أربعة أشـهر ونصـف فقط. عندئذ طلبت أن أُسـتدعى فوراً إلى فوج الغراناديري الأول، وتمت الموافقة على طلبي، ولكن بدون أجر، لمدة ثلاثة أشهر.

لم يتوافق هذا الشـرط كثيراً مع وضـعي المالي، لكن الشـغف قادر على قهر حتى دوافع الجوع، وتحت مظهر من يستطيع الاستغناء عن الراتب، أكملت هذه الأشهر الثلاثة من الخدمة كما أراد الله. وفي هذه الأثناء، كرّسـت نفسـي كلياً لإعداد الامتحانات في مودينا لشـهر يونيو، وهو إعداد أكملته في أفيلي، فور انتهاء فترة الاستدعاء.

جرت الامتحانات الكتابية لكل فيلق؛ في روما، أقيمت في ثكنة "سـانتا كاترينا" في ماغنانابولي، التي هُدمت الآن بعد الكشـف عن أسـواق تراجان. كان الموضـوع: "أظهر كيف يمكن للأمم، حتى لو سـقطت في الخراب، أن تنهض دائماً ما دامت تحافظ على شـرفها وحبها للاسـتقلال والحرية سـليمة". بعد سـنوات، قد تخونني الذاكرة في دقة الكلمات، وليس في المفهوم. كان لهذا الموضـوع تزامن قاتل مع الأحداث المأساوية التي ضربت وطننا عام 1943 وأدت به إلى هذا الخراب الشديد.

حينذاك، أثناء كتابة الموضـوع، خاطرت بأن أطرد. فوجئت بقائد فرقة خيالة غليظ وهو يراني أقتبس من جريدة "أفانتي!"، والتي منحتني مادة للاقتباس منها: "بالله عليك!" صـاح سـاخراً، "يتطلع لأن يكون ضابطا في الخدمة الفعلية ويقرأ 'أفانتي!'".

تطلب الأمر الكثير من الجهد والإقناع لإقناع الضـابط الطيب بأن ما فعلته لم يكن جريمة معرفية على الإطلاق. إلا أنه كتب محضراً رسمياً، تم إرفاقه بموضوعي.

ومع ذلك، لم يتم رفضـي. في الامتحانات الشـفوية في مودينا، شـعرت اللجنة بالصـلاحية لأن تستجوبني حول "المسألة الاجتماعية". اجتزتها ببراعة، مع الإشادة. كانت الأحكام على الامتحانات صارمة للغاية؛ كانت الطبقة العسكرية القديمة ترى بضغينة شديدة إدخال عناصر غير أصلية في صـفوف الضـباط الفعليين، الذين كانوا جميعاً قادمين ومُختبرين من الأكاديمية العسـكرية التقليدية في مودينا. القائد، الكولونيل ساغراداموسـو، استقبلنا بتهديدات لا هوادة فيها، وكانت المذبحة مذهلة حقاً: من أصـل ثلاثمائة وخمسـين متسـابقاً، تم قبول خمسـة وسـبعين فقط في الامتحانات الشـفوية؛ الفائزون، تسـعة، ومن بين هؤلاء حللت أنا المركز الثالث. وهكذا تحقق الحلم الذي اعتقدت أنه تلاشى: لقد أصبحت ضابطاً.

نظراً لطولي، تم تعييني في فوج حراس المرمى الأول، المتمركز في روما؛ قضيت هناك عام 1906 بأكمله. في شهر أكتوبر، وصلت إلى بارما لإكمال الدورة العليا في مدرسة تطبيق المشاة، التي كانت بقيادة الجنرال كريسبو آنذاك، الذي أثرت صرامته على التصرف الاستثنائي للطلاب. أُطلق عليها اسم "دورة الثلاثمائة" ولا تزال تُذكر كذلك في سجلات المدرسة. في ألبوم الذكريات، على الصفحة الأولى، نقش حجر قبر: "كانوا ثلاثمائة - كانوا شباباً وأقوياء - ولحسن حظنا - أخيراً ماتوا". هناك، هنأ الجنرال كريسبو، القائد الأول، العقيد بريلي، القائد الثاني. بالتأكيد، لقد سبّب "الثلاثمائة" لهم الكثير من المتاعب، ولكن سرعان ما تضاءلت صفوفهم بسرعة كبيرة في حرب ليبيا أولاً ثم وبشجاعة بطولية مماثلة في الحرب العالمية بعد ذلك.

كم منكم اليوم، يا رفاق السلاح، لا تزالون تبكون الظروف المدمرة للوطن الذي لم نحلم له إلا بالعظمة والمجد؟ أين أنتم؟ دعونا نحصي أنفسنا مرة أخرى روحياً، في تجمع أخير يشبه تلك التي اعتدنا تنظيمها كل عام لنتجمع بين الذكريات والآمال.

بعد عودتي إلى روما إلى الفوج بعد تسعة أشهر من الغياب، وجدت الثكنة أكثر قسوة لطبعي كرجل عمل، وتعارض مواردي المالية الهزيلة مع مغريات العاصمة. تجددت الرغبة القديمة في إفريقيا. بعد تقديم طلب، تم تعييني في قوات إريتريا في أواخر عام 1908. كان هذا أول اتصال لي بالقارة التي كانت قد جذبتني كثيراً منذ صغري.

استغرقت الرحلة من نابولي إلى مصوع ثلاثة عشر يوماً من الملاحة: توقفت السفينة البخارية في الإسكندرية بمصر، بورسعيد، السويس، بورتسودان، مع توقفات طويلة. في الإسكندرية، توقفت ثلاثة أيام، لذلك كان هناك وقت، لمن أراد، القيام برحلة برية من الإسكندرية إلى القاهرة حتى السويس، ومن هناك استئناف الرحلة البحرية.

صعدت على متن السفينة "أدريا" مع ضباط آخرين، وكانت بقيادة ذئب بحر عجوز من ليغوري ، الكابتن غوينيللي. كانت "أدريا" سفينة متواضعة، انتهت نهاية مجيدة، حيث أُغرقت بطوربيد على سواحل شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى.

في الإسكندرية، بورسعيد، والسويس كان أول لقاء لي مع العالم الاستعماري الإنكليزي، الذي استقر في مصر منذ أكثر من عقدين. نظر إلينا هؤلاء الضباط بنظرة تعالي، لم تخلو من جو حماية كان مذلاً أكثر منه مشجعاً. فبريطانيا كانت قد شجعت استقرارنا في البحر الأحمر لأغراضها الخاصة بالتوازن الدولي، واعتبرتنا تحت رعايتها.

أثناء عبور القناة مع مشهد السهول الرملية من جانب وسيناء من الجانب الآخر، عادت لي الذكريات التوراتية وحب المجهول في الصحراء، الذي جذب مخيلتي وأثارها كثيراً في المراهقة عندما كانت الصحف تنقل أحداث أول مغامراتنا الأفريقية. في بورتسودان، تركت الانطباع

أعمق، أمام تعاقب الكثبان الرملية إلى ما لا نهاية، نحو الداخل. كانت بورتسودان قد بدأت تنشأ آنذاك: كانت الرافعات الكبيرة تنتظر البناء الأول للأرصفة؛ ومن المدينة الجميلة اليوم لم تكن توجد سوى منازل قليلة متناثرة هنا وهناك بين النخيل. قدمت لي القرية الأصلية رؤية للحياة البدائية للسكان الأصليين، جامدة، ثابتة في الزمن، آنذاك كما هي اليوم.

في مصوع، كان اللقاء الأول مع السلطات المدنية والعسكرية الإيطالية. استقبلونا بتلك الحفاوة والود اللذين لا يعرفهما إلا من عاش في إريتريا القديمة في ذلك الوقت. في تلك الملكية الصغيرة والبعيدة لنا ما وراء البحار، التي رويت بالكثير من الدماء الإيطالية، الفقيرة بالموارد، ولكن الغنية بالكثير من الآمال، شعرنا فوراً بأننا إخوة مع من سبقونا.

توقفت سكة حديد مصوع-أسمرة، التي اكتملت عام 1912 فقط، آنذاك عند غيندا. كانت الكيلومترات المتبقية حتى أسمرة تقطع بالعربات، متبعة طريقاً للعربات تم بناؤه بمعايير عسكرية طارئة للاحتلال الأول، وبالتالي كان وعراً، ولكنه كان بنفس القدر من الجمال. كانت خدمة المراحل تسير بشكل لا تشوبه شائبة، مع تغيير الحيوانات (البغال الحبشية) كل اثني عشر كيلومتراً. في أسمرة، كانت تتشعب بعد ذلك نحو الداخل باتجاه كيرين-ساغانيتي-أدي أوغري Cheren-Saganeiti-Adi Ugri.

على الرغم من وجود خطة تنظيمية موضوعة منذ عدة سنوات، نمت العاصمة بصعوبة وببطء. بشكل عام، أصاب الوافد الجديد على الفور إحساس بالضيق والفقر؛ ولكن على سبيل المفارقة الساخرة، كانت العملة الفضية الإيطالية تحمل صورة أمبرتو الأول "ملك إيطاليا وإمبراطور إثيوبيا". كان هذا ما تبقى ملموساً من حلم فرانشيسكو كريسبو الإمبراطوري.

ذكرى "عدوة"، الأقل حداثة ولكنها حية، كانت تثقل كابوساً على كل شيء وعلى الجميع. في كتائب السكان الأصليين، أربع في المجموع، "توريتو"، "إيدالغو"، "غاليانو"، "توسيلي"، كان لا يزال يخدم ضباط وجنود قدامى من عام 1896.

كان طموح كل وافد جديد هو أن يُعين في كتيبة من السكان الأصليين. تم تعييني في الكتيبة الأولى، ومقرها في أدي أوغري، وبقيت هناك لمدة أربع سنوات، حتى عام 1912. كانت هذه فترة تدريبي الاستعماري، الذي أنجزته بحماس المبتدئ.

كل شيء في البيئة التي عشت فيها أثار شغفي: التاريخ، دراسة اللغتين العربية والتقرينية؛ معرفة السكان، المنطقة، وتطورها المحتمل في انعكاسات الاستعمار. احتضن عقلي أيضاً رؤية لتوسع أكبر للوطن في العالم. كنت أدرك بالفعل أنني سأكرس حياتي لهذه المهمة.

عندما بدأت المغامرة الليبية عام 1911، والتي حققت الحلم الجميل، كنت أتوق للمشاركة فيها. بالفعل، كانت الكتيبة الخامسة من السكان الأصليين على وشك المغادرة من إريتريا متجهة

إلى طرابلس، وقد تم تشكيلها من سرية اختيرت بالقرعة من كل من الكتائب الأربع الأولى. لسوء الحظ، كان على سريتي الانتظار بقلق متزايد لتشكيل الكتيبة السادسة. لكن القدر منعني آنذاك من الذهاب للقتال مع جنودي في ليبيا.

في ليلة 18 إلى 19 أكتوبر 1911، بينما كنا في سهل غودوفلاسي، في منطقة ديبوري مريام، وقد انفصلنا لقطع العلف، لدغتني حيّة سامة في إصبع يدي اليسرى أثناء نومي.

لقد نجح التدخل الفوري بربط الذراع، وقطع في مكان اللدغة، وحقنة برمنغنات على الساعد (لم يكن مصل "كالميتّي" موجوداً آنذاك) في تجنب نتيجة مميتة؛ لكن الآثار كانت خطيرة جداً وأجبرتني على البقاء في مستشفى أسمرة لعدة أشهر.

بعد خروجي منه، ولم أتعافَ تماماً بعد، وصلت إلى وحدتي التي كانت قد انفصلت في هذه الأثناء في "سيتيت". كانت هذه المنطقة آنذاك تمثل، بالإضافة إلى كونها النقطة الأكثر تقدماً لاحتلالنا نحو "تيمبيين"، أيضاً الأكثر صعوبة بسبب حرارة المنطقة الحارقة والملاريا التي كانت تستفحل فيها.

كان مقر قيادة السرية في بارنتو: تم إرسال نصف سريتي إلى بياغليا على النهر. أصبحت الظروف المناخية أكثر خطورة بسبب الملاريا التي كانت تفتك بأسكاري وأثرت علي أيضاً. هناك، في 18 فبراير 1912، وصلني فجأة أمر بالتوجه بسرعة إلى مصوع، حيث كانت تتشكل الكتيبة الإريترية السادسة التي ستنضم إليها سريتي.

لقد قطعت الستمائة كيلومتر من الطريق بسرعة فائقة خوفاً من عدم الوصول في الوقت المناسب.

لكن في مصوع، تطورت الملاريا الكامنة بعنف شديد، ومع مضاعفات خطيرة في جسدي، الذي كان قد أُضعف بالفعل بسبب لدغة الزاحف، مما أرهقني وجعلني في حالة لا تسمح لي بالمتابعة. كان ذلك من بين أعظم آلام حياتي، لكن كان عليّ أن أستسلم للقدر، حتى في ذلك الحين.

لقد صارعْتُ الموت عدة أشهر، في مستشفيات مصوع وأسمرة. لم أتمكن من العودة إلى الوطن إلا في نهاية عام 1912، وتم إنزالي على نقالة في نابولي.

وهكذا، انتهى تدريبي الاستعماري الذي طالما حلمت به، بخيبة أمل مريرة للغاية، وفي اللحظة التي كنت فيها على وشك الحصول على خاتمة المعركة المرتقبة.

لقد كافحت لأتعافى. في الأشهر الأولى من عام 1913، عدت إلى روما إلى فوجي من حراس المرمى. يحمل هذا العام بالنسبة لي تاريخين مهمين: وفاة والدتي وزواجي.

لكن إقامتي في الوطن كانت قصيرة، لأنه في يناير 1914 كنت لا أزال، بناءً على طلبي، في ليبيا مع الكتيبة الثالثة من الفوج، وبقيت هناك، بين طرابلس وبرقة، طوال العام.

في هذه الأثناء، اندلعت الحرب الأوروبية، وكانت القرارات الملحة على أبوابنا.

في يناير، تمت ترقيتي إلى رتبة نقيب وعينت في فوج المشـــاة 131 من الميليشـــيا المتنقلة للواء "لاتسـيو"، بألوان روما، الذي كان يتشـكل في تيفولي تحت قيادة العقيد كارميلو سـكويلاتشـي Carmelo Squillace ، الذي كان اسـمه يثير الرعب لدى البعض بسـبب سـمعته في التصـلب والصــرامة. ومع ذلك، كان أول رئيس لي تمكن من فهمي تماماً، ومنه حصـلت على أكبر قدر من الرضا.

حتى ذلك الحين، كنت قد واصلت بنفسـي، دون البحث عن أي نوع من الدعم، وسـط سـوء الفهم وأحياناً الرفض، والعداء الواضـح من قبل بعض الرؤسـاء، الذين كانوا ينزعجون بل ويغضبون من حبي للاستقلال. كمرؤوس، رأيت نفسي مصنفاً أقل من العديد من الآخرين الذين لم يمتلكوا صفات عظيمة في الشخصية والذكاء، لكنهم كانوا يسيرون "جنباً إلى جنب" مدعومين من اليمين واليسار.

بعد أن تجاوزت عقبات الدراســة في المعهد الديني من الثانوية إلى الجامعة، دون التخلي عن إيماني الديني، وجدت طاقات جديدة لمواجهة الحياة التي كنت أدرك بالفعل أنها سـتكون صـعبة للغاية. وقد انغمسـت فيها، رافضـاً كل أشـكال العبودية الانتهازية التي لم تكن دائماً خالية من الانحرافات الشبابية العابرة، والتي تعافيت منها دون وصمة عار أو ذل.

لقد كافحت دائماً وسط أشد الضوائق، بدون مساعدات عائلية، بعد وفاة والدي. بدءاً من زي الضـابط، الذي اضـطررت لشـرائه بالدين، لم تكن هناك حاجة في الحياة لم أضـطر لسـدها، لدرجة أنني في الأربعين من عمري لم أتمكن من سداد آلاف الليرات التي اقترضتها في بداية مسيرتي المهنية. وكل هذا مع الحفاظ على الكرامة لدرجة أن الكثيرين كانوا يعتقدون أنني لست فقيراً، بل مديوناً بسبب ممارستي للرذيلة. سخرية الحياة.

ومع ذلك، لم أتنكر أبداً، ولم أذل نفسـي، ولم أكن غير أمين، ولم أقم بأي مضـاربة مشـبوهة. حتى زواجي سـيكون ثمرة اندفاع وحب، وليس حسـاباً، ولن يغير وضـعي. لقد دخلت الحرب العظمى وأنا أب لطفلة لم أتمكن من التعرف عليها إلا قبل وقت قصير.

مع فوج المشـاة 131، الذي يتكون معظمه من عناصـر من تشـوتشـياريا (فروزينوني) ومناطق روما وكاسـيرتا، غادرت تيفولي في أواخر مايو متجهاً إلى منطقة الحرب، لأكون جزءاً من الفرقة 29 (الجنرال مارازي)، مع لواء "لاتسيو"، الذي كان فوج توأمه، 132، يتكون بالكامل من نابوليين. تم تعيين الفرقة إلى الفيلق الحادي عشـر (الجنرال شـيليانا)، الجيش الثالث (دوق أوسـتا)،

المنتشـر على جانبي نهر إيسـونزو، في قطاع سـان ميشـيل (القمة 1 - القمة 2). بقيت هناك حتى يونيو 1916، بـالتنـاوب بين ضــفتي النهر من لـودنيكو إلى مونتي فورتين واليمين، أي القمـة 1 - القمة 2 من سان ميشيل، جحيم كارسو.

تم إبادة الفوج بســرعة من الضــباط والجنود، لدرجة أنه في أوائل ديســمبر، وبما أنني كنت النقيب الأقل أقدمية في الكتيبة، بقيت الناجي الوحيد، واضـطررت لتولي قيادتها. أتاحت لي هذه الظروف الفرصـــة لتحقيق أول نجاح، والـذي منحني بعد ذلك مزايا مهنية كبيرة لدرجة أنني شعرت بآثارها طوال ما تبقى من مسيرتي.

بالفعل في نهاية نوفمبر، كان الفوج 132، بعد قتال عنيف سـقط فيه قائده الشـجاع، العقيد فيولا، قد احتل خط المرتفعات الذي كان يمتد من النهر إلى بيتيانو، على امتدادات ســان ميشـيل، والذي أطلق عليه فيما بعد اسـم "الصخور الحمراء" أو "تل فيولا". من أعلى القمة 1، امتد احتلالنا حتى الارتفاع 197. بين هذا وبيتيانو، حافظ النمســاويون على حيازة ذلك الوتد القوي، بين أطراف خطنا وقسمه إلى قسمين، مما شكل تهديداً دائماً للطريق الذي كان يؤدي من ســاغرادو، على طول النهر، إلى طرق التحصــين للقمم 1 و 2 التي كانت تسـيطر عليها فرقتنا، وألحق خســائر مســتمرة بالقوات العابرة من وإلى المواقع المتقدمة. لذلك، كان من الضــروري القضـاء على هذا الوتد، وقد جربت بالفعل أفواج مختلفة من الفرقة (المشـاة 129-130 وكتيبة Bersaglieri LIV) ذلك دون جدوى، متكبدة خسائر فادحة للغاية.

جاء دور فوج المشـاة 131؛ وأوكلت المهمة إلي من قبل العقيد سـكويلاتشي. كان من المفترض أن يسبق العمل إطلاق نار كثيف من المدفعية لتدمير التحصينات، ثم يتبعه هجوم المشاة. الشرط الضــروري للنجاح هو أن تكون الأســلاك الشــائكة، التي كانت قوية جداً، قد دمرت بالفعل بالنيران.

جعلتني تجربة الأشـهر الماضـية متشـككاً في هذا الشـأن، وكانت المدفعية قليلة جداً. طلبت من عقيدي حرية التصــرف، وتم منحي إياها، وقررت التصــرف بالمفاجأة. لعدة ليالٍ متتالية، عمل قاطعو الأســلاك لدي على فتح ثغرة في الأســلاك الشــائكة، والتي كانت تُموّه خلال النهار. تم تخصيص سرية من المتطوعين المهاجمين، اختيرت من إجمالي الكتيبة، لتنفيذ الهجوم الأول على خندق العدو. تم اختيار وقت الظهيرة، حيث كان العدو يظهر أقل نشاطاً.

في اليوم السـابع، السـاعة 12 ظهراً، خرجت دورية جريئة مكونة من ثلاثة رجال من الثغرة دون أن تثير رد فعل كبير، تبعتها على الفور سـرية الهجوم بأكملها التي انقضـت بشـجاعة على خندق العدو، وأسرت القيادة بكامل هيئة الأركان في ملجئها.

ثم نشـبت معركة شـرسـة على طول الخط بأكمله، اسـتمرت طوال فترة ما بعد الظهر وانتهت باحتلالنا شبه الكامل لموقع العدو.

في المسـاء، تم أسـر عدة مئات من الأسـرى ونحو عشـرين ضـابطاً، من بينهم قائد كتيبة الخط الأمامي: عناصر شجاعة من فوج " هونفيد " المجري الأول.

في الأيام التالية، شـن العدو هجمات مضـادة عدة مرات دون جدوى. في 19 ديسـمبر، مع الاستيلاء على آخر جزء من الخط بالقرب من بيتيانو، تم القضاء على الوتد المزعج بالكامل.

في هذه العملية، بذلت قصارى جهدي بلا حدود بين ضباطي وجنودي الشجعان، وخرجت منها سليماً بأعجوبة.

لقد أوردت التقارير الحربية لأيام 7، 8، 9 وما يليها من ديسـمبر 1915 هذه العملية وأهميتها التكتيكية. في المجلد الثاني من التقرير الرسـمي عن حرب 1915-1918، من المكتب التاريخي لهيئتنا الأركان العامة، يُذكر ما يلي في الصفحة 608:

"كانت نتيجة أفضل لعملية مفاجئة نُفذت في 6 ديسمبر، من قبل الكتيبة الأولى من الفوج 131 ضـد خندق آخر، إلى الجنوب قليلاً. حوالي السـاعة 12 ظهراً، قائد الكتيبة المذكورة، بمبادرته الخاصـة، مسـتفيداً من الضـباب ولحظة ضـعف في يقظة العدو، اقتحم فجأة مع قلة من الشجعان خندق العدو. بعد ذلك مباشـرة، بعد أن تجاوزت الكتيبة الخندق الذي تم الاسـتيلاء عليه، انتشـرت في موقع العدو لمسـافة حوالي 400 خطوة، حيث أسـرت 9 ضـباط من بينهم قائد الفوج الأول (.H)، وبعض ضباط الصف و148 جندياً.

"حاول العدو، لكن دون جدوى، صـد الهجوم في نفس اليوم بهجوم مضـاد عنيف، سـبقه قصـف مكثف. في اليوم التالي، ومع ذلك، اسـتعاد بعض هجماته المضـادة الأكثر قوة التي نفذتها وحدات من الفوج الأول (.H) ومن الكتيبة (.Ls) L/17، جزءاً من الخندق من قواتنا.

"كان القتال شـرسـاً ودموياً؛ تكبدت الفرقة 29 إجمالاً 14 ضـابطاً و502 رجلاً خارج نطاق القتال.

"كما كانت خسـائر العدو كبيرة جداً: تكبد الفوج الأول (.H) وحده 438 رجلاً بين قتلى وجرحى ومفقودين."

وهنا أيضـاً نص اليوميات التاريخية للواء "لاتسـيو"، التي توضـح من كان ذلك النقيب، وهي موقعة من قبل الجنرال شـيشـيناردي، قائد اللواء: "يوم 6 ديسـمبر 1915، السـاعة 16:00. النقيب غراتسـياني، قائد الكتيبة الأولى من الفوج 131، بمعاونة المسـاعد الأول، الملازم الثاني

دريزي، وعدد قليل من الجنود، يقتحم الخندق الأمامي، ويأسر أربعة سجناء، وقاذفتي قنابل، وبنادق، ومواد أخرى."

"يوم 7 ديسمبر، الساعة 12:00. كتيبة المشاة الأولى، بعملية التفافية، تقتحم التل 124 في الخندق الأمامي للعدو الذي كان يتوغل بين الفوجين 129 و 131، وتستولي عليه وتأسر سجناء ومعدات حربية. تجري العملية بدعم من كتيبة بيرساغلييري LIV على اليمين وبعملية إطلاق نار من فوج المشاة 129 على اليسار."

بدا لي أنني قد قمت بواجبي لا أكثر؛ ولكن في 23 مارس 1916، وصل الجنرال ديلا نوتشي، المسؤول عن مكتب المكافآت في الجيش الثاني، إلى المواقع حيث كانت كتيبتي تقوم بدورها في الخط الأمامي لإبلاغي بنبأ الترقية لاستحقاقات الحرب، باسم قائد الجيش، الدوق إيمانويل فيليبرتو من سافوي أوستا.

كان عقيدي، كارميلو سكويلاتشي، قد قدم الاقتراح دون أن ينبس ببنت شفة حتى لمساعده الأول؛ ووصلني الخبر بشكل غير متوقع.

بإسناده كل الفضل إليّ، أثبت مرة أخرى الاستقامة الماسية التي كانت تميزه ولا تقبل الحلول الوسط.

هذه الترقية قدمت مكانتي في الحولية العسكرية عشر سنوات، ووضعتني بين أسماء أولئك الذين تمت ترقيتهم قبل عقد من الزمان، أي الملازمين الذين كانوا في الخدمة منذ عام 1896. كان عمري 32 عاماً، وهو ما لم أبدو عليه على الإطلاق؛ الرائد في ذلك العمر آنذاك بدا وكأنه أسطورة.

بقيت في قيادة الكتيبة التي واصلت قيادتها على كارزو قمة تلو الأخرى حتى مونفالكوني. بعد معركة غوريزيا، منهكاً من خمسة عشر شهراً من القتال المستمر، ومتأثراً بقنبلة غازية في عملية أغسطس ضد ديبيلي، اضطررت للانفصال عنها، بينما كانت الكتيبة تبدأ التقدم على بحيرة دوبردون، لتتلقى بعد ذلك على الارتفاع 144 معمودية دموية جديدة وغزيرة.

قضيت فترة طويلة في الخدمة في المستودع. في ألاتري، في معسكر التدريب على التكميلات، تمكنت من تقديم مساهمة خبرتي في الخنادق؛ ولكن في يونيو 1917، متنازلاً عن فترة إضافية مما يسمى بالجلوس، وصلت إلى قيادة الفرقة 66، التي كان يتولى قيادتها الجنرال سكويلاتشي، وعملت معها على طول باينسيزا على سان غابرييلي، أثناء التراجع إلى بيافي، وأخيراً على غرابا، بقيادة الكتيبة الثالثة من فوج المشاة 57 في الأيام المأساوية من نوفمبر وديسمبر 1917. كنا هناك نتمسك بأظافرنا وأسناننا بالمواقع التي وصلناها للتو. بين الرماة، الذين كانوا صغاراً في عام 1898، أصبت في ليلة 11 إلى 12 ديسمبر في كول ديلا بيرتا.

في ربيع عام 1918 وجدت نفسي لا أزال في الخطوط الأمامية، أولاً كقائد فوج مشاة ثم في قيادة الكتيبة 241 (لواء "تيرامو")، في معركة يونيو، حيث أصبت في اليوم 21 في مونتي ميلاغو (هضبة أسياغو). فاجأتني الهدنة في أكتوبر في ساليرنو وأنا أقوم بتدريب بعض كتائب تجنيد عام 1900.

هذه هي المساهمة التي قدمتها في حرب 1915-1918، التي دخلتها كقائد ترقيت للتو، وخرجت منها عقيداً في السادسة والثلاثين من عمري: أصغر عقيد في الجيش الإيطالي.

إلى جميع الذين ثرثروا عن مسيرتي المهنية كثمرة للفاشية، أعتقد أنني قدمت لهم بذلك العناصر اللازمة ليعيدوا النظر؛ إذا أرادوا ذلك.

انتهت الحرب العظمى، ولكن لم تنتهي رغبتي في العمل. في ليبيا، بعد أن تقلصت المنطقة إلى الشريط الساحلي، كان لا بد من البدء من جديد. قدمت طلباً للتعيين هناك. بدلاً من ذلك، أُرسلت إلى مقدونيا لأتولى قيادة فوج المشاة 61، الذي كانت كتائبه منتشرة في سالونيك، ستروميكا، وديدياغاتش، وكان لي أول اتصال مع الشرق البلقاني.

في القسطنطينية، كانت ممثليات الجنود من جميع أنحاء العالم تعج بالناس، وكان اللاجئون من الثورة الروسية قد تدفقوا بالفعل من أوديسا وسيفاستوبول. بدت العاصمة التركية كخلية نحل بشرية: لم تتوقف الحركة لحظة، ليلاً ونهاراً.

مع أول قطار على خط "أورينت إكسبريس"، الذي استأنف حركته الطبيعية، وصلت إلى صوفيا. هناك كان مقر قيادة قواتنا الاستكشافية؛ واصلت بالسيارة إلى الحدود اليونانية ووصلت إلى سالونيك بقطار ديمير-هيزار الصغير.

كانت إقامتي في البلقان قصيرة، لأنه في شهر أغسطس عاد الفوج إلى الوطن ليستقر في مقره الطبيعي في بارما، حيث غادره للحرب. وعلى رأسه، عدت إلى تلك المدينة التي شهدت قبل ثلاثة عشر عاماً حالتي المبعقرة كملازم ثانٍ.

لقد لقينا استقبالاً حافلاً، ولكن في ذلك اليوم كانت جسور أولتريتورينتي مغلقة بالأسلاك الشائكة تحرسها دوريات مسلحة. في بارما، كانت معركة الفصائل السياسية المتعارضة تغلي بالفعل، أكثر من أي مكان آخر.

لا أعرف كيف انتشرت آنذاك الشائعة بأنني ابن الجنرال أندريا غراتسياني، الذي كان قد ساهم، بفضل طاقته التي لا تلين، في إعادة النظام إلى الخلفية خلال الانسحاب إلى بيافي، بعد اختراق كابوريتو. تبعتني هذه الأسطورة لسنوات عديدة، وعندما أدت العمليات في ليبيا إلى شهرتي، اعتقد الكثيرون أنني الجنرال أندريا نفسه، ناسين أنه بيني وبينه كان هناك فرق جيل تقريباً ، وهو ليس حتى قريبي.

تبين بعد ذلك بفترة وجيزة لسلطات الشرطة المحلية أن اللجنة الثورية في بارما قد قررت القضاء عليّ؛ أما أنا، فلم أعرف إلا بعد فترة طويلة أن الحكم قد تم تعليقه لاحقاً. في الواقع، في ليبيا، روى رقيب كان يتبع صفوفي أن شقيقه، الذي كان تحت إمرتي في كارزو، وكان عضواً في اللجنة الثورية في بارما، قد أوضح سوء الفهم، بل وأثنى عليّ كثيراً.

ومع ذلك، كنت تحت المراقبة، لأن الفوج، في خضم الكارثة الكاملة التي حلت بالوحدات الأخرى في الحامية، كان يقدم مثالاً على التماسك والانضباط وكان في الخط الأمامي في الحفاظ على النظام دون أي اعتبار لأي شخص. كان القلق من اختطافي في حالة الاضطرابات كبيراً لدرجة أن قيادة الفرقة العسكرية في بياتشنزا أمرتني بتقدير إمكانية الوصول، عبر الأسطح، إلى أي منزل، ومنه، عند الخروج، سأتمكن من التوجه إلى قيادتي. استطلاع قام به مساعدي بنجاح.

لقد حافظت آنذاك على حياد مطلق بين الأحزاب، رافضاً الإغراءات التي كانت تأتي من القطاع الفاشي. بعد عام من التوتر، وعند رؤية القيمة التي تم الاستخفاف بها وإنكارها، استسلمت أنا أيضاً للأزمة التي ضربت العديد من الضباط آنذاك، وطلبت أن أوضع في إجازة لتخفيض عدد الكوادر لمدة عامين. هذا الوضع، على عكس "المساعدة الخاصة"، كان سيسمح لي بالعودة إلى الخدمة إذا تغيرت ظروف البلاد.

لقد نضجت لدي فكرة الانتقال لبعض الوقت إلى الشرق، الذي لمست جوانبه خلال إقامتي في مقدونيا، لأبحث هناك عن مجال عمل جديد في استئناف حركة التجارة. لقد دفعتني المعرفة الوثيقة بالضباط الذين سعوا لتحقيق الهدف نفسه خلال فترة بعثة "غابا" في جورجيا، إلى التوجه نحو القوقاز.

بين صيف 1920 وخريف 1921، انتهى استكشافي مع إقامات متناوبة؛ أمكنني الآن أن أتوقع تحقيق عمل مربح كان سيخلصني أخيراً من الضوائق المالية التي كنت أصارعها باستمرار.

لكن يد القدر، التي أظهرت مراراً أنها تثقل حياتي، وصلت إليّ مرة أخرى. في شهر سبتمبر 1921، أثناء إقامتي في روما، استفسرت مني وزارة الحرب بشأن التعيين في ليبيا، وذلك تحديداً بناءً على الطلب الذي قدمته عام 1918. لم أتردد ولا لثانية واحدة وقبلت.

في شهر أكتوبر 1921، نزلت طرابلس، في نفس الوقت الذي وصل فيه الحاكم الجديد، جوزيبي فولبي، والقائد الجديد للقوات، الجنرال ألفريدو تارانتو. لم أكن قد عرفت أياً منهما من قبل، ولا حتى من باب الصدفة.

2. في ليبيا من 1921 إلى 1934

عدت إلى الحياة الاستعمارية بعد سبع سنوات من الانفصال، والتي شهدت خلالها أحداثاً عظيمة للوطن.

ومع ذلك، في شمال إفريقيا، تعرضت الهيبة الإيطالية للإهانة الشديدة بسبب الثورة العربية؛ تقلص احتلالنا إلى الحدّ الساحلي، أي إلى حيازة المراكز الثلاثة: الخمس، طرابلس، و زوارة.

في الأعوام 1919-1920، حاولت الحكومات الديمقراطية عبثاً رفع رايتنا من خلال تنفيذ إصلاحات وامتيازات واسعة النطاق، بلغت ذروتها بإنشاء البرلمان في طرابلس وبنغازي. تحطمت جميع المحاولات ضد القادة المتمردين الذين لا يمكن إخضاعهم لأي اعتراف بالسيادة؛ وكانت مبادراتنا تتبعها دائماً إهانات أكثر خطورة لكرامة الأمة.

تم إرسال الكونت جوزيبي فولبي، الذي كان في عام 1912 المهندس الرئيسي للسلام الإيطالي التركي والمعاهدة اللاحقة لأوشي، إلى ليبيا من قبل رئيس الوزراء فاكتا بناءً على تدخل جيوليتي.

كانت المهمة المخصصة لي هي قيادة منطقة عسكرية. تم بالفعل تكليف قطاع الخمس للعقيد بيير لويجي بيتزاري. كانت وجهتي زوارة. هناك، كان يعمل بالفعل مفوض للجزء السياسي والإداري. كانت صلاحياتي ذات طابع عسكري بحت.

كان قطاع زوارة، الذي يتكون معظمه من البربر الموالين والمخلصين لنا، هادئاً تماماً آنذاك. كان البربر في الجبل الغربي، الذين طردوا من قراهم في عام 1915 تحت ضغط العرب وتدفقوا نحو الساحل، قد استقروا في الغالب في تلك المنطقة مع زعمائهم. كانوا يتوقون للعودة إلى ديارهم، وأظهروا علناً استيائهم وعدم ثقتهم في الحكومة، التي اعتبروها تفتقر إلى القوة والمكانة لإتمام هذه العملية.

الكونت فولبي لم يكن رجلاً يقبل مثل هذه المهمة للقيام بإدارة عادية. ولم يكن ليتحمل أن يستمر عدد قليل من القادة العرب في توجيه ضربات قاتلة لكرامة الأمة بعد حرب منتصرة عظيمة، وهؤلاء القادة كانوا يرغبون فقط في الحفاظ على السلطة لاستغلالها على حساب

السكان البائسين الذين يضطهدونهم ويستغلونهم. حاول في البداية إدخال هؤلاء القادة في فلك الحكومة، وعندما رأى أنهم يردون على الدعوة السخية بالخداع والخيانة المعتادين، انتقل إلى العمل.

كان هناك ضرورتان ملحتان لا يمكن تأجيلهما: إعادة احتلال مصراتة وإعادة السكان البربر إلى الجبل.

أصبحت مصراتة مركزاً للتمرد، بقيادة ممثلي السنوسية، المتمثلين في عائلة الشتيوي. في هذه الأثناء، سقط أهم فرد فيها، رمضان، في بني وليد، في ورفلة، وقتله الزعيم عبد النبي بالخير الذي كان قد تحرك ضده غدراً بالأسلحة في عام 1920.

في سرية تامة، كلف الكونت فولبي قائد القوات، الجنرال تارانتو، بإعادة احتلال مصراتة، دون طلب وسائل خاصة من روما ودون حتى إبلاغ وزير المستعمرات الذي كان آنذاك جيرارديني، ولا حتى هيئة الأركان العامة للجيش التي كان يمثلها الجنرال بادوليو.

وصل الخبر إلى روما، كصاعقة في سماء صافية، ليوقظ خمول الوزارات الغارقة في المؤامرات، وفي أسوأ حالات العجز. تم إسناد إدارة العملية إلى الجنرال بيير لويجي بيتزاري، قائد المنطقة الشرقية. وقد حافظ على السرية بشكل جيد لدرجة أن الخبر لم يُعرف في زوارة إلا بعد أن تم الأمر.

بعد احتلال مصراتة، كان هناك رد فعل في جميع أنحاء المستعمرة؛ فنزل قادة ترهونة، وغريان، و ورفلة، وغيرهم إلى السلاح. عندها بدأت فترة العمليات، التي سميت عمليات الشرطة، والتي استمرت بلا توقف في الأعوام 1922، 1923، 1924، والتي أدت، باحتلال بني وليد ومزدة، و إلى إعادة سيادتنا في جميع أنحاء طرابلس الشمالية.

التوجيهات السياسية والعسكرية تصدر عن الحاكم وقائد القوات. أما أنا، فكنت أحد منفذيها، جنباً إلى جنب مع العقداء بيير لويجي بيتزاري، وكوتور، وموزيتي، وبيلي، وغيرهم من القادة الأقل رتبة، الذين تولوا قيادة الأعمدة المختلفة العاملة في الدورات اللاحقة. وقد أتيحت الفرصة لقيمة وقدرة كل فرد للظهور والتعبير عن نفسها؛ ولم يكن لي آنذاك أي فضل آخر سوى عدم رغبتي في أن أكون ثانياً لأحد.

في شهر أبريل 1922، في بداية الدورة الأولى التي كان هدفها إعادة الاتصالات المقطوعة بين زوارة وطرابلس، وصل الجنرال بادوليو، رئيس هيئة الأركان العامة للجيش، من روما في زيارة تفقدية.

في 2 مايو، اشتبك رتل لنا، بقيادة العقيد كوتور، بنتيجة غير مؤكدة مع رجال ترهونة المسلحين بقيادة الزعيم أحمد بك المريض، على كثبان سيدي السايح الواقعة على طريق طرابلس-ترهونة لسدها.

بعد يومين، في معسكر "فندق بن غشير" (ثم قلعة بنيتو)، تلقيت الأوامر مباشرة من بادوليو لاستئناف العملية. كان لها نتيجة إيجابية سريعة، مع هزيمة كاملة لمهاجمة المريض، الذين تراجعوا بسرعة نحو ترهونة تحت وطأة هجومنا والمطاردة اللاحقة.

كانت تلك المرة الأولى التي أعمل فيها تحت قيادة الجنرال بادوليو، الذي تذكرت أنني رأيته كقائد مدفعية في روما عندما كنت ملازماً ثانياً، والذي لم يكن لي أي فرصة للقائه خلال الحرب العظمى. كانت هالة المجد التي تحيط به مشوشة بظل كابوريتو، لكن بلا شك، كانت شخصيته تفرض نفسها فوراً على من يقترب منه للمرة الأولى. لقد قدر قيادتي، وعلمت فيما بعد أنه قال في دائرة من المسؤولين: "في هذا العقيد الشاب أرى سمات قائد جيش مستقبلي".

بعد الانتهاء من تمشيط الجفارة الغربية، كان الأمر يتعلق بفتح الطريق للبربر للعودة إلى الجبل. أوكلت هذه العملية، التي كانت تنطوي على جوانب خطيرة، إليّ من قبل رئيس الأركان العامة للجيش نفسه، الذي عاد إلى إيطاليا قبل بدء العملية.

مع عمود ضئيل من القوات النظامية، يرافقه فريق غير نظامي من البربر بقيادة الزعيم يوسف خربيش، وبوسائل لوجستية شحيحة للغاية، واجهت في شهر يونيو 1922، مسافة المائة وخمسين كيلومترًا من الصحراء القاحلة التي تفصل زوارة عن الجوش، وهي واحة تقع عند سفح الجبل الغربي. بعد إتمام نزع سلاح خليفة بن عسكر، زعيم نالوت، واعتقاله في الوطية، وهو الذي كان يستعد لمهاجمتي من الخلف، اتجهت القوات نحو الجوش، التي احتلتها في 12 يونيو 1922 بعد قتال مرير ضد قبيلتي الزنتان والرجبان المحاربتين اللتان كانتا تنتظراننا عند الممر، وما زالتا تتذكران وتتباهيان بالنجاحات السهلة التي حققتاها ضد قواتنا في نفس المنطقة عام 1915.

بعد هزيمتهما في السهل، صعدتا الجبل بسرعة لإغلاق ممراته، لكن مناورتي السريعة سبقتهم عند ممر السلامات. بعد إعادة تنظيم صفوفهما في جادو، هاجمتا مواقعنا هناك في 18 يونيو، وتكبدتا هزيمة مدوية ثانية.

انطلقت قوات الرائد روجيرو تراكيا ويوسف خربيش في المطاردة، واحتلتا جادو في 19 يونيو، بينما في الوسط، استولى الرائد ماريو مارغينوتي على إقليم الحرابة، وعلى اليمين، احتل النقيب فرانشيسكو كورو نالوت. في أقل من عشرين يومًا، اكتملت العملية، وتمكن السكان من العودة إلى ديارهم الأصلية دون توجّس.

أصبح كل الإقليم من نالوت إلى جادو بحوزتنا وتحت سيطرتنا الكاملة.

تمت هذه العملية بينما كان جيوفاني أميندولا وزيرًا للمستعمرات، في وزارة فاكتا الثانية. كنت أخدم الوطن، في النظام الليبرالي، بنفس الحماس الذي واصلت به خدمته لاحقًا في النظام الفاشي.

استمر التوقف في جادو حتى أواخر أكتوبر؛ ثم شاء القدر أن أستأنف الزحف نحو يفرن، تحت أوامر جيوفاني أميندولا دائمًا، في أيام 28 و 29 و 30 أكتوبر، وهي نفس أيام "المسيرة على روما". وهكذا، تزامن صعود الفاشية إلى السلطة التواجد في يفرن وإعادة احتلال إقليم طرابلس.

في 6 يوليو، الساعة 11 صباحًا. (ملاحظة المحرر)

الحكومة الفاشية، مع لويجي فيدرزوني في وزارة المستعمرات، أمرت باستئناف العمليات على غريان، حيث كان الهادي كعبار محافظًا على سلاحه بموقف غير مؤكد. مباشرة بعد احتلال الجوش والصعود الجريء إلى الجبل، وما تلاه من إخضاع جميع السكان من جادو إلى العسة، كنت قد أجريت اتصالات غير مباشرة مع كعبار. تم تلخيص الوضع في جملة تصويرية كتبها له ولد أبو سيف، سكرتير حامد العياط، زعيم الجبل، وهو مؤيد لنا: "نار الجوش والسلامات قد أدت إلى خبز غريان". في اللغة المجازية، يتضح تأثير صعود الجبل، الذي كان إيجابيًا لنا ومثبطًا لمعنويات القادة والمسلحين في غريان. بعد احتلال يفرن، قدمت لي في "صفّيت" لجنة من الأعيان لتمثيل كيف كان غريان منقسمًا إلى معسكرين، أحدهما معادٍ للحكومة، بقيادة الأخوين مختار وراسم كعبار، والآخر ودود يمثله الشيخ نافع - عاكف مسيك – مبروك القعود. على الرغم من سلوك الهادي كعبار الغامض، فإنه كان سيخضع بلا شك عند تقدم قواتنا وينفصل عن إخوته.

كان هذا هو الوضع عندما استأنفت في 15 نوفمبر 1922 الزحف نحو غريان، متبعًا الخط الجبلي، بينما كان الكولونيلان بيتزاري وبيلي، القادمان من بئر الغنم والعزيزية، يعملان في المنطقة السفحية.

قرب غروب الشمس، توقفت كتيبتي على مرأى من مرتفعات الأصابعة، حيث في عام 1912، اشتبك الكولونيل ليكيو آنذاك، قادمًا من غريان وباتجاه معاكس، وبرفقة نفس الأخوين كعبار، مع البربر الذين كانوا معادين لنا آنذاك، بقيادة سليمان الباروني، وهزمهم، ووصل إلى نالوت.

الآن، انعكست الأدوار وانعكس اتجاه المناورة تمامًا.

صباح يوم 16، استأنفت الكتيبة المسير باتجاه غريان. بعد الظهر، عبرت سهل الأصابعة بتشكيل قتالي، عندما لوحظت عن بعد سحابة من الغبار ناتجة عن قوة كبيرة من الفرسان

المسرعين، الذين كانوا يتقدمون نحونا بتشكيل متراص، وبنادقهم مخفضة، أي في وضع سلمي؛ وتوقفوا أمام نقاط استكشاف فرساننا السباهيس.

من هذه اللحظة، وفيما يتعلق بعلاقاتي مع الهادي كعبار وقضيته، أعود بالكامل إلى ما كتبته في أوقات غير متوقعة في كتابي "نحو فزان".[1]

النجاح الذي تحقق، بإعادة احتلال الجبل الغربي من نالوت إلى غريان، كان نتيجة عمل سياسي تم تنفيذه بطريقة وثيقة للغاية مع الوضع المحلي للمجموعات العرقية المتنافسة، واستغلاله ببراعة. كانت العمليات العسكرية المتزامنة تكميلية للعمل السياسي، ولم تتاح لها فرصة التطور إلا في أحداث ثانوية.

بمجرد صعود الجبل، كان هدفي الفوري هو منع القادة والشعوب البربرية، المتعطشة للانتقام لما لحق بهم من أضرار على يد العرب عام 1915، من إطلاق العنان لغرائزهم، بفرض قاعدة صارمة تقضي بأن سلطة الحكومة وحدها هي الحكم في حل النزاعات القديمة والجديدة بين الطرفين. هذه القاعدة، التي تم فرض احترامها بشدة، تغلبت على عدم ثقة العرب، الذين تحولوا إليّ طالبين العدالة والحماية، ولم تُرفض من قبلنا عن أحد طلبها.

نفس الحماس الذي بدأت به عملي مع الحكومة الديمقراطية، هو الذي حركني مع الحكومة الفاشية، أتحرّى في كليهما الوطن دائمًا وفقط. كما لم أقبل بطاقة الحزب في عام 1919، كذلك لم أطلبها الآن، على الرغم من شعوري بالاتفاق التام مع برنامج التوسع الاستعماري الذي كانت سياسة الفاشيين تدعو إليه والذي كان في طبيعتي ذاتها، وفي تطلعاتي منذ المراهقة.

سُلمت لي البطاقة الفخرية بعد احتلال بني وليد، التي شاركت فيها جماعتان من الميليشيا، كما حدث بالمثل في العمود الشرقي تحت قيادة الجنرال ميزيتي. شعرت أنني وجدت الطريق لمهمتي، فاتبعته بكل الاندفاع الذي لا يقاوم في طبعي، دائمًا تواقًا لتحقيق أهداف نبيلة ورفيعة لعظمة إيطاليا.

واصلت المراحل الأخرى من إعادة احتلال إقليم طرابلس، فاحتللت ترهونة في 7 فبراير 1923 وبني وليد في 27 ديسمبر من نفس العام، وأكملت أخيرًا عملية التوغّل في الجبل، بين البدو، في السنوات 1924-1925، التي اختتمت فترة حكم الكونت جوزيبي فولبي.

---

[1] ثم أُدرج في مجلد "صوت روماني في ليبيا"، ميلانو ، موندادوري، 1937 (ملاحظة المحرر)

في حكومة ليبيا، خلف الكونت فولبي الرباعي إميليو دي بونو. وبعد الجنرال ألفريدو تارانتو، الذي استدعي هو الآخر إلى الوطن، تولى قيادة القوات أولاً الجنرال جوزيبي مالاندرا، ثم الجنرال لويجي تشيكونيتي.

في هذه الأثناء، ترقيت إلى رتبة جنرال لواء لمآثر الحرب عن العمليات التي قمت بها في عامي 1922-1923، وواصلت الاحتفاظ بمنصبي كقائد منطقة بمهام سياسية وإدارية.

كانت لي أوقات غير سعيدة ومليئة بالصراعات. كان لدى الرباعي (دي بونو) (أحد أعضاء رباعية المسير لروما) تحفظات معادية ضدي، وأكثر منه قائده للقوات، مالاندرا. لتدمير هذه التحفظات، احتجت إلى حليف لا يخطئ، وهو الوقت، وإلى الأمانة الهادئة للقائد اللاحق، الجنرال تشيكونيتي، وتغير رأي الحاكم دي بونو تدريجيًا. أمام وضوح تصرفاتي، كان على أسلحة الجنرال مالاندرا الذي لا يلين، "الذي يكره الله وأعداءه"، أن تُهزم. على الرغم من العداء المسبق الذي قاده، لم يستطع إلا أن يعبر عن نفسه بالكلمات التالية بمناسبة تقارير المعلومات لعام 1925: "... لقد هزم العدو أربع عشرة مرة، واسمه يسطع بنور مجيد مشرق ومرموق للغاية في هذه المستعمرة التي تشعر بالامتنان والإعجاب الشديد تجاهه..."

"... شخصية القائد التي يضيئها نور المجد، والتي أقدم لها إعجابي..."

"... أكرر هنا تحياتي للجنرال غراتسياني لتأكيده المميز لمهاراته القيادية خلال عمليات الشرطة الكبرى في القريات في أغسطس الماضي..."

من يقرأ تقارير تلك الفترة في صحيفتي الشخصية سيدرك الصعوبات الجسيمة التي كان علي التغلب عليها حتى لا أستسلم، ومقاومة الهجمات التي كانت لها أصول عميقة جدًا وأحيانًا غامضة. ومع ذلك، لاحظ الرباعي بخصوصي:

في عام 1925: "القادة لا يتعاملون إلا من خلاله، يخشونه، لكنهم يقدرونه ويحبونه أيضًا. في تولي المهام السياسية، أظهر دائمًا حكمة وترو."

في عام 1926: "من الناحية السياسية والعسكرية، لا يزال لا غنى عنه بالنسبة لي."

في عام 1927: "الجنرال غراتسياني عنصر ثمين من الكفاءة السياسية والعسكرية، وحضوره له وزن إيجابي مطلق في المستعمرة، حيث يقوم بعمل سياسي يتوافق تمامًا مع أفكاري ومع ضرورات اللحظة."

في عام 1929: (قبل تسليم الحكومة للمشير بادوليو.) "مساعدته في العمل السياسي للمستعمرة ضرورية وثمينة دائمًا. أوصي خلفي بهذا الضابط العام، الذي يمكنه الاعتماد عليه بشكل كبير في جميع الظروف."

توج حكم دي بونو، الذي اســتمر ثلاث ســنوات، من عام 1926 إلى عام 1929، بعمليات ما يســمى بخط العرض 29، والتي شــاركت فيها كقائد لعمود حتى احتلال "زلّة". هناك، نتيجة لحسـابات لوجسـتية خاطئة قامت بها هيئة الأركان العامة في طرابلس، هددت العمليات بالانتهاء بالفشل، لولا تدخلي الشخصي الذي أدى إلى اختتام ناجح للمهمة.

عند وصولي إلى زلّة في 22 فبراير 1928، وصلت برقية مأساوية من الحاكم تقول تقريبًا: "تتطلب حسابات وسائل النقل المتاحة ألا يبقى غراتسياني في زلة أكثر من ثلاثة أيام، حيث سيترك حامية صغيرة، وينسحب إلى قاعدة بويرات الحسون (سرت) في أقرب وقت ممكن".

حتى تلك اللحظة لم نلتقِ بأي متمرد. كان لدينا معلومات من مخبر أن أتباع عبد الجليل سيف النصـر قد جمعوا مسلحيهم (أولاد سـليمان) في قلب صحراء مجهولة تمتد بين زلّة والنوفيلية، بالقرب من آبار تاقرفت. احتلال زلة بحامية صغيرة، كما حدث بالفعل في سوكنة-هون-وودان، والعودة إلى السـاحل دون هزيمة أولاد سـليمان، الذين كانوا دائمًا السـادة الحقيقيين والمطلقين للصـحراء الشـرقية لطرابلس، كان يعني إنهاء الدورة العملياتية بطريقة سـلبية تمامًا. عندئذ، تحملت المسـؤولية كاملة، واقترحت المسـير زلة-بئر تاقرفت-جيفة-النوفيلية، حيث كنت سـألتقي وأهزم أولاد سـليمان والمغاربة. كان الأمر يتعلق بقطع "اللوجسـتيات" من الخلف، وفي تلك الظروف تذكرت تصرف الإمبراطور جوليان المرتد الذي، في حملته ضد البارثيين (الفرس)، أغرق السـفن التي تحمل الإمدادات في الفرات، وتوغل في الصـحراء دون عوائق. كان علي في الواقع أن أعبر حوالي ثلاثمائة كيلومتر من الصـحراء غير المكتشـفة تمامًا، وقد قمت بتقنين الإمدادات الشحيحة المتاحة. كانت هناك حاجة إلى قوة معنوية كبيرة (تلك التي سـأفتقر إليها لاحقًا في عام 1940، كما كتب زانوسـي "كان يُدعى المسـيح" ، الذي أعتقد أنه لم ير الصـحراء أبدًا)، وقرار تجربة كل شـيء؛ القادة والمرؤوسـون، الذين كانوا تحت قيادتي لسـنوات، اسـتجابوا متحدين وعـازمين على النـداء. كانـت الهزيمـة في تلـك الظروف وفي تلـك البيئـة سـتعني في الـواقع تـدمير العمود، ولن يعود أحد منا لرؤية البحر.

كان بين صفوفنا، قوة حيوية ثمينة، الدوق أميديو من سافويا أوستا، قائد مجموعات المهاري الصحراوية. تم توضيح المسيرة التاريخية نحو السـاحل ومعركة 25 فبراير عند آبار تاغريفت في كتابي "نحو فزان" ورويت ببراعة من قبل ماريو باسـي، الصـحفي الوحيد الذي رافق العمود، الذي أرسـلته صـحيفة "لا سـتامبا" من تورينو. تم إعداد كُتيب في روما عن هذه الوقائع، وتم توزيعه في جميع أنحاء إيطاليا.

لا يمكن نسيان قصة تاقرفت الأسطورية اليوم، ولن ينكرها الشعب الإيطالي أبدًا ما دام يظهر الشجاعة ويعظم الفضيلة القتالية ويبقيها حيّة في القلوب. كان ذلك اليوم حاسمًا للسلام النهائي

في طرابلس الذي كنت أحققه منذ ست سنوات من الحملات. بعد هزيمة سيف النصر وأولاد سليمان، فُتحت أبواب فزان أمام توغلنا الجديد من ذلك اليوم.

عندما تولى مارشال إيطاليا بيترو بادوليو، في عام 1929، مهام الحاكم العام لليبيا الموحدة (محتفظًا بمهامه كرئيس هيئة الأركان العامة في الوطن)، كانت إعادة احتلال أو إحلال السلام في إقليم طرابلس قد اقتربت من نهايتها على يد الحاكمين فولبي ودي بونو. لم يتبق سوى قطف "الفاكهة الناضجة" في فزان، بعد نزع سلاح بدو ليبيا، الأمر الذي كنت أتمتع بسلطة تحقيقه نظرًا للمكانة التي كنت أحظى بها لديهم. لم يكن مصادفة أن موسوليني، عندما وافق على طلب (بادوليو) التعيين في ليبيا، قال له بوضوح: "طالما لم يتم إبعاد غراتسياني". وقد أخبرني المارشال نفسه بذلك.

عند وصوله إلى المستعمرة، أصدر إعلانًا للسكان العرب وعد فيه بـ: "السلام والهدوء والرفاهية لمن يخضع نهائيًا لسلطة الحكومة؛ والموت والدمار والخراب لمن يعارض ويظل متمردًا."

في برقة، على الرغم من الضربات العنيفة التي تلقاها خلال سنوات حكم تيروزي، ظل عمر المختار في الجبال. عين المارشال العقيد سيسيلياني نائبًا له في برقة. في كلتا المستعمرتين، استؤنفت سياسة التقارب السلمي مع الزعماء، مع خيبات الأمل الفورية التي تبعت ذلك في القطاعين.

من فزان البعيدة، تحرك القادة، بقيادة أحمد سيف النصر، شمالاً تتبعهم محملاتهم "للتفاوض مع الحكومة"، لكن المجموعات المتنقلة التي أعددتها كسرت على الفور طموحاتهم في الشويرف على حدود الجبل والحمادة الحمراء، مما أجبرهم على العودة مهزومين إلى فزان. وهكذا تم تجنب "خدعة" المفاوضات التي كانوا يريدون تمثيلها مرة أخرى، والتي سببت لنا الكثير من الإهانات في سنوات 1919 و 1920 و 1921.

في برقة، بعد أن أظهر الخضوع وتجديد قوته، أهان عمر المختار الحاكم المارشال في اجتماع سيدي رحومة (حيث ذهب الأخير وحده، بدون أي حراسة)، واستقبله بموكب من خمسمائة فارس، تقريبًا كسيّد لخادم. وبعد فترة وجيزة، استأنف الأعمال العدائية بقتل بعض جنودنا الكارابينيري.

بعد فشل محاولة المصالحة بهذه الطريقة البائسة، ولمنع إظهار المزيد من الضعف، اضطر بادوليو إلى تطبيق الجزء الثاني من إعلانه، وهو جزء التشدد.

في البداية، كان لا بد من إعادة احتلال فزان. وقد احتوت التوجيهات التي أعطاني إياها الحاكم على أمر قاطع بإعدام جميع أفراد المحلات المتمردة الذين تجرأوا على الرد بالتهديد على دعوته السخية. لم أعر اهتمامًا لهذا الأمر الذي كان ينبع كثيرًا من كرامة مجروحة، واكتفيت فقط

بتسليم الأسلحة. بعد احتلال مرزق، عندما وصل المارشال بالطائرة لحضور رفع العلم، أبلغته بهذه الظروف، بحضور الدوق أميديو من سافويا أوستا، ووافق على تصرفي قائلاً: "من هو في الموقع هو القاضي الوحيد المختص".

بينما كانت أهم عملية في الدورة العملياتية بأكملها تجري، وهي مسيرة فيراري-أورسي على واو الكبير لهزيمة بقايا أولاد سليمان هناك، أبلغني الحاكم، نيابة عن وزير المستعمرات، الجنرال دي بونو، بتعييني نائبًا لحاكم برقة وسألني متى يمكنني الوصول إلى بنغازي. أجبت بأن واجبي الفوري هو إكمال العمليات الجارية، ثم سأكون تحت تصرفه.

لم يكن المشير بادوليو يرى تعييني في برقة بعين الرضا، وخلال فترة الانتظار، بذل كل ما في وسعه في روما لإلغاء ذلك، مقترحًا أن يتم إرسال موريتسيو رافا بدلاً مني، والذي كان آنذاك الأمين العام في طرابلس؛ لكن الوزير دي بونو صمد.

لم أعد من فزان إلا بعد أن احتللت أقصى نقطة من الإقليم بواحة غات، وطردت آخر متمرد إلى الجزائر من تاكومت. Takiumet

نحن في مارس 1930، أي في العام التاسع من عملي في ليبيا، والذي خلاله، خطوة بخطوة، كنا قد أعدنا احتلال طرابلس بأكملها. في هذه الأثناء، في عام 1928، كنت قد رُقيت إلى رتبة جنرال فرقة.

في روما: رئيس الأركان العامة للجيش بادوليو ووكيل وزارة الحرب كافاليرو. بإشرافهما جرى تدقيق اللجنة العليا بينما كنت أخوض أحداث معركة تاقريفت، مع الانتصار الحاسم الذي تلاها؛ وتم إعلاني "غير قابل للترقية" لأنني "لم أمارس قيادة لواء في الوطن".

وعلى هذه المفارقة البيروقراطية، ثار بينيتو موسوليني متجنبًا المصادقة على حكم تافه كهذا!

خلال عمليات فزان، في 1 فبراير 1930، في جرمة التي عادت إلى الرومانية (الامبراطورية) ، وتحت ظل نخلة، أمام اتساع الصحراء الصامت، رسمت سيرتي الذاتية لمجلة "أولترماري" Oltremare. وإليكم النقاط الختامية: "لقد كتبت قليلاً، لأنني عملت دائمًا كثيرًا. في المقابل، درست كثيرًا: المواد العسكرية، التخصصات الفلسفية، الاقتصادية، السياسية، جذبتني أكثر. أعرف وأتحدث العربية والتجرينية. "نحو فزان" هو كتاب حياتي، ولهذا كتبته.

"يوجد في العالم: فلاسفة، تجار، مقاتلون. لقد كنت دائمًا من الأخيرين، وقليلاً من الأولين. لطالما شعرت بالنفور من الآخرين."

"يقول فيثاغورس أنه في الحياة يجب أن تنجب طفلاً، وتزرع شجرة، وتكتب كتابًا، وتبني منزلًا. لقد فعلت كل هذه الأشياء الأربعة لأنني أَبْنِي المنزل (حتى لو كان ذلك بفضل الائتمان الزراعي) في

ممتلكاتي في بومعاد Mu-Maad بغريان، بل على حدود الجبل، حيث أستثمر مدخراتي القليلة لأكون رمزًا وعلمًا متقدمًا يجذب الإيطاليين ويعطيهم الثقة. أعتزم أيضًا أن أصبح سينسيناتوس هناك."

"هذه ليست سيرة ذاتية في سجل. إنها أكثر من ذلك: اعتراف عفوي أمام الصحراء التي، كما أستطيع أن أقول مع شاعر عربي، "كالليل، والعدو، وحصاني فقط يعرفونني".

بهذا العمل الاعترافي الواضح والصريح، كنت أستعد لأصعب عمل واجهته على الإطلاق، ولم أخفِ على الإطلاق، منذ اللحظة الأولى، الصعوبات الكبيرة التي كنت سأصطدم بها، ولكن بنفس الإرادة المصممة على التغلب عليها.

في مجلد "برقة المهدّئة"[1] Cirenaica pacificata، قدمت تبريرًا علنيًا للإجراءات المتبعة لتحقيق الهدف الأسمى لتهدئة تلك المستعمرة الرائعة، التي مزقتها لأكثر من عشرين عامًا تمرّد عقيم أفقر السكان الأصليين أنفسهم، ومنع أيضًا عملنا في التنمية. لقد استرشد عملي بالتوجيهات الوزارية والحكومية، التي طبقتها بثبات لا يتزعزع، وهو طبع ثانٍ لي. كنت سأذهب إلى النهاية لأنجح في هدف بدء نهضة تلك المنطقة الرائعة.

لم يكن من الممكن الاستمرار في شن عمليات عسكرية باهرة مع حشد كبير للقوات، والتي في نهايتها كانت الأمور تعود تقريبًا إلى ما كانت عليه من قبل. إذا أردنا نتيجة حاسمة، كان علينا أن نقرن عمل حرب العصابات ضد الأدوار المتمردة بعمل شرطي قضائي على السكان الذين كانوا يغذونهم.

هذه المرة، لم أكن أنا المسؤول الحقيقي عن الوضع، بل الحاكم العام، المارشال بيترو بادوليو. لقد تعرض الأخير لخيبة أمل وإهانة من قبل عمر المختار؛ الذي، بعد أن تلقى منه ساعة ذهبية في سيدي رحومة، حطمها بلا تردد معتقدًا أنها جهاز متفجر. ويا للعجب، لقد عاد المارشال من ذلك اللقاء مقتنعًا بأنه قد كسب قلبه وولاءه!

كان لا بد من العمل بعمق الآن، لكن المشكلة، التي قد تبدو بسيطة في صياغتها، كانت صعبة بنفس القدر في التنفيذ. يتطلب الحساب الرياضي تطبيقًا هندسيًا: فصل المسلّحين المتمردين عن مخيمات السكان الذين كانوا يوفرون لهم الحياة والملاذ، ومنعهم من الوصول إلى مصر. كان لا بد من نقل المخيمات إلى مناطق مختلفة، بعيدة عن المناطق التقليدية. الطبيعة البدوية للسكان سهلت هذا الإجراء.

---

[1] (مشمول دائمًا في مجلد "السلام الروماني في ليبيا"، مذكور سابقًا)

وهكذا فعلت؛ ولقطع كل إمكانية للحياة عن الادوار المعزولة في الجبل بشكل نهائي، قمت بإغلاق الحدود المصرية بسياج طوله ثلاثمائة كيلومتر، من بحر البردية إلى الجغبوب.

بعد حرمانه من الموارد، كان على عمر المختار أن يستسلم عاجلاً أم آجلاً ويقع في شبكة قواتنا، التي كانت في هذه الأثناء تضرب الأرض بلا كلل. لقد فرض هذا الإجراء تدابير صارمة وتطبيق عقوبات شديدة للغاية على المتواطئين وعلى أولئك الذين قاموا بأي شكل من الأشكال بتزويد المسلحين المتمردين بالأسلحة والذخيرة والمؤن. كان الإجراء القضائي يتم بصفة قانونية مطلقة من خلال محكمة علنية، تنتقل تباعًا إلى مسرح الجريمة نفسه، وتصدر الأحكام بحضور السكان المجتمعين، مما يسمح بإمكانيات واسعة للإثبات والدفاع عن المتهمين.

بعد القضاء على المتمردين المسلحين في الجبل في يناير 1931، تم احتلال واحة الكفرة البعيدة لأول مرة. ثم عاد السكان إلى أراضيهم. عندما غادرت المستعمرة في أبريل 1934 للعودة إلى إيطاليا، كان كل شيء طبيعيًا بشكل نهائي بعد ثلاثة عشر عامًا من العمل الشاق والمستمر والمتواصل.

في برقة، قمت أيضًا بإنشاء طرق، وعدد لا يحصى من الأشغال العامة لتحسين الزراعة والصناعة، وهي تباشير الروعة التي أذهلت الجيوش الأنكلو-أمريكية اللاحقة في 1940-1941.

لكن صلابتي أثارت الكثير من الحسد، وأزعجت الكثير من المصالح المشبوهة المتخفية في ظل التمرد، لدرجة أنها لم تسلم من الافتراء والتشهير الداخلي والخارجي منذ البداية. من ناحية أخرى، استاءت المراكز الإسلامية من تطبيق القضاء الصارم؛ فاخترعت دعاية ماكرة لفظائع لا تُسمّى زُعِم أنني ارتكبتها، ونشرت عنها أساطير وحشية!

وهكذا، -كما زعموا- وحتى لا أترك زوجتي وابنتي في أيدي المتمردين الذين أسروهما، لا أعرف في أي مكان في ليبيا، كنت سأفضل قتلهما بوحشية بيدي. لكن هناك المزيد. كان غضبي الانتقامي مبررًا أكثر بسبب الإساءة القصوى لشخصي الجسدي. نعم أيها القراء، العرب كانوا سَيُخْصُوني. وعندما خضعت لعملية جراحية في سجن بريسيدا، اتضح العكس، بقي البعض مندهشًا عندما رأوني سليما.

بموجب هذه الأساليب التشهيرية الحقيرة، كان الغرض اختراع أسطورة عن طبيعتي الدموية القاتمة التي وجدت أرضًا خصبة لتتوسع في إثيوبيا أولاً، ثم أخيرًا في الوطن نفسه، خلال أحداث عام 1943 المأساوية.

لكن الحقيقة كانت مختلفة. إن طريقتي الثابتة والعادلة في حكم السكان الليبيين خلقت لي هالة أسطورية كرجل "قوي وعادل"، وهو ما يتصوره ويقدره هؤلاء السكان في القائد. لقد بلغ نفوذي وتأثيري الشخصي مستوى عاليًا لدرجة أنني لم أحصل منهم على الطاعة فحسب، بل

على أقصى درجات التفاني والولاء المطلق. في مئات الحالات، أطاعني العساكر الليبيون ، وهم التعبير الأكثر نقاءً وأصالة عن العرق، لقد تبعوني بحماس خلال عملية التهدئة الليبية، ثم في الصومال البعيدة خلال الحرب الإثيوبية، وأخيرًا في التضحية القصوى بسيدي البراني.

في 24 يناير 1932، وبعد عام من قيامي باحتلال الكفرة، أصدر المشير بادوليو، بصفته الحاكم العام لليبيا، الإعلان التالي، الذي يظهر فيه الرضا والفخر لمن يطالب باتباع التوجيهات الصادرة، والتي نفذتها بأمانة. وهذا هو نصه: "أعلن أن "التمرد في برقة" قد تم قمعه بالكامل وبشكل نهائي."

"ليتوجه فكرنا بالامتنان إلى صاحب السعادة رئيس الحكومة وإلى صاحب السعادة وزير المستعمرات اللذين أرادا عملنا بحزم، ودعموه بكل الوسائل."

"أشير إلى امتنان جميع الإيطاليين المقيمين في طرابلس وبرقة لاسم الجنرال رودولفو غراتسياني الذي، باتباع الذكاء والطاقة والمثابرة، التوجيهات التي أعطيتها له، نجح تمامًا في المهمة الموكلة إليه."

"لأول مرة، بعد عشرين عامًا من النزول على هذه الأراضي، أصبحت المستعمرتان محتلتين ومسالمتين بالكامل."

"فليكن هذا التاريخ ليس فقط سببًا لرضا مشروع لنا جميعًا، بل أيضًا نقطة انطلاق لدفعة أقوى في التقدم المدني للمستعمرتين."

على مدى ثلاث سنوات، كتب مارشال إيطاليا بيترو بادوليو عني في صحيفتي الشخصية.

في عام 1929: "الجنرال غراتسياني هو أحد أصغر جنرالاتنا، متعود على جميع المشاق، ويتمتع بمقاومة بدنية استثنائية حقًا. وهو طيب وكريم الطبع. منضبط وصحيح جدًا في الشكل. مثقف ومجتهد. كتب في المسائل الاستعمارية صفحات شيقة جدًا وتوفر دروسًا مفيدة لجميع الضباط. يهتم كثيرًا بالانضباط وتدريب الوحدات التابعة له، وخاصة في الآونة الأخيرة، بذل كل جهده لتطبيق قواعد إدارية صارمة. إنه بلا شك الضابط الأكثر دراية بالوضع السياسي والعسكري في طرابلس، حيث يتمتع بسمعة لا جدال فيها. وجوده في الفترات العملياتية يرفع معنويات قواتنا ويثبط عزيمة المتمردين. هو دقيق وصبور في التحضير، حذر في التحركات الأولية، حاسم وعنيف في الإجراءات الختامية. لا يغتر بالنجاح، وبعد كل فترة منتصرة قام بمراجعة عمله وعمل مرؤوسيه بدقة، مبرزًا بشجاعة كل خطأ وكل ضعف، ومستخلصًا منها قواعد ودروسًا للمستقبل."

"إنه ضابط عام من طبقة رفيعة حقًا. إنه يمثل بلا شك أفضل قائد استعماري لدينا. يفتح له الآن مجال عمل جديد: استعادة فزان بالكامل. لقد بدأ هذا العمل المليء بالصعوبات الجسيمة بإعداد منهجي ومتقن. أثني عليه لنشــاطه الكبير الذي أظهره، وللمهارة التي أدار بها عمليات الشويرف ونزع سلاح الجبل."

في عام 1930: "أدار الجنرال رودولفو غراتســياني، في أواخر عام 1929 وبداية عام 1930، عمليات استعادة فزان، وهي عمليات كان مسرحها إحدى أكثر المناطق قسوة وافتقارًا لأي مورد، وتمتد بين ست خطوط عرض وخمسة خطوط طول. مساحة شاسعة، وامتدادات صحراوية لا نهاية لها، بالإضافة إلى عدو شديد الحركة، خلقت صعوبات من كل نوع. ومع ذلك، انتصرت بصــيرة الجنرال غراتســياني وطاقته وقدرته الكبيرة على كل عقبة. في ثلاثة أشــهر، تم تطهير المنطقة الشاسعة من التشكيلات المتمردة، ونزع سلاحها، وتهدئتها. وبعد أن أُرسل لتولي منصب نائب حاكم برقة، نفذ، بيد ثابتة، التوجيهات العليا ليصــير التمرد المزمن في حالة من الارتباك والعجز التي تبشــر بالتأكيد بنهايته. بنشــاط كبير، أعاد تنظيم فيلق القوات الاســتعمارية على أســس جديدة، وبث قوة أكبر في العمليات، وبمجموعة معقدة من الإجراءات، قضــى على كل تواطؤ مع المتمردين. اهتم بأقصــى درجة بالإدارة المدنية والعسكرية للمســتعمرة، وحقق نتائج ممتازة."

"أشار وزير المستعمرات إلى الجنرال غراتسياني باعتباره مستحقًا لتقدير الوطن في كلا مجلسي البرلمان."

"أثني عليه بحرارة على الطريقة التي يدير بها الآن حكومة برقة محققًا نتائج استثنائية."

في عام 1931: "خلال هذا العام، واصــل الجنرال غراتســياني، بذكاء ونشــاط وثبات، تنفيذ البرنامج الذي رســمته له لتهدئة برقة، محققًا نتائج ممتازة. أثني عليه لنشــاطه وثباته في أداء مهامه."

في عام 1932، وافق بادوليو نفســه، بالاتفاق الكامل مع وزير المســتعمرات آنذاك، إميليو دي بونو، على ترقيتي إلى رتبة جنرال فيلق لخدماتي خاصــة. ولأن اللوائح لا تشــترط تقارير ســنوية خاصــة لجنرالات الفيلق، فإن تقييمات المارشــال لم تعد تظهر في صحيفتي الشخصية لعامي 1932-1933. ولكن من تلك التقارير يتبين بوضوح أن العمل السياسي والعسكري والقضائي الذي قمت به لتهدئة برقة كان تطبيقًا صارمًا للتوجيهات والبرنامج الذي رسمه.

عند هذه النقطة، تفرض معضــلة نفســها. بما أن بادوليو لم يكن لديه ما يلومني عليه بشــأن التجاوزات التي نُسبت إليّ من قبل الدعاية الكاذبة، ولا شك أنه لم يكن ليتحملها أو يسمح بها في

سياسته الصارمة لحكم ليبيا، فهل يجب علي أن أختاره هنا كشاهد رئيسي لتبرئتي، أم أن أشير إليه كشريك محرض على الجرائم المنسوبة إليّ؟

نفس الشيء يمكنني أن أضيفه بخصوص الحاكمين فولبي ودي بونو، بالنسبة للعمل الذي قمت به تحت أوامرهم.

على العكس من ذلك، سأختتم هذا الفصل الشاق من حياتي بالاستناد إلى حكم أجنبي عظيم، وهو المارشال لياوتي. عندما أردت أن أقدم له تحية احترام بمجلدي "برقة المهدئة"، تفضل هو بتوجيه رسالة بخط يده إليّ.

6 مايو 1934

3 شارع بونابرت السادس

جنرالي العزيز،

أنا ممتن جدًا لكم على إرسال المجلدين: "برقة المهدئة" و"برقة الجديدة" اللذين تلقيتهما من السيدة دي... التي سُرّت كثيرًا بحسن استقبالكم وتحدثت إليّ بإعجاب شديد عن العمل الذي أنجزتموه.

إنه لي الشرف والسرور العظيم لإهدائكم اللطيف.

أما فيما يتعلق بالرأي حول أساليب الاحتلال والتهدئة والسياسة تجاه السكان الأصليين، فقد أدركت أننا، أنتم وأنا، لدينا نفس المفاهيم وهذا يشرفني كثيرًا.

إذا ساقكم ظرف إلى فرنسا، سأكون سعيدًا جدًا بلقائكم. الرجاء، جنرالي العزيز، تقبلوا أسمى مشاعري المتميزة والمخلصة.

لياوتي

توجد النسخة الأصلية للرسالة، التي احتفظت بها كدليل على تصرفاتي في تهدئة برقة، الآن في أيدي "الخدمة السرية" الأمريكية، نتيجة لأحداث الحرب، ولكن كان من الممكن إعادة إنتاجها هنا.

هذا هو عملي في ليبيا من أجل تحريرها وتنميتها المدنية، وهو ما ترغب القوى المنتصرة في هذه الحرب العالمية الثانية في إنكاره علينا الآن.

3. قيادة فيلق أوديني

أدت إعادة احتلال فزان، واحتلالنا لواحة الكفرة لأول مرة في التاريخ، وتهدئة برقة، إلى ترقيتي إلى رتبة جنرال فيلق بامتيازات خاصة، في عام 1932، عن عمر يناهز الخمسين عامًا، في أوج قوتي الذهنية والجسدية التي صقلتها جميع العواصف.

لكن كان من المتوقع اتهامي بالإهمال الاستعماري، وكانت بطاريات هيئة الأركان العامة قد انتشرت بالفعل لانتظاري عند الممر. ومع ذلك، مهما قيل في الأوساط العسكرية المعادية لي بأنني مدين بكل شيء للفاشية، لا يمكن إغفال أن ترقياتي في رتب الجنرالات كانت تتوافق مع أقصى مساهمة قدمتها للسيادة الإيطالية في ليبيا؛ وقبل كل شيء، أن الحكم في هذا الشأن، وخاصة بالنسبة لآخر تعيين لي كجنرال فيلق، كان يحظى بموافقة رئيس هيئة الأركان العامة، بادوليو.

عندما وصلت إلى هذا المستوى في مسيرتي العسكرية، لم أكن لأمتنع عن بذل عشر سنوات أخرى من أجل ليبيا. في عام 1931، بعد احتلال الكفرة، عندما جئت إلى روما، أعلنت بصراحة لموسوليني برنامج التوحيد الكامل للمستعمرتين، وهو ما كان المشير بادوليو لا يزال يطمح إلى تحقيقه في ولاية ثانية مدتها خمس سنوات، والتي كان يطمح إليها.

استمع لي موسوليني باهتمام وبعد أيام قليلة، عندما كنت مريضًا، جاء شقيقه أرنالدو لزيارتي وبقي معي طويلاً يتحدث عن نفس الموضوع.

لقد ذكرت ذلك لفولبي، الذي قال لي: "بشرط ألا يظهر شخص آخر في اللحظة الأخيرة لتنفيذ هذا البرنامج".

"من؟" سألته حينها. فأجاب: "بالبو، على سبيل المثال". كان الرباعي الفيراري قد عاد لتوه في تلك الأيام من رحلته الأطلسية الثانية وكان منتصرًا. كل إيطاليا كانت تحتفي به وفي كابيتول روما، حصل رسميًا على المواطنة الفخرية.

كنا في عام 1931. ما تنبأ به فولبي حدث في يناير 1934، عندما عين موسوليني بالبو خليفة لبادوليو. في تلك الأيام، كنت في جولة تفتيش في الكفرة؛ ووصلتني الأخبار هناك. سأكون كاذبًا لو أخفيت أنني شعرت بحزن عميق، وشعرت بأن حلمي يتلاشى.

بدا لي أنني أستطيع أن أطمح بشكل مشروع إلى منصب الحاكم العام لليبيا، إتمامًا لما يقرب من خمسة عشر عامًا قضيتها في سبيل نهضتها. كان جميع الإيطاليين من الشاطئ الرابع، وحتى السكان الليبيين أنفسهم، سيشعرون بالرضا.

الولاة الثلاثة السابقون، الذين لم أطلب منهم شيئًا، لم يدعموا ترشيحي لأنه لو حدث ذلك، لكان عمل تقدير ليبيا، كما كان عمل إعادة الاحتلال، قد تركز في شخصي بطريقة لا ترضيهم، وهذا كان ليكون أكثر من اللازم!...

لكن الأسف لم يدم طويلاً. قبل عودتي إلى الوطن، أعربت عن رغبتي في التعيين في فيلق جيش على الحدود الشرقية: أوديني، أو تريستي. نظرًا لمعرفتي الجيدة بتحفظات هيئة الأركان العامة تجاهي، كان علي أن أطلب تحدي نفسي في واحدة من أكثر القيادات تعقيدًا وصعوبة.

تعرفنا على إيتالو بالبو في ليبيا عام 1924، عندما كان يزور طرابلس لأول مرة، برفقة فيديرزوني، الذي كان حينها وزير المستعمرات.

بعد تعيينه حاكماً لليبيا، أبدى بوضوح رغبته في رحيلي في أقرب وقت ممكن.

لقد استقبلته استقبالًا مظفراً في برقة، ورافقته في جولة تفقدية موجزة انتهت في العقيلة. هناك، وبعد استدعاء الموظفين الإداريين، تم إعداد برنامج لربط المستعمرتين بالطرق. كان الجميع يعلم أنني كنت مؤيدًا قويًا لهذا الإنجاز، ومن جانب برقة، كان الطريق المعبد من طبرق إلى العقيلة، على حدود طرابلس، قد اكتمل بالفعل.

كنا في عام 1934، وخلال تلك الفترة، كان بالبو يتملق العائلة المالكة كثيرًا، متظاهرًا بانتظام خاص مع أمراء بيدمونت. ومع ذلك، كان دائمًا في روحه، الثوري الجمهوري في الماضي.

خلال تلك الرحلة، تحدث معي بصراحة عن هذا الموضوع: "ما رأيك في أمير بيدمونت؟ أوصيك به! إنه فاشي عظيم!" ثم أضاف: "آه! هذه الملكية! لا تصلح، لا تصلح!" وبما أنني لم أجب، شدني من ذراعي، وواصل بنبرة شديدة الثقة: "سننشئ جمهورية اجتماعية، يرأسها... يرأسها... يرأسها..."

ربما كان ينتظر مني أن أقول: "يرأسها أنت".

لكن بما أنني بقيت صامتًا، أنهى كلامه: "... يرأسها بينيتو موسوليني". كان هذا الاسم "جمهورية اجتماعية" غريبًا حينها!

ومع ذلك، في السنوات اللاحقة، خلال فترة حكمه في ليبيا، استمرت زياراته المتكررة لعائلة أمراء بيدمونت، بل وازدادت.

كانت هناك أولاً رحلة الملك إلى المستعمرة، وقد قاده بالبو بالطائرة إلى غدامس، حيث كاد يقتله بهبوط أدى إلى اصطدام الطائرة بحاجز (جدار رملي) الذي، لحسن الحظ، انهار. ثم تبعت ذلك رحلة الأمراء إلى طرابلس، وبعد ذلك رحلة الأميرة وحدها إلى برقة. لكن كل هذه كانت مظاهر انتهازية.

بيننا، كانت العلاقات الشخصية تتدهور باستمرار. كان إيتالو بالبو، في اندفاعات مزاجه، كريمًا من جهة، ولا يرحم من جهة أخرى، وهذا قاده إلى عداء مرضي تجاهي.

دمّر كل ما استطاع من ذكرياتي في ليبيا، حتى أنه أمر بحذف اسمي من الرموز الرخامية التذكارية التي تخلد بعض أعمالي، مقلداً في ذلك قائد المئة الروماني "بوجيني" [؟][1] الذي حكّ اسم سلفه في ذلك الحصن القديم.

ثم في عام 1940، كان عليّ أنا بالذات أن أحضر جنازته في نفس القصر الذي استقبلته فيه منتصرًا بين أضواء الترف، وأجمع إرثه للهزيمة التي أنقذته منها الموت المناسب في الوقت المناسب.

مسكين بالبو! لن أغفل عن إلقاء الضوء على تضحيته للإيطاليين. من تحقيق قد أُجري فورًا في المكان، تبين لي أنه في 28 يونيو 1940، جمع حوله في قورينا أقرب مساعديه المخلصين، والذين تناول معهم الغداء حتى وقت متأخر من بعد الظهر. ثم فجأة أراد أن يذهب بالطائرة لزيارة إحدى الفرق في الانتشار الأمامي. حدث الإقلاع المفاجئ في وقت متأخر نوعًا ما من مطار الفتايح بالقرب من درنة. ونتيجة لذلك، تم إرسال قائد الطيران المختص إلى طبرق لإعداد دورية مقاتلة كان عليها مرافقة الطائرات في المسار الخطير نحو الجبهة.

تجمعت سلسلة من الأقدار، كان أبرزها انقطاع خطوط الهاتف بسبب غارة جوية معادية بدأت بينما كان بالبو يقلع من درنة، مما منع وصول إشعار وصول الحاكم إلى جميع الأطراف المعنية، وهكذا وصلت طائرة الحاكم والطائرة التي تبعتها بقيادة الجنرال بوررو، قائد السرب الجوي الخامس، إلى طبرق بشكل غير متوقع، بعد دقائق قليلة من الغارة الإنكليزية. كانت عناصر الدفاع الجوي لا تزال في حالة تأهب ومتحمسة إلى حد ما. فُتحت النيران مرة أخرى من قبل بعضهم، وأُصيبت طائرة بالبو، مع ما تبع ذلك من عواقب مأساوية، بينما تمكنت الأخرى من الهروب بهبوط بهلواني.

---

[1] علامة الاستفهام، هكذا في الأصل، ولم أعثر على من يوافق اسمه هذا الاسم. [المترجم]

لم تكن حالة بالبو المعنوية في تلك الأيام هادئة. لقد تعرض لضغوط من رئيس هيئة الأركان العامة، بادوليو، الذي كان يحفزه على الهجوم برسائل مليئة بالإقناع والإغراء، بينما كانت الظروف لبدء الهجوم بعيدة كل البعد عن أن تكون مواتية. وقد شاهده شخص من القيادة يسير في الطرقات المشجرة لقورينا، وحيدًا ومضطربًا. وفي تلك المناسبة، فتح قلبه بشأن الظروف التي وضعته فيها روما.

في نفس اليوم، 28 يونيو، صدر أمر من هيئة الأركان العامة ببدء الهجوم في 15 يوليو؛ وهو الأمر الذي وجدته أنا لاحقًا في الموقع.

من خلال فحص "أوقات" الإرسال والوصول، مقارنة بأوقات الرحلة التي تمت، كان لدي انطباع بأن المارشال، عندما غادر بالطائرة، لم يكن قد تلقى تلك البرقية.

بشأن مأساة بالبو الروحية في تلك الأيام المشؤومة، سأقدم أنا الوثائق التي ستضع الأمور في نصابها. منها سيتضح ذنب من رماه من روما نحو الهاوية، مستغلًا اندفاعاته الكريمة للغاية. في 15 أبريل 1931، غادرت برقة بعد أن شفيت من جميع العلل التي عانت منها، وباتت على وشك أن تصبح لؤلؤة حكمنا الليبي. وعلى الرغم من أنني لست شاعرًا، إلا أنني ألقيت نشيدي لها: "أيا برقة، تسيرين بخطى حازمة نحو مستقبل مزدهر وغني في يوم من الأيام. أرادت الأحداث والرجال تحويلك إلى الشرق؛ لكن إيطاليا قد خلصتك لازدهار شعوبك."

"ستزهرين قريباً، على أنقاض الحرب، ببهجتك وثروتك التي مجّدها كبار الشعراء والمستكشفون العظام."

"ها هو ذا: هنا الميناء الأزرق الواسع يحيط ببنغازي بذراعيه العريضتين والقويتين وسيستقبل قريباً السفن الكثيرة والآمنة في مرآته المهيبة والرائعة. العمل مزدهر حول العمل الضخم والشاق، الذي تتبعه التقنية المحلية والأجنبية باهتمام وذهول."

"السكك الحديدية والطرق الواسعة، المبنية وفق أحدث المعايير، تمتد بالفعل بخفة وبلا نهاية عبر المرتفعات الوعرة لـــ"الجبل الأخضر"، وعبر صحراء سرت، لتصلك بالعالم المتحضر. من خلالها ستكونين الجسر العظيم للعبور بين الشرق والغرب، ولن تكوني بعد الآن مغلقة أو مهددة بالإرادة الشريرة لعالم جامد وغير متحضر، وحشي وقدري، مضطرب ومعادٍ."

"إلى الأمام يا برقة! يا أرض الأساطير والعظمة؛ ذكرياتك الكلاسيكية تستعيد بريقها القديم. إلى الأمام! لن تكوني بعد قليل سندريلا، أو السمعة السيئة، أو المعذبة، بل أجمل لؤلؤة في حوزتنا الليبية."

بصوت آخر، ولكن بنفس الشعور تجاه برقة، وبأشد الأسف على من رحل، ارتجل أحد شعراء العرب العفويين، الذين ينتشرون بكثرة في شمال أفريقيا، ما يلي:

"اذهب، ارحل، ارحل إذا كانت أمك العظيمة تناديك،

طوبى لمن سيمنحون الآن، في مكاننا، نومًا هانئًا

في ظل سيفك الرهيب الذي يعرف كيف يعاقب وينتقم!

طوبى لمن سيتمكنون بدلاً منا من تقبيل يدك

التي خفيفة جدًا في تقديم الهدايا،

سريعة جدًا في مكافأة الشجاع،

رهيبة جدًا في ضرب المذنب.

اذهب، ارحل، ارحل إذا كانت أمك العظيمة تناديك الآن؛

لن يبقى لنا سوى عذاب الذكرى الحلو.

كانت هداياك تحمل نكهة الرقة،

كانت جوائزك تحمل عطر الكرم.

وها أنت ترحل الآن، ليبقى اسمك

راسخًا في حنيننا العميق.

وها أنت تبتعد لكي تأتي

الزهور الجديدة والثمار الجديدة في الربيع، ويستطيع حزننا

أن يستدعي الأيام الجميلة التي مرت سريعًا جدًا ويقول:

"وهذه أيضًا علامة منه: إنه الجمال الأبدي؛

وهذه أيضًا هدية منه: إنها الحياة الأكثر حلاوة!"

يا الله! يا إله العظيم! يا إله الرحمة! اجعل الأسف

لا يفيض عن الكيل المملوء بالفعل من معاناتنا،

فالموت أحيانًا أفضل من الأسف."

أردت أن أغادر بصـمت دون أن أعلن عن نفسـي حتى للوزارة. من أوسـتيا إلى روما، بالحافلة العادية، وصلت إلى منزلي المنعزل في فيا باغانيني، وهكذا اختفيت من المشهد الاستعماري.

لقد كان مبدأ ثابتًا في حياتي، في جميع مظاهرها، هو التركيز على ما كان مقدرًا لي، دون أن أضيع في الندم واللوم غير المجدي.

لذلك، كان علي أن أنسـى ماضـيًا كاملاً مليئًا بالذكريات الحنينية وأن أغمر نفسـي في الواقع الجديد. لقد سـاعدتني إرادتي ومشـاعري العاطفية. خلال شـهري مايو ويونيو، تابعت بشـغف والتزام كبيرين دورتين من المنـاورات مع الكوادر للجنرالات، وقـد أدارهـا ببراعـة جنرالات الجيش فرانشـيسـكو سـافيريو غراتسـيولي في المنطقة الشـرقية، بين تريسـتي وبوسـتوميا، وأمانتيا بين برينيرو وريزيا.

ثم، في أوائل يوليو، توليت قيادة فيلق أوديني، بعد فترة من الصراعات بين السلطات المختلفة، وهي صراعات انتهت بتسوية لصالحي.

رئيس الأركان العامة للجيش، الجنرال بونزاني، رجل مسـتقيم جدًا، كان يعتقد بحسـن نية أن فترة قيادة فيلق إقليمي، ربما في صـقلية، التي كانت تعتبر للأسـف منطقة خارج الحدود تقريبًا وواجبًا شرفيًا، ستكون أكثر ملاءمة لي. لكن إصراري على طلب أن أُختبر وأُقيّم في مواقف صعبة قد قوبل في النهاية بالقبول.

كان فيلق أوديني، في تلك الفترة، الأهم، سـواء من حيث الامتداد الإقليمي، أو من حيث عدد الوحدات التي كانت جزءًا منه. وقد شـملت الخط الحدودي بأكمله الذي امتد من تشـيما فانسكورو (بيافي العليا) حتى مونتي غروسو (الحدود مع مونتي نيفوسو)، حيث بدأت ولاية فيلق تريسـتي. كانت تتكون من سـت فرق؛ وبالتالي، كانت ميدان عمل ممتازًا، انغمسـت فيه بكل حماسي والتزامي كشخص، لأول مرة بعد نهاية الحرب الكبرى، يواجه الفيلق مشاكل الدفاع عن الحدود التي قاتلتُ في جزء كبير منها بالفعل.

لم تكن الأوقات هادئة لعلاقاتنا مع يوغوسـلافيا؛ لذلك كان العمل على تنظيم الدفاع عن المواقع الحدودية مزدهرًا، وهو عمل كرست نفسي له بكل حماس.

في نفس الفترة، في قطاع تارفيسيو، تم تعبئة فرقنا لـ "انشلوس" (Anschluss)، والذي تم بشكل مثالي وحظي بإشـادة السـلطات المركزية. بقيت في قيادة فيلق أوديني لبضـعة أشـهر فقط، من يوليو 1934 إلى فبراير 1935، عشتها بشغفي المعتاد.

من روما، كنت بالطبع تحت مراقبة وملاحظة دقيقة للغاية من قبل هيئة الأركان العامة. في أحد الأيام، في أواخر شـهر نوفمبر، اسـتدعاني المارشـال بادوليو، رئيس هيئة الأركان العامة، ورئيس

أركان الجيش، الجنرال بونزاني، إلى غوريزيا لفحص القضـــايا الرئيســـية المتعلقة بالحدود. في الحقيقة، كان الأمر يدور حولي، حيث تعرضت لاستجواب مكثف، وفي نقاشه قدمت دليلاً كافيًا على إلمامي بمهمتي، وحظيت بموافقة المارشال بادوليو الكاملة.

بعد أيام قليلة من هذا الفحص، اجتمعت في روما اللجنة العليا للترقيات، المكونة من الجنرال بونزاني، رئيس هيئة أركان الجيش، رئيسًـــا؛ والجنرالات المعينين للجيش آغو، بيريوس، أمانتيا، غراتسيولي، وجميعهم معروفون بتفوقهم المهني.

في جلســة 4 ديســمبر 1934، تم فحصــي، بشــكل مقارن، مع ثلاثين جنرالًا آخرين. كان حكم اللجنة الإيجابي عليّ بالإجماع بخمســة "نعم". وفي الترتيب العام، جئت في المرتبة الأولى، مع تبرير يدعو إلى الفخر، حتى اليوم، على الرغم من الاقتطاعات المشوهة.

"على الرغم من قيادته لوحدة حضــرية كبيرة منذ وقت قصــير، إلا أنني أعتبره مؤهلاً تمامًا لقيادة جيش في الحرب، لسـرعة بديهته، ونظرته الواسـعة والواقعية للأمور، وشـغفه بالمبادرة، وروية وثبات قراراته، والمكانة والســلطة التي يســتمدها من المهام الســامية التي أداها ببراعة في المستعمرة."

في اجتماع اللجنة العليا للترقيات للعام التالي 1935، الذي عقد في سـبتمبر، عندما كنت منخرطًا بالفعل لمدة سبعة أشهر في الصومال، تم تأكيد الحكم والترتيب بالإجماع.

لقد تم الفوز بهذا الاختبار الأسـمى أيضًـا، على الرغم من التكهنات السـلبية لمشـوهي سـمعتي. ومع ذلك، لم تتوقف الأعمال العدائية، أبدًا، حتى الهزيمة التي ألقاني فيها "بلوتارخ" بسـبب أخطائه في عدم الاسـتعداد، لم تسـمح له بالقول، بآلاف الطرق، إنه كان محقًا تمامًا في اعتباري غير كفؤ وغير قادر. الأول من بينهم الجنرال آغو في محاكمة بايســتروكي، يليه النجوم الأقل من الكوكبة، مثل الرقيب الكبير ماريو كاراشــولو دي فيروليتو، والجنرال زانوســي المثقف للغاية، وهكذا دواليك.

كان يبدو أن نشاطي المهني سيستمر في الوطن الأم. ولكن، على العكس من ذلك، أعادني التعيين المفاجئ في الصومال، كحاكم وقائد لتلك القوة الاستكشافية للحرب الإثيوبية، في فبراير 1935، إلى طريق أفريقيا، وهو طريق كنت أعتبره الآن مغلقًا أمامي.

4. من أجل غزو إمبراطورية

في صـــيف عـام 1934، جرت مناورات كبيرة في جبال الأبينيني التوســـكانية-الإميليانية، والتي حضرتها كمتفرج، إلى جانب جميع المراتب العسـكرية والسـياسـية العليا الأخرى، بمشـاركة أمير بيدمونت وموسوليني.

كان ذلك عام خطاب ما يسمى بـ"الدبابة"، الذي سبق الحرب في إثيوبيا. كنت غارقًا في مشاكل الحدود، ووصلتني مرارًا وتكرارًا شائعات تتعلق بالاستعدادات الجارية لتلك الحملة.

سابقًا، لم أكن أعلم أبدًا بنوايا موسوليني تجاه إثيوبيا منه مباشرة. في عام 1932، عندما كنت في روما، أخبرني إيتالو بالبو، الذي كان عائدًا للتو من جلســـة اللجنة العليا للدفاع، بحماس مزاجه الشباب المفرط، أن الحملة الإثيوبية قد نوقشت في ذلك اليوم، مضيفًا أنني وهو سنكون جزءًا لا يتجزأ منها في مهام القيادة.

لم آخذ الأمر على محمل الجد؛ وبقي الأمر عند هذا الحد، عندما أخبرني المشـير بادوليو، في المناورات الكبرى لذلك العام في قطاع غوبيو-بيروجيا، والذي كان يود أن يراني بعيدًا عن ليبيا، أنه اقترحني على موســوليني لتولي حكم إريتريا، "حتى يبدأ غراتسـياني في إعداد الأرض هناك". لم يوضـح أفكاره أكثر. بعد المناورات، في روما، أطلعت إميليو دي بونو، الذي كان آنذاك وزير المستعمرات، على الأمر؛ فانطلق يوبخني: "آه لا، يا عزيزي، في هذه الحالة سأذهب أنا إلى هناك!"

كنا في صيف عام 1932؛ ولم أسمع بعد ذلك عن الأمر حتى مناورات "الروابي الثلاث".

وصلني خبر تعييني في الصومال في أوديني في 20 فبراير 1933، وقد أثار دهشتي كثيرًا، لأنني كنت أعلم أنه في خطط التعبئة لـ"حالة الحبشة"، كنت معينًا لقيادة فيلق الجيش الإريتري الذي كان من المفترض أن يتشكل في أسمرة.

أخبرني رئيس الأركان العامة أن الاقتراح جاء منه. لم أكن ســعيدًا على الإطلاق، لأن المهمة التي جاءت من الصــومال كانت ذات طابع دفاعي بحت؛ وهو ما يعادل وضــعي منذ البداية في وضــع سكون حربي على شواطئ المحيط الهندي.

"الآن،" قال لي بادوليو، "دي بونو موجود هناك، لكنه سـيأتي في الوقت المناسـب من يجب أن يأتي." وكان يشير بالطبع إلى نفسه.

في 22 فبراير، صـعدت على متن السـفينة "فولكانيا" في نابولي، برفقة قيادة فرقة "بيلوريتانا" وبقوة كبيرة من القوات.

بعد اثنين وعشرين عاماً من تركي لإريتريا في ظروف صحية سيئة للغاية، أعادني القدر إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي، حيث كنت، وأنا ضـابط شـاب برتبة ملازم ثانٍ، قد أبحر لأول مرة، وكانت أفريقيا هي التي ما زالت تأسرني في شباكها.

بالعودة اليوم إلى تلك الأحداث، من المشـروع أن أسـأل نفسـي لماذا أراد رئيس الأركان العامة أن يسـند إلي مهمة ذات طابع دفاعي بحت: بناء معسـكر محصـن ضـخم حول مقديشـو، بهدف الاستمرار في الاحتفاظ بهذه القاعدة الرئيسية في الصومال بأي ثمن.

يُسـتنتج من ذلك أن خسـارة جميع المناطق الداخلية للصـومال كانت متوقعة، والتي لم يكن الجسـم الضـئيل المحلي للقوات الاسـتعمارية كافيًا للاحتفاظ بها في مواجهة هجوم العدو القوي الذي كان يهدد الصومال من أديس أبابا.

لمثل هذه المهمة، هل كان من الضـروري التضـحية بالمسـاهمة التي كان يمكنني تقديمها للجبهة الشـمالية؟ لقد نسـي التأثير الكبير الذي كنت أتمتع به بين الجنود الإريتريين، الذين قاتلوا لسـنوات عديدة تحت قيادتي في ليبيا. لكان عمل الجنرال جوزيبي بافوني، قائد "بيلوريتانا"، وهي الوحدة الحضـرية الوحيدة التي أرسـلت إلى الصـومال خصـيصًا لحماية المعسـكر المحصـن في مقديشـو، أكثر من كافٍ لإدارة بناء معسـكر محصـن. أما بالنسـبة لحكم المسـتعمرة، فقد كان موريتسـيو رافا، الذي كان موجودًا هناك لعدة سـنوات، يمتلك جميع المؤهلات، خاصـة وأن حادثة وال-وال قد أثبتت طاقته وبصيرته التي أفادته أيضًا.

من الواضح أن تعييني هناك لم يكن يرجع إلى ضـرورات عسـكرية-سـياسـية، بل كان يمثل نية واضحة من جانب هيئة الأركان العامة لدفعي إلى موقع ثانوي، محلى بسلطات حكم الولاية، التي منحت لي لإبعادي عن العمل الرئيسي حيث كان من المرجح أن أتفوق فيه.

في مواجهة ذلك، على حسـابي وتشـويه سـمعتي، جاء خيبة أمل الشـعب الذي كان يتوقع مني الكثير، متجاهلاً أسـباب خمول عملي وعدم نشـاطي الهجومي المحتمل، والذي كان سـينتهي بتحميلي أخطاء فشل الحملة، إذا لم يكن هناك تعاون نشط من الجنوب.

بعد دراسة متعمقة للمشكلة في الموقع، اقتنعت بأن العمل الهجومي من الجنوب ليس ممكنًا فحسب، بل ضروريًا لإنهاء الحملة بسرعة ونهائية. لذلك، وجهت الدراسات والإعدادات لتحقيق هذا الهدف.

بفعلي ذلك، كنت أعلم أنني أسير عكس التيار سواء في روما، حيث كانت هيئة الأركان العامة تقاوم بشدة اتباعي في هذا الاتجاه، أو، بدرجة أقل، في أسمرة، حيث كانت القيادة العليا تتسامح بصعوبة مع احتمال تقسيم الموارد على حسابها.

إن القيام بعملية هجومية من الجنوب، باتجاه هرار الرئيسي، على بعد حوالي 1300 كيلومتر من ساحل المحيط الهندي، والذي يتطلب عبور منطقة خالية تمامًا من أي موارد محلية عبر الأدغال الصومالية القاحلة، لم يكن حتى من الممكن تصوره بدون معدات نقل كافية وقوية للرجال والمعدات.

بما أنني كنت سأطلبها عبثًا من روما، كان عليّ توفيرها مباشرة. بعد الحصول على موافقة محددة من رئيس الحكومة في هذا الشأن، مستخدمًا المبالغ التي وضعت تحت تصرفي لنفقات الحرب من وزارة المستعمرات، ودون طلب أي شيء من هيئة الأركان العامة، قمت بالشراء مباشرة من أمريكا، لمركبات النقل ومعدات كاتربيلر ديزل، بقوة 50 و 75 و 100 حصان، للقطارات اللوجستية التي ترافق القوات.

بالنسبة لجميع المستعمرين الصوماليين القدامى وبعض التقنيين من مكاتب الموانئ المحلية، بدا من الجنون التفكير في إمكانية إنزال مثل هذه المعدات الثقيلة في مرافئ كيسمايو وبرافو وميركا ومقديشو نفسها، بسبب الصعوبات التي تفرضها الرياح الموسمية. لكن إرادة النجاح بأي ثمن انتصرت على كل اعتراض مسبق. وصلت المعدات، التي تم تحميلها في أمريكا على سفن بخارية مجهزة ومستأجرة خصيصًا، بانتظام دقيق، وتم إنزالها على الأرض وتحريكها على الفور.

وبنفس روح المبادرة، تم توفير الوقود وجميع المواد الأخرى من الهند، ومن جنوب أفريقيا، وحتى من اليابان نفسها. وهكذا، تمكن الجيش الجنوبي الصغير من الانطلاق في هجوم وتحقيق تلك النتائج التي ساهمت كثيرًا في "الانتصار الكامل" في الوقت المناسب.

بعد توفير الدعم اللوجستي بهذه الطريقة للتغلب على مسافات شاسعة تمتد لمئات ومئات الكيلومترات من القواعد، تمكنت القوات بالفعل، بفضل قطارات كاتربيلر اللوجستية، من تنفيذ المناورة في المجال الاستراتيجي والتكتيكي، أولاً صعودًا إلى جوبا ودوا بارما لصد جيش رأس ديستا الذي كان يتقدم بتهور نحو مقديشو؛ ثم احتلال نيغيللي، في إقليم غالا سيدامو، محققًا بذلك اختراقًا عميقًا بحوالي أربعمائة كيلومتر. ظهرنا على طريق أديس أبابا من الجنوب، وهو تهديد محتمل من ذلك الجانب، كان له تأثير مدمر بشكل خاص على الروح القتالية للجيوش

الحبشية في الشمال. لقد تم اختراق نيغيللي، التي كانت تسمى "بوابة أديس أبابا". واعترف القادة الكبار، بعد انتهاء الحملة، بقيمة وأهمية هذا الاختراق بالكامل.

ماذا عنت نيغيللي للإيطاليين، في تلك اللحظة من توقف العمليات على جبهة إثيوبيا الشمالية، يمكن للإيطاليين أنفسهم تذكرها أفضل مني أنا البعيد (الذي وصلتني أصداؤها)، فهم أقل "نسيانًا" مما يقال.

أما مدى تأثير التقدم نحو نيغللي في دفع القيادة الشمالية إلى الأمام، فهو عامل نفسي يفلت من بحثي الاستعادي، ولا أحد يستطيع أن يقول كلمة صادقة في هذا الشأن أفضل من ذلك القائد. الحقيقة الإيجابية هي أن المشير بادوليو شن الهجوم في اليوم التالي لاحتلال نيغللي. بعد احتلال هذا الموقع، عادت جميع تنظيمات النقل الذاتي إلى قاعدة مقديشو، لاستئناف الزحف نحو هرار التي كانت الهدف الرئيسي لجيش الجنوب والتي تم الوصول إليها بتزامن تام مع وصول قوات الشمال إلى أديس أبابا. وقد تم احتلال هذه الأخيرة في 5 مايو، بينما احتلت قوات الجنوب هرار في 8 مايو ومدينة ديري داوا، على خط سكة حديد أديس أبابا-جيبوتي، في 9 مايو.

ليس من قبيل الصدفة أن موسوليني انتظر حتى اليوم التاسع لإعلان نهاية الحملة، لأن الاستيلاء على السكة الحديدية وحده كان يعني تصفية قوات النجوس.

لقد عارض المشير بادوليو مفهومي "الهجوم من الجنوب" بكل الطرق، لكنه لم يتمكن من منعه، لأنني قمت بتوفير الوسائل بنفسي. ولم يفتقر إلى تلك التي كان يتلقاها باستمرار من روما. بل إن بادوليو، في لحظة معينة، تركني لنفسي. ثم، عندما بدأ الزحف من ديسي إلى أديس أبابا، تذكرني وبنداءات يائسة طالبني بالإسراع نحو هرار-ديري داوا. لم أبق صامتًا أمام هذه النداءات. "تقدم يا غراتسياني، أيها الرفيق القديم في السلاح، حان وقت المغامرة بكل شيء": هكذا كان يطالبني؛ ولقد استجبت لندائه ووصلت إلى ديري داوا بقواتي قبل وصول قواته التي أرسلها من أديس أبابا بالقطار: كتيبة واحدة فقط، عند وصولها إلى المحطة، قامت قوات الجنوب بتقديم التحية العسكرية.

سيأتي يوم، خلال حملة 1940-1941 في شمال أفريقيا، سأطلب فيه مساعدته بنفس القدر من اليأس؛ وسنرى كيف سيرد.

هكذا عبّر القائدان الأعلى عني، بعد الحملة. هنا يكتب دي بونو في 31 مارس 1936: "كان من المفترض أن يتولى الجنرال غراتسياني، وفقًا للاتفاقات الأولية مع رئيس الحكومة، قيادة الفيلق المحلي في إريتريا.

"أدت الظروف التي نشأت إلى ملاءمة إسناد قيادة قوات الصومال (التي كان من المفترض أن تبلغ عددًا كبيرًا) إليه، جنبًا إلى جنب مع حكم تلك المستعمرة. وكانت هذه حظًا له ولإيطاليا."

"لقد اضــطررت إلى إعطاء تعليمات قليلة جدًا لذلك الجنرال الرائع والعســكري الاســتعماري الذي يمكنه تعليم الجميع. لقد قدمت الكثير من التقارير الاستخباراتية عن الجنرال غراتسياني، ولا أعرف ما الذي يمكنني تكراره عند الحديث عن صــفاته الفائقة. لقد دعمته في كل مناســبة وازددت قناعة بأنه عندما يكون لديك حظ وجود رجال من هذا العيار تحت قيادتك، يجب أن تترك لهم كل المبادرة."

"الادعاء بتوجيهه، أو الأســوأ من ذلك، التحكم فيه بقيود، يعني فقط عدم معرفة كيفية الاســتفادة من هذه القيمة وتخريب عملها. الآن، يمكن للتاريخ فقط، التاريخ بحرفه الكبير، أن يصدر حكمه على رودولفو غراتسياني."

الآن يكتب بادوليو في 21 مايو التالي: "لقد أدى ســعادة مارشــال إيطاليا رودولفو غراتســياني المهمة الموكلة إليه ببراعة، وقاد قواته إلى النصر بيد ثابتة ونشطة.

"كانت مناورة قناة بوريا مصــممة جيدًا وتم تنفيذها بحدس صــحيح للوضــع وباندفاع وطاقة مثيرين للإعجاب. وينطبق الشيء نفســه على مناورة أوغادين، حيث انتصرت الترتيبات الحكيمة التي اتخذت وشجاعة القادة والقوات على المقاومة الشرسة التي أبدتها القوات الحبشية.

"لقد كافأ ســعادة رئيس الحكومة الجنرال غراتســياني حينها بترقيته إلى رتبة مارشــال إيطاليا، مظهرًا بذلك تقديره الكامل للعمل الذي قام به.

"عصبية مفرطة، واضطراب مستمر مشكك في أن عمله الخاص لا يتم تقديره بشكل مناسب ولا يتم الإشــادة به بشــكل كافٍ، تجعل العلاقات مع المارشــال غراتســياني ليســت ســهلة وهادئة دائمًا. ولكن بغض النظر عن هذا العيب، فهو قائد محب للمســؤولية، نشــيط، وثابت، ذو تأثير كبير، ويمكن أن يوكل إليه مهام ذات أهمية قصــوى، ومتأكد أنه، وإن كان مع بعض الاحتكاك في الأعلى والأسفل، سيعرف دائمًا كيف يؤديها بكرامة."

من المهم تحديد تاريخ التقرير فورًا: آخر يوم من إقامة المارشال في أديس أبابا، حيث سارع، بعد خمســة عشــر يومًا فقط من الاحتلال، إلى العودة إلى إيطاليا، تاركًا على عاتقي عبء مســؤولية هائلة.

بعد خمسة عشر عامًا، يمكن القول إنه عبر عن نفسه بتقدير كبير تجاهي؛ يدرك، بطريقة ما، أنه يتعامل مع رجل يعاني من هواجس. ويحدث هذا في الوقت الذي، دون طلب مني أو تحريض، يقترحني للوظائف العليا كحاكم عام وقائد أعلى، بلقب نائب الملك لإثيوبيا، التي احتلت للتو.

في 7 مايو 1936، كانت قوات الجبهة الجنوبية، القادمة من المحيط الهندي، على وشك مواصلة زحفها من جيجيغا باتجاه هرار-ديري داوا، للوصول إلى خط سكة حديد أديس أبابا-جيبوتي، وبذلك تقطع طريق الانسحاب في الصومال الفرنسية على الجيوش الحبشية المنهزمة.

لقد أصدرت بالفعل جميع الأوامر ذات الصلة، وكنت أستعد لمتابعة التحرك شخصيًا في فترة ما بعد الظهر. منذ الصباح، كنت قد أعلنت أنني قبل المغادرة سأزور الكنيسة القبطية، التي قيل من إذاعة أديس أبابا الحبشية أنها تعرضت للقصف الجوي الوحشي من قِبَلنا.

الكنيسة، المبنية على الطراز الكلاسيكي للكاتدرائيات القبطية، دائرية الشكل، ومبنية بالكامل من الحجارة، كانت على العكس تمامًا سليمة في أروقتها الدائرية المتراكزة الثلاثة، التي تحيط بـ "التابوت" (السر المقدس). دخلت من أحد البابين الأماميين، نزلت بضع درجات للوصول إلى الأرضية. فورًا بعد ذلك، مع الخطوات الأولى، شعرت وكأنني أضع قدمًا خاطئة، كما يحدث عند نزول السلالم. عندما استعدت وعيي المفقود، وجدت نفسي في قاع بئر، والذي قدر عمقه لاحقًا بحوالي ستة أمتار.

شعرت بمادة ناعمة ولزجة تحت قدمي. تشبثت يداي غريزيًا بشيء كان عمودًا مغروسًا في المنتصف. صعدت عليه، فكسبت بذلك مساحة نحو الأعلى حيث كان طولي الفارع يقربني بشكل كبير، لكنني شعرت بأنني أقف على وسيلة غير مستقرة، وأنه لو تركت نفسي مرة أخرى لما امتلكت القوة لأسحب نفسي مرة أخرى بسبب الآلام الفظيعة التي كنت أشعر بها في جميع أنحاء جسدي.

لأصعد الأربعة أمتار تقريبًا وأصل إلى الفتحة العلوية، أعتقد أنني عملت مثل منظفي المداخن، متسلقًا بشدة باستخدام المرفقين والكتفين والركبتين على طول الجدران. في أقصى قواي، تمكنت من الإمساك بيد الكابتن بوركلر، ضابط الأوامر الخاص بي، الذي كان ممددًا على الأرض، يمدها لي. وعدت لأرى النور.

لقد أصبت بعدد لا أعلمه من الكدمات، في قاعدة الجبهة مع اشتباه بكسر، وفي الركبة اليمنى مع فقدان كبير للأنسجة، وفي الذراع واليد اليمنى مع خلع.

لقد اضطررت للتخلي عن مرافقة القوات؛ وتطلب الشفاء عدة أيام من الثبات المطلق.

لعدم خلق أساطير لا داعي لها، أغفلت إبلاغ القيادة العليا بالحادثة. ولكن في الخامس عشر من الشهر، على ما أذكر، وصلني برقية تدعوني للمشاركة في استعراض القوات المهيب في أديس أبابا، والذي كان القائد الأعلى سيجريه احتفالًا بالنصر.

أجبت بأنني لا أستطيع التحرك لأسباب خدمية خطيرة؛ ولكن بعد بضعة أيام دعتني برقية أخرى للتشاور بشأن مشاكل مهمة، واضطررت لتوضيح الأسباب التي تمنعني. عندها أبلغني القائد الأعلى بالسبب الحقيقي الذي دعاني من أجله: ليحل محله في مهامه، حيث كان عليه أن يسافر مؤقتًا إلى إيطاليا.

في 21 مايو، انتقلت بالطائرة إلى أديس أبابا، حيث وصلت وأنا أعرج، وذراعي الأيسر معلق في وشاح حول عنقي، ويدي اليمنى لا تزال منتفخة، وجبهتي وأنفي ما زالا مصابين بكدمات. في المطار، وجدت ماريو بادوليو وحده، ابن المارشال، الذي قادني إلى مقر القيادة، الذي كان لا يزال مخيمًا داخل سور "فيلا إيطاليا" التي كانت في السابق مقر إقامة وزيرنا.

في تلك اللحظة، كان موعد الغداء، وعند مدخل الخيمة الكبيرة التقيت بالقائد الأعلى ومرافقيه. تلقيت منه عناقًا أخويًا وتهنئة بالوصول.

ظهر المارشال بيترو بادوليو أمامي في كامل قوته؛ كان يعتريه نشوة الانتصار الذي لم يستطع إخفاءه، كان يدخن سيجارته التي لا غنى عنها؛ باختصار، في نظري، كان في حالة أفضل بكثير مني، أنا الذي وصلت مرهقًا ومتعبًا ومصابًا بالكدمات.

بعد الغداء، توجهت فورًا لزيارة رسمية للقائد الأعلى. أراد مني أن أروي له تفاصيل الهجوم في جيجيغا، النقطة الدقيقة حيث أخفى الكهنة، أو غيرهم، الفخ ببساط لكي أسقط فيه، وعندما علم بالطريقة البهلوانية العجيبة التي نهضت بها من القاع، سألني مازحًا: "لماذا لم تنتظر حتى يرموا لك حبلًا؟" وأجبت: "لأنه ربما كان حبل المشنقة، مع الوقت الذي كان سيستغرقه البحث عنه وإحضاره إلى المكان!"...

ثم قال لي: "سأغادر، الآن تحت ستار إجازة قصيرة؛ لكن الحقيقة هي أنني لن أعود. هذا الارتفاع يخنقني ولا أستطيع التنفس فيه. هل تريد أن تعرف ماذا أبرقت إلى رئيس الحكومة؟: 'لقد أعطيتك كل ما لدي، حتى الاستنزاف، ولكن الآن، حررني، لأنني لم أعد أحتمل.'"

أخيراً، اختتم المارشال حديثه قائلاً: "سأقترحك على رئيس الحكومة لمنصب نائب الملك، والحاكم العام، والقائد الأعلى للقوات."

وبما أنني لم أظهر أي حماس خاص لهذا الخبر، بل اعترضت بتحفظات، فقد خاطبني بطريقة آمرة: "أنت أصغر مني بعشر سنوات! سيتعين عليك البقاء هنا لمدة عامين آخرين، وهما الأصعب. ثم ستستقر الأمور." كل شيء مخطط له جيدًا!

"أما بالنسبة للوضع،" أضاف لاحقًا، "فالمشكلة هي إيصال أكبر عدد ممكن من الكتائب إلى العاصمة."

اعترضتُ قائلاً: "يوجد حولها عشرات الآلاف من المسلحين الحبشيين، وسيكفي أن يجدوا قائداً جسوراً ليوقعونا في ورطة حقيقية."

أجاب: "ستتمكن من التغلب على كل شيء، لأنك معتاد على المواقف الصعبة."

وهكذا انتهت المحادثة التي حمّل فيها المارشال (كما فعل من قبل في برقة) على عاتقي العبء الهائل لتوطيد وضع نشأ هذه المرة بفضل ظروف مواتية بشكل استثنائي، لم تؤدي بالتأكيد إلى تدمير الجيوش الحبشية، التي تشتت عناصرها فقط مع مرور أعمدتنا السريعة، لكنهم بقوا مسلحين.

في صباح يوم 22 مايو، ذهبت إلى "فيلا إيطاليا" لمرافقة المارشال إلى المطار. كان في أتم صحته ومشرق الوجه. أثناء الطريق، لا أعرف لماذا، تحول الحديث إلى وكيل وزارة الحرب، الجنرال فيديريكو بايستروكي.

"بايستروكي،" قال لي، "حاول خلال الحملة أن يشنقني، لكنه سيدفع الثمن. لأنك ترى يا غراتسياني،" تابع بنبرة تهديدية، «أنا أخنق أعدائي ببطء، هكذا، بالقفاز المخملي.» وشد قبضته الضخمة، وكأنه ينذرني!

ثم، في المطار، صعد إلى الطائرة بخفة ملازم ثانٍ. وإلى جانبه، غادر أديس أبابا، الضيف غير المرحب به، الزعيم جوزيبي بوتاي، أول حاكم للمدينة، الذي غادر دون أن يبلغني حتى، ودون أن يخبرني المارشال شيئًا عن ذلك. كان كلاهما يتجهان بشوق نحو الانتصار المنشود في روما، تاركيني وحدي تحت وطأة تلك «المسؤولية» التي أحببتها كثيرًا، كما حرص المارشال على إدراجها في التقرير المكتوب في الليلة السابقة.

استمرت فترة مهامه كنائب للملك خمسة عشر يومًا لا أكثر. طلب المارشال بادوليو أن يُمنح لقب دوق أديس أبابا، وهو لقب (أخبرني موسوليني في الشمال) لم يرغب الملك إطلاقًا في منحه إياه. لقد اختار شعار قيصر: «جئت، رأيت، غزوت»، الذي لم يقبله الملك؛ وتم تغييره وتعديله إلى شعار آخر أقل غطرسة وأكثر تواضعًا: «جئت كالصقر». صقر نعم. نسر لا.

لقد منحت الحكومة الفاشية له الكثير من التنازلات، وفي المقابل قبل العضوية الفخرية للحزب، التي سلمت له بضجة كبيرة في قصر فيدوني.

في هذه الأثناء، كنت أقلب الركام الكارثي الذي تركه لي، ولن تكون هذه المرة الأخيرة!...

5. نائب الملك في إثيوبيا

عند وصولي إلى أديس أبابا، كانت الأمطار الغزيرة قد بدأت. في إثيوبيا، تبدأ الأمطار بلا هوادة في نهاية مايو، وتنتهي بدقة مماثلة في أواخر سبتمبر.

خلال تلك الأشـهر الأربعة، لم يكن من الممكن تحريك أي فرق عسـكرية عاملة لأن فيضـانات الأنهار والطين وما يترتب على ذلك من غرق الطرق، كان يمنع أي مبادرة، وخاصة القيام بعمليات عسـكرية كبيرة. الطرق القليلة الموجودة آنذاك، التي كانت تربط المراكز اللوجسـتية، أثبتت أنها غير سالكة. وحتى ما يسمى بالطريق الإمبراطوري النجوسي (النجاشي)، الذي يربط أديس أبابا بـ ديسي-مكالي-سينافي على الحدود الإريترية، لم يكن سوى شريان مرسوم بالكاد، بدون رصف، كوان سيمنع بلا هوادة تدفق القوات والإمدادات من القواعد الإريترية البعيدة.

وبالمثل، كان من المستحيل القيام بحملة لاحتلال الأراضي الغربية، وهي الأغنى والأهم بالنسبة لنا، أي "بني شـنقول"، المنطقة الوحيدة التي كان يُجمع فيها ذهب الأنهار والمناجم؛ وجيما مع مناجم البلاتين في لوبدو؛ ومناطق البحيرات الكبرى، حيث كنا متوقفين عند نيجلي.

كان احتلالنا العسكري عبارة عن حبل سري ينطلق من أسمرة ويمر عبر مكالي وديسي، ويصل إلى أديس أبابا، ومن هناك، عبر دير داوا-هرار-جيجيغا، ينتهي في مقديشـو. في إقليم أمهرة، توقفنا في جوندر.

في اليوم التالي لتولي قيادتي، أمرت بإجراء اسـتطلاع دقيق للقوات الموجودة في أديس أبابا، والأسـلحة، والذخائر، والإمدادات. كانت النتيجة كارثية. من بين 25,000 رجل كانوا يشـكلون «العمود الحديدي الإرادة» الشـهير عند المغادرة، لم يصل إلى أديس أبابا سوى 9934 جنديًا و 426 ضابطًا. كانت الذخيرة شحيحة للغاية: حوالي مائة طلقة لكل بندقية؛ ومثلها تقريبًا للمدافع القليلة، معظمها من عيار صـغير. أيام قليلة من المؤن؛ لا توجد طائرات لأن قافلة الإمدادات الجوية، التي كانت في طريقها من الشـمال إلى أديس أبابا، دمرت في منطقة دبرا برهان. لا يوجد بنزين للطائرات، وقليل جدًا للنقل العادي للإمدادات، داخل الساحة. اللواءان المحليان «غالينا»

و «تراكيا»، فقدا ثلثي قواتهما، وأصبحا غير قادرين على الحركة. في نشوة النجاح، كانت الوحدات التي وصلت إلى العاصمة، دون وعي، تتراخى في أماكن إقامتها.

غابة الكينا، التي تقع أديس أبابا داخلها، تمتد على محيط تسعة وثلاثين كيلومترًا، تهيمن عليها سلسلة التلال التي تتوسطها منطقة إنتوتو؛ ومن يعسكر في المدينة دون القلق بشأن حراستها يمكن اعتباره محاصرًا في فخ. على هذه التلال لم تكن هناك أي تدابير أمن أو مراقبة، حتى الحد الأدنى. هذه، بعد سبعة عشر يومًا من احتلال العاصمة، كانت هي الوضع الذي ورثته من مارشال إيطاليا بيترو بادوليو.

في المقابل، كان يُقدر وجود أكثر من مائة ألف مقاتل حبشي مسلح في نطاق لا يزيد عن مائة كيلومتر، وهي قوة حربية كان بإمكان القادة الذين بقوا مختبئين استغلالها لسحقنا كالفئران في الغابة. في الواقع، حاولوا ذلك لاحقًا؛ لكننا، بعد أن تعززنا بالفعل، كنا في وضع يمكننا من صد الهجوم على عاصمة الإمبراطورية الجديدة.

بعد وصوله إلى أديس أبابا في هذه الظروف من عدم الكفاءة، لم يستطع المارشال بادوليو مقاومة إغراء الاستجابة لضغوط روما، التي كانت تدعو إلى الزحف فورًا نحو الغرب. وكان لديه الجرأة ليأمر الجنرال تراكيا بالتحرك بفرقته المتهالكة نحو أمبو-ليخميتي وما بعدها.

الجنرال تراكيا، الذي كان مخضرمًا في الحياة والحرب الاستعمارية لسنوات عديدة، رفض التحرك، متجنبًا بذلك فشلًا مؤكدًا، وسقط الأمر بينما لم يتوسع الاحتلال نحو الغرب أبعد من أوليتا، على بعد بضعة كيلومترات من أديس أبابا.

من مجموعة وثائق مجلس الوزراء التي تركها ماريو بادوليو، نجل المارشال، بإهمال في خزانة، والتي وقعت في يدي، اتضح أنه بصفته رئيسًا لمجلس الوزراء، كان قد أرسل برقية إلى وزير خارجيته تفيد بأن القوات كانت بالفعل في طريقها في ذلك الاتجاه. كذبة وقحة! في برقية أخرى موقعة باسمه، أرسل المارشال نفسه، عند مغادرته العاصمة الإثيوبية، تقريرًا متفائلًا إلى رئيس الحكومة حول الوضع السياسي والعسكري. وهكذا انتشر في روما اليقين بوجود وضع مغاير تمامًا للحقيقة. وكان عليّ المهمة غير السارة والضرورية لتصحيح هذه الأكاذيب البهيجة، أيضًا لحماية مسؤولياتي.

نتجت عن ذلك خلافات فورية بين وزير أفريقيا وبيني، حيث كنت أحكم على الأمور شخصيًا من وجهة نظر صحيحة، بينما كانت الأخبار الواردة من بادوليو تصل إلى الوزارة. لم يكن من دون سبب أن المارشال، في التقرير الذي أعده في 21 مايو، توقع "الصدمات من الأعلى والأسفل" التي كان عليّ أن أواجهها، مدفوعًا بالوضع. كان من الأفضل له، بطبيعة الحال، أن يوضح أن هذه الصدمات كانت نتيجة لطبيعتي المهووسة.

كان مفتاح الخلاف هو ضـرورة توسـيع احتلالنا للأراضـي الغربية دون تأخير. كنت أنا أول من أدرك هذه الضرورة الملحة، وأصر موسوليني عليها لاعتبارات ذات طابع دولي.

الاسـتحالة المادية نصحتني بتحديد ما يجب فعله في خمس نقاط، وهي: «وقف كل حركة حتى نهاية الأمطار؛ وتعزيز احتلال العاصـمة في هذه الأثناء؛ وإعادة الرجال والمعدات إليها بجميع الوسـائل؛ وتحسـين الوضـع السـياسـي العام؛ وأخيراً، عند انتهاء الأمطار، اسـتئناف العمليات بأقصى كثافة وسرعة وإنجازها في كل الاتجاهات».

بعد أن اسـتسـلم رئيس الحكومة لأدلة حججي، وافق في النهاية على هذا البرنامج، وهو ما يعني إنكارًا ضمنيًا للمارشال بادوليو وخيبة أمله.

وفي أواخر مايو، بدأت الأمطار الغزيرة، بدقة ثبتت فعاليتها على مر آلاف السنين.

من لا يعرف إثيوبيا لا يسـتطيع أن يتخيل بأي عنف متواصـل وثابت تحدث هذه الظاهرة. حتى الحياة البدائية للسكان تصبح شبه مشلولة. إنها الفترة التي يفكر فيها الناس أكثر في التآمر على التمردات، وإعداد المؤامرات السياسية، وإنجاب الأطفال.

في ذلك العام، تسببت الأمطار، التي سقطت بعنف أكبر من المعتاد، في توقف تحركات القوات. الجزء الأكبر من العمود الشهير "ذو الإرادة الحديدية"، والذي، كما ذكرت سابقًا، لم يصل منه إلى أديس أبابا سـوى حوالي تسـعة آلاف رجل، ظلوا عالقين في ديسـي، تحت قيادة الجنرال تيسيتوري. كما أن تدفق الإمدادات من الشمال أصبح مستحيلًا بسبب سوء الأحوال الجوية.

منذ الأيام الأولى لاحتلال أديس أبابا، بدأت حرب العصابات في المؤخرة. انتشـر التمرد في جميع أنحاء شوا، مما منع حتى القوافل من نقل الضروريات الأساسية لحياة المدينة.

تعرضـت وسـائل النقل بالسـكك الحديدية إلى جيبوتي للتهديد على الفور، وأصـبحت شـاقة للغاية بسـبب الهجمات المستمرة على القطارات. باختصـار، كانت أديس أبابا محاصـرة ومعزولة في جميع الاتجاهات. عندئذٍ كشفت الجبهة الجنوبية عن دورها الحاسم في احتواء الوضع الحرج الأولي. في الواقع، في مايو، كانت الأمطار تهطل في المنطقة الشـمالية، لكنها توقفت في الصـومال، حيث كانت قد شكلت عقبة هائلة أثناء التقدم نحو هرار، تم التغلب عليها بفضل الإرادة العنيدة للقيادة وعدد قليل من وسائل الهندسة التي كانت تبني الجسور تلو الأخرى في ذلك الطوفان.

وصـلت القوات والإمدادات باسـتمرار من المحيط الهندي عبر السـكك الحديدية للاسـتيلاء النهائي على المنطقة، وإلى العاصـمة لتزويدها بالغذاء والوقود والذخيرة، متجاوزة بذلك الأزمة الناجمة عن إغلاق طرق الإمداد من الشمال. ماذا كان سيحدث على العكس من ذلك، لو بقيت الجبهة الجنوبية في الخمول الدفاعي للصـومال، الذي كان في الأصـل من خطط هيئة الأركان

العامة، والذي أيده بادوليو بإصـرار؟ هل كان بإمكانه القيام بالقفزة من ديســي إلى أديس أبابا، عندما تكون الجيوش الحبشــية قد تجمعت وأعيد تنظيمها دون عقاب مع النجوس من أواش، شـرقًا، الذي كان قد تحصـن في هرار، ويحافظ على سـيطرة السـكك الحديدية ويضـمن لنفسـه الإمدادات من جيبوتي، مانعًا إياها عنا؟ وإذا كان قد قام بالقفزة عمياء، فما هي الظروف التي كان سيجد نفسه فيها، محاصرًا في أديس أبابا، مع خط الإمداد اللوجستي الشمالي الذي قطعته الأمطار عن أي حركة مرور؟ وإذا كان قد ظل ثابتًا في ديسي في مايو 1936، لتجنب الوقوع في فخ أديس أبابا، فماذا كانت سـتكون النتيجة النهائية لحملة إثيوبيا، عندما كانت العقوبات "الجنيفية"[1] في النصف الثاني من العام ستظهر تأثيرها بلا شك؟

إذا كان صحيحًا أن الأحداث التاريخية تُحكم على ما حدث وليس على ما كان يمكن أن يحدث، فلا يجب حرمان النقد السـليم من الإشـارة إلى الأسـباب المحددة للأحداث. في حالتنا، يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الحركة من الصــومال كانت متزامنة ولا غنى عنها للنجاح النهائي لحملة إثيوبيا. هكذا انتهى كتابي "الجبهة الجنوبية"، لكن هذا التأكيد لم يُعجب موسـوليني، الذي اختلفت مقدمته مع اسـتنتاجي، ولذلك كان عليّ تخفيفه. وويل لمن تجرأ آنذاك على هز عمود الإرادة الحديدية؛ الأسـطورة التي خلقها هو و"المكتسـبة بالفعل في التاريخ" كما تقول المقدمة. اليوم، حيث يمكن ممارسة النقد الحر، من المشروع استعادة المصطلحات الحقيقية للمشكلة.

بالتوازي مع تدفق القوات من الجنوب، أمرت الجنرال تيسيتوري بالتحرك من ديسي إلى أديس أبابا، متغلبًا بأي ثمن على العقبات الخطيرة التي تسـببت فيها الأمطار. تحركت فرقته في نهاية مايو ووصلت إلى وجهتها بعد خمسة وأربعين يومًا من المسيرة لتغطية حوالي أربعمائة كيلومتر التي تفصل ديسي عن أديس أبابا، أي بمتوسـط يومي أقل من عشـرة كيلومترات. على طول الطريق، نشـرت جزءًا كبيرًا من قطع المدفعية، ولكن كان من الممكن إخراجها من الطين بفضـل جراراتنا كاتربيلر ذات القدرة 50، 75، 100 حصان، التي وصلت من الصومال.

بشأن تنظيم الأراضي المحتلة، والشكل السياسي والإداري الذي يجب أن تُمنح له، عثرت على برقية مدرجة في السـجلات، اقترح فيها المارشـال بادوليو تفويض حكم المناطق المختلفة لكبار القادة المحليين، مع الأخذ في الاعتبار نسـبهم وتأثيرهم الإقطاعي؛ ومع سـيطرة المسـؤولين الإيطاليين إلى جانبهم.

هذا النظام كان يمكن أن يكون جذابًا في البداية، لأنه كان يدعم وهم التهدئة الفورية؛ لكن السـلطة في أيدي الزعماء المحليين الكبار، المسـلحين بطبيعة الحال، كانت تحمل مخاطر كثيرة

[1] عقوبات اقتصادية فرضتها عصبة الأمم ومقرها جينيف على إيطاليا لغزوها الحبشة. [المترجم]

للمستقبل. على أي حال، لم تأخذ الحكومة المركزية هذا الاقتراح في الاعتبار، بل فرضت بشكل قاطع تقسيمًا كاملاً للمنطقة بأكملها، بما في ذلك إريتريا القديمة والصومال، إلى خمس حكومات: إريتريا، وأمهرة، وجيما، وهرار، والصومال، ووضعت على رأس كل منها خمسة جنرالات، وهم: غوتزوني لإريتريا، وبيرزيو بيرولي لأمهرة، وجيلوسو لجيما، وناسي لهرار، وسانتيني للصومال.

بناءً على هذا التقسيم، تم تقسيم إقليم شوا، الذي كان يمثل نقطة ضعف النظام الإقطاعي الحبشي بأكمله، وتم استيعابه بين أراضي أمهرة وجيما وهرار. كان هذا خطأً فادحًا في البداية، لأن شوا، وهي الوحدة العرقية الأكثر أهمية في إثيوبيا، كان يجب أن تشكل حكومة مستقلة، لتتمكن من السيطرة على الوضع المعقد للغاية بطريقة موحدة، وبالتالي يصعب السيطرة عليها.

الوزارة، بدلاً من ذلك، انطلقت من فكرة أن تقسيم شوا سيعني كسر التقاليد، وبالتالي ضمانًا أكبر لسيطرتنا. لم أستطع قبول هذا المفهوم، بل حافظت على وحدة إقليم شوا تحت حكمي وسيطرتي المباشرة، مقترحًا دائمًا عبثًا أن يتم اعتماد هذا القرار من قبل الوزارة. ولكن عندما تم استبدالي في مهامي كنائب للملك من قبل الدوق أميديو دي سافويا أوستا، تم إنشاء حكومة شوا بانتظام، مما صادق على عملي.

أرادوا لأديس أبابا حكمًا ذاتيًا؛ وكان جوزيبي بوتاي أول حاكم لها. الذي، على غرار المارشال بادوليو، ظل في منصبه سبعة عشر يومًا، من 5 إلى 22 مايو.

تم تطوير النظام الذي اقترحه بادوليو للتنظيم السياسي والإداري للأراضي بواسطة العقيد تالامونتي، وهو مسؤول استعماري متقاعد أمضى حياته كلها في إريتريا منذ عام 1896 فصاعدًا. كان جزءًا من هذه الكوكبة المحترمة من الرواد، مثل بولرين (الاثنين)، وتيودوراني، وفيوكاردي، ودي روسي، وأودوريتزي، ودال كورسو وغيرهم، الذين أوجدوا تنظيمًا للمستعمرة الأصلية، على أساس نفس المعايير التي كان يراد تطبيقها الآن على إثيوبيا بأكملها. كان هذا النظام، في النهاية، يتمثل في حكم البلاد بطريقة غير مباشرة، عن طريق الزعماء الكبار والصغار.

كان الشرط الأساسي لتنفيذ هذا النظام وتحقيق ضمان الأمن هو إجراء نزع السلاح فوراً. وإلا، يصبح من الضروري الاحتفاظ بجيش محلي مكلف للغاية، لضمان سيطرتنا ضد التمردات التي ستندلع بالتأكيد. ولكن، القادة الكبار، الذين سيُمنحون السلطة، سيعارضون نزع السلاح بشكل علني أو خفي: وبالتالي، سيكون الوضع غير مستقر للغاية لتعزيز سلطتنا.

يتضح هذا أكثر إذا ما نظرنا إلى الطبيعة الدستورية للزعماء والشعب الحبشي، فهم دائمًا ما يميلون إلى التآمر والتمرد.

كما أشرت سابقًا، لم ترد الحكومة المركزية حتى على هذه البرقية، بل أقامت إدارة للأقاليم وفقًا للمبدأ المعاكس: حكم مباشر للمناطق المختلفة عن طريق الحكام، العسكريين في الوقت

الحالي؛ استبعاد مطلق للزعماء المحليين الكبار من أي تدخل أو تأثير. وقد أكمل تقسيم الحاكميات الفردية إلى عدد معين من المقيمين التنظيم السياسي والإداري المحيطي.

كان على نائب الملك والحاكم العام الاختصاص المباشر والفوري على الحكام الخمسة، ولكن مادة في القانون التأسيسي، بصيغة غامضة بما يكفي لدفعهم إلى التملص من السيطرة المباشرة لنائب الملك، سمحت لهم بالتوجه مباشرة إلى الوزارة. كان ذلك سببًا منذ البداية لخلافات لا حصر لها في العمل الحكومي، وساهم في تأجيج النزاع بين الوزارة والحكومة النيابية، وكذلك بين هذه الأخيرة والحكام الأفراد، الذين كانوا يميلون إلى التهرب من السيطرة المباشرة بسبب التفسير المرن للقانون. يضاف إلى ذلك أن المادة الأولى من القانون نفسه منحت الحكام تعيينًا وزاريًا، دون استشارة مسبقة لنائب الملك، كما هو معتاد في الممارسات الدولية.

كل من لديه معرفة، ولو بسيطة، أو حتى أدبية أو فولكلورية، بالبيئات والحياة الاستعمارية، بكل تشابكاتها من العواطف، والانتهازية، والنميمة، والمنافسات وما إلى ذلك، يدرك الظروف الصعبة التي وضع فيها نائب الملك بسبب ركائز القانون نفسه التي كانت تقوض السير الحر والهادئ لولايته.

تأسس المعيار الذي يجب تطبيقه على السلوك السياسي على ما تم تنفيذه في ليبيا خلال فترة إعادة الاحتلال، أي الحكم لا مع الزعماء، ولا ضد الزعماء، ولكن بدون الزعماء. لم يؤخذ في الاعتبار أن المشكلة في إثيوبيا كانت لها أهمية أخرى، حيث كانت السلطة الإقطاعية ومكانة الزعماء المعنوية أقوى وأكثر نفوذًا، متجذرة في الأنظمة العريقة من جهة، وفي سلالات ملكية حقيقية من جهة أخرى.

تفاقمت الصعوبات التي كان علي التدخل فيها مرة أخرى بفعل الأساطير والدعاية التشهيرية. في عام 1935، في بداية الحملة على إثيوبيا، اختلقوا دوافع أخرى لتأكيد كراهيتي المزعومة المدمرة للسكان الحبشيين. هذه المرة لم تكن المسألة تتعلق بزوجتي وابنتي، بل بوالديّ، اللذين قيل إنهما قتلا بوحشية على يد الحبشيين في حرب 1896؛ وهكذا تصوروني منتقمًا وأستعد لمذابح غير إنسانية للسكان الإثيوبيين العزل لإشباع عطشي للدم وحقدي للانتقام.

تصل الأنباء المذهلة، لا أقل ولا أكثر، من أستراليا، نُشرت في "جريدة إيطالية" ("The Italian Journal") في 5 فبراير 1936، يديرها شخص يدعى باتيستيلا، لم أعرفه قط، والذي أرسل لي بعد فترة وجيزة اعتذارات لا حصر لها عن الخداع الذي وقع فيه.

تحت عنوان "الجنرال غراتسياني"، هذا هو النص: "السيد الدكتور H. M. Moran يكتب من روما إلى المقدم بيرو فياسكي يبلغه بحقيقة مثيرة للاهتمام وغير منشورة عن الجنرال غراتسياني، والتي تضيء معذب الأحباش بهالة من الفارس المنتقم لوالدته التي قتلت بسبب

بربرية الأفارقة الشافية من تجار الرقيق والمعذبين الأحباش، الذين تستقبلهم عصبة الأمم التي لا توصف تحت حمايتها المقدسة.

"والد الجنرال غراتسياني، المقاتل الشجاع بالفعل في حرب عام 1896، وقع هو وزوجته الشابة في كمين حبشي ضدنا، وعندما رأى كل أمل ضائعًا، قرر إطلاق النار على رفيقته بدلاً من تركها تسقط حية في أيدي ذئاب الأحباش في هيئة بشرية، ثم سقط وهو يقاتل بشجاعة ضد المتوحشين.

"ها هو القدر الآن يريد أن يضع في يدي ابنه المقتدر، الذي هزم السنوسي بالفعل، سلاح الانتقام العادل وإن كان متأخرًا. الجنرال غراتسياني هو النيميسيس المرعب الذي سيجعل النجوس المتوحش والمتفاخر يدفع ثمن جميع الأعمال الوحشية والقسوة التي ألحقها متوحشوه ضد الإنسانية، وسينتقم بذلك للموت المبكر والمأساوي لأمه الشهيدة وأبيه البطل".

في كتابي "الجبهة الجنوبية"، الصفحة 442، بعد حملة إثيوبيا، كنت قد نددت بازدراء هؤلاء الكاذبين الذين لا يمكن تسميتهم، والذين سعوا إلى تشويه سمعتي في أعين السكان.

مع هذا الرصيد من التجاوزات والأساطير والعداوات، توليت في مايو 1936 المهمة الصعبة كنائب للملك وحاكم عام لإثيوبيا. كان من الضروري على الأقل أن أكون مدعومًا من روما، وأن تُمنح لي حرية العمل اللازمة.

وصل عمود "تيسيتوري" من الشمال حوالي منتصف يوليو، مما خفف من القلق على سلامة أديس أبابا، التي ظلت حتى ذلك الحين إلى حد ما تحت رحمة الأحباش. منذ الأيام الأولى لتولي القيادة، تم نشر القوات في مواقع الدفاع الخارجية، من المعسكر المريح الأولي في وسط المدينة. ارتفعت القوات إلى حوالي عشرين ألف رجل، مع وسائل مدفعية كبيرة، أكملت الدفاع عن الركائز الخارجية على محيط تسعة وثلاثين كيلومترًا.

في هذه الأثناء، كانت عملية التقريب بين الزعماء والسكان تتطور، من خلال الصعوبات الناجمة عن التوجهات التي كانت تحكم العمل السياسي. فقد كان الزعماء الكبار، ومن ورائهم، التسلسلات الهرمية الصغرى المتعددة للنظام الإقطاعي الحبشي، يتوقون لتولي مهام الحكم المباشر، وبالتالي كانوا يأملون في الحفاظ على جميع الامتيازات الإدارية مع ما يرتبط بها من تجاوزات يرتكبونها بحصانة ضد السكان.

خلال الحملة، لم يحقق التقرب من كبار الزعماء نتائج كبيرة. وحده ديجاج هايلي سيلاسي غوغسا، من ماكالي، سليل النجوس يوهانس من تيغراي، قام بتقديم الولاء بالانضمام إلى صفوفنا. كان خصم الراس سيوم، زعيم تيغراي، وقد تزوج ابنة النجوس، التي تقول الأسطورة

إنه سممها. وبالتالي، كان وضعه تجاه تافاري متضررًا جدًا، وقد لعب ورقة خطيرة بالانضمام إلينا، طمعًا في الحصول على حكم تيغراي لنفسه بعد انتهاء الحملة.

هرب الراس العجوز كاسا (وليس أبناؤه الثلاثة: ولدسيلاسي، أرايا، أسفاووسن، الذين بقوا في فيكّو، في قلب إقطاعيات آبائهم التي لم يرغبوا في التخلي عنها) مع النجوس إلى أوروبا؛ وديجاج ناسيبو، الذي قاد جيش أوغادين، والذي كان يعاني بالفعل من مرض السل، أنهى أيامه في مصحة دافوس بسويسرا؛ والراس كيتاتشيو؛ وغيرهم ممن لا أستطيع ذكر أسمائهم هنا.

بقوا مسلحين: راس إميرو، الذي قاد الجيش الحبشي في أراضي أمهرة؛ وراس ديستا، مع نوابه، ديجياك غابري مريم وديجياك بيجيني مريد الذي، بعد قيادة جيش البحيرات، هُزم في نيغللي.

في أديس أبابا، انتظر وصول قواتنا، راس هايلي تكليمانوت مع مجموعة أخرى من القادة الثانويين، وأبونا كيرلس، رئيس الكنيسة القبطية، وقادة رئيسيين آخرين لم يكن لديهم أتباع كثر بين السكان.

في أمهرة، تقدم ديجاج آيالي بيرو إلى قيادتنا، الذي حافظ خلال الحملة على علاقات مع الحاكم غاسباريني وقدم خدمات، مقابلها زعم حقه في حكم أراضي أمهرة.

من بين الزعماء الكبار، كان راس هايلي تكليمانوت هو الذي يبعث على أكبر قدر من الثقة في التعاون. لقد كان دائمًا على اتصال بسلطاتنا الإريترية قبل غزو إثيوبيا. وبسبب نقمة تافاري، عانى من السجن والعنف والإعفاء من حكم غوجام، الإقطاعية العائلية القديمة. وبرغم هذا كانت له هيبة وسلطة بسبب سلالته الملكية.

كان هو الرجل الذي وضعت ثقتي فيه؛ ولم يتم التراجع عن هذه الثقة أو خيانتها أبدًا. دون منحه أي سلطة خاصة أو تكليفه بمهام محددة، أصبح مستشاري؛ ولكي يثبت منذ البداية تعاونه غير المشروط، حتى أمام السكان والزعماء الآخرين، سمحت له بتشكيل فرقة قوية من بضعة آلاف من الرجال. وبهذه الفرقة نزل إلى الميدان إلى جانب القوات النظامية في عمليات حرب العصابات ضد التشكيلات المتمردة، التي كانت تتزايد أعدادها وجرأتها في هذه الأثناء.

لقد علمتني التجربة الطويلة في ليبيا أن أفضل طريقة للتعامل مع الزعماء والسكان الخاضعين هي تجنب الخداع والمماطلة، ووضعهم أمام الواقع بلا حجاب؛ وأن يكون الطريق واضحًا للجميع، وفقًا لتوجيهات وأوامر الحكومة. كان من الضروري بالتالي إزالة وهم الزعماء بأنهم يمكن أن يستعيدوا الحكم المباشر على السكان، وإعطاء هؤلاء الشعور بأنه، من الآن فصاعدًا، الطاعة واجبة لموظفينا الجدد. يجب أن يكون الزعماء ورؤساء القبائل مستشارين فقط للحكام والسلطات الحكومية الطرفية، بهدف تحقيق التهدئة الكاملة بعد نزع السلاح الشامل وإقامة

نظام إداري يتماشى مع الوضع الجديد. يجب أن تكون المعاملة المالية متناسبة وملائمة لرتبهم؛ وأن تبقى التسلسلات الهرمية المحلية كشرف فقط.

كان هذا هو الوضع الذي تم التوصل إليه في إريتريا بعد حوالي خمسين عامًا من السيطرة، مع نتائج ممتازة. هناك أيضًا، بعد تجاوز الصدمات الناتجة عن إلغاء الأنظمة الإقطاعية والعبودية، تم إرساء الحريات، وتحرير السكان، وإلغاء امتيازات الزعماء. وقد كررت هذه القواعد في الاجتماعات الرسمية التي كنت أعقدها من وقت لآخر في قصر نائب الملك، لتوقيع وثيقة الخضوع من قبل الزعماء والوجهاء الذين كانوا يقدمون أنفسهم تدريجيًا. وقد اتبع الحكام المختلفون نفس الممارسات في مناطق اختصاصهم، وفقًا لتوجيهاتي التي كانت متوافقة مع التوجيهات المركزية.

هل سيستسلم الرؤساء، الذين جميعهم أو جلّهم من أصول ملكية، للتخلي عن سلطتهم؟ عن امتيازاتهم؟ عن أرباحهم المالية؟ عن تجاوزاتهم؟ وهل سينفصل السكان، الذين كانوا موالين لهم بحكم روابط تبعية تعود لقرون، فعلاً، أم أنهم سيفضلون اتباعهم في الاضطرابات الدموية المتوقعة؟

عندما ننظر إلى طبيعة واتجاهات الشعب الحبشي، يمكننا أن نحصل على فكرة دقيقة عن الممانعات والتدخلات التي كان من الممكن أن نواجهها؛ ومع ذلك، وثقت بنفسي، وبالمكانة التي كنت أتمتع بها في أفريقيا، والتي زادت بعد الحملة المنتصرة، والتي كان الأسكاري الإريتريون - الذين أصبحوا جميعًا تحت قيادتي - أفضل المدافعين عنها والمنادين بها. لم يجهلوا ولم يسمحوا لأحد أن يجهل بأن عملي كان دائمًا وفي كل مكان قائمًا على مبادئ الحزم، والكرم، والعدل. من ناحية أخرى، بما أنني لم يكن لدي سبب أو حاجة لكسب سمعة الرجل القاسي، التي كانت تلازمني أكثر من اللازم، كان بإمكاني الميل إلى الكرم بفائدة، مما كان له فائدة.

عندما وصل هذا الشعور إلى روما، اتُهمت على الفور بالضعف. بدأت سلسلة من الأوامر القاطعة والتعسفية، التي أربكت وعقدت التطور الهادئ للأمور؛ بعضها موقع من موسوليني نفسه، والبعض الآخر من وزير أفريقيا أليساندرو ليسونا. لكن الصيغة كانت دائمًا هي نفسها: الدوتشي يقرر، الدوتشي يأمر، الدوتشي يريد.

حدث أول خلاف بخصوص "الشباب الإثيوبيين"، المنتسبين إلى الجمعية التي تحمل الاسم نفسه، والذين بقوا في أديس أبابا. كانوا عناصر محلية متعلمة في فرنسا، حيث تشبعوا بالأفكار الديمقراطية والفولتيرية الحديثة: نواة معادية لنا، وأكثر خطورة لأنها قادرة على أعمال إرهابية وتفجيرية. كانوا، أو لم يكن من المفترض أن يزيد عددهم عن خمسة عشر، أما الآخرون الذين فروا من المدينة وانضموا إلى طلاب المدرسة العسكرية في أوليتا، فقد لجأوا أيضًا إلى الغابات،

وشكلوا عصابة تجوب الأراضي الشمالية الغربية لشوا. كإجراء احترازي، قررت اعتقالهم في داناني، بالصومال، حيث تم تجميع العناصر غير الموثوق بهم في منفى مريح لجعلهم غير مؤذيين.

بينما كان هذا الإجراء الشرطي العادي ساري المفعول، وصل أمر قاطع من روما، يقضي بتقديم محاكمة فورية وموجزة لجميع المنتسبين للجمعية. اتخذ المدير المحلي للشؤون السياسية، أفوليو، موقف المعارضةال مطلقة لهذا الأمر، مقدمًا لي اعتبارات تتعلق بالمصلحة، والتي اضطررت للاعتراف بصحتها. لذلك لم يتم إعدامهم، بل تركوا في المنفى في إقليم هرار، وروما استاءت من ذلك[1]. وسيتبين لاحقًا أن في هجوم 19 فبراير 1937، كان العناصر المنتمون للجمعية، إن لم يكونوا المدبرين الرئيسيين للمؤامرة، فقد كانوا بالتأكيد المنفذين.

انهالت عليّ أوامر وتوجيهات متشددة من روما. يقول أحدها: "آمركم بتطبيق نظام إرهاب." ويقترح آخر: "بدون قانون العين بالعين مئة بالمئة، لا جدوى من أي أمل في إخضاع وتسكين سريع." ويفرض ثالث: "أمروا بإعدام جميع السجناء، بغض النظر عن كيفية القبض عليهم." وآخر: "آمر بإعدام جميع القادة الذين يُقبض عليهم فورًا." ومرة أخرى: "أكرر لكم أنه من الضروري إقامة نظام إرهاب مطلق." وهكذا دواليك.

عبثًا أطلب وأتوسل أن تُمنح لي ثقة كاملة، وأن أُترك أتصرف بحرية العمل والتقدير التي، بالإضافة إلى كل شيء، تمنحني إياها خبرتي الطويلة في هذا المجال وحماية مسؤوليتي الشخصية. يجيب الوزير بالموافقة؛ وإذا قاومت بعد ذلك تطبيق بعض الأوامر التي يبدو لي أن صرامتها سخيفة وضارة، فإن حملة التثبيط ضدي تتفاقم، حيث أُتهم بفقدان حدتي القديمة، وبالضعف بل وأسوأ من ذلك.

أصداء تلك الحملة الهدامة تصلني من روما بطرق متعددة، لكنها لا تنجح في تحويلي عن مبادئ العدل والتوازن التي رسمتها لنفسي.

مما زاد من تفاقم الوضع المتوتر، التوتر الدبلوماسي الذي نشأ منذ الأيام الأولى مع مختلف البعثات الأجنبية. كانت الأوامر من روما تقضي بقطع الصلات معها، ومنع أي تدخل منها. كما أن إعادة تنظيم اقتصاد دمره احتلالنا كليًا زاد من الظروف المأساوية لتلك الشهور.

لكن في روما كانت الأمور تُنظر بطريقة معاكسة: رؤية مبهجة تمامًا في مقابل الواقع الصعب والقاس؛ واتهامات بالعجز والجمود لمن كان يصارع في الميدان بين الثورات المنتشرة في كل مكان، ونقص الموارد والإمكانيات لمواجهتها، وندرة المؤن والحاجة الملحة لحل مشكلة الاحتلال الكامل للأراضي.

---

[1] أنظر الملاحظة 1 في الملحق

بعد أن فقدت الأمل في استعادة حكم المقاطعات، تخلت معظم القيادات عن الاهتمام بنا أو قامت بأعمال معادية، أو على الأقل تخريبية.

المسألة التي كانت تهم أكثر، كما أشرت سابقاً، هي التوغل في الأراضي الغربية، والتي اكتسبت أهمية في الانعكاسات الدولية. حل السيد باتريك روبرتس، الذي كان يدير المفوضية البريطانية في أديس أبابا، محل الوزير السيد بارتون، الذي عاد إلى بريطانيا فور احتلالنا. كان خصماً شرساً لإيطاليا، وخلال الحرب بأكملها قام بحملة دعائية سامة ضدنا عبر الراديو، بفظاعة وضراوة لم تتمكن من تجاوزها سوى زوجته، التي كانت إيطالية للأسف.

كان الدبلوماسي باتريك روبرتس، الذي بدا كقس أنجليكاني غيور وغير متسامح، أكثر حذراً وتيقظاً من بارتون في إظهار مشاعره، لكنه كان يحتقرنا بنفس القدر. في تقرير لوزارته الخارجية، - و الذي تمكنت خدمة الاستخبارات الإيطالية السرية من إرساله إلي في إفريقيا- ، وصل إلى انتقادات بغيضة لكل شيء أو شخص إيطالي، انتقادات سامة وساخرة من كل ما فعلناه في أديس أبابا.

ومع ذلك، عند التعامل معي، كان يعرف كيف يخفي مشاعره بما فيه الكفاية؛ وبمعرفتي به، لم أتمكن من إخفاء مشاعري تمامًا. وهكذا ظلت العلاقات بيننا، القائمة على الاحترام المتبادل، في جو من البرود وعدم الثقة.

مرة واحدة فقط، قبل دعوة لحفل استقبال في بيت نائب الملك، ومرة واحدة فقط، رددت الزيارة إلى المفوضية حيث قُدم الشاي لأربعة: هو مع سكرتيره وأنا مع سكرتيري.

في تلك المناسبة، خصّني السيد باتريك روبرتس بمفاجأة. فبعد أن تحدث معي دائمًا بالفرنسية، هذه المرة تحدث بالإيطالية بطلاقة. وعندما هنأته على هذه البراعة المفاجئة، أجاب بأنه عاش مرات عديدة في إيطاليا، خاصة في فلورنسا ونابولي، وكرس نفسه لدراسة لغتنا.

كان السيد باتريك روبرتس على دراية تامة بالمصاعب الجمة التي كنت أواجهها، بين الضرورة الملحة لاحتلال الأراضي الغربية واستحالة ذلك بسبب سوء الأحوال الجوية ونقص القوات والموارد. وذات يوم، واجه معي هذه المسألة، وبعد أن ألمح إلى وضعي الصعب، اقترح تعاونه، مؤكدًا لي أنه بفضل الظروف المواتية للبريطانيين في الأراضي الغربية، سيسهل كل شيء من خلال عمل مشترك. لكن التعاون المقترح كان سيتطلب تعويضات والتزامات لم أكن أستطيع تحملها. الرفض المهذب، والتأكيد على أنني كنت آمل أن أتدبر أموري بنفسي، لم يساهما في تسوية العلاقات الصعبة بالفعل. بعد فترة وجيزة من مؤامرة أديس أبابا، تم نقل السيد باتريك روبرتس إلى المفوضية البريطانية في أثينا، وتوفي هناك بسبب حادث سيارة. وقبل ذلك، وبالتحديد في

اليوم التالي للمؤامرة، غادر المفوضية السيد لي، الذي قيل إنه كان رئيس "الاستخبارات البريطانية" في أديس أبابا (!).

مع المفوضية الفرنسية، سارت الأمور بشكل مختلف تمامًا. عند مغادرة أديس أبابا في بداية الأعمال العدائية، كان وزيرنا فينشي قد عهد بحماية مواطنينا إلى الوزير بودارد.

فُتحت المفوضية الفرنسية لمواطنينا الذين وجدوا فيها ملجأ وأمانًا من الانتقام الحبشي في اللحظات المأساوية التي تخللت بين هروب النجوس ووصول قواتنا. بدون هذا التدبير، لكان الحشد الكاره للأجانب قد ارتكب مذبحة بحق جميع الإيطاليين. وقد ساعد بودارد بشكل رائع زوجته الشجاعة السيدة بيبريت. عند وصول القوات الإيطالية لأول مرة، قدمت نفسها للجنرال روجيرو تراكوا، قائد الطليعة، الذي كان يدخل أديس أبابا على رأس لواء "إريتريا" الخاص به. منذ لحظة الاحتلال، فتحت المفوضية أبوابها على مصراعيها بضيافة واسعة وحارة لضباطنا، الذين توافدوا إليها للاستمتاع، في هدوء منزل على الطراز الياباني، محاط بالويستيريا والجهنمية والورود التي غطته بعباءة من الحلم، بكياسة صاحبة المنزل الرائعة.

كان خط سكة حديد أديس أبابا-جيبوتي، كما يعلم الجميع، تحت إدارة شركة فرنسية يرأسها، كمدير عام، السيد جيرارد. سارت علاقاتنا معه منذ الأيام الأولى في جو من التفاهم المتبادل. لم تخلو الأمور من بعض الصدامات الحادة مع السيد بودارد، لكنها كانت تُسوى على الفور، وأحيانًا كانت تُحل بزجاجتين من أجود أنواع الشمبانيا، كان بودارد الضخم يخرجها من أقبية النبيذ الخاصة به، كهدية وتعهد بصداقة متجددة.

في الليلة التي سبقت هجوم 19 فبراير 1937، كان هناك حفل في منزل جيرارد، حضرته أنا وزوجتي، وبقينا حتى الساعات الأولى من الصباح. خلال الحفل، فاجأتني بعض التغيرات المفاجئة في المزاج، من الفرح إلى الغموض، لدى الزوجين بودارد وبعض الضيوف الآخرين. لحظات عابرة، حتى أنها أثارت لدي انطباعًا بأن السيد بودارد، الذي كان عادة هادئًا جدًا، كان منزعجًا من بعض الخلافات الزوجية، والسيدة بيبريت من نوبة عصبية سيئة الكبت، لدرجة أنها، في تلك الأجواء الحارة نوعًا ما، أصيبت بقشعريرة من البرد واضطرت لتغطية نفسها بمعطف الفرو.

في صباح يوم 19، بعد الهجوم، جاءوا على الفور إلى مستشفى "إيطاليا" حيث كنت قد أدخلت، ووقعوا في السجل الذي كان موضوعًا في البوابة.

في الأيام التالية، أصروا على مقابلتي، لكنني لم أشعر بأنني قادر على رؤيتهم.

ثم نُقل بودارد إلى تركستان. وسأضيف عابرًا، تأكيدًا للانطباعات الغريبة التي تركتها لدي تلك الليلة، أن شائعة انتشرت في أديس أبابا تفيد بأن المفوضية الفرنسية لم تكن تجهل تمامًا أن

شيئًا خطيرًا سيحدث في تلك الأيام. ربما، خلال الحفل، وصلت بعض الأخبار الأكثر دقة. لكن آل بودارد، الذين أظهروا أنهم أصدقاء، خافوا من تحذيري. تباً للدبلوماسية!

كان ممثل ألمانيا هو الدكتور ستروم؛ وكان يدعمنا علنًا. تم سحب المفوضية الأمريكية فور احتلالنا تقريبًا؛ أما المفوضية اليابانية فكانت تهتم بشكل أساسي بالمسائل التجارية، وإدخال المنتجات اليابانية إلى أديس أبابا بأسعار تنافسية للغاية، خاصة قماش الأبوجاديد.

لذا، فإن الوضع الدبلوماسي كان يعرض نقطته الحساسة في العلاقات مع المفوضية البريطانية، وبدرجة أقل مع المفوضية الفرنسية، وقد تضررت كلتا العلاقتين بالفعل بسبب الدبلوماسي ماريو بادوليو. خلال إقامته التي دامت خمسة عشر يومًا، أشار إلى برامج تعاون تتعارض تمامًا مع توجيهات روما؛ وفي هذا المجال أيضًا، كان من الضروري إعادة الأمور إلى نصابها.

وفي غضون ذلك، بدأ التحضير السياسي للمسيرة المستقبلية نحو جيما وأراضي بحيرة رودولف من جهة، وبني شنقول من جهة أخرى، عبر أراضي ليخمبتي.

6. مؤامرة أديس أبابا

من يونيو إلى سبتمبر 1936، اشتد حصار العاصمة الإثيوبية تدريجياً بدائرة المسلحين الذين أحاطوا بها من كل جانب.

بعد فترة الارتباك الأولى، كانت القيادات تعيد تنظيم تشكيلاتها المبعثرة، وتطور حرب عصابات أكثر جرأة وتهديدًا على طول خط السكة الحديد، وفي طرق الوصول من الشمال، وعلى الطرق التي كان من المفترض أن تقودنا إلى الغرب. كانت التشكيلات الشرقية التي تتركز على خط السكة الحديد تحت قيادة الدجياش فيكريماريام، محبوبًا ومخيفًا لدى السكان خارج أواش، وصولاً إلى هراريينو. أما تشكيلات الشمال فكانت تحت قيادة الأخوين كاسا، أرايا وأسفاووسين، اللذين تتركز قواتهما في أراضي النيل الأزرق ومركزهما فيكو. أما الأخ الثالث والأكبر سنًا، ولدسيلاسيه، فقد انتقل إلى الأراضي الواقعة عبر النهر، ضمن اختصاص ولاية أمهرة، وخضع لذلك الوالي. وعندما دعوته لتقديم نفسه في أديس أبابا، كان يؤجل حضوره دائمًا بذرائع مختلفة. وفي النهاية، أعلن تمرده علنًا بمهاجمة موقعنا على غفلة. وقد لقي حتفه في القتال بعد مطاردة شجاعة من قواتنا الإريترية.

تصدى الجنرال تراكيا، بفرقة "إريتريا"، للأخوين الآخرين. وهي الفرقة ذاتها التي كان من المفترض أن تزحف نحو الغرب وفقًا للأوامر الأولية للمارشال بادوليو، ولكن كان عليها أن تتمركز بدلاً من ذلك في منطقة دبرا برهان. وبكل الوسائل كنت أسعى للتحرك سياسياً بدوري من أديس أبابا نحو أرايا وأسفاووسين لحثهما على الاستسلام.

كان الأول متزوجاً من إمرأة قريبة جداً للراس سيوم، مما يجعله الأنسب للتأثير عليه. من جانبهم، كرس الراس حايلو، والأبونا سيريللو، والبروفيسور أفورك، الذي كان سابقاً أستاذاً للغة الأمهرية في معهدنا للدراسات الشرقية في نابولي، جهودهم لنفس الغاية.

كان أفيرا كاسا يماطل برسائله التأجيلية، متحججاً تارة بهذا العائق وتارة بذاك، بأسلوب خاص بكل زعيم محلي في جميع الأقاليم الأفريقية. بل وصل به الأمر ذات مرة إلى أن كتب بسخرية أنه

ينتظر استلام "فراك" و "جيبوس" [1] جديدين ليتمكن، بعد أن يتأنق هكذا، من القيام بالفعل الاحتفالي.

وفي هذه الأثناء، كانت مكاتب الاستخبارات لدينا تشير إلى أنه هو و ال دغياش فيكريماريام كانا يتفقان على مهاجمة العاصمة في وقت واحد.

وسط هذه المناوشات السياسية، وغيرها التي جرت مع قادة آخرين، انقضى شهر يونيو، وهو الشهر الأكثر خطورة. لو تم تنفيذ عمل شامل من الخارج مع اضطرابات داخلية مخطط لها مسبقاً في المدينة خلال تلك الفترة، لربما كان علينا مغادرة العاصمة. شاءت الأقدار أنهم لم يفهموا أولاً ضرورة الاتفاق فيما بينهم، وهو أمر صعب للغاية بين القادة الذين كانوا يتنافسون على أولوية القيادة.

في غضون ذلك، سمحت القوات والمعدات الجنوبية القادمة من الصومال، وقافلة "تيسيتوري" من الشمال من ديسي، بتحسين وضعنا الدفاعي في أديس أبابا، كما ذكرنا، بحلول منتصف يوليو. كان محيط المعاقل الدفاعية كبيرًا، وكانت قوة المناورة داخل المدينة تقتصر على لواء "إريتريا" بقيادة الجنرال تراكيا، الذي كان يعاني من نقص حاد في الخيول.

كانت إشارة الهجوم المركز ستُعطى بواسطة مدفع يدوي جهير الصوت باتجاه الشمال، مما كان سيعني بداية تحرك آرايا. وكان يجب أن يتبعه على الفور تحرك فيكريماريام من الشرق. كانت الخطة محكمة الإعداد، لكن الصدفة شاءت أن تسير الأحداث لصالحنا.

في أحد أيام شهر يوليو، أمر الجنرال بيتاشي مانينيلا، قائد المدفعية، بعد وصول قافلة "تيسيتوري"، بإجراء تدريب إطلاق نار لاختبار الانتشار. في المساء، على المرتفعات الشرقية، أشعل الدجياش فيكريماريام النيران للإشارة إلى أنه، بدوره، سيتحرك؛ وهكذا فعل صباح اليوم التالي. وبهذه الطريقة، تم إطلاق كامل الاحتياطي المتمركز في المدينة بقيادة الجنرال غالينا بالقطار ضده. أدت الهجمة المضادة السريعة والعنيفة إلى تشتيت تشكيلة فيكريماريام، الذي سقط في القتال بعد فترة وجيزة. لقد حالفنا الحظ.

هذه الأخبار، عندما وصلت إلى روما، أكدت هشاشة وضعنا، لكنهم لم يرغبوا في الاعتراف بذلك. لقد جعلت موسوليني يقشعر، فأمر بإرسال برقيات لاسلكية كل ساعتين. هكذا أخبرني الوزير ليسونا الذي أُرسل إلى أديس أبابا للتحقق من حقيقة الأمور. لقد وصل بمعجزة، لأن

---

[1] frack معطف بذيول طويلة، gibus قبعة عالية، من الملابس الرسمية الأوربية للرجال في الاحتفالات والمناسبات. [المترجم]

القطار الذي كان يحمله، القادم من جيبوتي، تعرض لهجوم أكثر إلحاحًا من المعتاد؛ وقد تعرض هو وحاشيته لخطر جدي.

وهكذا أتيحت له الفرصة ليقتنع بأن الوضع لم يكن ورديًا بالفعل، وليقدم تقريرًا عن ذلك عند عودته إلى إيطاليا. خلال إقامته في إثيوبيا، قام الوزير ليسـونا بعملين كنت قد رفضـت القيام بهما، مما أثار غضب روما. كان هناك تمثالان في ساحات المدينة، "مينليك على الحصان" و"أسد يهوذا" الشـهير. منذ الأيام الأولى، وبأوامر قـاطعة أخرى، طُلب مني هدمهما وتفجير الضـريح الإمبراطوري البريء بالديناميت، حيث يرقد منليك الأول والإمبراطورة القرينة تايتو والإمبراطورة الوصية السابقة زوديتو، ولا أعرف أي أفراد آخرين من العائلة الإمبراطورية الإثيوبية.

دون إبلاغي بأي شـيء، أنا الذي كنت نائب الملك والحاكم العام، توجه الوزير المغامر ليلاً إلى النصبين، وأمر بعض فرق العمال بهدمهما.

لم يتطلب الأمر الكثير؛ كان تمثال مينليك الفارس مليئًا بالقش، وقد استسلم الحصان الذي كان يرفع ساقه الأمامية للضربات الأولى على ساقيه الخلفيتين.

في تلك الليلة، تم القيام بطقس لا معنى له، أثار غضـب السـكان وولد الكراهية، وبالتأكيد لم يساهم في التهدئة المأمولة للنفوس.

في شـهر يونيو، أثارت "مغامرة ليكهمتي" مشـاعر إيطاليا كلها. كان أبطالها رجالاً شـجعاناً مثل الجنرال الطيار ماغليوكو، والمقدم من هيئة الأركان كالديريني، والنقيب الطيار أنطونيو لوكاتيلي، الحاصل على ثلاث ميداليات ذهبية؛ انضم إليهم المهندس المختلط براسو، ابن رائد أفريقيا القديم، والأب بوريلو، مبشر كونسولاتا. جميعهم متطوعون.

لكن فجـأة تحول الحـدث إلى "مـذبحـة ليكهمتي" مع تغييرات في الحقيقـة قللـت من قيمـة التضحية.

سـأؤكد أن الدجياش ابتيماريام من ليكهمتي كان يؤيدنا ومسـتعدًا لاسـتقبالنا في أراضـيه. تربى على يد آباء كونسولاتا، وكان الأب بوريلو معلمه؛ وكان الشاب براسو صديقًا حميمًا له.

بالنظر إلى صعوبات التوغل بقوات كبيرة نحو الغرب، والضـرورة الملحة لتأسيس قاعدة لنا في ليكهمتي بأي شكل من الأشكال تمهيدًا لسيطرتنا المستقبلية، نشأت الفكرة، في البداية، لإطلاق أنطونيو لوكاتيلي في محيط منجم جوبدو. هنـاك، كان الكابتن الإنكليزي (أو الفرنسـي) كلود، بالتعاون مع الدكتور ماريسكالكيه، يقترح تشكيل عصابة مسلحة، بأسلحة تُلقى من الطائرات.

لوكاتيلي، الذي كان في الصومال، استدعي لمهمة محفوفة بالمخاطر، لكنها تتناسب مع صفاته الرائعة، قبل دون تردد لحظة واحدة. ثم توسـعت المهمة في أهدافها وتقرر النزول في ليكهمتي، في

مطار بونايّا الحبشي القريب، للتواصل مع الدجياش ابتيماريام، وتشكيل عصابة مسلحة قوية على الفور مع رجاله، لتعزيزها بأسلحتنا ورجالنا الذين يهبطون من الطائرات.

سار كل شيء على ما يرام، ولكن بدلاً من التوجه فوراً إلى القرية، فضل رجالنا الشجعان، والمتهورون في تلك اللحظة، التوقف للراحة بالقرب من الطائرات، دون ترتيب أي خدمة حراسة ليلية مع حراسهم.

في هذه الأثناء، في ليكهمتي، سيطرت مجموعة من الشباب الوطنيين الإثيوبيين، الذين انضم إليهم آخرون من مدرسة أوليتا، على الدجياش ابتيماريام، وشلوا حركته، ثم هاجموا المعسكر فجأة، وقتلوا رجالنا أثناء نومهم، وأحرقوا طائراتهم. نجا الأب بوريلو فقط، الذي بقي مع الدجياش ابتيماريام حتى نهاية الأمطار، وعندها تكررت العملية، هذه المرة بنتيجة مواتية، لينتقموا بذلك لتضحية الرواد الأبطال.

في شهري يوليو وأغسطس، تعززت حرب العصابات في كل مكان حول المدينة، التي كانت محاصرة. بعد أن خدعنا الدجياش أفيرا كاسا لشهور وشهور بوعود بالاستسلام كانت تؤجل دائمًا، تحرك ضد أديس أبابا، مصحوبًا بالأبونا بطرس، الذي بعد أن استسلم، خان وانضم إلى المتمردين. في أيام 28 و29 و30 يوليو، دار القتال داخل العاصمة؛ وقد توغل الدجياش فيها، واتخذ من مقر قيادته السابق في غيبي راس ماكونين مركزًا له، حتى تمكنت قواتنا من هزيمته وطرده. لم يحدث أي تمرد داخلي للسكان، وهذا دليل على أن السياسة الحكيمة قد أثمرت ثمارًا طيبة. الأبونا بطرس، الذي تم القبض عليه، حوكم علنًا أمام جميع الناس؛ وكان حكمه بمثابة إنذار أقصى للقادة والأتباع.

في روما، تجاهلت هذه الأحداث، التي كانت قد أرعبت موسوليني، وتم إخفاؤها بسبب حلها الإيجابي.

ولم تصل كلمة واحدة تفيد بـ"أخذ العلم". ولم يتم نشر أي أخبار عنها في الصحافة؛ لذلك اعتقد الشعب الإيطالي المخدوع أن أديس أبابا أصبحت "إلدورادو من المتع"[1].

ولأني أردت تجنب أي عمل انتقامي ضد العديد من العناصر الداخلية المشتبه في تواطؤها، عاتبوني في روما على ذلك وكأنه ضعف، وحثوني مرة أخرى على نظام إرهاب. أجبت بأن المثال الوحيد والعادل للأبونا بطرس كان أكثر فائدة من أي عمل انتقامي عشوائي آخر؛ ولم أكن أنوي التغيير في الكرم أو في الصرامة.

---

[1] الدورادو، مدينة ذهبية في أمريكا الجنوبية كأسطورة اسبانية قديمة. [المترجم]

مر سـبتمبر، وهو آخر شـهر للأمطار. وفي أول يوم مشـمس، انطلقت قواتنا العاملة، الجاهزة بالفعل، بسرعة فائقة نحو جيما-ليكهمتي، وبني شنقول، لتعيد فتح آفاق توغلنا في كل مكان. في غضـون فترة وجيزة، أصـبحت جميع الأراضـي الغربية في حوزتنا، وصـولًا إلى غامبيلا-بونغا-جيما وبحيرة رودولف. بدأت الفرقة، بقيادة الجنرال جيلوسو، حينها مسيرتها التاريخية نحو العاصمة، التي لا يزال يقاومها راس ديسـتا دامتو الذي عاد إلى الميدان مع ملازميه الدجياش غبريماريام والدجياش بيجيني ميريد. وكان الجنرالان بيرزيو بيرولي، في أمهرة، وناسـي، في هراريينو، يشـقون طريقهم في تلك المناطق.

كانت مكانتنا في أوجها. توالت عمليات الاسـتسـلام بوتيرة متزايدة، بينما كان التهدئة تتقدم كل يوم.[1]

كان راس إيميرو هو الأكثر سـلطة واحترامًا كقائد عسـكري لأنه أتم دراسـته في فرنسـا، في أكاديمية سـان سـير. ظل مسـلحًا بعد 9 مايو، ولم يبدِ أي محاولات للاسـتسـلام. خلال فترة الأمطار، ظل خاملاً يجمع في صـفوف مسـلحيه أشـد العناصـر القومية حماسًـا، وجميع خريجي الكلية العسـكرية في أوليتّا، وأعضـاء جمعية "الشـباب الإثيوبيين". وفي نهاية الأمطار، تحرك مرة أخرى متوجهًا إلى الأراضـي الغربية، على أمل أن يتمكن من حشـد قبائل الجالا تحت رايته، ومن ثم المضي قدمًا إلى جيما وبونغا.

العمل السـياسـي الذي قمنا به على الدجياش أبتيماريام من ليكهمتي وعلى أهل جيما أنفسـهم، جعل نداءه لا يُستجاب إلا بنسبة محدودة.

على نهر غوغيب، اسـتسـلم الراس إيميرو، المحاصـر في دائرة لا مفر منها، مع جميع مسـلحيه للمقدم مينيتي من مجموعة "مالطا". اسـتسـلم دون شـروط، معلنًا أنه يضـع نفسـه تحت رحمة الحكومة.

نص الأمر الأعلى الصـادر عن وزير أفريقيا، أليسـاندرو ليسـونا، باسـم رئيس الحكومة، على أن جميع القادة الذين يتم أسرهم في المعارك، أي أثناء تمردهم، يجب إعدامهم رميًا بالرصاص.

ومع ذلك، ظل الراس إيميرو معاديًا لنا دائمًا، حتى بعد 9 مايو 1936، ولا يمكن اعتباره قائدًا متمردًا، لأنه اسـتمر في الدفاع عن بلاده: ولذلك يجب اعتباره أسـيرًا. هذه هي الأطروحة التي دافعت عنها أمام الحكومة المركزية، التي كانت تميل بدلاً من ذلك إلى التدخل من قبل محكمة موجزة. وفي النهاية، انتصرت حجتي.

---

[1] كان من الضروري كسر عمليتها المواتية التي تعارضت مع الكثير من المصالح الأجنبية، وكان هناك من تولى هذه المهمة، والتي ستتوج بمؤامرة 19 فبراير 1937، وكانت نتيجتها تراجعًا في عملية التهدئة.

عندما نُقل جوًا إلى أديس أبابا، سمحت لجميع الزعماء والأعيان بالتوجه إلى مطار التحليق لتحيته. شخصيًا، طمأنته على مصيره الذي لم يعد يشكل أي خطر.

في المقابل، خلال التحقيقات في مؤامرة عام 1937، تبين أن الراس إيميرو، لحظة استسلامه، كلف العناصر القومية بتنفيذ أعمال إرهابية في أديس أبابا، وربما من تلك اللحظة بدأت أول خيوط ما حدث لاحقًا.

تم ترحيل الراس إلى المنفى في إيطاليا، وبقي لعدة سنوات في بونزا؛ ثم أطلقه موسوليني، الذي سيكون هو الأول، بعد الراس، في عام 1943، يسكن المنزل الذي كان الراس محتجزًا فيه. يا لها من سخرية القدر!

الراس إيميرو الآن سفير في واشنطن. لا أعلم إذا كان يعلم أنه يدين لي بحياته، بينما أنا مدين له، قبل أي شخص آخر، بقنابل أديس أبابا.

بعد هزيمته في أديس أبابا، تراجع أفيرا كاسا مع شقيقه أسفاووسين الذي تبعه في المغامرة الخطيرة، إلى إقطاعياته في فيكو، وبعد فترة وجيزة ادعى، متظاهراً بالبراءة، أنه تعرض لافتراءات بشعة؛ وأنه لم يتحرك قط من منزله؛ وتوسل بضرورة إبلاغ الحكومة بالحقيقة. وهكذا استؤنفت المراسلات بينه وبين مختلف القادة الذين لم يفقدوا الأمل في إعادته إلى رشده، وحثه على الاستسلام فعلياً وضمان العفو باسمي له، إذا حضر.

في هذه الأثناء، أصبحت العمليات في منطقة البحيرات ضد راس ديستا ورفاقه أوسع نطاقاً، لدرجة أنها تطلبت مشاركة قوات هرارينو. لذلك أصبح وجودي المباشر ضرورياً لتنسيق المهام الحربية للحاكمين والقائدين ناسي وجيلوسو.

ولكن قبل مغادرة أديس أبابا، كان من الضروري تصفية التشكيلات المسلحة للأخوين كاسا بشكل نهائي، لتجنب إشعال اضطرابات جديدة في العاصمة أثناء غيابي. عُهد بالإدارة إلى الجنرال تراكيا، الذي كان تحت إمرته أيضًا عصابات راس حايلو. وكان الأمر الذي أصدرته له هو "القبض على أفيرا كاسا وشقيقه". ولكن قبل بدء العمليات، كنت قد كتبت إليهما مباشرة وطلبت من راس سيوم أن يكتب إليهما أيضًا، داعيًا إياهما إلى الاستسلام. وحذرتهما من أنه بمجرد بدء تحركات القوات في أراضيهما، لن يكون هناك أي ضمان لسلامتهما (لمن يرغب في مزيد من التفاصيل، أشير إلى المجلد الثاني، السنة الأولى للإمبراطورية، التسلسل الزمني التاريخي أو المذكرات التي كان لدي الحكمة الكافية لتدوينها).

ثم حاصرتهم قواتنا من كل جانب، وقد قاوموا دون جدوى، فبحث الأخوان كاسا عن النجاة بتسليم نفسيهما لراس حايلو. فسلمه راس حايلو للجنرال تراكيا، الذي شكل على الفور محكمة.

انتهت المحاكمة الموجزة بالحكم بالإعدام على الأخوين كاسا بسبب الخيانة والغدر والإساءات العديدة التي لحقت بقواتنا.

هذه هي القصة الحقيقية، قابلة للتوثيق. لكن في هذه الحالة أيضاً، نسجت أكاذيب شنيعة بحقي، حتى أثارت أسطورة ثانية، على غرار تلك المتعلقة بالحاج كوبار، التي مفادها أنني بعد أن وعدتهم بالنجاة، قمت بإعدام الأخوين كاسا.

عند عودتي إلى أديس أبابا بعد العمليات، جاء راس حايلو ليعرب لي عن مخاوف جدية على سلامته. قال لي: "عندنا، قانون الدم لا يرحم. إذا لم يكن اليوم، فسأُقتل بالتأكيد غداً، انتقاماً، على يد أفراد عائلة كاسا، الذين ينسبون إلي قتل الأخوين". بمناسبة اجتماع عام لكبار القادة المحليين، أوضحت أنه لا يمكن إلقاء أي لوم على راس حايلو، وأن مسؤولية الحدث تعود بالكامل إلى القيادة الإيطالية. وهكذا تراجعت مخاوف الراس. ولإسكات الشائعات المتداولة، تحملت أمام روما المسؤولية الكاملة عن الحدث، وهكذا غطيت على الجنرال تراكيا أيضاً.

بعد رحيلي عن إثيوبيا، تسببت خضوع أبيبي أريغاي، الذي وعد به دائمًا ولم يفِ به، على غرار ما فعله الأخوان كاسا، في خيبات أمل متتالية للحكام الجدد. حينها، زادت شائعة "خيانتي" انتشارًا، وباعتباري السبب الرئيسي لعدم خضوع أبيبي أريغاي، استخدم ذلك لتبرير فشل السلطات الحكومية.

الحقيقة هي أن أبيبي أريغاي، رجل ذو قيمة، شديد الدهاء ومخلص حتى الموت للنجوس، الذي أقسم له أنه لن يخضع لإيطاليا أبدًا، استغل إخلاصه ببراعة فائقة وكان يعرف كيف يضلل سلطاتنا. في الواقع، ظل متمردًا؛ وقد كافأه النجوس اليوم بمنصب حاكم مكالي.

لقد رأينا كيف، بعد تصفية وضع الراس[1] "إيميرو" والأخوين "كاسا"، بقي وضع الراس "ديستا دامتو" وملازميه الدجياش "بجيني مريد"، قائد بايه، والدجياش غبريماريام، الذين كانوا قد تبعوه بالفعل في "الحملة العقابية" التي كان من المفترض أن تغرق الصومال، وتقود الراس الطموح ليغتسل في المحيط الهندي، والتي انتهت بدلاً من ذلك بشكل مأساوي في نيغيلي.

بعد الهزيمة التي مني بها، تراجع راس ديستا دامتو، الذي سقط من حظوة النجوس، إلى حياة خاصة ولجأ إلى دير.

[1] راس، نجوس، دجياش: رتب ومناصب أثيوبية.[المترجم]

بعد هروب النجوس، عاد راس ديستا إلى الساحة مع ملازميه المخلصين؛ وجميع محاولات إخضاعه باءت بالفشل. عن طريق الكابتن توتشي، أبلغ أنه سيستسلم بشرط أن ينقذ حياته. قبلت طلبه على الفور، وضمنت سلامته بشرط أن يقدم نفسه مع جميع مسلحيه، عن طريق كاستاغنا العجوز الذي كان تربطه صداقة وأعمال مع الراس.

كان كاستاغنا يقيم في إثيوبيا منذ عام 1896؛ بعد أن أُسر كرقيب مهندس، أراد البقاء في الحبشة، حيث كان، قبل صعود تالاري إلى العرش، وزيرًا للأشغال العامة. لذلك، كان يتمتع بصداقة ومعرفة جميع الشخصيات المحلية البارزة. لذا، بدا أنه الرجل الأنسب لإنجاز هذه المهمة الدقيقة، والتي كرس لها نفسه حتى النهاية، غير مكترث بالمخاطر المؤكدة على حياته. في الواقع، ذات يوم لم يعد من معسكر الراس حيث قُتل بوحشية.

أولئك العاطفيون الذين يتأثرون بصرامة الإجراءات التي اضطررت لاتخاذها لتحقيق الهدف الأسمى المتمثل في تهدئة البلاد المحتلة وضمان النظام فيها، ليس بـ"أطنان من الكلمات الطيبة" التي تذهب سدى، خاصة بين السكان الأصليين، فليأخذوا بعين الاعتبار اغتيال رجل بريء في السبعين من عمره كان يعمل من أجل خير الجميع.

فُتحت الكلمة إذن مرة أخرى للسلاح.

في أوائل يناير 1937، انتقلت جوًا إلى منطقة البحيرات، وأقمت مقري الرئيسي في إيرغاليم. ومن هناك، كنت أدير العمليات. وعندما بلغت مرحلة جيدة، واصلت رحلتي، براً، نحو الصومال، مستمرًا في توجيه حركة القوات عبر الراديو. بعد زيارة الصومال، صعدت الأوغادين، دائمًا براً، ثم هرارينو، عائدًا في 12 فبراير إلى أديس أبابا، حيث انتشرت في هذه الأثناء بين السكان المحليين شائعة وفاتي.

وفي الوقت نفسه، خلال غيابي، تم تجهيز شبكات الهجوم الذي وقع في 19 فبراير. وكانت الخطة كالتالي: انسحب راس ديستا، هاربًا من ضغط قواتنا في سيدامو، نحو غوراغيه، موطنه الأصلي وموطن ملازمه الدجياش جبرماريام. هناك، كان يعول على جمع أكبر عدد من المسلحين للتحرك، بمساعدة الثورة الداخلية، نحو أديس أبابا، حيث كان قد تجمع في هذه الأثناء أشد القوميين الإثيوبيين حماسًا، المنتمين إلى جمعية "الشباب الإثيوبيين". وانضم إليهم خريجو مدرسة أوليتا السابقون. وقد وجد العناصر الأكثر حماسًا ملاذًا لدى رهبان دير دبرا ليبانوس، وهناك، داخل أسوار الدير المحصنة، أجروا تجارب وتدريبات على القنابل.

في يوم 12، أثناء مروري بمحطة موجيو، أعطيت أمرًا للملازم العام ميشي والجنرال غالينا بالتحرك لمواجهة راس ديستا، الذي كان يلاحقه بشدة الرائد توتشي والمقدم ناتالي. من يوم 13

إلى 19، كانت تحركات الأعمدة تضيق الخناق على راس ديستا، الذي كان يتبعه ملازموه الدجياش غبريماريام وبجيني مريد من بايه.

رغبة في الاحتفال بميلاد أمير نابولي، أقمت في تلك الأيام أول حفل استقبال كبير في "غيبي"، وقد سُمح فيه بدخول كبار الشخصيات الإثيوبية الذين كانوا يتعاونون معي منذ شهور.

ولكي تبتسم هذه المناسبة السعيدة أيضاً للتعساء الكثر (الفقراء، المعاقين، المكفوفين، المشوهين) الذين كانوا يتسولون في شوارع العاصمة، أمرت بالإعلان عن توزيع مساعدات قريباً في القبي، بحضوري وحضور جميع أعضاء الحكومة المدنيين والعسكريين؛ كما حدث في مناسبة سابقة.

في اليوم السابع عشر، أُعلن أن الحفل سيُقام في التاسع عشر. وكانت مسؤولية المراقبة الشرطية من اختصاص مفوض حكومة أديس أبابا، ديلا بورتا. وكانت التعليمات واضحة بخصوص إجراءات تحديد هوية الحاضرين، الذين سيدخلون من بوابتين فقط في الحديقة.

في مساء يوم 18، كما ذكرت سابقًا، أقامت المفوضية الفرنسية حفل استقبال في منزل جيرارد، المدير التنفيذي لشركة سكة حديد أديس أبابا-جيبوتي؛ وحضرت أنا ومعظم مسؤولي الحكومة. غادرنا الحفل في الساعات الأولى من يوم 19. وكان الحفل قد تحدد ظهراً. وقبل ذلك، أكدت لي أجهزة الشرطة أن جميع الإجراءات قد اتخذت للحفاظ على النظام والأمن.

نزلت من مكتبي، واتخذت مكاني تحت سقف المدخل حيث كانت جميع السلطات مجتمعة بالفعل. بدأت الاحتفالات دون أن ألاحظ أي شيء غير عادي. أمام درج المدخل، خلف الساحة الصغيرة الفاصلة، اصطف كبار الشخصيات المحلية في الصف الأمامي، على بعد حوالي عشرين مترًا من السقف. خلفهم، كان المهاجمون مختبئين.

مجموعة أخرى اخترقت القصر من سلم الخدمة الذي يؤدي إلى المكتب السياسي، الذي كان يرأسه المقدم بالافيتشينو، والذي كان موجودًا هناك في تلك اللحظة بسبب وجود بعض الشخصيات المحلية، وبالتالي لم يكن موجودًا عند بداية إلقاء القنابل. مصادفة غريبة جدًا، لم أتمكن من إيجاد أي سبب معقول لها، ولا أستطيع صياغتها حتى اليوم. الكولونيل بالافيتشينو، ذو الأم الإنكليزية والمتزوج من إنكليزية، والذي يتقن اللغة تمامًا، كان يتردد باستمرار على السفارة الإنكليزية وكان مساعدًا قيمًا للتواصل معها.

كان الأبونا سيريللو حاضرًا. لسوء الحظ، كان راس حايلو خارج أديس أبابا، في عمليات مع عصاباته. لو كان في المدينة، أعتقد أن مثل هذه المؤامرة لم تكن لتنجح. كان سيعلم بها بالتأكيد ويبلغني بها في الوقت المناسب.

في اليوم السـابق، وصـل الدجياش حايله سـيلاسـي غوغسـا من مكالي إلى أديس أبابا، وكان حاضرًا. التقطت الصورة، قبل لحظات قليلة من بدء إلقاء القنابل، وأنا أقدمه إلى نائب الحاكم العام، بيترتي. بجانبي، الأبونا سيريللو في ذلك الصباح كان شاحب الوجه جدًا!

كان يعلم بالتأكيد بالمؤامرة، لكنه كان مضـطرًا للحضـور على أي حال لأن غيابه كان سـيثير الشكوك. ربما كان يعتقد أنه بدلًا من القنابل ضد الجميع، سيكون هناك إطلاق نار موجه بدقة ضدي...

أصيب هو أيضًا، وقتل خلفه الكاهن الذي كان يحمل مظلته!

القنبلة الأولى، التي أُلقيت من الأمام، كان مسـارها مرتفعًا جدًا وسـقطت على السـقف. خطر ببالي أنها كانت ألعاب نارية تهدف إلى مرافقة الحفل؛ وداخل نفسـي، لمت المكتب السـياسـي لعدم إبلاغي بذلك.

القنبلة الثانية، التي كانت أيضًا مرتفعة جدًا، أصابت زاوية السقف، مما أثار غبارًا. معتقدًا أن الألعاب النارية كانت تأتي من أعلى الشـرفة، ولم أكن قد أدركت بعد طبيعة ما يحدث، نزلت مسرعًا السلالم التي تفصل عن السـاحة، وتطلعت إلى الأعلى لأرى ما كان يحدث. وهكذا قدمت نفسـي، هدفًا منفردًا وقريبًا، لمجموعة المهاجمين. كانت هذه هي اللحظة التي سـقطت فيها قنبلة ثالثة، على بعد حوالي ثلاثين سـنتيمترًا مني، أصـابتني مباشـرة، مما أحدث لي ثلاثمائة وخمسـين جرحًا من الشظايا التي أصابتني في كل جانبي الأيمن من الكتف إلى الكعب.

أسـقطتني الضـربة أرضـاً. لكنني سـرعان ما حاولت النهوض. التقطني الجنرال غاريبولدي والفدرالي كورتيزي ونقلاني إلى أول سيارة.

في نفس اللحظة التي بدأنا فيها التحرك، أُلقيت قنبلة أخرى، دون أن تصيبنا؛ عند مخرج بوابة الحديقة، قنبلة أخرى؛ وبمجرد خروجنا، تعرضنا لوابل من نيران رشاش. لم يُترك شيء للصدفة؛ إعداد يحسده أكثر الإرهابيين احترافًا.

رغم فقداني الكثير من الدم من الجروح، حافظت على وعيي حتى وصـلت إلى المسـتشـفى، على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من الغيبي. قبل أن أغادر، أمرت الجنرال غاريبولدي بتولي القيادة المباشـرة للمدينة، وإعلان حالة الحصـار؛ واتخاذ جميع الإجراءات اللازمة على الفور لقمع أي محاولات تمرد داخلي. كتب المصـور بيريندلي، السـائق الذي شـهد كل ذلك، في شـهادته: "من يحافظ على أقصى درجات الهدوء ورباطة الجأش هو نائب الملك!".

بمجرد وصولي إلى المستشـفى، أجرى لي الكابتن الطبيب تاركويني عملية ربط الشريان الفخذي الأيمن. وبسـبب التخدير بالكلوروفورم، تطور لديه التهاب رئوي رضـحي في اليوم التالي. جاء إلي

الأمين الفيدرالي كورتيسي في المساء وأبلغني أن العناصر الفاشية في المدينة تعتزم بأي ثمن القيام بعمل انتقامي. ورغم ارتفاع درجة حرارتي، أجبت أن القيادة العسكرية تعود للجنرال غاريبولدي، وهو الحكم الوحيد في هذا الشأن؛ وأوصيت بعدم ارتكاب تجاوزات إذا لم يرغبوا في فقدان كل ما تم تحقيقه في لحظة. كان حاضرًا الكولونيل الطبيب بادا، وهو الآن مدير الصحة العسكرية، والذي يمكنه أن يشهد على دقة ما أقوله.

على الرغم من كمية الدم المفقودة، وضغط ارتفاع أديس أبابا وكل الظروف المعاكسة الأخرى، تراجعت عملية الالتهاب الرئوي في اليوم الرابع، مما أدهش الأطباء أنفسهم. لم يتقيح أي من الجروح الثلاثمائة وخمسين؛ وهذا دليل على مقاومة جسدي.

خلال الثمانية وسبعين يومًا التي قضيتها في المستشفى، لم أهمل لحظة واحدة إدارة الشؤون السياسية والعسكرية، بعد أن فوضت رعاية كل شيء آخر إلى نائب الحاكم بيترتي.

في غضون ذلك، كانت القوات العاملة، متجاهلة ما حدث في العاصمة، تلاحق راس ديستا. أقدم لكم التسلسل الزمني لخمسة أيام من المجلد: السنة الأولى للإمبراطورية، من إعداد مكتب المسح الطبوغرافي الأعلى في أديس أبابا.

« 20 فبراير - عمود "عيد الميلاد" - اشتباك غوجيتي.

«نجح عمود "عيد الميلاد"، بعد وصوله إلى غوجيتي صباح يوم 20، في التأكد، على الرغم من صعوبات المعلومات بسبب عداء السكان، من أن راس ديستا وجميع مسلحيه كانوا على التلال المشجرة التي تهيمن على الحوض بأكمله على شكل قوس دائري. قرر القائد مهاجمة العدو، الذي أظهر رد فعله على الفور عنيفًا، من المنازل والتلال المهيمنة. العدو، الذي هُزم بعد قتال عنيف، تم مطاردته بشدة، وفي وقت متأخر من الليل، تمركزت قواتنا في المواقع التي وصلوا إليها. في القتال، لقي الدجياش غبريماريام مصرعه، وهو جندي شجاع قاتل دائمًا بثبات عنيد.»

(تقدم به العمر، إلا أنه كان لا يزال يمثل الطبقة القديمة من القادة الإثيوبيين في عصر تيودور ومينليك. جُرح جرحًا مميتًا، ولئلا يقع حيًا في أيدينا، توسل إلى بولك-باشت إريتري ليجهز عليه بمسدسه!)

«21 فبراير: بالنظر إلى أن العمليات ضد المتمردين قد تحولت نحو الغرب، أمر سعادة نائب الملك بأن يتولى الجنرال غالينا قيادتها.

«22-23 فبراير: في اليوم 23، أُبلغ الكابتن توتشي أن راس ديستا لجأ مع حوالي أربعين رجلاً إلى إيجا.

«24 فبراير: في فجر يوم 24، تم تطويق مخبأ راس ديستا. بعد قتال قصير، تخلى الراس عن أي مقاومة أخرى، وفي وقت متأخر من المساء تم إعدامه رميًا بالرصاص.»

أرسل الكابتن توتشي رسالة بالبرقية التالية: "24 فبراير 1937 - 750-24. اليوم الساعة 6 صباحًا، أسرت فرقتي راس ديستا دامتو - امتثالًا لأوامر سعادة رئيس الحكومة، تم إعدامه رميًا بالرصاص الساعة 5:30 مساءً. الكابتن توتشي".

إن الإشارة إلى السلطة التي صدر منها الأمر لا تدع مجالاً للشك في ذلك.

وهكذا، فشل الهجوم الذي تم تدبيره ببراعة بتدخل أجنبي؛ وأنقذت العاصمة للمرة الثانية.

على الرغم من أن الشائعات كانت تقول إن طليعة راس ديستا كانت على الأبواب، إلا أن خبر عدم مقتلي انتشر في نفس اليوم التاسع عشر؛ وكان ذلك كافياً لوقف حركة التمرد العام الداخلي.

كشفت الغارة التي نفذتها وحدات الميليشيا في الليل وفي اليوم التالي عن استعدادات نشطة، واكتشفت أسلحة وذخائر في كل مكان. في هذه الأثناء، كانت حالتي الروحية والعقلية بحيث أمليت التقرير من سريري، دون أن يضطر رئيس ديواني، المقدم ماتزي، إلى إجراء أدنى تصحيح عليه.

إليكم النص الكامل:

المكرم معالي وزير المستعمرات - روما. 24 فبراير 1937 - 3. 9619 هيئة الأركان العامة. إلى معالي رئيس الحكومة - الدوتشي!

بعد أسر راس إمميرو في 15 ديسمبر، كلفتني بمهمة المضي قدمًا بلا هوادة لتدمير آخر من تبقى من زعماء المقاومة المعادية (راس ديستا دامتو). بعد أن تجاوز اللحظة التي بدا فيها أنه يريد الخضوع، استخدم راس ديستا، ببراعته الشرقية المعتادة، هذا كذريعة لإعادة تنظيم صفوفه بعد احتلالنا لمنطقة إيرغاليم. مضللًا قيادة معالي جيلوسو بمعلومات كاذبة، جعلهم يعتقدون أنه أصبح أعزل تقريبًا. علاوة على ذلك، بينما كان يتوسل عطفنا، كان يطالب بحقوقه في الحكم وأظهر عدم اعترافه الكامل باحتلالنا، ووصفني في إحدى رسائله رداً على ذلك بوزير مفوض لإيطاليا.

أمرت في لحظة معينة بوضع حد لهذه المناورة، ومنحت الراس سبعة أيام لتقديم نفسه؛ وبعد ذلك، لن يكون هناك أي عفو ممكن بالنسبة له. بعد انتهاء هذه الأيام السبعة، والتي لم يتمكن الراس خلالها من الرد إلا برسالة غاية في الغباء تعبر عن دهشته من هذا الإجراء الذي لم يكن

يتماشى مع توقعاته، غادرت أديس أبابا في 7 يناير متوجهًا إلى سيدامو، وتوليت قيادة العمليات مباشرة.

بعد أن تأكدت أن عدم كفاءة راس ديستا التي يُتغنى بها لم تكن سوى خدعة، تحركت بمناورة في منطقة أرباغونا-شيفينا. شارك في هذه المناورة من الشمال الشرقي جزء من الفرقة الليبية، ومن الجنوب الغربي جزء من قوات سيدامو. في أيام ذكرى معركة نيغلي، 20-21-22 يناير، تعرض راس ديستا لهزيمة ساحقة، تاركًا في أيدينا أكثر من خمسة آلاف بندقية، وثلاثين مدفعًا رشاشًا، وأربعة مدافع: أي ما يقرب من جميع أسلحته. في هذه الأثناء، عادت أكثر من خمسة عشر ألف شخص مع متاعهم ومواشيهم وما إلى ذلك، الذين كان قد جرفهم معه بالقوة، إلى أراضينا بعد تحريرهم من نيره.

ألقى راس ديستا بنفسه بيأس على أطراف منطقة دالو الوعرة، ووجد دعمًا غير متوقع في بيجيني ميريد الذي كان قد تخلص سرًا من قبضتنا في منطقة بالي، ملامسًا بدوره الأطراف الشمالية لدالو ومتجهًا، دون أن تلاحظه قواتنا في داديتشيا، نحو جيبانو، متجهًا إلى أولامو الذي كان يعتقد أنه لم يُحتل بعد من قبلنا.

أمرت حينها بأن تهاجم قوات معالي ناسي وقوات معالي جيلوسو كل من راس ديستا وغابريماريام، اللذين كانا يتبعان بيجيني ميريد، والهاربين الباقين من داوا، والعمود القوي لبيجيني ميريد. أسفر ذلك عن اشتباكات جيبانو العنيفة والدامية، حيث فقدت الفرقة الليبية المجيدة وحدها ثمانية ضباط وثلاثمائة رجل من القوات.

بحماس اضطررت أنا نفسي إلى كبحه في وقت معين بسبب الظروف اللوجستية الخطيرة التي كانت تتشكل، واصل القادة والقوات مطاردة شرسة، وسدوا جميع الممرات بين البحيرات، ودفعوا القادة المرعوبين من عمل القوات والإصرار اليومي الشديد للطيران حتمًا نحو الشمال.

في هذه الأثناء، من تراكم الأخبار والاستنتاج المنطقي نفسه، اتضح أن نقطة التجمع كانت غوراجي وغامباتا جنوب أديس أبابا. أمرت حينها بأن تسمح القوات، دون أن تفقد الاتصال، للتجمع في هذه المنطقة بالاكتمال، حتى يشكل هدفًا واضحًا يمكن التحرك ضده في الوقت المناسب وبشكل مدروس. بينما كانت هذه الأوامر تُنفذ، واصلتُ رحلتي إلى مقديشو، صعودًا عبر هرار. وصلتُ إلى موغو حيث استدعيتُ الجنرالين غالينا وميسكي والمقدم ناتالي، وأصدرتُ الأوامر بتشكيل عمودين يجب أن ينزلا من موجو وأديس أبابا إلى منطقتي غامباتا وغوراغي، لينضما إلى القوات التي كانت مستمرة في الاتصال من الجنوب، بينما لم يتوقف سلاح الجو عن العمل. لقد كانت نتائج هذه المناورة حاسمة. ففي اليوم التاسع عشر، خاض المقدم ناتالي معركة عنيفة في غوغيتي مع بيجيني ميريد الذي أسره ثم أعدمه، وغبرماريام عدونا اللدود (الذي تجرأ في

عام 1931 على شن هجوم على أبواب الصومال)، والذي قُتل؛ وكان راس ديستا نفسه قد قاد العملية وتمكن من الفرار، ولكن بعد مطاردة شرسة، تم القبض عليه اليوم وأعدم على الفور من قبل مجموعات تيغراي غير النظامية بقيادة الديجاش توكلو تحت إمرة النقيب توتشي الشجاع. في اليوم التاسع عشر نفسه، تم الاعتداء على حياتي هنا، بينما في الوقت نفسه، انتشرت شائعة بأن راس ديستا وغبرماريام يزحفان نحو أديس أبابا مستغلين (وهو أمر يثير السخرية) هروبهما شمالًا، وهو الاتجاه الوحيد الممكن الذي بقي لهما.

مما ذُكر في الفترة الأخيرة، يتضح أنني لم أكن أمتلك بعد العناصر التي ظهرت لاحقًا، خلال التحقيقات التي تلت المؤامرة والتي أوضحت الخطة التي كان يتبعها راس ديستا بناءً على توجيهات دقيقة من لندن، حيث أعد النجوس مع السفير مارتن الخطة، والتي أُرسلت إلى أديس أبابا من قبل باشاميد وتم إتمامها لدى شركة محمد علي.

لقد أُلقي القبض على معظم المنفذين الماديين للاعتداء. وتمكن الثلاثة الرئيسيون من الفرار: أبراهام ديبوتش، وأغوس أسغيدوم، وبيجيروندي لاتيبيلو، الذين كان الكولونيل بالافيتشينو قد عينهم كمخبرين مخلصين له، ولذلك كانوا يدخلون ويخرجون من مقر الحكومة كما يحلو لهم. شكل المحامي العسكري، الجنرال أوليفيري، محكمة عسكرية، حكمت على الجناة والمشتبه بهم بالتواطؤ بعقوبات مختلفة، تتراوح بين الإعدام والنفي إلى إيطاليا.

من بين المعتقلين كان هناك إثيوبي يعمل مترجماً لدى السفارة الإنكليزية. جعل وزير الخارجية الإنكليزي من قضيته مسألة دبلوماسية ولم يكفّ عن الإصرار على إطلاق سراحه حتى أمرت وزارتنا بذلك.

في روما، في هذه الأثناء، حاولوا التقليل من شأن الأحداث التي كانت بمثابة ثورة حقيقية، تم قمعها في مهدها؛ مجرد اعتداء بسيط على شخصي. ولعزائي، وصلتني برقية من الوزير، صيغت تقريباً بهذه الكلمات: «لا أولي أية أهمية أو اعتبار خاص لما حدث، لكنني أعتقد أن الوقت قد حان لتطهير عام بلا رحمة لجميع العناصر المعادية والعدوانية. أنا متأكد من أنكم، بقدرتكم، ستحافظون على النظام، إلخ...».

غطت الرسالة توبيخًا ضمنيًا لـ"الضعف" الذي ظهر حتى الآن في عملي الحكومي، وهو "ضعف" تحوله الدعاية المعادية إلى "وحشية"، والمزيد والمزيد.

في هذه الأثناء، في السادس من مايو، عدت إلى قصر "غيبي" أعرجًا. في اليوم التاسع، استعرضت القوات بمناسبة إعلان الإمبراطورية، موجهًا لهم خطابًا حماسيًا. بعد شهر، استأنفت تحركاتي وتوجهت بالسيارة، مستخدمًا عجلة القيادة، إلى لاس أداص لوضع الزهور على قبور القتلى الذين سقطوا قبل عام خلال الهجوم على القطار.

في نهاية يوليو، افتتح رئيس شركة الطرق، الدكتور بيني، الطريق الرئيسي الكبير بين أديس أبابا وأسمرا، وفتحه أمام حركة المرور. في العاشر من أغسطس، سلكت بنفسي هذا الطريق متجهاً إلى إريتريا. وبدلاً من التوجه إلى أسمرا، نزلت عبر ديكاميريه إلى مصوع، ثم صعدت الهضبة. خلال معظم الرحلة، حيث قمت بزيارة القوات والسكان، كنت أقود سيارتي.

في أسمرة، لاحظت أن التمرد قد ازداد حدة في محافظة أمهرة وفي المناطق الطرفية من محافظة إريتريا (منطقة لاستو ووغرات). كان التمرّد مستمرًا منذ 6 مايو 1936، نتيجة لاحتلال العاصمة، وقد اتخذ مظاهر عنيفة بدرجات متفاوتة في الأراضي المختلفة. وهي ظاهرة طبيعية في الفتوحات الاستعمارية في جميع العصور.

في بداية الحملة الإثيوبية، عندما عرض أحدهم موسوليني ، بالإضافة إلى صعوبات الفتح، صعوبات التهدئة اللاحقة. أجاب موسوليني بأنه وضع في الميزانية عشرين عامًا من حرب العصابات لتحقيق ذلك. ومع ذلك، لم يكن يرغب في حدوثها على الإطلاق؛ وفي مواجهة العكس، الذي كان منطقيًا، خاصة وفقًا للمعايير السياسية المتبعة، ألقى باللوم على الحكومة المحلية. في الوقت نفسه، أمر الوزير ليسونا بتخفيض القوات إلى الحد الأدنى لأسباب تتعلق بالميزانية.

وهكذا، في أغسطس 1937، أعيدت جميع الوحدات الحضرية، مع معظم الأسلحة، إلى الوطن، لتعويض النقص في المخازن العسكرية. وليس هذا فحسب. فقد أمر الوزير أيضاً بتخفيض قوة الكتائب المحلية إلى خمسمائة رجل! وبالتالي، كان من الطبيعي تماماً أن تزداد حدة ظاهرة التمرد مع تناقص القوات.

لقد عارضت هذه الإجراءات غير الملائمة عبثًا، ولم يُستمع إليّ، وبينما كنت أصارع أيضًا عواقب هذه الإجراءات، أُعلن أنني مسؤول عنها. لكن السجلات تشهد على أن هذا ما حدث دائمًا، منذ العصور القديمة، في جميع المناطق لمحافظي الأقاليم ما وراء البحار.

بعد المحاولة الانقلابية للإطاحة بالحكومة، أصبح من الضروري إعطاء الانطباع بأن الكرم لا يمكن الخلط بينه وبين الضعف، ففرضت تدابير صارمة: القمع والقضاء على العناصر المعادية لاستعادة السلطة المهزوزة والهيبة التي هي أساس أية عملية غزو.

وقد ردت الشعوب عليها بتمردات جماعية كان لا بد من قمعها. وكانت المراكز الدافعة، على طريق أديس أبابا-أسمرة، في منطقة لاستو ووغرات، تحاول قطع الاتصالات بين العاصمة والشمال.

كان من حسن الحظ أنني كنت في أسمرة لأقدم المساعدة للأميرال دي فيو، حاكم الولاية، بسبب ضعف القوات الذي فرضته روما، ولأدعم الجنرال بيرزيو بيرولي، حاكم أمهرة، الذي كان يعاني من ضائقات مماثلة.

مناورة ناجحة ضد لاستو، قادها المقدم راوجي بمساعدة أزيبو غالا، أدت إلى نزع سلاح المتمردين والقضاء عليهم، وهذا ما حدث أيضا في ووغيرات، مما جنب قطع الاتصالات بين أديس أبابا وأسمرة، والتي ظلت نشطة. في أمهرة، تم إرسال جميع القوات المتاحة؛ وذلك لمواجهة التمرد الذي كان ينتشر بشكل أكثر إثارة للقلق.

هذه الأحداث أبقتني في أسمرة معظم شهر سبتمبر. استغللت الفرصة لزيارة تفصيلة لإريتريا، وقمت بنشاط تفتيشي استثنائي للغاية؛ وكنت أرسل تقارير يومية إلى روما، حيث كان الجو هناك رافضًا لاستقبالها. لقد حكم عليّ بالفعل! ولتقديم أسباب مقنعة للرأي العام، كان من الضروري الإصرار على أسطورة عدم كفاءتي الجسدية بعد الهجوم.

قبل مغادرة إريتريا، أردت زيارة منطقة أوغيرا، التي أصبحت الآن خاضعة؛ وتوجهت على ظهر بغل، برفقة سرية إريترية بسيطة من مكالي إلى ديبوب، عاصمة تلك المقاطعة، حيث عُثر على عرش تيودور. كانت هناك أسطورة تقول إن فقدان هذا العرش سيعني أيضًا فقدان استقلال إثيوبيا.

ثم نزلت بالطائرة إلى دانكاليا، هبطت في عصب، لمراقبة أعمال الميناء، وأعمال طريق ساردو-ديسي. افتتحت الجزء الأول منه، ونمت مع عمال فاسيللي في موقع "ماندا" للبناء. بعد عودتي إلى عصب، غادرت بالطائرة إلى ديري داوا. في المعسكر المؤقت في ساردو، التقيت بسلطان دانكاليا، أبا دوجو؛ وأبرمنا معه اتفاقيات مهمة، برفقة المقيم، الملازم ليتا-مودينياني.

ثم واصلت رحلتي الجوية إلى ديري داوا، حيث هبطت مرة أخرى لألتقي بالجنرال ناسي، حاكم هرار. وأخيرًا وصلت إلى أديس أبابا.

كل هذا النشاط، الذي كان سيثير في أوقات أخرى سيولاً من الكلمات، تم تجاهله بدلاً من ذلك؛ لم يظهر حتى "بيان" موجز من وكالة ستيفاني.

في أديس أبابا، وجدت وضعًا متوترًا، حيث انتشر تمرد شوا في كل مكان تقريبًا بمظاهرات حتى الضواحي المباشرة للمدينة. أحداث شائعة جدًا في مثل هذه الأوضاع، وغير مقلقة، والتي توقفت كالسحر عند خبر عودتي.

بدا أن الفرصة مواتية لروما لإرسال "القائد" إليّ على شكل برقية تحذيرية من موسوليني تقول تقريبًا: "لا يزال هناك إطلاق نار حول أديس أبابا. انتبهوا! أنتم لستم لا غنى عنكم". كان هذا إعلانًا مسبقًا، تبعه في 15 نوفمبر رسالة "بخطي" للاستدعاء.

لكني في اليوم التالي، سافرت بالطائرة إلى مكالي لأودع قافلة من الجنود كان من المقرر أن تعمل في أمهرة. وصلت إلى أسمرة ومن هناك عدت بالطائرة إلى أديس أبابا.

أجبت على رسالة موسوليني للاستدعاء ببرقية[1]، أعربت فيها عن فخري بخدمة الوطن بأوامره لغزو الإمبراطورية وتهدئتها، وحددت الموعد المطلوب للمغادرة، بعد استبدالي بالدوق أماديو من سافويا أوستا.

جاء قرار الاستدعاء في وقت غير مناسب بالمرة، فقد كنت على وشك الانتقال إلى إقليم أمهرة، والاستقرار مع راس حايلو في ديبرا ماركوس، في غوجام، لتهدئة تلك المنطقة المضطربة.

كتب الأستاذ أفورك حينها في أحد كتبه بالأمهرية: "لقد استقبل المتمردون خبر الاستدعاء بحماس كبير. أما المخلصون، فقد بكوه بحرارة".

ثار جنود الأسكاري وحدث بعض التمرد في الكتائب. اضطررت إلى إبلاغهم بأنني أغادر لإجازة بسيطة.

كنت أعلم جيدًا أي ظروف صعبة تنتظر الدوق أواستا، نائب الملك الجديد، الذي كنت مخلصًا له جدًا وأحببه. لكنه أظهر نفسه مختلفًا عن ذلك الذي في غيبلا، وفزان، وتاقريفت، والكفرة. ولأجل عدم التخلي عنه، أعلنت استعدادي للبقاء تحت أوامره كقائد للقوات. لكن لا هو ولا روما فهموا.

لو حدث ذلك، لما انتهى الدوق أماديو من سافويا-أوستا في فخ أمبا ألاجي، أي في يد العدو، قبل أن يكتمل فقدان الإقليم. كان يجب أن يسقط هناك حيث سينزل العلم الإيطالي آخر مرة. لكن من نصحه بالانتقال إلى أمبا ألاجي عندما كانت القوات البريطانية تتقدم من الشمال والجنوب، وبالتالي مع احتمالية الأسر المؤكدة، لم يكن لديه هذه الحساسية.

قيل أن الجنرال تريزاني كان مستشارًا له، بصفته رئيس أركان قوات الإمبراطورية، والتي أراد الدوق أوستا تولي قيادتها المباشرة بعد عودة كافاليرو إلى الوطن.

كان تريزاني يُعتبر تكتيكيًا عظيمًا، ولكن لا يمكن أن يكون هناك أي شك في أنه كان أيضًا أكثر الجنرالات فشلاً في الجيش بأكمله في العمليات في إثيوبيا، حيث كان الجزء الأكبر من القوات يتكون الآن من عناصر ملونة، حيث تشكل "شخصية" القائد 75٪ من احتمالات النجاح.

لم يكن تريزاني قد زار المستعمرات قط، وفي الوطن الأم، كان يتميز دائمًا بالتشويه المنهجي لكل ما يتم إنجازه فيها.

---

[1] كان نصّ البرقية كما يلي: "أفتخر بخدمة بلدي تحت قيادتكم من أجل غزو الإمبراطورية وإحلال السلام فيها. – غراتسياني." لا شيئ غير ذلك.

ومع ذلك، قام موسوليني، دون أن يخبرني بشيء، بصفته رئيس أركان الجيش، بتعيينه، عشية الحرب، رئيس أركان القوات في إثيوبيا.

في الحقيقة، لقد أجاب بقبول طلبي بحماس، مشيدًا بشعوري بالانضباط. ولكن سرعان ما تغيرت الأمور بسبب معارضة آل سافويا والدوق أوستا نفسه الذي قال لي عند وصوله: "لأول مرة أريد أن أخطئ بنفسي".

وصل إلى إثيوبيا في أواخر ديسمبر؛ وبقيت بجانبه حتى 10 يناير، أطلعه، بمذكرات مكتوبة دقيقة، على الوضع.

ثم ودعته أنا والمسؤولين، وبدون ضجة أو إزعاج، في سيارتي مع زوجتي، عبر طريق ديري داوا-هرار، جيجيغا-مقديشو، أردت أن أركب السفينة من نفس المحيط الهندي الذي كنت قد نزلت فيه قبل ثلاث سنوات.

زرت الصومال التي لا تُنسى مرة أخرى؛ وفي كيسمايو، على بعد خمسين كيلومترًا شمالًا على الضفة الغربية للنهر، في منطقة غوبون، اخترت منطقة تبلغ مساحتها خمسمائة هكتار طلبتها كامتياز، حيث كنت أخطط لإنهاء حياتي الأفريقية المليئة بالعمل، كمستعمر. ثم أبحرت من مقديشو، مودعًا من قبل السكان الصوماليين وسكان المدن، بطريقة مؤثرة ولا تُنسى.

في مصوع، صعدت الهضبة، متجهًا عبر ديكاميريه، دون أن ألمس أسمرة، إلى أدي أوغري، لأرى للمرة الأخيرة المكان الذي بدأت فيه، بصفتي ملازمًا ثانيًا، حياتي الاستعمارية قبل ثلاثين عامًا، والتي كانت ستكون مليئة بالأحداث الاستثنائية.

في أسمرة، حظيت باستقبال حار. وأخيرًا، في مصوع، اتخذت طريق العودة، مودعًا من قبل جميع السكان الأصليين بمظاهرات حطمت أكاذيب الكراهية الإسلامية ضدي.

كنت في أوج قوتي، متعبًا من الشمس خلال الرحلة الطويلة، حزينًا على الفراق، ولكن فخوراً بما تمكنت من تقديمه وفعله لإيطاليا في ثلاث سنوات.

عند عبور قناة السويس، أصبت ببرد سيئ مع حمى شديدة. اضطررت للتوقف بضعة أيام في ميسينا، حيث كانت احتفالات السكان، ثم هتافات أهل نابولي، عجيبة. قادني قطار خاص إلى روما، حيث كان موسوليني ينتظرني في المحطة للعناق التقليدي.

أكد من كانوا قريبين منه قبل وبعد ذلك أنهم، بمراقبته، تمكنوا من رؤية علامات متضاربة لانتظاره المقلق لرؤية "ظلي" ينزل، ثم دهشته اللاحقة لرؤيتي كما كنت قبل ثلاث سنوات، باستثناء العرج الناتج عن جروح أديس أبابا، الذي لم يختفِ بعد.

عندما وصلنا إلى مخرج المحطة، قال لي بصوت آمر: "اذهبوا، اليوم الشرف كله لكم!".

كانت الرحلة على طول شارع "فيا ناسيونالي" للوصول إلى قصر "فيدوني" انتصارًا بين الشعب المحتفل. في مقر الحزب، اضطررت إلى الظهور في الشرفة لأشكر الحشد الهائل الذي تجمع هناك.

وهكذا انتهت هذه الفترة المحظوظة والمهمة من حياتي.

7. أسطورة أورفيوس

لقد أُعيقت جهودي كنائب للملك وعُطلت قبل الأوان بسبب العداء، ولم تستطع أن تؤتي الثمار الدائمة التي كنت أنوي تقديمها لإيطاليا.

خلال فترة إقامتي بأكملها في أديس أبابا بين عامي 1936 و1938، ظهرت خلافات متزايدة باستمرار مع وزير أفريقيا الإيطالية، ووصلت في كثير من الأحيان إلى لهجة حادة وقاسية؛ وكنت، على الرغم من بعدي، أقاتل بأسلحة غير متكافئة، ولم يكن من الممكن لي الذهاب إلى روما لمقابلة رئيس الحكومة وتوضيح نقاط مختلفة مباشرة. حاولت عبثاً القيام بذلك عبر مكتبه الخاص؛ أدركت أنني محظور في كل مكان.

مما لا شك فيه أن موسوليني كان أكثر ميلاً للوزير مني؛ ومع ذلك، في اللحظة الأخيرة، دفعه الرأي العام المحبط والمؤيد لي إلى إبعاده هو أيضًا عن منصبه.

وهكذا، انتهت المباراة ظاهريًا، لكن في أعماق نفس الرئيس بقي استياء صامت يضر بي، ربما كان من بين أصوله العميقة والبعيدة شعبيتي الكبيرة التي كانت تزعجه جسديًا ومعنويًا. في الواقع، عندما استقبلني بعد عودتي، بينما كان يستقبلني دائمًا بمفردي لمدة خمسة عشر عامًا، أراد أن أكون مصحوبًا بالوزير أتيليو تيروزي.

جرت المقابلة بهذه العبارات: "إذن، هذا الاعتداء؟". أجبت: "لقد كتبت لكم مطولاً عنه في تقاريري". فأضاف: "بالفعل، طبيعة وأصل أوروبيان بلا شك: إما المخابرات البريطانية، أو الكومنترن".

ثم، متوجهاً إلى الوزير: "إذن غراتسياني قد وصل الآن إلى أعلى الرتب في التسلسل الهرمي العسكري". وبالتأكيد كان ينوي إضافة شيء آخر؛ لكنني ارتكبت حماقة بمقاطعته.

"لا أطلب منك شيئاً"، قلت، "أنا وسأبقى جندياً في خدمة الوطن".

"كنت أعلم" أجاب دون إخفاء امتعاض واضح. "أنك سترد هكذا. سأوظفك إما في أوروبا أو في الوطن. في هذه الأثناء، قدم لي تقريراً عن عملك في شرق أفريقيا".

وانقطع الحوار فجأة.

كتابة "تقرير" عن العمل المنجز، وعرضه للحكم الذي قد يكون غير عادل، ووضع الإصبع على الكثير من الجروح، واستعادة مجموعة طويلة من الحقائق، والأخطاء، والتناقضات: لا، لم أكن أرغب في ذلك.

بعد بضعة أيام، عرضت هذه الاعتبارات على السكرتير الخاص لموسوليني، الدكتور أوزفالدو سيباستياني، طالباً منه أن يبلغها للرئيس. ولم يتم الحديث عن "التقرير" بعد ذلك.

ظللتُ طوال عام 1938 عاطلاً عن العمل، في انتظار عبثي أن يُعرض عليّ عبء عمل جديد شاق.

من حين لآخر، كان موسوليني يستقبلني للتشاور بشأن الوضع في إثيوبيا.

كنت أعبر عن رأيي بكلمات صريحة كما هو الحال دائمًا، ويجب أن أقول إنه بدلاً من أن ينزعج، كان يقتنع بما أقوله ويبدو أنه يعترف بصوابه.

وبما أنني لم أكن أؤدي أي وظيفة في المجال العسكري، الذي كنت قد أُبعدت عنه في سن السابعة والخمسين فقط، بدأت أقضي معظم وقتي في الريف في هضاب أرتشينازو، بعيدًا عن الحياة العامة.

في أوائل عام 1939، وإذ لاحظت أن وضعي لا يظهر أي بوادر للتغيير، بدأت في التحضير لهجرتي من إيطاليا إلى الصومال، حيث كنت أنوي الذهاب كمستعمر لتثمين الامتياز في جوبا، والذي كنت قد دفعت للحصول عليه مبلغًا قدره خمسة آلاف ليرة لتلك الحكومة! بعد حل مشكلة التمويل بائتمان فتح لي من قبل بنك روما، كنت متقدمًا بالفعل في التنظيم وكنت أنتظر اللحظة المناسبة للمغادرة.

في غضون ذلك، حدث "استيعاب" كبير لأعضاء مجلس الشيوخ، وقد تم استبعادي منه بحجة العمر. في الواقع، لم أكن قد بلغت الستين بعد، لكنني كنت أعتقد أن لدي بعض المؤهلات الخاصة التي تؤهلني لذلك، على غرار ما حدث للآخرين: باختصار، استثناء، كان الجميع يعتقدون أنه مؤكد.

لم أرد أن أدافع عن قضيتي أمام موسوليني؛ بل دعمت قضية نائبي السابق أرنالدو فيريتي؛ وربما أثار ذلك غضبه.

لم أطلب شيئاً لنفسي واستُبعدت؛ بينما تم تعيين الجنرالين ميزيتي وناسي، اللذين كانا تحت إمرتي في إثيوبيا.

مع قدوم الصيف، ذهبت إلى موسوليني لأبلغه بقراري بالرحيل إلى الصومال في أقرب وقت ممكن. في تلك المناسبة، قلت له: "بإلغاء تعييني كعضو في مجلس الشيوخ، استبعدتني من الشكل الوحيد للمشاركة في الحياة العامة. لا أسألك عن السبب: أتفهم أن جميع انعكاسات الأوضاع المختلفة تؤثر عليك. سيكون لديك أسبابك؛ ولكن بما أنني لم أُمنح وظيفة في المجال العسكري ولا في أي مكان آخر، فقد قررت الذهاب إلى الصومال لإدارة امتيازي هناك شخصيًا". عرضت عليه البرنامج، بما في ذلك التفاصيل المتعلقة بالتمويل.

استمع إليّ موافقاً وودعني قائلاً: "أوصيك بزراعة الكثير من الموز، فسوقنا يحتاجه دائمًا".

عندما أجريت محادثات في أغسطس 1943 مع أمير بيدمونت في أناني، كما سأروي، أكد لي أن قانون الستين عامًا كان رغبة من قبل موسوليني لتجنب تعييني. أهمية مبالغ فيها، يا للأسف!

كل هذا يدل على أن نفس الزعيم كانت بعيدة عني الآن. كان يعتقد أنه لم يعد بحاجة إلى نائب الملك الثاني لإثيوبيا: وقد انعكس هذا الموقف في أوساط الحزب، الذين أظهروا تجاهي برودًا، وغطرسة، وما هو أسوأ.

باختصار، كنت نجمًا أفلاً في الفاشية، يختلط أثره بآثار العديد من النجوم الأخرى التي عانت، قبلي، نفس المصير المتقلب وتقلبات الدكتاتورية.

في غضون ذلك، في جميع أنحاء إيطاليا، تضاعفت المظاهرات العفوية للتصفيق التي خصني بها الجمهور المجهول، في كل ظهور لي عرضيًا، وهي مظاهرات أثارت الغيرة والحساسيات بشكل متزايد.

في روما، عندما مُنحت بصفة رسمية المواطنة الفخرية في كامبيدوليو وتلقيت عصا المارشال، حُظيت بتكريمات استثنائية؛ وكذلك بمظاهرات تعاطف في ميلانو، وجنوا، وأنكونا، وبروسينوني، وفي جميع أنحاء سردينيا، مما أذهل بشكل غير سار كبار الشخصيات في الحزب. لدرجة أنني وجدت نفسي مضطرًا لرفض دعوات تورينو، والبندقية، والعديد من المدن الأخرى التي طالبت بحضوري. اضطررت للبحث عن الظل. [1]

[1] لقد استأنست بقراءة كتاب "حياة أغريكولا" لتاكيتوس، حيث وجدت العديد من المقارنات بين قصة ذلك الجنرال الروماني وقصتي.

في شهر أغسطس، كنت على وشك المغادرة إلى الصومال، عندما التقيت في هضاب أرتشينازو بالماركيز باولوكي دي كالبولي باروني، الذي كان عائدًا من بلجيكا، والذي نصحني بعدم الابتعاد، مؤكدًا لي أن ألمانيا ستهاجم بولندا في سبتمبر. "لقد أخبرت موسوليني بذلك"، اعترف لي. "إنه متشكك إلى حد ما؛ لكن الأمر مؤكد."

هذا التحذير دفعني إلى تأجيل المغادرة، وفقط بسبب هذا الظرف العرضي وجدتني بداية الحرب الأوروبية في إيطاليا، بينما كنت قد اختبرت بالفعل كمستعمر ومزارع للموز في الصومال.

ومع ذلك، ذكّرت بداية الأعمال العدائية موسوليني بأنني كنت مارشال إيطاليا، وفي أحد أيام سبتمبر أو أكتوبر، سمعت الإذاعة تعلن: "قائد مجموعة جيوش الشرق".

"أين هذه الجيوش؟" سألني المارشال كافيليا في اليوم التالي. في الواقع، لم تكن موجودة؛ أحدهما كان الجيش الثاني، في انتشاره الطبيعي وقت السلم، على الحدود الشرقية؛ والآخر كان الجيش السابع، الذي كان من المتوقع تشكيله، ولكن على الورق فقط.

كان حدثًا مهمًا بالنسبة لي في الفترة 1938-1939 هو دخولي إلى اللجنة العليا للدفاع، التي كانت تعقد جلساتها سنويًا بين فبراير ومارس، في قصر فينيسيا، برئاسة موسوليني.

وبما أنني لم أمارس أبدًا مهام قيادة أركان أو إدارية في وزارة الحرب، لم أتمكن من تكوين سوى فكرة غامضة وغير محددة عن الكفاءة الحقيقية لمختلف القوات المسلحة، من خلال الأصوات المتضاربة التي كانت تنتشر في هذا الصدد.

لقد حملت انطباعًا محبطًا خلال الاستعراض الذي أقامه الملك والدوتشي على طريق الإمبراطورية في مايو 1938، بمناسبة زيارة هتلر لروما، حيث رأيت المدفعية القديمة من الحرب العظمى (أحدث المعدات كانت سكودا النمساوية من غنائم الحرب عام 1918) وقليلًا جدًا من الأسلحة المدرعة الحديثة: دبابات إل التي تزن ثلاثة أطنان؛ وأقل من ذلك أسلحة مضادة للدبابات. حضر هذا الاستعراض الملك، ورئيس الحكومة، ورئيس الأركان العامة، الذين كان لا بد أن يعرفوا أكثر مني! وتكرر الانطباع المحبط في تورينو في مناورات ريفولي؛ كان عرضا في غاية السوء للأسلحة والمعدات.

في الجلسة الأولى للجنة الدفاع العليا، استمعت إلى التوبيخ الشديد من الجنرال داللوليو البالغ من العمر ثمانين عامًا، في الجمعية التي حضرها رئيس الأركان العامة، والذي، بشجاعة فريدة أشار إلى واقع عدم استعدادنا ونقصنا، سواء من حيث الأسلحة أو المواد الخام. أصبح صوته صرخة في البرية عندما اقترب بشجاعة من مقعد موسوليني، الذي أعطى انطباعًا بأنه يود أن يغفر له جرأة القول بلطف احترامًا لسنه، بينما كانت كلمات الشيخ المبصر حقيقة إنجيلية.

ثم، من الجنرال بيترو بينتور، المكلف بالدراسات ذات الصلة، أُطلعت على برنامج بناء المدفعية الجديد.

في مواجهة هذا الوضع، بقيت أفكر في الظروف التي ستجد فيها البلاد نفسها خلال الصراع الذي كان يلوح في الأفق، عندما أعلنت إذاعة 3 نوفمبر 1939 تعييني رئيسًا لهيئة الأركان العامة للجيش.

جاءني الخبر بصورة غير متوقعة على الإطلاق. لم أكن أتمنى هذا التعيين لنفسي أبدًا. حدث المفارقة في أن ضابطًا لم يأتِ من مدرسة الحرب تم تعيينه رئيسًا لهيئة الأركان العامة "في الحرب". هكذا كان التعليق في تلك الممرات بلهجة صادمة.

في الواقع، لقد أتيت من مدرسة أخرى، مدرسة "الحرب" في الهواء الطلق، وكنت أتردد عليها منذ حوالي ثلاثين عامًا؛ والحرب، بغض النظر عما يعتقده ويقوله حكام هيئة الأركان العامة المتخرجون، كبيرة كانت أم صغيرة، هي دائمًا حرب، لأن قوانينها هي نفسها دائمًا، وتدريب القيادة يكون أفضل بكثير، وشعور المسؤولية يتطور أكثر بكثير في ممارستها، منه في المناورات التي تُجرى على الورق على طاولة المكتب. وبمعرفتي على أي حال بجميع تحيزات هيئة الأركان العامة تجاهي، كنت أنا أول من لم يسعد بالتعيين، فأنا الذي كنت دائمًا أُفضل الميدان على طاولة المكتب.

لماذا لم أستسلم إذن؟ لأنني، كحصان أصيل، لم أرفض أبدًا العوائق، بل واجهتها دائمًا ناظرًا إلى ما وراءها.

كان رئيس الأركان العامة، بادوليو، قد قال حرفيًا: "غراتسياني ليس لديه خبرة كبيرة في شؤون هيئة الأركان العامة، لكنني أعرفه جيدًا، لديه قدرة كبيرة على استيعاب كل شيء وسيتعرف على الأمور بسرعة كبيرة".

سنرى بدلاً من ذلك كيف كان من الممكن لي ممارسة مهامي في متاهة المكائد التي كانت تُنصب لي من كل جانب.

ليس مجرد اقتباس كلاسيكي أن نُطلق على إيطاليا اسم "أرض زحل"، الإله الكئيب الذي كان يلتهم أبناءه. للأسف، تجد هذا الأسطورة ما لا يحصى من التطابقات في الواقع. ولكن في حالتي، تبدو أسطورة أورفيوس، الذي مزقته "يومينيدس" إربًا، أكثر ملاءمة.

8. رئيس الأركان العامة للجيش

شغلت هذا المنصب فعليًا من نوفمبر 1939 إلى يونيو 1940. ولكي يفهم الجميع طبيعة عملي لمدة سبعة أشهر، من الضروري تحديد ماهية منصب رئيس الأركان العامة للجيش في ظل الحكم الفاشي، مقارنة بما كان عليه في الفترة السابقة وخلال حرب 1915-1918.

في ذلك الوقت، كان الملك يتولّى قيادة القوات العاملة، ويصبح رئيس أركان الجيش بحكم القانون رئيس الأركان العملياتية؛ وبحكم الواقع كان هو القائد الحقيقي لأن الملك لم يمارس هذه الوظيفة مباشرة. نتيجة لهذه الممارسة، كانت الأركان العامة للجيش تعد الخطط، وكان الرئيس، منذ زمن السلم، القائد المحدد سلفًا في الحرب، مثل بوليوس وكادورنا[1].

كان الوضع مختلفًا تمامًا في عام 1940. فبموجب مرسوم عام 1927 (قانون "كافاليرو")، أُنشئ منصب رئيس الأركان العامة، الذي مُنح مهمة المستشار العسكري لرئيس الحكومة. ومنذ تلك اللحظة، فقد منصب رئيس أركان الجيش أهميته السابقة؛ ففي الإطار الثلاثي للقوات المسلحة، احتفظ بالرتبة البسيطة لرئيس الجيش المفترض في الحرب، بينما كان من مهام رئيس الأركان العامة ما قام به كادورنا في 1915-1918، بشرط أن يمارس الملك قيادة القوات العاملة.

لقد تنازل الملك عن هذه القيادة لموسوليني، وأصبح بادوليو رئيسًا لهيئة الأركان العامة العملياتية. وهكذا، أصبح رؤساء الأركان الثلاثة للجيش والبحرية والقوات الجوية، الذين كانوا حتى تلك اللحظة يتعاملون مع موسوليني بصفته وزير القوات المسلحة، تابعين مباشرة وبشكل حصري لبادوليو.

[1] جوزيف بوليوس، رئيس أركان الجيش الفرنس. لويجي كادرنا، رئيس أركان الجيش الإيطالي. كلاهما كانا مسؤولان عن قيادة الجيش في معارك في الحرب العالمية الأولى.. [المترجم]

تم تأكيد هذا الوضع نهائياً في 29 مايو 1940؛ حتى ذلك اليوم، كانت مهامي تتم في علاقة مباشرة مع موسوليني بصفته وزير الحرب؛ ولكن بما أنه كان يفوّض معظم المهام إلى وكيل الوزارة، الجنرال أوبالدو سودو، فقد كان من الصعب جداً عليّ أن أقوم بعمل شخصي مع الوزير. وعندما تولى بادوليو مهام رئيس الأركان العامة العملياتية، مُنعت نهائياً من مخاطبة موسوليني.

بالإضافة إلى ذلك، منذ بداية مهامي، أصدر وكيل الوزارة مرسوماً قصرني فيه على إجراء "دراسات مختلفة"، و"تحديث الخطط"، و"تخصيص الأسلحة والمواد". لا تدخل في اقتصاد الحرب، ولا في الإنتاج، وما إلى ذلك؛ لأن الإدارات الفنية لم تكن تابعة إلا لوكيل الوزارة. وكان يصفها بـ"خاصته".

من جهته، قام رئيس الأركان العامة[1]، بموجب مرسوم آخر، بتحديد اختصاصه الحصري في التوجيه الاستراتيجي للحرب في الأراضي الواقعة وراء البحار.

عند استقبالي بعد تعييني، عبّر موسوليني عن رأيه قائلاً: "لقد اخترتك لسببين: الأول أنك لطالما أجدت الحرب، والثاني أنك تحظى بتقدير كبير في جميع قطاعات الأمة".

نظرت إليه بدهشة، عالمًا جيدًا مدى غيرته من الشعبية التي كان يستند إليها. وتابع: "الأمر كذلك بالفعل. ربما لا تدركون ذلك، لكنني أؤكد لكم ذلك؛ ولذلك يمكنكم تقديم خدمات جليلة في هذه اللحظة بالذات. ستأتون إليّ بتقرير مرة واحدة في الأسبوع، وستبقونني على اطلاع بكل شيء".

كان ذلك في 4 نوفمبر؛ اللقاء تم في قصر البندقية، بعد أن قال لي في حفل "مذبح الوطن": "هل رأيت؟ لقد عينتك رئيسًا لهيئة أركان الجيش، وأنا متأكد أنك ستقوده على أكمل وجه. ثم تقول إنني لا أثق بك".

لا أعرف من همس في أذنه بهذا الانطباع المزعوم. في الواقع، كنت بالفعل في قيود تحد من عملي وتقلصه إلى حدود ضيقة للغاية.

بوضعي على رأس الجيش في مثل هذه الظروف الدقيقة والصعبة، أخضع الدوتشي كل اعتبار آخر لاعتبار قدرته على تحييد موجة الاستياء والاحتجاج بسبب عدم الاستعداد في مخازن

---

[1] منذ عام 1927، كان المارشال بادوليو رئيس الأركان العامة دون انقطاع حتى 11 نوفمبر 1940.

التجنيد، وهو عدم استعداد انكشف فورًا عند استدعاء أولى الوحدات للخدمة العسكرية، باسم شعبي.

لقد نسي، بصورة انتهازية، العداء الواضح وأخرجني من الإهمال الذي تركني فيه بعد عودتي من إثيوبيا، مستبعداً إياي من مجلس الشيوخ ومبقياً إياي في تجاهل تام بما كان يتشكل للحرب؛ لكنه وجد أمامه من نسي كل شيء دائماً ليجيب نداء الوطن.

وفقًا للنظام المعمول به آنذاك، كان هناك نائبان لرئيس الأركان: أحدهما للعمليات، والآخر للخدمات. هذا النظام، الذي كان قد تم استنكاره بالفعل في 1915-1918 بين كادورنا وبورو، كان يعيبه تقسيم العمل على حساب وحدة التوجيه. لذلك، قمت بدمج الوظيفتين في الجنرال ماريو رواتا، الذي حصل تعيينه على موافقة كاملة من موسوليني وبادوليو.

كنت أعرف ماريو رواتا منذ أكاديمية بارما، التي ارتادناها معًا عام 1907؛ وقد قدرت منذ ذلك الحين ذكاءه المتوقد، والذي أضيف إليه لاحقًا الكفاءة في خدمات هيئة الأركان. وكان معروفًا ومقدرًا ومحترمًا أيضًا بين ضباط هيئة الأركان.

يجب أن أعترف أن الجنرال رواتا، خلال فترة إقامتي في روما، أي حتى يونيو 1940، عندما تم تعييني في شمال إفريقيا، تعاون معي بكل إخلاص. وعندما توليت قيادة شمال إفريقيا، احتفظت بمهام رئيس أركان الجيش دون أن أطلها على الإطلاق. في الواقع، قام رواتا بأدائها، وكان يرسل لي تقارير دورية عن الوضع. كيف يمكن أن يكون الأمر غير ذلك؟ فبوجودي في إفريقيا، لم أكن في أفضل الظروف لأكون رئيس أركان في روما، ناهيك عن تشابك العداوات والمكائد التي كانت تُحاك هناك. من عطّل عملي منذ البداية هو وكيل وزارة الحرب، الجنرال سودو، الذي كان يرغب في الجمع بين مهام رئيس الأركان، كما حدث مع الجنرالين بايستروكي وباريني، وكما كان لا يزال الحال في البحرية والقوات الجوية.

ومع ذلك، وضعت حدًا للعلاقات بيني وبينه، موضحًا أنني أعتبر نفسي رئيس هيئة الأركان لوزير الحرب، أي موسوليني، وأنني أشعر أنني مخول بالتعامل معه مباشرة فيما يتعلق بمهامي. لكن القطاعات الوزارية ظلت محظورة عن ملاحظتي. على الرغم من إصراري المتكرر، لم يسمح الجنرال سودو لي أبدًا بحضور اجتماعات المديرين العامين والخبراء، عندما كانت تناقش القضايا المتعلقة باقتصاد الحرب والإنتاج. ومع ذلك، لم يكن من الصعب عليّ، بعد فترة قصيرة، أن أطلع على النواقص الهائلة الموجودة وأبلغ موسوليني بها في الوقت المناسب. نواقص في كل مجال: في المواد الخام، في الإنتاج، في الأسلحة. في هذه الأخيرة، من المدفعية والدبابات وصولاً إلى الأسلحة الخاصة للمشاة، وحتى البنادق والحراب!...

مباشـرة عشـية الحرب، تمت الموافقة على تصـنيع البندقية الجديدة طراز 38 وتجهيزها، مما أدى إلى دخول محتمل في الحرب بأسـلحة مزدوجة للمشـاة، وبالتالي ذخيرة مزدوجة. وهو عيب يستنكره أبسـط معاهد التنظيم العسـكري. كان أول عمل لي هو إيقاف تصـنيعها. في أوائل يناير 1940، ذهبت لزيارة مركز الميكنة في براتي دي كاسـتيلو. هناك، جعلني الجنرال مانارا ألاحظ الدبابات المختلفة، وهي مجموعة تتكون من الأنواع التالية: طراز 3 .L، بثلاثة أطنان، مسـلحة بمدفع رشـاش فقط؛ قيل لي إن هناك ألف ومائتي دبابة فقط، وأنها لم تعد تعتبر مناسـبة للمعركة، ولكن يجب استخدامها لنقل الذخيرة؛ طراز 6، وأبلغوني أنه تم استبعاده بسبب عيب في التصـويب لا أعرفه؛ طراز 11 .M وطراز 13 .M، التي تم اعتمادها لاحقًا. عندما سـألت عن عددها، قيل لي إن النماذج التي عرضت عليّ فقط هي المتاحة. سيتم تسليم أول 75 دبابة 11 .M في نهاية يوليو! لم يكن 13 .M في الإنتاج بعد. أخيرًا، كان هناك نموذج رائع لسـيارة مصـفحة، أعتقد أنه ظل نموذجًا حتى نهاية الحرب.

ذهلت من هذا الوضـع. لقد عشـت دائمًا في الأطراف، وفي أفريقيا، وظللت في جهل تام بحالة الجيش، لكنني لم أكن لأتخيل أبدًا مثل هذا النقص الكارثي في كل ما كانت تقنية الحرب الحديثة تنذر به منذ نهاية الحرب الأخرى. أما بالنسـبة للمدفعية، ففي أوائل عام 1939 فقط، كما ذكرت، تم وضع برنامج الإنشاءات الجديدة.

جميع الذين يدرسـون اليوم هذا المشـهد من عدم الاسـتعداد، وخاصـة الكتاب العسـكريين، يلقون اللوم على موسوليني، الذي كان وزير الحرب، وهذا بحق. ولكن لم يسأل أحد قط السؤال التالي: كان بجانبه لمدة خمسـة عشـر عامًا رئيس أركان عام بوظائف اسـتشـارية محددة بمرسـوم نظامي، وبالتالي فهو مسؤول بشكل حاسم في هذا الشأن. ماذا فعل هذا الشخص لتنوير عقل رئيس الحكومة في الوقت المناسب للاستعداد للحرب، خاصة مع ملاحظة السياسة الحربية التي كان لا بد أن تؤدي يومًا ما إلى صـراع؟ هل كان المارشـال بادوليو يعتقد حقًا أن تجديد مجموعة من المدفعية، ناهيك عن أشـياء أخرى، يمكن تأجيله دون عقاب إلى اللحظة الأخيرة؟ وإذا كان يعتقد أنه لا يمكن الاسـتماع إليه، فلماذا بقي، مثل "أغريبا"[1] إلى جانب "أغسـطس" الجديد لسنوات عديدة؟

أكثر من مرة خلال عشـرين شـهرًا من وجوده في غاردا، اعتقدت إذاعة روما بشـكل طائفي أنني المسـؤول عن عدم اسـتعداد الجيش، "لأنني كنت رئيس الأركان العامة وقت الحرب". هل كان بإمكاني أن أفعل في أشـهري السـتة المتأخرة ما أهمله المارشـال بادوليو خلال خمسـة عشـر عامًا؟

---

[1] ماركوس فيبسانيوس أغريبا (36 ق م- 12 ق م)، من أهم القادة العسكريين في عهد الإمبراطور الروماني أغسطس، كان صديقا مقربا للامبراطور وزوج ابنته، وبمثابة الرجل الثاني في الامبراطورية الرومانية. [المترجم]

كان واجبي آنذاك أن أُنور موسـوليني على الوضـع، إذا كان جاهلاً به. لكن هذا الهدف المشـروع عانى من خيبة أمل أولى عندما ذهبت إليه وإلى المارشـال بادوليو لإبلاغهما بالوضـع الكارثي للدبابات، أدركت أنهما بطبيعة الحال كانا يعرفان ذلك جيدًا. ومع ذلك، لم يمنعني هذا الاكتشاف لاحقًا من إبلاغ الوزير بالنواقص، كلما ظهرت لي.[1]

بقراءة كتاب الجنرال فافاغروسا "لماذا خسرنا الحرب" الآن، أدرك العديد من المواقف الغامضة التي اتخذها موسـوليني تجاه شكاويّ من النقص، والتي كان وزير الإنتاج الحربي قد حددها بدقة أكبر. كان الدوتشـي يتحقق جيدًا في تصـريحاتي من صـحة ما كان فافاغروسـا يعلنه بشـجاعة مماثلة؛ لكنه غالبًا ما أراد أن يعطيني انطباعًا بأنني أكشف له أشياء يجهلها.

نظام "التابو" الذي اتبعه وكيل وزارة الحرب ترك قادة الجيش في جهل بما يتعلق بعدم كفاءة الجيش، والذي كانوا يعانون من آثاره في الوحدات التابعة لهم، دون أن يدركوا ذلك تمامًا. فاستغللت جلسات اللجنة العليا للترقيات التي عقدت في يناير أو فبراير 1940، لتوضيح الوضع الحقيقي. كان أمير بيدمونت حاضرًا في هذه الاجتماعات بصفته قائد جيش معين؛ ولا شك أنه أبلغ الملك بذلك، وهو الهدف الأخير الذي كنت أهدف إلى تحقيقه.

كان الجنرالات الذين شـاركوا في أعمال اللجنة العليا للترقيات آنذاك هم: غاريبولدي، أمبروسيو، غوزوني، غروسي، بينتور، باستيكو.

فرصة أخرى سنحت لي للتحدث بصراحة، كانت في جلسة اللجنة العليا للدفاع في دورة فبراير 1940، والتي شـاركت فيها بصـفتي رئيس أركان الجيش. ومع ذلك، لم أكن مدرجًا في جدول الأعمال، لأن الكلمة عن الجيش كانت لوكيل وزارة الحرب، الجنرال سودو.

منذ فترة، وبمجرد أن توفر إنتاج المصنوعات، وخاصة الأسلحة الخاصة بالمشاة (الأسلحة المضادة للدبابات، والمدافع عيار 47 ملم، والمدافع الرشاشة عيار 20 ملم، ومدافع الهاون عيار 45 و 81 ملم)، والتي كانت الفرق تفتقر إليها بشـكل شـبه كامل، كانت تأتي طلبات التنازل عنها للخارج من وزارة التبادل والعملات. وكانت هيئة الأركان العامة، بأمري الدقيق، تعطي رأيًا معارضًا بشكل منهجي، ولكن بنفس القدر، كانت الحكومة تعطي "الضوء الأخضر" للتنازل.

بينما كانت فرقنا قيد التجهيز تفتقر إلى أهم الوسـائل الضـرورية للقتال الحديث، كانت الأسـلحة القليلة التي تمكن إنتاجنا المتعثر من إخراجها من المصـانع تُباع في فرنسـا، ورومانيا، ويوغوسـلافيا! حدث الشـيء نفسـه للطائرات ومعدات التجهيز، والأحذية، والبطانيات، وما إلى ذلك. وكان السـبب المبرر لذلك هو الحاجة إلى إدخال العملة الأجنبية لشـراء المواد الخام اللازمة

---

[1] أنظر الملاحظة رقم 2 في الملحق.

لتجهيز تلك الأسلحة التي كانت تُسلم بعد ذلك للأجانب؛ وهكذا أصبحت الدائرة مفرغة. وهكذا، وصلنا إلى إعلان الحرب بينما كان عدد الفرق المجهزة ضئيلًا. وعندما عرضت الوضع الخطير للغاية على موسوليني للمرة الأخيرة، أراد أن يطمئنني: "اطمئن، حربنا ستكون في الأساس جوية-بحرية، والجيش سيكون له دور ضئيل جدًا".

في لجنة الدفاع العليا عام 1940، لم يعد الجنرال داللوليو موجودًا، بعد أن أُبعد في العام السابق بسبب شجاعته المفرطة. تم انتخاب الجنرال فافاغروسا بدلاً منه، والذي حمل إرثه بروح شجاعة وصدق مماثلة. في إحدى تلك الجلسات، هاجم وزير التبادل والعملات، ريكاردي، بشدة الإدارات العسكرية، متهمًا إياها بسوء الفهم والتعنت، وذلك أثناء تناوله لموضوع ضرورة إدخال العملة الأجنبية التي كانت تُضحى من أجلها باحتياجات قواتنا المسلحة. رد وكيل وزارة الطيران، بريكولو، محتجًا على أنه تم التضحية كثيرًا على حساب احتياجات الاستعداد للحرب؛ وكذلك فعل الأدميرال كافاجناري للبحرية. لكن وكيل وزارة الحرب، الجنرال سودو، لم ينطق بكلمة عن الجيش. نهض المارشال بادوليو للتو، وعلى عكس ما يؤكده في كتابه، نطق بعبارات قليلة لا معنى لها. لدرجة أن المرء يتساءل: حرب أم لا حرب؟

في هذه الأثناء، كانت التوجيهات الصادرة عن رئيس الأركان العامة على النحو التالي: "أولاً وقبل كل شيء، أغلق باب البيت بتكثيف أعمال التحصين على الحدود، ثم قم بتسليح الفرق قيد الإعداد".

كل هذا كان سيتطلب مواد بناء لأعمال الدفاع ومواد خام للأسلحة، ولكن بسبب الاحتياجات التي عرضها وزير التبادل والعملات، لم يتم الحد من هذه الأخيرة فحسب، بل حتى الأسمنت اللازم للأولى.

وبعد انتهاء جدول الأعمال، طلبت الكلمة، وقد سمح لي موسوليني بذلك. كان ذلك توضيحًا للمسألة المقترحة عليّ، مما أثار استياء واضحًا من مجموعة تشيانو وريكاردي ورفاقهما، لكنه لم يمنحني موافقة ودعم بادوليو المعنوي. بينما كنا ننزل في المصعد، تمكن هذا الأخير من أن يقول لي، كنوع من التشجيع: "لقد أجبت أنا بالفعل على ريكاردي الطيب". (نفس "ريكاردي الطيب" الذي اعتقله لاحقًا في 25 يوليو 1943).

ما نقرأه الآن في يوميات تشانو، ص 223، المجلد الثاني، بتاريخ 11 فبراير 1940، يوضح هذا السلوك: "بينيني يذكر أن ريكاردي ألقى خطابًا شجاعًا جدًا في اللجنة العليا حول الوضع النقدي الحقيقي، والمخزونات، والإمكانيات الفعلية لدخول الحرب. لقد توصل إلى استنتاجات متشائمة تمامًا وبلهجة غير مسبوقة. بادوليو تفاعل أكثر مع الشكل وليس مع مضمون الخطاب، الذي كان متفقًا معه تمامًا." وفي 14 فبراير: "في اللجنة العليا للدفاع. غراتسياني ثم الدوتشي يجيبان

على خطاب ريكاردي. غراتسـياني يدعي للجيش شـرف عدم طلب تضحيات مالية كبيرة جدًا من البلاد."

لقد دفن معه معنى الكلمات الغامضــة التي حرفت ما قاله، والتي أدرجت بالكامل في محاضــر اللجنة العليا للدفاع، بناءً على رغبة موســوليني الصــريحة. هكذا أخبرني الســكرتير، الجنرال فريتشيوني؛ ولا ينبغي أن يكون من الصعب الرجوع إلى محاضر ذلك الاجتماع.

كان غـاليـادزو تشــيـانو قـد أشـــار إليّ مرتين في يوميـاتـه. في مـدخـل يوم 15 ســبتمبر 1939: "غراتسياني متشـائم بشـأن أوضـاع الجيش. باريني، على العكس، متفائل وواثق من نفسـه لدرجة تجعل المرء يتساءل عما إذا كان محقًا. لكنني لا أعتقد ذلك." (ص 165، المجلد الأول.)

في تلك الفترة، لم أكن أتقلد أي منصـــب، وكانت انطبـاعـاتي لا يمكن إلا أن تكون نتيجـة لما ســمعته في جلســة اللجنة العليا للدفاع، والملاحظات التي قمت بها خلال المناورات الأخيرة في بيدمونت، في أغسطس السابق.

ثم مرة أخرى تشـــانو في مـدخـل 2 ينـاير 1940 (ص 209، المجلـد الأول): "... غراتســيـاني، في محادثة معي، يظهر كمؤيد للتدخل ومؤيد لألمانيا ويشجب بادوليو بسبب اتصالاته المستمرة مع غاملين. لقد وجدت نفســي مرات عديدة في خلاف مع بادوليو، لكن في هذه المناســبة أتفق معه. غراتســياني، على العكس، يتصـور الحرب إلى جانب ألمانيا ويعمل لدى الدوتشـي لتسـريع العمل. يجب مطاردته وتحييده." [مؤلف الكتاب.]

وهكـذا في مـدخـل يوم 10 ينـاير 1940 (ص 211، المجلـد الأول): "...بـالاتفـاق معـه [بـادوليو] سـنوقف غراتسـياني الذي لديه طموح أكثر من العقل، والذي يقوم بدعاية تدخلية سـهلة ولكن خطيرة على الدوتشي."

إذا كانت لـدي مذكراتي لعـام 1940، لتمكنـت من تـذكر وتحـديـد كيف تم في تلك الفترة تـدبير مناورة مشـبوهة لتلصـق بي هذه التسـمية؛ بعد ذلك، قدمت احتجاجا شـديدا لدى موسـوليني، مطالبًا إياه بـأن يحميني من مرتكبيها: "أنـا أتبع توجيهـاتكم"، قلـت لـه، "وأرى نفســي متحولًا إلى 'محرض' لكم. أنا لســت ســياســيًا، بل جندي، وكمثل ذلك، مســتعد للمســيرة في الاتجاه الذي يحدده الملك وتحددونه أنتم. لذا يجب أن تدافعوا عني من هذه المناورات المشبوهة التي تدور من ورائي، وإلا فسأستقيل."

أما من هم الدعاة للحرب إلى جانب ألمانيا، فيخبرنا بذلك الجنرال كاربوني (الذي كان رئيسًـــا لجهاز المخابرات العسكرية، وكان يجب أن يعرف شيئًا عن ذلك) في كتابه "إيطاليا خانتها الهدنة إلى السلام"، في الصفحة 81:

"في عـامي 1939-1940، عنـدمـا كان الأمر يتعلق بـاتخـاذ قرار بشـــأن دخولنـا الحرب، كانـت الدعاية المؤيدة لألمانيا يقودها [...] الجنرال ســـودو، وكيل وزارة الحرب، الذي كان يعمل في اتفاق ودي مع بعض مصـانع الأسـلحة لدينا؛ ونائب رئيس الأركان العامة، الجنرال رواتا، الذي كان يكره الألمان لكنه كان يعجب بقوتهم ويقسم على انتصارهم؛ وإيتوري موتي، سكرتير الحزب الفاشي."

ثم في الصـفحة 89: "كان هناك في إيطاليا بعض الرجال الخطرين لقدرتهم على الاتفاق مباشـرة مع الألمان: فاريناتشي، كافاليرو، سـودو، موتي، وسكورزا."

لماذا لم يدرج الجنرال جياكومو كاربوني اسمي بين هؤلاء أو بين دعـاة الحرب الألمانية؟ من المؤكد أنه ليس لديه أسـباب خاصـة للاعتبار تجاهي، لكي يقدم لي هذه الشـهادة الثمينة. خلال الأشـهر القليلة التي قضـيتها في هيئة الأركان، كان هو، بصـفته رئيسًـا لجهاز المخابرات العسـكرية، تابعًا مباشـــرة لوكيل وزارة الحرب؛ نادرًا ما كان يظهر لي، مقتصـــرًا على تســـليمي النشـــرات الإخبارية الباردة. في السـابق، لم تكن لدي أي علاقات خدمة معه. كنت قد تعرفت عليه في الصـومال عام 1935، قبل بدء الحملة الإثيوبية، حيث أُرســـل في مهمة اســـتكشـــاف من قبل بايســـوكي. في تلك المناسبة، قدرت كثيرًا حدسه الواضح للوضع وحكمه المتوازن.

وقد أكدت لي هدوء الإشــارات التي أشــار إليها لاحقًا في روما انطباعي بأنه ضــابط من طراز غير عـادي.

في عام 1940، اختلف معي حول التقدير النسبي للقوات المسلحة الروسية. لم أكن مقتنعًا على الإطلاق بضـــرورة احتقارها، حتى بعد النتيجة غير المواتية لحرب فنلندا. أما كاربوني، فقد أظهر عدم تقديرها بشـكل كافٍ، لكن هذا الحكم كان شـائعًا آنذاك في هيئة الأركان العامة، وشـاركه فيه رواتا أيضًا؛ وقد أثبتت الوقائع لاحقًا مدى خطأه.

بالعودة إليّ، لم أمارس أي عمل دعائي للحرب الألمانية، ولم أحاول بأي حال من الأحوال التأثير على موســـوليني، بل اتبعت التوجيه العام للاســـتعداد للحرب، دون القلق بشـــأن الاتجاه الذي يجب أن تُجرى فيه.

ولكن يجب أن أســـجل أن موســـوليني لم يظهر لي مرة واحدة مترددًا أو مشـــككًا في عواقب المشـــاركة في الحرب إلى جانب ألمانيا. ومع ذلك، هذا لا يمنع أنه في ديســـمبر 1939، أي بعد وقت قصـــير من تولي مهام رئيس أركان الجيش، أمر بتحصـــين الحدود الإيطالية الألمانية بحلول مايو 1940، لضمان "إغلاقها المحكم".

في مارس 1940، أعرب في مذكرة عن قناعته بأن إيطاليا، لعدم قدرتها على النزول إلى الميدان إلى جانب الحلفاء، لم يعد لديها خيار ســـوى اتباع ألمانيا، وفي جلســـة 29 مايو، عندما حدد تشـــكيل القيادة العليا معلنًا أن الحرب ســـتبدأ إلى جانب ألمانيا، كان قد قدم هذه المقدمات

بنفســه: "1) لا يمكننا بأي حال من الأحوال تجنب الحرب؛ 2) لا يمكننا خوضــها مع الحلفاء؛ 3) لذلك يجب أن نخوضها مع ألمانيا".

النص الكامل لمحضـر تلك الجلســة مذكور في مجلد: هتلر وموســوليني - رســائل ووثائق، ريزولي إيديتور، الصـفحات 24-25. يعلن موسـوليني فيه: "سـتتجه قواتنا نحو إنكلترا، أي نحو مواقعها وقواتها البحرية في الميناء، وفي الملاحة في البحر الأبيض المتوســط. كما توقعت في 26 مايو 1939. الحرب الجوية البحرية على جميع الجبهات. هذا ما أكدته لســعادة غراتســياني في اليوم الآخر عندما عرض عليّ وضع الجيش. أعتبر هذا الوضع ليس مثاليًا، ولكنه مرضٍ".

وهنا مرة أخرى يتضح، على لسـان موسـوليني نفسـه، كيف أنني، حتى الأيام الأخيرة، لم أتوقف عن تذكيره بواقع عدم كفاية اســتعداد الجيش، وكيف أديت مهمتي دون معايير أو افتراضــات شخصية.

لو لم أشــعر بقدرتي على أداء مهامي بهذه الطريقة، ولأن شــعاري كان دائمًا الولاء، لما بقيت بالتأكيد إلى جانب القائد. ولكن من يوميات تشـانو يتبين أنه، دون أن يتمكن من منع موسـوليني من اتخاذ قرار الحرب إلى جانب ألمانيا يومًا ما، كان هو وبادوليو يقومان بتخريبها منذ البداية. لم أستطع حتى أن أتخيل هذا السلوك، ويمكنني أن أفكر في كل شيء آخر في يناير 1940، ببساطتي العســكرية، أقل من تشــانو، وزير الخارجية، وزوج ابنة موســوليني، الذي كان منذ ذلك الحين "تشـانو ذو الوجهين". اليوم فقط من يومياته أتعلم البدائل السياسية التي، على الأقل بالنسبة لي، في البيئة العسكرية، كانت مخفية تمامًا!

كيف يمكن الخلط بين هذا الشـعور المخلص والمتسـق الذي أكنه، وبين اتهامي بعمل مؤثر على موسوليني لدخول الحرب مع ألمانيا؟

هناك هوة أخلاقية كاملة كانت تفصــلني دائمًا آنذاك وبعد ذلك عن تشــانو وغيره من مثيري الشغب في ذلك الوقت.

وإليكم مثال واضح. في أواخر أبريل، قال لي موســوليني فجأة: "اسـمع يا غراتسـياني، يجب أن نركع يوغوســلافيا؛ نحن بحاجة إلى مواد خام، ومن تلك المناجم يجب أن نحصــل عليها. وبالتالي فإن توجيهي الاســتراتيجي هو: دفاعي في الغرب (فرنسـا)؛ هجومي في الشـرق (يوغوسـلافيا). ضـع هذه المشكلة قيد الدراسة."

"هل هي حاجة ملحة؟" سألته. أجاب: "ملحة". إذن، كان يفكر في مهاجمة يوغوسلافيا حتى قبل إعلان الحرب على فرنسا؟

في تلك الفترة، لم يكن المارشـــال بادوليو قد تولى بعد مهام رئيس الأركان العامة العملياتية؛ لذلك كان موســوليني، بصــفته وزير الحرب، يســتطيع أن يأمرني مباشــرة بدراســة هذا الاحتمال العملياتي.

ســواء اســتشــار رئيس الأركان العامة أم لا، تكريماً للمرســوم الذي أنشــأ هذا المنصــب، لم أكن أعلم بذلك حينها ولا أســتطيع أن أقوله اليوم. أما من جانبي، فلم أهمل إبقاء المارشـــال بادوليو على اطلاع، وســلمت إليه نســخة من المذكرة التي أعددتها من قبل هيئات الأركان العامة تحت إشــراف الجنرال بواتا، ولم تكن هذه المذكرة عملياتية، تعتمد على رســم أســهم متداخلة بمرح، كما كان الحال غالبًا في عرف هيئة الأركان العامة، بل كانت فحصًــا: أولاً وقبل كل شــيء فحصًــا دقيقًا لوســائل كفاءة الجيش، والأســلحة، والإنتاج. لكن النتيجة كانت كارثية. عندما قدمت الملفات إلى موسوليني، الذي أراد تصفحها على الفور.

نصــحته بالتفكير فيها ومناقشــتها بعد بضــعة أيام. "في رأيي، الجيش غير مســتعد على الإطلاق لمثل هذه المهمة، ولا لأي مهمة أخرى"، قلت.

وبما أنه أظهر نفاد صبره من هذا التأكيد الصريح، أضفت: "إذا هاجمتم يوغوسلافيا بالوسائل المتاحة لنا اليوم، فسوف نصل من تارفيسيو إلى وادي سافا، وسنتعثر على منحدرات مانغارت، وبوغاتين، وما إلى ذلك، وسنعبر غابة بيرو لنصل إلى سهل لونغاتيك ونصل إلى أطراف تلك الغابة الأخرى، لكننا ســنظل عالقين في تلك المواقع لعدة ســنوات، كما حدث بالفعل على إيســونزو في عام 1915".

عند هذه التصريحات، التي عُبّر عنها بصراحة وحشية كان موســوليني قد اختبرها بالفعل منذ إثيوبيا، ظل لا أعرف ما إذا كان أكثر غضــبًا أم دهشـــة، وقال لي: "على أي حال، اطمئن، لأنني إذا لم أكن متأكدًا بنسبة مائة بالمائة مما أفعله، فلن أتحرك".

ولم يعد للحديث عن حرب مع يوغوسلافيا في ذلك الوقت.

تشـــانو "المتحمس" ضـــدي (كل من يريد أن يقتنع بذلك ما عليه إلا أن يتحقق من يومياته)، بتاريخ 3 مايو 1940 (ص 258، المجلد الأول)، يلاحظ: "يقول سودو إن غراتسياني الآن، قلقًا من المسؤوليات، يعبر بوضوح عن معارضته لأي عمل حربي لنا، بما في ذلك ما في كرواتيا. أكبر نقص هو في المدفعية".

تتضــمن الملاحظة (اللاحقة لتقريري للدوتشـي حول الهجوم المحتمل على يوغوســلافيا) حقيقة ما أكدته في هذا الصدد.

لم أكن أعلم حينها أنني، برفض هذا الهجوم، قد أصبت تشانو في صميم "حربه"، تلك المتعلقة بكرواتيا، كما أرى من ملاحظاته.

تأكيد آخر يقدمه تشانو في مدخل يوم 13 مايو 1940 (ص 264، المجلد الأول)، حيث يورد على لسان موسوليني: "لم أعد أفكر في العمل ضد يوغوسلافيا: سيكون ذلك تراجعًا مهينًا". الحقيقة هي أنني منعته، بعرضي القوي لنقائص الجيش الكارثية. لكن عملي التوضيحي كان قد بدأ قبل ذلك.

تشانو، في يومياته (ص 213، المجلد الأول) بتاريخ 15 يناير: "الدوتشي حزين على حالة قواتنا المسلحة، التي يعرفها الآن بدقة. الفرق الجاهزة عشرة؛ وفي نهاية يناير أحد عشر. أما البقية فتنقصها كل شيء تقريبًا: في بعضها، يبلغ نقص المدفعية 92٪. في هذه الظروف، من الصعب الحديث عن الحرب."

كان موسوليني قد أُطلع على هذا الوضع مني في ذلك الوقت، بعد فحص الدبابات، وكان بإمكاني، علاوة على ذلك، القيام بهذا العمل بحيادية ودون خوف، لأنني لم أكن مرتبطًا على الإطلاق بالسوابق وأخطاء الإعداد الناقص. ولكن، على المدى الطويل، كان نظام التحدث معه بصراحة يزعجه: شيئًا فشيئًا أدركت أنني أفقد أرضيتي لديه، فهو، على الرغم من اعترافه بصحة ما أقول، لم يكن يتحمل عرض الواقع بصورته العارية والقاسية، مما كان يجبره على التحكم في دوافعه.

ربما كان غير قادر على تقييم ما هي القوة العسكرية الحديثة حقًا، فاعتقد أنني متشائم وأصبحت كارهًا للمخاطر؟ لم يكن هناك أيضًا، حتى في ذلك الوقت، قادة وزعماء عسكريون استمروا في تصويري له على أنني "فقدت عقلي" بعد محاولة اغتيال أديس أبابا، وبالتالي أصبحت خائفًا من المسؤوليات، وربما مبالغًا في الإبلاغ عن النواقص.

بهدف تكثيف إنتاج الأسلحة الخاصة بالمشاة قدر الإمكان (الأسلحة المضادة للدبابات) ، عرضت عليه ذات يوم فرصة تخصيص المزيد من المواد الخام لهذا الغرض، بدلاً من إعطاء الأولوية المطلقة للمدفعية ،كما كان يحدث ، والتي ستكون جاهزة في عام 1943، ربما بعد انتهاء الحرب!

لكنني اضطررت لحضور اجتماع متناقض في قصر البندقية. كنت قد ذهبت لتقديم التقرير المعتاد، وبينما كنت أودع، دخل وكيل وزارة الحرب، الجنرال سودو، إلى قاعة الكرة الأرضية، يتبعه رئيس المعهد الملكي الصناعي، الدكتور جيورداني، والأميرال تشانو، المدير التنفيذي لشركة O.T.O.، والمهندس روكا، المدير التنفيذي لشركة أنسالدو، وبعض الصناعيين الآخرين الذين لا أتذكرهم.

احتجزني موسوليني حينها: "ابقَ، ابقَ في هذا الاجتماع المدفعي المهم، ألا يهمك؟".

كان الفحص يدور حول برنامج مدفعي كان من المفترض أن يكتمل في عام 1950. في مرحلة ما، أعلن الدكتور جيورداني، ردًا على أحد المصنعين الذي كان يمجد هذا البرنامج: "كان يجب التفكير في ذلك قبل عشر سنوات، أيها الدوتشي!".

ظل موسوليني، جالسًا على الطاولة الكبيرة التي كنا جميعًا واقفين أمامها، صامتًا؛ استوعب (بصفته ذلك المستوعب الهائل الذي كانه، والذي عرفته بشكل أفضل لاحقًا) الضربة الرهيبة وأجاب بكلمات واضحة: "نعم، أنت محق يا جيورداني، كان يجب التفكير في ذلك قبل عشر سنوات".

كان الصقيع الذي أحدثته ملاحظة جيورداني شديدًا لدرجة أن الجلسة رُفعت على الفور؛ لكن البرنامج المتناقض تمت الموافقة عليه على أي حال. ومن يوميات تشانو يُستنتج أنه كان من المفترض أن يستخدم في الحرب ضد روسيا، التي كان موسوليني يتوقعها في عام 1950.

عند خروجي من الاجتماع، سألت وكيل وزارة الحرب عما إذا كان كل هذا ليس جنونًا، أي التفكير في المدفعية لعام 1950، مع اقتراب الحرب، بينما كانت الأسلحة الأكثر إلحاحًا وضرورة للمشاة نفسها مفقودة. أجاب سودو باللازمة التي كنت أعرفها من إثيوبيا (وعرفتها لاحقًا بشكل أفضل في شمال إفريقيا خلال حملة 1940-1941)، عندما كانت الأوامر الأكثر غرابة تأتيني من بادوليو وليسونا مع مقدمة: "الدوتشي يريد، الدوتشي يأمر، الدوتشي يقرر". مقدمة تعزّ كثيرا على العديد من مستشاريه، الذين، تحت غطائها، كانوا يسعون لحماية مسؤولياتهم الشخصية، بدلاً من القيام بالواجب الأسمى وهو تنوير القائد، كما كنت دائمًا أمتلك الشجاعة للقيام به، سواء من إثيوبيا أو في روما، أو لاحقًا من شمال إفريقيا.

جبن بائس و إجرامي لرجال نحس على الوطن، وصمته في برقية "من رجل إلى رجل" بتاريخ 10 ديسمبر 1940: فلنحدد التاريخ جيدًا!

هل تبحثون عن أدلة شهادات على كل ما أؤكده؟ أي شهادة أفضل من تلك البرقية، التي هي لائحة اتهام للقائد نفسه، وإدانة لكل من خدعه وأوهمه؟ لو كنت واحدًا من هؤلاء، كيف كنت سأتمكن من أن أقف متهمًا أمام من كان بإمكانه أن يثبت إدانتي؟

سيعترض الكثيرون على سبب عدم استقالتي في مواجهة هذا الوضع. أجيب بأنني لم أعتد أبدًا على التخلي عن منصب مسؤولية، حتى لو كان ذلك على حساب أصعب التضحيات. في هذه الحالة بالذات، جعلني شعور خاص بالواجب أبتعد عن هذه الفكرة، التي راودتني عدة مرات؛ شعرت أن الكثير من العواطف والضعف والطموحات لرجال كاذبين وغير موثوق بهم كانت تدور حول رئيس الحكومة.

أما أنا، فقد رأيت فيه تجسيدًا، ليس لقائد حزب يجب إسقاطه، بل للوطن المنخرط في صراع مميت، معرضًا لخطر أكبر بسبب العديد من الأعمال السيئة.

غير متذكر لهيغلته[1] التي تجاوزت ثلاثين عامًا، أكد بينيديتو كروتشه في خطابه البارز في مسرح "كويرينو" في روما: "كان على الإيطاليين أن ينتصروا في أكبر وأشرس معركة في صدورهم، عندما انتزعوا أنفسهم من الطريقة المعتادة للعاطفة تجاه الوطن، وتوجهوا إلى الرغبة في تسريع هزيمة إيطاليا في الحرب الآثمة إلى جانب ألمانيا، وهي الهزيمة التي وحدها يمكن أن تكون لهم انتصارًا في استعادة الاستقلال والحرية."

مدى استعادة إيطاليا "استقلالها وحريتها" يتضح بشكل كبير من الشروط القاسية التي فرضت علينا في معاهدة السلام. لذلك، سيكون من المشروع التساؤل عما إذا كان من الأفضل بكثير الاستمرار في المسار الذي اتخذ حتى النهاية، والسقوط جميعًا متحدين، والهروب من الشر الأسوأ، أي الحرب الأهلية.

أما ما ساهم به بينيديتو كروتشه "بكلمته الزرادشتية" في تحقيق الاستقلال والحرية، فيخبرنا به ما أعلنته إذاعة لندن في 20 أغسطس 1943، في نشرة الساعة 8 مساءً، عندما نقلت عن بينيديتو كروتشه أن "كلماته، تشجيعاته، موقفه، كانت مفيدة لنا كإنكليز بقدر ما كانت مفيدة لتشرشل". هل يمكننا إذن أن نتعجب إذا كانت عقيدة كروتشه قد فتحت ثغرات واسعة لصالح العدو وإعدادًا للهزيمة، حتى في الرتب العليا للقوات المسلحة؟

كان هناك جنرال، بعد 8 سبتمبر، ذهب إلى الجزائر، بحذر في ملابس مدنية، للقيام بالدعاية في معسكرات الأسرى، حتى يقرر أفرادها "التعاون"، ولم يتردد في التأكيد على أنه "منذ أن كانوا يقاتلون بيأس في العلمين، كان في روما يفكرون في إعداد... خلاصهم بالخيانة والتخريب!".

من بين الجموع الغفيرة من الجنود الذين عانوا كل أهوال الانسحاب الذي لا ينتهي، ثم أهوال المسيرة التي لا توصف نحو الأسر من تونس إلى الجزائر، تعرض ذلك الجنرال الذي كان يهينهم في آلامهم المتفاقمة بسبب اعترافه بالخيانة، وكأنه يفتخر بها، للسب والإهانة والتصفير واللعن.

يمكن تأكيد هذه الحادثة من قبل آلاف الرجال الذين شهدوا عليها.

أنا أعتبر نفسي من هؤلاء الجنود منذ البداية. لم أستطع أن أرتفع إلى "الحب الفائق" لكروتشه للوطن، كنت أعتقد أنه قبل كل شيء سيكون من الضروري الفوز بالحرب، بمجرد أن تبدأ؛

[1] إشارة للفيلسوف هيغل والطريقة الجدلية في تطوير الفكرة لنقيضها. [المترجم]

وأنه، على الأقل، لا يمكن للمرء أن يخدع نفسه بكرم العدو، بعد أن قاتله لمدة ثلاث سنوات، ويتوقع منه عفوًا إنجيليًا.

لقد كنت أتابع مع موسوليني عملًا من الحقيقة، والذي أثمر بالفعل في التخلي عن الحملة ضد يوغوسلافيا، التي دافع عنها تشانو وأتباعه، الذين بينما كانوا يريدون حربهم الصغيرة النفعية، كانوا يخربون الإعداد العام للحرب الكبيرة الأخرى، على أمل ساذج ألا يتورطوا فيها.

كل عمل الوزير تشانو، كما يتضح من يومياته، مبني على هذه اللعبة الطفولية.

في مواجهة حقيقة أن نقص الأسلحة لا يمكن إصلاحه بالتأكيد من خلال وضع برامج لا يمكن تحقيقها إلا بعد سنوات، بدأت هيئة الأركان العامة للجيش في شراء الأسلحة الأكثر إلحاحًا من ألمانيا الحليفة. بالتنسيق الكامل مع وكيل وزارة الحرب، جرت مفاوضات لهذا الغرض، بموافقة موسوليني، بين هيئة الأركان العامة للجيش (الجنرال رواتا) والعقيد فون رينتلين، الملحق العسكري الألماني في روما، وتم التوصل إلى قرار نهائي بإرسال مفتش المدفعية، الجنرال فاووتيلي، إلى ألمانيا لإبرام الاتفاقيات واختيار أنواع الأسلحة التي نحتاجها أكثر. لكن الألمان طلبوا الدفع بالذهب.

في قصر البندقية، جرى اتصال هاتفي بين موسوليني والوزير ريكاردي بحضوري. "قل لي، كم مليونًا لا يزال متاحًا من ذلك المليار الذهبي الذي نلتزم به لشراء المواد الخام في أمريكا؟ ستمائة أو سبعمائة مليون؟ حسنًا، علقوا أي التزام آخر، لأنها ستستخدم لغرض آخر سأحدده لكم".

غادر الجنرال فاوتيلي بالفعل إلى ألمانيا، حيث تمكن من إجراء استطلاع لمخازن الأسلحة الإقليمية، وتحديد الأنواع التي سيتم شراؤها. لكنه علم من السفير أتوليكو بدهشة أنه، وفقًا للاتصالات الواردة من روما، يجب اعتبار كل شيء معلقًا. وفي الوقت نفسه، تلقى أمرًا من وكيل وزارة الحرب بالعودة إلى إيطاليا. وفي الواقع، لم يتم تنفيذ عملية الشراء المخطط لها.

لاحقًا، لم يرغب الألمان أبدًا في إعطاء الأسلحة، بل وحدات عضوية، وكان السبب واضحًا.

عند تولّي منصبي كرئيس لأركان الجيش، كانت خطة الحملة تتألف من "الخطة رقم 12" التي نصت على الآتي:

1. للجبهة الغربية: دفاع مطلق (فرنسا).
2. للجبهة الشرقية (يوغوسلافيا): هجوم.
3. للفرضية اليونانية: لم تؤخذ أي خطة في الاعتبار، وبالتالي دفاع مطلق في ألبانيا.

4. لشمال أفريقيا: استبعاد تام لأي إمكانية للهجوم في مصر، مع توقع إمكانية الهجوم في تونس بدلاً من ذلك.

بالنسبة لمصر، كان هناك دراسة أكثر من كونها خطة، وهي دراسة رائعة للغاية أعدتها هيئة الأركان العامة للجيش (باريانى)، مع وفرة من الأسهم الملونة كقوس قزح من طبرق إلى الإسكندرية، ولكن دون حساب الوسائل اللازمة بناءً على الواقع. ومع ذلك، كان رئيس الأركان العامة، في أكتوبر 1939، أي قبل تعييني، قد رفضها بسبب عدم التوازن بين الهدف والوسائل. وقد أعادت هيئة الأركان العامة للجيش هذه الدراسة إلى قيادة شمال أفريقيا لإجراء فحص إضافي.

في نوفمبر التالي، أحضر المارشال بالبو جميع جنرالاته إلى روما لتقديمهم إلى موسوليني. عقد اجتماع في تلك المناسبة في هيئة الأركان العامة للجيش، حيث تم فحص جميع المسائل المتعلقة بشمال أفريقيا؛ ومن بينها، مسألة هجوم محتمل في مصر. أعلن المارشال بالبو حينها أنه يتبنى خطة يعتزم إبقاءها سرية، وسيكشف عنها فقط في اللحظة الأخيرة. من جانبي، أكدت أنه باستثناء ظروف مواتية للغاية، فإن أي هجوم في مصر يعتبر مستحيلاً.

عندما آلت إليّ التركة المشؤومة لإيتالو بالبو في يونيو 1940، كان عليّ أن أُقرّ بأن هذه الخطة لم تكن موجودة على الإطلاق، أو أنها كانت تقتصر، وفقًا لتصريحات رئيس الأركان، الجنرال تيلّيرا، على أفكار شخصية غامضة للرباعي، دفنها معه في قبره.

في النصف الأول من أبريل 1940، أمرني موسوليني بجمع جميع قادة الجيوش والفيلق، لإبلاغهم بأن الحرب ستُخاض: "ليس من أجل ألمانيا، ولا مع ألمانيا، بل إلى جانب ألمانيا."

عُقد هذا الاجتماع في القاعة التاريخية الكبيرة لهيئة الأركان العامة للجيش، حيث عمل جميع رؤساء الأركان المتعاقبين لعقود مختلفة، من بيانيلي حتى سلفي. وبشكل أكثر تواضعًا، وضعت مكتبي في قاعة مقابلة لها، محتفظًا بالأخرى كضريح للذكريات مع لوحات زيتية لجميع الجنرالات الذين شغلوا هذا المنصب الرفيع، والذي كان لدي احترام عميق لمعظمهم.

حضر الاجتماع، بصفته قائد جيش معين، الأمير أومبرتو من بيدمونت. بعد هذا الحدث، أصبحت العلاقات مع الملحق العسكري الألماني فون رينتلين أكثر توترًا.

بعد ذلك مباشرة، في نفس شهر أبريل، قدمت هيئة الأركان الألمانية الاقتراح التالي: "في اللحظة التي تهاجم فيها الجيوش الألمانية خط ماجينو، يتجمع فيلق إيطالي قوي من 10 إلى 15 فرقة، مزودة بأسلحة ومعدات حديثة من الجانب الألماني، عند بوابة بورغوندي (ثغرة بلفور) لاقتحام وادي الرون وتطويق الجيش الفرنسي بأكمله المنتشر في جبال الألب الغربية، والذي كان يضم آنذاك حوالي 25 فرقة". كان المشروع يتبع المشروع المعمول به في فترة التحالف الثلاثي، والذي

كانت توجد خطته ذات الصـلة في أرشـيفات هيئة الأركان العامة لدينا، وقد أعدت عندما كان الجنرال سـاليتا رئيسًـا لهيئة الأركان العامة للجيش. في بداية حرب 1915-1918، كان الجنرال كادورنا يستعد لتنفيذه، لولا تدخل الحياد.

أمرني موسـوليني بوضـع المسـألة قيد الدراسـة، والتي بدت ذات أهمية اسـتثنائية نظرًا للنتائج العظيمـة التي يمكن أن تترتب عليها عند دخولنا الحرب لأول مرة. أعدت هيئة الأركان العامة مذكرة، سـلمت نسـخة منها إلى موسـوليني؛ وسـلمت نسـخة أخرى إلى رئيس الأركان العامة. كان الجنرال رواتا مستعدًا للمغادرة إلى ألمانيا لإبرام الاتفاقيات ذات الصلة.

عندما عرضـت على المارشـال بادوليو المشـروع وسـلمته نسـخة من المذكرة، اسـتمع إليّ دون أي تعليق، وعند سـؤالي عما "يجب علي فعله بعد ذلك" أجاب: "لا شيء آخر. سـأتولى أنا إدارة الأمر، وسأخبرك بما يجب فعله لاحقًا".

بعد فترة، استُدعيت لتقديم تقرير إلى الدوتشي، في "فيلا تورلونيا"، لأنه كان مريضًا. استقبلني في مكتب صـغير يقع أمام غرفة نومه. عندما ظهر، كان عابسًـا جدًا. حمل معه طاولة عمله، وأمسـك بملف وثائق بعصـبية، ورمى به، وقال: "ماذا أرسـلت لي للمراجعة؟". أجبت: "مشـروع تجمع الفرق عند بوابة بورغوندي".

قال لي فقط: "نعم". وهنا انفجر فجأة كارثة حقيقية. ترك الطاولة، موسوليني، الذي كان بدون سـترته، بدأ يتجول بعصـبية صـعودًا وهبوطًا في المسـاحة الصـغيرة، مخاطبًا بعبارات غامضـة شـخصًـا أو شـيئًا ما كان يزعج روحه. بدا وكأنه يتحدث إلى شـبح غير مرئي. هل كان يقلقه عدم قدرته على اتخاذ قرار بشـأن موضـوع حديثي، والذي كان قد أظهر حماسًـا كبيرًا له سـابقًا؟ وتجرأت وقلت: "دوتشـي، هيئة الأركان العامة للجيش، ممثلة بي، تتبع توجيهاتكم بإخلاص؛ وتقدم لكم المقترحات التي تراها صـحيحة، وترفض الأخرى. هل أنت متأكد بنفس القدر من أن هذا هو الحال من جانب هيئة الأركان العامة؟".

لقد أصـبت الهدف. صـرخ موسـوليني بصـوت عالٍ: "ليت الأمر كذلك! إذا لم يشـعر بادوليو بقدرته على القيام بذلك فليذهب، فليذهب. الأمر هنا لا يتعلق بي، بل بالمصـالح العليا للوطن". ثم أضـفت: "هل أنت متأكد بنفس القدر يا دوتشـي، أن الحرب التي نسـير نحوها يشـعر بها الشـعب الإيطالي حقًا؟ أنت ترى بالتأكيد الدافع التاريخي العظيم الذي يحددها؛ ولكن هل يفهمها الإيطاليون والقادة الذين يجب أن يقودوها؟".

ازداد غضـبه وأجاب: "لقد حان الوقت لمعرفة ما إذا كان شـعب إيطاليا يسـتحق أن يرتقي إلى مستوى شعب عظيم. الآن أو لا أبدًا!".

عاد إلى طاولة العمل، وأمسك مجددًا بملف الوثائق ليبحث عن الملف الذي يهمه؛ ثم، رماه بعنف على الطاولة، وتوجه إلي بذراعه الممدودة وبنبرة تهديدية تقريبًا: "اذهب يا غراتسياني، اذهب"، صرخ. "سأطلعك على قراراتي في هذا الشأن."

خلف الباب الذي أدخلت منه خادمة، لم أجد أحدًا. عندما فتحته فجأة، ضغط موسوليني عليّ: "اذهب! ستجد من يرشدك".

في الواقع، في ذلك اليوم لم يكن هو نفسه تمامًا. في أسفل الدرج، وجدت موظفًا، سألته من كان ينتظر مقابلة؟ فقيل لي "الجنرال سودو".. وشعرت على الفور أن الأمر لم يكن مجرد صدفة بريئة وأن المحادثة ستستأنف من قبله.

حدث هذا اللقاء قبل ثماني وأربعين ساعة من مغادرة الجنرال رواتا إلى ألمانيا. بتأجيل القرارات يومًا بعد يوم، وصلنا الآن إلى نهاية مايو. في التاسع والعشرين، استدعينا إلى قصر البندقية لتقديم التقرير المعروف: رئيس الأركان العامة، ورؤساء الأركان الثلاثة للقوات المسلحة. كافاتي للبحرية، بريكولو للقوات الجوية، سودو، وكيل وزارة الحرب، وأنا.

قبل الدخول، وما زلت تحت تأثير عاصفة اليوم السابق، سألت الجنرال سودو: "هل هناك عاصفة؟". فأجاب بالهيئة الكهنوتية التي تميزه في المناسبات الكبرى: "لا. لماذا؟". بدا موسوليني هادئًا تمامًا بالفعل.

جلسنا جميعًا أمام طاولته الشهيرة. من اليسار إلى اليمين: بادوليو أمامه مباشرة، ثم الآخرون بترتيب وزاراتهم. البحرية، الطيران، الجيش، أنا في الطرف المقابل لبادوليو.

دخل موسوليني مباشرة في موضوع الحرب إلى جانب ألمانيا قائلاً إن الوقت قد حان لتحديد تنظيم القيادة العليا. "لذلك من الضروري أولاً وقبل كل شيء تحديد من يتولى مهام رئيس الأركان العامة العملياتية، والتي أختار لها"، وشدد على الكلمة، "المارشال الإيطالي بيترو بادوليو".

نهض هذا الأخير: "إذن، من المفهوم أنه، اعتبارًا من اليوم، توجد قيادة عملياتية واحدة، وهي قيادتي، والتي يجب أن تمر عبرها أي مشروع أو خطة".

"بالتأكيد" صدق موسوليني. ثم نهضت أنا بدوري: "هل يجب أن أعتبر مهمة رواتا المعروفة في ألمانيا قد أنجزت أم لا؟".

"لا" أجاب موسوليني، "بالنسبة للمسألة التي تخصها، سأتخذ اتفاقيات مباشرة مع هتلر".

ولم يعد الحديث عن المشروع العملياتي في بوابة بورغوندي.

لكن خلال العمليات في جبال الألب الغربية في يونيو 1940، حدث ما سأرويه لاحقًا.

في اندفاعهم نحو جنوب فرنسا، وصلت الجيوش الألمانية المدرعة، حوالي 20 يونيو، إلى غرونوبل. بدا أن اختراقنا، من الجانب الآخر لوادي آرك، يمكن أن يتقدم بشكل جيد. عبر راديو ألماني أُنشئ في قيادة جيشنا الرابع في ريفولي (الجنرال غوزوني)، طلبت من القائد الألماني (الجنرال فون بانك) ما إذا كان بإمكانه دعم تقدمنا، بالقدوم لمقابلتنا. أجاب بأن ضيق الوادي لا يسمح له بالاستخدام الفعال للمركبات المدرعة.

عندما أبلغت موسوليني بذلك عبر الهاتف، قال لي: "نعم، حتى أنا، اليوم، لاحظ هتلر: 'لكان الأمر مختلفًا لو كنتم قد أتيتم إلى بوابة بورغوندي'". ثم أضاف بسرعة: "ماذا يعني ذلك؟ لم أسمع قط عن بوابة بورغوندي!".

"ربما"، أجبت، "بل بالتأكيد، يجب أن يشير هذا إلى المشروع المعروف الذي قدمته لكم في الأشهر الماضية." قاطعني بنبرة قاطعة، وشدد على الكلمات: "أكرر لك أنني لم أعرف شيئًا عن بوابة بورغوندي؛ هل فهمت؟".

"لقد فهمت تمامًا"، كان علي أن أجيب.

أدركت في الواقع أنه لم يرغب في أي تعليق من جانبي، لا معه ولا مع الآخرين، حول المسألة التي بدت في تلك اللحظة بكل أهميتها، وحول الفرصة المواتية الضائعة.

لقد كنا نهاجم آنذاك، في هجوم أمامي ودون استعداد هجومي كافٍ، تلك الجبال الألبية الغربية التي لم يفكر أحد في إمكانية تجاوزها بهذه الطريقة. تنفيذ خطة بوابة بورغوندي، التي كنت أدعمها والتي قاطعها آخرون، كان سيقدم تطورات مختلفة تمامًا للحملة.

لكنا قد طوقنا بالتأكيد التشكيلات الفرنسية بأكملها في جبال الألب الغربية، ووصلنا إلى البحر، محققين بذلك انتصارًا ساحقًا في بداية الحرب. لكان الألمان مدينين لنا بمثل هذه المساعدة الهائلة؛ وما فعلوه لاحقًا من أجلنا في شمال إفريقيا لم يكن ليبدو عملًا إلهيًا، بل تسوية حساب لصالحنا. بالإضافة إلى ذلك، لكنا قد حصلنا على غنائم هائلة من الأسلحة ووسائل النقل التي كنا في أمس الحاجة إليها.

ولا يقال إن هذا حلم وردي بعد فوات الأوان، لأن الألمان بأربع فرق فقط اخترقوا الجبهة الفرنسية عند بوابة بورغوندي، حيث كان بإمكاننا أن نشرك من عشر إلى خمس عشرة فرقة. والأهم من ذلك، لم تكن لتحدث "طعنة الظهر" الشهيرة لفرنسا، ذات الذكرى السيئة، والتي تثقل الآن أكثر من أي اتهام آخر مشروع، من بين العديد، على المنتصر.

من الذي أسقط مشروع بوابة بورغوندي؟ كان المارشال بادوليو نفسه هو الذي أسقط المشروع بشكل نهائي. يقول ذلك بوضوح صوت لا يشك فيه: الجنرال زانوسي في كتابه: "الحرب

وكارثة إيطاليا". الآن، إذا كان إغراق المشـــروع قد تزامن مع عدم إعلان الحرب، فهذا جيد. ولكن بما أن ذلك قد حدث، فما هو الضرر الهائل الذي نتج عن عدم تنفيذه، مع استبداله بــ "طعنة الظهر" لفرنسا؟

عندما حدث تبادل البرقيات بين الجنرال فون بانك وبيني في جبال الألب الغربية، كان الملازم أول الألماني هيجنراينر مكلفًا بالاتصـــال بالجيش الرابع. بعد ذلك، بقي معي بنفس المهام خلال حملة 1940-1941 في شمال إفريقيا؛ وقد تحدثت معه كثيرًا عن هذه المسألة. أخبرني أن الخطة المتعلقة ببوابة بورغوندي كانت من اقتراح الفوهرر شخصيًا.

في وقت لاحق، خلال قربي المستمر من موسوليني في الأشهر العشرين التي قضاها في غاردا، أشـرت إلى ذلك مرة، فقال لي "إن كل شيء قد فشـل لأن الجانب الألماني لم يرغب في منح قيادة مســتقلة لفيلقنا، مع تبعية مباشــرة للقيادة الألمانية العليا، بل تبعية لمجموعة جيوشـــهم. ولم يكن بالإمكان الموافقة على ذلك لأن قائدنا كان يجب أن يكون أمير بيدمونت". إذا كان هذا هو الذريعة لإفشـــال المشـــروع، فإنه يبدو طفوليًا إلى حد ما؛ ففي الواقع كان من الممكن اســـتبدال الأمير بجنرال.

لماذا يلتزم بادوليو الصمت بشـأن موضـوع بهذه الأهمية في كتابه؟ ولماذا يلتزم تشـانو الصمت بشأنه في يومياته؟ يسهل العثور على السبب عندما نفكر في الرغبة في إخفاء حقيقة أن الأحداث الحربية كان من الممكن أن تتخذ منعطفًا مختلفًا تمامًا لو أن إرادة حازمة وموحدة قد أشـــرفت على إدارة الحرب منذ البداية.

لقد ذكرت بالفعل أن خطة الجبهة الغربية كانت ذات طابع دفاعي مطلق. أدى عدم اليقين، الذي اســتمر حتى اللحظة الأخيرة، بشـــأن ما إذا كان يجب الهجوم غربًا (فرنســـا) أو شـــرقًا (يوغوسـلافيا)، إلى بقاء المدفعية الثقيلة، في أوائل يونيو، ثابتة في مستودعات بياتشـنزا. كان من المتوقع أن يسـتغرق نقلها إلى جبال الألب الغربية حوالي شـهر. كتب المارشـال بادوليو نفســه في مذكراته: "... لاحظت في هذه المناسـبة أن جزءًا من قواتنا المنتشـرة نحو فرنسـا قد اتخذ وضـعًا دفاعيًا، حيث - على وجه الخصـــوص - تراجعت جميع المدفعية الثقيلة والمتوســـطة مع وحدات الذخيرة.

"إذا أردنا اتخاذ تشـكيل هجومي، لكان الأمر قد اسـتغرق ما لا يقل عن خمسـة وعشـرين يومًا، نظرًا للقيود المفروضة على الحركة بسبب ضعف الطرق."

كانت الخطة تنص على أنه بمجرد إعلان الأعمال العدائية، يقوم مختلف قادة القطاعات بإجراء بعض التعديلات في التشكيل مع عمليات هجومية محلية فورية. لكن رئيس الأركان العامة أمر بتعليقها، وأنه لا ينبغي اتخاذ مبادرة الأعمال العدائية. لم يكن من اختصـاصـي الحكم على

الأســباب العليا التي جاء منها هذا التوجيه الغريب، والذي تم نقله مع ذلك إلى قادة الجيش ومن هؤلاء إلى قادة القطاعات، الذين لم يتمكنوا من فهم سببه. لكنه كان أمرًا لا يمكن مناقشته.

بعد إبرام الهدنة مع فرنســا، عندما ذهبت لزيارة جلالة الملك في "فيلا ثاون دي ريفيل"، في كارمانيولا، قال لي: "بادوليو لم يكن يريد الحرب مع فرنسا". ومن هنا جاء الأمر المعني.

استمر التعليق حتى مساء يوم 20، عندما صدر الأمر ببدء الهجوم في صباح اليوم التالي.

يروي المارشــال بادوليو في مذكراته اللقاء الذي جمعه بموســوليني في 15 يونيو، والذي أُمر فيه بالهجوم في يوم 18، ويختتم حديثه عنه بما يلي: "يتحدث رئيس الحكومة: 'بخصــوص التشــكيل والوقت اللازم لاتخاذ وضــع هجومي، أعتقد - نظرًا للظروف التي يمر بها الجيش الفرنســي - أنه ليس من الضروري إضاعة الوقت في تقديم مدفعيتنا. ولكن سأعطي الأوامر بنفسي لرئيس أركان الجيش'".

من هذه النقطة، يقفز المارشال بادوليو، متجاهلاً تمامًا اللقاء اللاحق الذي جمعه، بحضوري، مع موســوليني، في يوم 20 الســاعة 17، وينتقل إلى بضــع كلمات تتعلق بالهجوم، دون أن يحدد كيف تم الأمر في النهاية، ولا من من، ولا إلى من. في الواقع، يتابع: "لذلك، كان للهجوم قوة اختراق ضعيفة جدًا، ونظرًا للطقس السيئ للغاية ونقائص معداتنا، فقد كلفنا خسائر كبيرة إلى حد ما، خاصة بسبب الصقيع".

لذلك، من الضــروري بالنســبة لي ســد هذه الثغرة المتعمدة في رواية رئيس الأركان العامة. مســاء يوم 20 يونيو 1940، حوالي الســاعة 17:00، جرى اجتماع في قصــر فينيســيا بين موســوليني وبادوليو وأنا. بعد تقديم ملخص موجز للوضــع العام، أخبر الدوتشــي بادوليو أنه يعتقد أن الوقت قد حان للهجوم. التفت المارشـــال إليه أولاً، ثم إليّ، وســـأل حرفياً: "ما رأي رئيس أركان الجيش؟".

قلت: "من الناحية الفنية، الوضــع كالتالي: الألمان يتقدمون بســرعة كبيرة نحو جنوب فرنســا وهم بالفعل بالقرب من غرونوبل، عند مخرج وادي آرو، حيث يبدو أن اختراقنا من جانبنا يمكن أن يتقدم بشــكل إيجابي تمامًا. لذلك، قد يكون هذا هو الوقت الأكثر مواتاة لبدء الهجوم بحركة من الأعلى (الجيش الرابع) لمد يد المســاعدة للألمان؛ ومن الأســفل (الجيش الأول) من الأمام لإشــغال القوات الفرنســية. على الرغم من الارتجال، تكتســب المناورة بذلك مظهرًا منطقيًا ومعقولًا."

يجب أن أوضــح أنني قبل يومين كنت قد قدمت بالفعل مذكرة إلى رئيس الأركان العامة بهذا المعنى، وقد وافق هو عليها، محتفظًا بالقرارات المتعلقة بالوقت المناسـب. أمام موسـوليني، وافق

على الوضـع الذي وصــفته. قطع موســوليني عندئذ أي نقاش، وبينما كان حازمًا ومقنعًا، أمر بادوليو بإصدار الأوامر، بدوره، لبدء الهجوم صباح اليوم التالي. وهكذا حدث.

استمرت معركة جبال الألب الغربية ثلاثة أيام، وخلالها ذهبت إلى مونتشـينيزيو، وغران سان برناردو، ومادالينا.

لم يخبرني أحد في 27 من الشــهر أن موســوليني وبادوليو وســودو... ســيغادرون روما في نفس المســاء للقيام بجولة في جبال الألب. علمت بذلك في روما صــباح يوم 28، عندما وصــلت لأقدم تقريري.

في نفس فترة بعد الظهر، صــعدت إلى هضــاب أرتشــينازو لأمنح نفســي يومًا من الراحة. ولكن صــباح يوم 29، تم الاتصـــال بي من تورينو: كان المارشـــال بادوليو يبلغني بوفاة بالبو في اليوم الســابق وتعييني قائدًا أعلى في شــمال إفريقيا، مع وظائف الحاكم العام، مع الاحتفاظ بمهامي كرئيس لأركان الجيش.

9. حملة شمال أفريقيا 1940-1941

عند معالجة هذا الموضوع الشاق، يجب أن أوضح أن مذكرتي الدفاعية وحدها هي التي ستقول الكلمة الأخيرة في هذا الشأن. لذلك سأواصل بشكل عام، كما تتطلب طبيعة هذا المنشور.

عندما أبلغني المارشال بادوليو بالخبر المحزن عن وفاة بالبو وتعييني مكانه في شمال أفريقيا، أجبت بأنني، كما هو الحال دائمًا، مستعد لتنفيذ الأوامر، لكنني اعتبرت أن هناك حاجة إلى اجتماع توجيهي حول الوضع. لم أتمكن من معرفة ذلك لأنه، كما ذكرت سابقًا، كان رئيس الأركان العامة، بمرسوم خاص، قد احتكر لنفسه "الإدارة الاستراتيجية للعمليات في الأراضي الخارجية"، وكان يبلغ هيئة الأركان العامة للجيش بالأخبار فقط عندما يرى ذلك مناسبًا.

بالإضافة إلى ذلك، كنت غائبًا عن روما لعدة أيام، وكنت مشغولاً فقط بالعمليات في جبال الألب؛ كيف يمكنني أن أكون على اطلاع بآخر التطورات المتعلقة بشمال إفريقيا؟ أجابني المارشال بادوليو بأنني سأجد في طرابلس التوجيهات التي سبق أن صدرت لبالبو، وأكد لي مغادرتي الفورية.

وهكذا يسجل الجنرال أرميليني نفسه، المتحدث باسم بادوليو، هذه الظروف في يومياته، مقدمًا شهادة غير متوقعة ولا يمكن دحضها: "في الساعات الأولى من الصباح، وصل خبر وفاة بالبو، الذي استقبله المارشال بحزن. من بين جميع الوافدين الجدد، اعتبره من بين الأكثر ذكاءً وقدرة.

"أخبرت الدوتشي الذي لم يبدُ حزينًا بشكل مفرط.

"تم اتخاذ قرار باستبداله بغراتسياني، وتم تكليف بادوليو بنقل أمر المغادرة الفورية إليه.

"توجهنا إلى تورينو وبينما كان الدوتشي يزور المستشفيات، ذهبنا إلى قصر القيادات للتحدث مع روما. لم يستقبل غراتسياني الخبر بحماس وأبدى صعوبات. اختصر بادوليو الحديث وأكد له أمر المغادرة في غضون أربع وعشرين ساعة".

يكذب أرميليني عندما يدعي أنني واجهت صعوبات. طلبت اجتماعًا؛ ورفض طلبي؛ وسنرى لماذا.

في فترة ما بعد الظهر، من روما، طلبت التحدث مرة أخرى، وسمعت صوت موسوليني نفسه على الهاتف. "ماذا تريد يا غراتسياني؟" سألني. "لأمثل لك مرة أخرى" أجبت، "ضرورة عقد اجتماع توجيهي وتوجيهات دقيقة قبل المغادرة".

"كما أخبرك المارشال بادوليو، ستجد هناك ما سبق أن أرسله لبالبو."

"حسنًا، لكنك تعلم..." قاطعني: "متى ستغادر؟".

"بعد غد صباحًا، لأن الطائرات، حسب رأي رئيس أركان القوات الجوية، تحتاج إلى صيانة."

قضيت اليوم كله في وزارة الحرب لتسوية الأوراق المعلقة.

قرب المساء، اتصل بي الهاتف مرة أخرى: كان سكرتير الدوتشي، الدكتور أوزفالدو سيباستياني.

"يرغبون هنا في معرفة متى ستغادر بالضبط"، قال.

"لقد أكدت بالفعل لرئيس الحكومة أنني سأغادر صباح الاثنين لأن الطائرات ليست جاهزة".

"لكنهم هنا يرغبون في أن تغادر غدًا". فقلت: "أكرر أن...".

"حسنًا، لكنني أقول لك إنهم 'يريدون' هنا أن تغادر غدًا." وتم قطع الاتصال. الرغبة، إذن، كانت إرادة صريحة، أمرًا.

في الساعة 23:00، استدعيت الجنرال سانتورو، نائب رئيس أركان القوات الجوية، الذي حضر إلى منزلي وأبلغته بالموعد النهائي القاطع الذي تلقيته، وبالتالي ضرورة أن تكون الطائرات جاهزة لصباح اليوم التالي.

في الساعة 11:00 صباحًا من يوم 30، أقلعت من تشينتوتشيلي متجهًا إلى طرابلس؛ حيث هبطت بانتظام في مطار كاستل بينيتو.

وبما أن رياحًا قوية قد هبت، مما كان سيجعل الرحلة في اليوم التالي محفوفة بالمشاكل، ولرغبتي في عدم تفويت جنازة بالبو، واصلت الرحلة ليلاً بالسيارة إلى بنغازي عبر طريق "بالبيا".

وصلت في الوقت المحدد؛ وبعد الجنازة، غادرت على الفور إلى قورينا، حيث كانت قيادة القوات العاملة قد أقامت؛ في الواقع، كانت مقسمة بين درنة وقورينا.

بمجرد الاتصال برئيس الأركان العامة، الجنرال توليرا، أظهر لي برقية أرسلت من روما في 28 "يأمر فيها بالبو ببدء غزو مصر في 15 يوليو"! عندها فهمت لماذا طُلب مني المغادرة بهذه السرعة. أرادوا أن أجد نفسي أمام أمر واقع، خوفًا من أن أعرف البرقية في روما يوم 30، أو الأسوأ من ذلك، أن أذهب للتشاور في القيادة العامة.

في مواجهة مقاومتي القاطعة لعدم شـن الهجوم، في 29 يوليو، اسـتدعيت إلى روما لتقديم الحسـاب. جرى اللقاء بين موسـوليني وبادوليو وأنا في قصـر فينيسـيا صـباح يوم 5 أغسـطس 1940.[1] سـلمت على الفور لكليهما مذكرة أوضـحت فيها الأسـباب التي دفعتني إلى هذا المفهوم السـلبي. اختتمت المذكرة: "... إنها باختصـار حملة حربية ذات أقصـى حجم وأهمية يجب على القيادة العليا للقوات المسلحة في شمال إفريقيا مواجهتها؛ ليس هجومًا يُشن ببساطة كما يمكن أن يكون على جبهة حضرية منظمة في أدق التفاصيل؛ كما حدث على الجبهة الألبية الغربية وقد يحدث على الجبهة الشرقية.

"رهان هذه الحملة مهم جدًا للوطن، وليس من واجبي تحديد الضـرر الناتج عن الهزيمة، التي عندما تحدث في منطقة صحراوية تكون دائمًا شاملة ولا يمكن إصلاحها."

أرى المشهد مرة أخرى. كان ذلك في قاعة قصر فينيسـيا، حول طاولة عمل موسـوليني الكبيرة. أمامه مباشرة، في أقصى طرفيها، على اليمين أنا، وعلى اليسار بادوليو. مظهر موسوليني وموقفه يظهران أنه كان مسـتاءً مني. خلال العرض الذي قدمته، انتظرت عبثًا كلمة، إيماءة موافقة من رئيس الأركان العامة، الذي كانت عيناه المعدنيتان تتفاداني وتبقى مثبتتين على الأوراق أمامه. كان موسـوليني وكأنه مبهور به. عبثًا قلت حقائق واضـحة لا تحتاج إلى دليل؛ في نهاية العرض، توجه بادوليو إليه: "دوتشي، في الوقت الحالي نذهب إلى سيدي براني؛ ثم سنرى!".

قرر موسـوليني: "حسـنًا يا بادوليو، أُمر بالتقدم نحو سـيدي براني". وهكذا تم إقرار بداية الهزيمة المحتومة التي تلت ذلك.

في العقد الأول من أكتوبر 1940، كنت في روما، حيث استُدعيت للتشاور بشأن الوضع الليبي. وبما أنني أصـررت على الحصـول على المركبات الضـرورية (حتى تلك اللحظة لم تكتمل عملية إرسـال الألف مركبة التي طلبها بالبو في يونيو)، اعترض رواتا وسـودو أنه، بأمر من بادوليو، كان عليهم حجب خمسة وعشرين ألفًا منها، والتي كانت تعتبر غير قابلة للمس لاستخدامها في هجوم ضـد يوغوسـلافيا، وهو هجوم لم يحدث بسـبب الفيتو الألماني. ومع ذلك، لم يذكر لي أي شـيء عن اليونان، بينما بعد أيام قليلة، في الجلسـة المشـؤومة في 15 أكتوبر، تم إقرار تلك الحملة التعيسة.

[1] أنظر مذكرات شانيو قالياتسو ، المجلد الأول 1939-1940، ميلانو، دار نشر ريزولي، 1946، ص 197، وفي هذا الفصل، في الصفحة 123. (ملاحظة المحرر)

مما لا شك فيه أن الجميع كانوا على علم بما يجري الإعداد له، ويؤكد ذلك ما كتبه المارشال بادوليو في كتابه في الصفحة 51: "في أوائل أكتوبر، كلف موسوليني هيئة الأركان العامة للجيش الملكي بدراسة عدد القوات اللازمة في ألبانيا لمهاجمة اليونان.

"أنجزت هيئة الأركان العامة دراستها، وفي 14 أكتوبر، استقبلنا موسوليني، الجنرال رواتا وأنا، لعرض النتائج عليه".

لماذا سكت عني، أنا الذي كنت رئيس أركان الجيش؟

كنت أعلم تمامًا وضع القوات في ألبانيا. عندما توليت مهامي الجديدة، في نوفمبر 1939، كانت هناك خمس فرق: أربع فرق مشاة، وواحدة مدرعة تسمى "سينتاورو"، جميعها بفعاليات مخفضة جدًا، حيث كانت تلك الجبهة تعتبر دفاعية بحتة. بعد بضعة أشهر، تم تأكيد هذا المفهوم، لدرجة أن هيئة الأركان العامة أرادت سحب فرقتين مشاة إلى الأراضي الوطنية، وترك ثلاث فرق في الموقع. وبإصراري، تم سحب واحدة فقط.

عندما جاء المارشال بالبو إلى روما في أوائل يونيو، وطالب بفرقة مدرعة في ليبيا، تقرر إرسال "سينتاورو" إليها بسحبها من ألبانيا. في الواقع، حوالي نصف الفرقة أبحرت في نفس لحظة إعلان الحرب؛ وغرقت.

وفيما يتعلق بالمهمة الموكلة إلى قيادة شمال أفريقيا، اقرأ البيان في محضر 15 أكتوبر: "... يمكن تصحيح هذا التوقع بمطابقة العمل ضد اليونان مع العمل في مرسى مطروح. في هذه الحالة، من الصعب أن يحول الإنكليز طائرات من مصر لإرسالها إلى اليونان. يمكن القيام بذلك لأن، بحلول 26 من الشهر الجاري، يمكن أن يكون غراتسياني أيضًا جاهزًا".

إدعاء تعسفي تمامًا! ففي 5 أكتوبر في روما، قبل عودتي إلى ليبيا، أبلغني رئيس الأركان العامة "أنني يجب أن أستأنف التقدم نحو مرسى مطروح بحلول 15 أكتوبر وأن موسوليني تخلى نهائيًا عن القوات المدرعة التي عرضها هتلر، لأنه اعتبر أن الوسائل المتاحة لنا كافية"[1]

من جانبي، قبل مغادرة روما، أجبت "أنني لا أستطيع ضمان أي شيء، دون اختبار الوضع في المكان أولاً، والذي كان ينبغي تحسينه بالوسائل قيد النقل"! في مواجهة تحفظي الصريح هذا، كيف يتجرأ المارشال بادوليو على التأكيد "أنني سأكون مستعدًا للتحرك بحلول 26 أكتوبر؟". هل أراد ربما أن يضيف طعمًا آخر لتعزيز القرارات التي يقول إنه اضطر إلى قبولها، لصالح الحدث المأساوي؟ بخلاف ذلك، لماذا؟

---

[1] أنظر الملاحظة رقم 3 في الملحق.

عند وصولي إلى طرابلس، ثم إلى قورينا، بعد إجراء فحص دقيق للوسائل وتأكيد النقص الدائم فيها، قدمت بعد بضعة أيام طردًا، أوضحت فيه عدم قدرتي على استئناف التقدم بحلول يوم 15. وللخروج نهائيًا من اللبس الذي استمرت فيه روما، بوعي أو بغير وعي، في جر الأمور إليه، أعلنت أنه سيلزم شهرين على الأقل لإتمام الاستعدادات.

في الواقع، استمر عدم إرسال المركبات الضرورية، مما أجبرني على تعويض ذلك ببناء الطريق والقناة المائية لسيدي براني، مما أعاد الحرب إلى زمن أنطونيوس، الذي قاتل في تلك المناطق من أجل "سحر" كليوباترا.

في منتصف شهر نوفمبر، وجّهت في روما إلى بادوليو النداء الأخير من مقر القيادة العامة في ليبيا: "لقد أكّدت لكم يا صاحب السمو، استلامي إشعار عمليات رقم 3668، وأؤكد لكم أن كل إرادتي، وإرادة هيئة الأركان، وإرادة القوات، تتجه نحو الهدف الذي أُشير إلينا به."

"نحن جميعًا ندرك تمامًا اللحظة العصيبة التي نمر بها ومستعدون لتقديم كل ما لدينا للمساهمة في تحقيق نتائج إيجابية.

"سيتعين على القوات السير على الأقدام بأقل عدد من الشاحنات، بدون حيوانات للحمل، بدون عربات صغيرة للإمدادات من المركز إلى أطراف التشكيلات. سيتم تقليل كل شيء إلى الحد الأدنى الضروري: ولكن لإطلاق المعركة، يجب أن يكون لدينا اليقين بتحقيق رأس التشكيل بكتلة نارية هائلة للتثبيت الأول على الجبل الذي يسيطر على مرسى مطروح ومعسكرها المحصن؛ إلى جانب لواء مدرع وفرقة آلية واحدة على الأقل يتم رميها بنفس القدر على الفور إلى الأمام.

"لتحقيق ذلك، فإن الوسائل المتاحة حالياً غير كافية. نحتاج إلى وصول المركبات إلى هنا في موعد أقصاه نهاية الشهر والتي سبق الإشارة إليها من قبل هيئة الأركان العامة للجيش في الوثيقة 341-09600 المؤرخة 1 من الشهر الجاري، والتي ذكرتموها في وثيقتكم رقم 3668 للعمليات.

"نحتاج إلى جرافات كاتربيلر المشار إليها في نفس الوثيقة، والتي يبدو أنها موجودة بالفعل على رصيف الميناء في نابولي.

"نحتاج إلى قطع الغيار وورش إصلاح السيارات التي اضطر مدير النقل العسكري نفسه، العقيد أيموني، إلى الاعتراف بضرورتها الحتمية في المحضر الذي أرفقه لكم والذي يلخص بشكل نهائي هذه المسألة الشائكة المتعلقة بالمركبات المتاحة هنا.

"نحتاج إلى إرسال أنابيب القناة المائية بعد البرّاني التي تقوم شركة دالميني بتجهيزها. الطريق والقناة المائية للبرّاني يتقدمان. لتحقيق هاتين الضرورتين الملحتين، بُذلت جهود وتضحيات من جميع الأنواع. من طرابلس البعيدة إلى برقة، تم استخراج ونقل 120 كيلومترًا من الأنابيب إلى

موقع العمل، من الامتيازات، من القنوات المائية، من كل مكان. أنابيب ذات أقطار مختلفة مع جميع الصعوبات المتعلقة بالوصلات، وما إلى ذلك. تم مصادرة جرافات كاتربيلر، وشاحنات ثقيلة، وبكرات ضغط، وكسارات دون رحمة. تم شل جميع أشكال النشاط المحلي تقريبًا.

تنفذ الشعوب الأوامر بصمت، بينما يضرب الجوع الأبواب أكثر من أي مكان آخر، بسبب صعوبة نقل المؤن من الوطن الأم. يقدم سكان المدن والأهالي مثالًا رائعًا على الانضباط والتضحية والطاعة. من شأن تقدمنا المنتصر أن يرفع معنويات الجميع ويساهم أيضًا في إبقاء معنويات الأمة حية.

"الرجاء يا صاحب السعادة، التأكد من تحميل الوسائل الجاهزة أو قيد التجهيز في نابولي في أسرع وقت ممكن على متن سفينتين أو ثلاث سفن بخارية خاصة وإعادة توجيهها فورًا إلى طرابلس.

"أذكّركم (من الجائز أيضًا فعل هذا، عندما يكون المصلحة العليا للوطن على المحك) أنني لم أصم عن الصرخة التي أطلقتها عليّ في مسيرتك على أديس أبابا، لألتقي بكم، لإكمال انتصاركم الذي لم يصبح نهائيًا إلا آنذاك.

"أرسل لكم الجنرال جيوردانو المكلف بالإشراف على تحميل الوسائل. يمكنه أن يخبركم شفهيًا بكل ما تريدون أن تسألوه دون تحفظ من جانبي، كما سمحت دائمًا لجميع ضباط الأركان الذين أرسلوا الوثائقيات.

"بهذه الرسالة قلت الكلمة الأخيرة. لا يمكن أن يتجاوز جهدي حدود الممكن. لا أرغب في أن أجد نفسي في اللحظة المأساوية التي أكون فيها قد أنجزت، بجهد هائل، الطرق والمياه، وأن أضطر إلى التأجيل فيما يتعلق بالباقي. عندئذ، بالتأكيد، لن تقع مسؤولية الأحداث عليّ، أمام الوطن الذي هو الخالد وحده".

كيف رد على صرختي؟ بطريقة بيروقراطية ساخرة، تاركًا لي مصيري، وبعد أيام قليلة، متوقعًا الكارثة، تخلى عن منصبه المسؤول.

شهدت الأحداث تدهورًا سريعًا: لقد كشف الهجوم الإنكليزي على مواقعنا الأمامية في سيدي البراني عن كونه لا يمكن وقفه. المناورة، التي بدأت فجر يوم 9 ديسمبر، باستخدام المدفعية، والمركبات المدرعة، والقوات الآلية، والتي ساندها أيضًا تدخل القوات البحرية والجوية التي أخضعت خطوطنا لقصف متواصل من البحر والجو، كانت تتطور لصالح خطط العدو في أيام 10 و11 و12، مما أجبر فرقنا على التراجع بسرعة وكشف بشكل متزايد عن حالتنا من النقص.

برقيتي المؤرخة 12 ديسمبر 1940: «تأكد انهيار فرقة "كاتانزارو" التي انسحب جزء منها إلى خط الحلفاية، ولا يزال جزء منها يقاوم محاصـرًا من جميع الجهات في بئر تيبيديا Bir Tibidia. فرقة "سـيرين" واصـلت انسـحابها من الأعلى باتجاه فرقة مشـاة المرماريك بترتيب حتى صـباح اليوم. اعتراضـات تفيد بأن: الفرقة المدرعة السـابعة (بيس) تلقت أمرًا من القيادة الإنكليزية باحتلال السلوم؛ وأن الساعة 8:45 بدأت الحركة باتجاه الشمال الغربي على طول مسار صوفاتي-حلفاية Sofati-Halfaia ، أي خلف فرقة "سيرين". استطلاعات جوية تفيد في نفس الوقت أن كتلة تقدر بحوالي مائتي مركبة مدرعة تليها أخرى قد بدأت بالفعل تحركًا سـريعًا نحو حلفاية بهدف واضـح وهو مهاجمة فرقة "سـيرين". يجب افتراض نتيجة لذلك أن العدو يريد تجاوز المقاومة من الأعلى لمواصلة التقدم نحو السلوم والاشتباك مع انتشار فرقتي "23 مارس" و"28 أكتوبر".

«أمس، قمت بتعزيز هذا الانتشـار بقوات مدفعية وآخر احتياطي مدرع تحت تصـرفي، أي كتائب الدبابات إم 13. إذا نجحت هذه المناورة أيضًـا، فمن المفترض أن يتم الاسـتثمار اللاحق لسـاحة البردية، وهي ضـعيفة التحصـين. بعد ذلك، لن يتبقى سـوى المقاومة القصـوى لسـاحة طبرق، حيث تم نشر جميع الوسائل التي أمكن جمعها، كما ذكرت بالأمس.

«الأسطول الإنكليزي يجوب البحر بحرية. صباح اليوم، كان يتمركز قبالة رأس عزاز. الطيران لا يزال شبه عاجز عن العمل بسبب سوء الأحوال الجوية. خطر انهيار الجبهة بالكامل واضح.

«لقد أصـدرت تعليمات للجيش الخامس "طرابلس" بوضـع أقصـى كفاءة في ذلك الحقل المحصـن، وسـحب جميع القوات المتنقلة إليه، مع ترك نظام تغطية الحدود الغربية دون تغيير. سلاح الهندسة يقوم بترميم الانقطاعات على الطريق المؤدي إلى بنغازي.

«بعد الأحداث الأخيرة وتلك الوشـيكة التي يمكن توقعها ، أرى من واجبي بدلاً من التضـحية بشخصي الذي لا طائل من ورائه في المكان، أن أنتقل إلى طرابلس، إذا نجحت، للحفاظ على علم إيطاليا مرفوعاً على تلك القلعة على الأقل، منتظراً أن تمكنني الوطن الأم من مواصلة العمل.

«بدءًا مني أنا وحتى آخر جندي، لدينا وعي عميق بأننا بذلنا قصارى جهدنا للمقاومة بعد الجهد الذي بذلته لأفهم روما ما هي الظروف الحقيقية لهذا المسـرح العملياتي والوسـائل اللازمة لمواجهتها دون وضـع الرجل بالبندقية ووسـائل قليلة جداً مضـادة للدبابات في ظروف تمكنه من تحمل حرب البرغوث ضـد الفيل. ليُقال هذا لذكراي الوصـائية ولكي يتحمل كل فرد مسـؤوليته الخاصة أمام التاريخ عما يحدث هنا اليوم. - غراتسياني.»

من يراجع هذه البرقية اليوم يجد عرضًا باردًا وموجزًا للأحداث الاستراتيجية والتكتيكية، والتي تسـتخلص منها توقعات ما سـيحدث وما حدث بالفعل؛ بالإضـافة إلى الإجراءات التي كان من الممكن تنفيذها. ونتيجة لهذه الرؤية لواقع المستقبل القريب، اقترحتُ فرصة الانسحاب بجميع

القوات نحو طرابلس، بدلاً من المخاطرة بالوقوع في فخ في برقة؛ كما حدث في النهاية، حيث فُرض عليّ الدفاع عن البردية وطبرق حتى النهاية.

ثم، عند انتقالي من بنغازي إلى سرت في منتصف ليل يوم 3، اتبعت الإجراءات الأكثر تقليدية. كان واجبي كقائد أعلى لليبيا الآن هو التفكير في الدفاع عن طرابلس. ولو كنت قد وقعت في الأسر داخل بنغازي، لكانت محاكمتي مؤكدة بعد عودتي من الأسر بتهمة "الالتحاق الطوعي بالعدو"، لدرجة أن روما كانت تنتظر مني أي خطأ يتحول إلى ضعف. في يوم 2، كان لدي بالفعل شعور دقيق بأن العناصر البريطانية من المخيلي تحاول قطع طريق انسحابنا في اتجاه الشليظيمة، كما أكده لاحقًا تقرير الجنرال أوكونور، الذي أسره الجنرال رومل في الهجوم المضاد في المخيلي. ومنه يتضح أنه في منتصف الليل بين يومي 2 و3 فبراير، عندما غادرت بنغازي، بدأت مركبات العدو المدرعة هجماتها. في مساء يوم 3 نفسه، انتقل الجنرال تيليرا، الذي كان يقود انسحاب جيشه، من بارتشي Barce، تاركًا الجنرال كونا هناك، وانتقل إلى بنغازي مع قيادته. توجيهاتي له كانت ألا يتأخر بعد ظهر يوم 4 في الخروج من سهل بنغازي والانتقال إلى أجدابيا مع قواته.

لكنه تأخر (أجهل أسبابه حتى الآن) أربعًا وعشرين ساعة، وفي عصر يوم 5، قام العدو بقطع طريق قمينس-أجدابيا، حيث قاتل الجنرالات الشجعان كونا، وبيرغونزولي، وبابيني، الذين قاموا بمعجزات لإنزال قواتنا من الجبل، معركتهم الأخيرة، التي سقط فيها الجنرال تيليرا ببطولة. لو لم يكن هناك تأخير لمدة أربع وعشرين ساعة، لكان حوالي ثلاثين ألف رجل قد نزلوا إلى أجدابيا، ولكان هجوم العدو قد توقف هناك.

هذه الحقائق أخفتها صحافة ذلك الوقت بغضب، ويتم جمعها اليوم بطريقة تشملني في التشهير بالقوات الشجاعة التي، في ظروف مأساوية من نقص الإمكانيات، تمكنت من إيقاف العدو لمدة شهرين كاملين منذ بداية الهجوم المتزايد. سيأتي يوم أطالب فيه ببطولتهم المؤسفة وتضحياتهم، بناءً على وثائق لا تدحض.

في 14 ديسمبر 1940، من قورينا، أرسلت إلى موسوليني البرقية التي أوردها هنا تاليًا، وفي نفس الوقت التقرير عن الأحداث حتى ذلك اليوم، الذي طلبه مني في برقية جاء فيها تقريبًا ما يلي: «ستتفق معي على أنه من الضروري تقديم تقرير حقيقي للشعب الإيطالي عما يحدث بالفعل.»

وقد سلم وزير الثقافة الشعبية هذا التقرير إلى الصحافة، والذي حاول موسوليني فيما بعد عبثاً أن يمنع نشره.[1]

---

[1] أنظر الملاحظة رقم 4 في الملحق.

هذه هي البرقية:

«يا زعيم، تصـريحات الثقة المطلقة بي، وإن كانت مؤثرة، لا يمكن أن تجعلني أنسـى أنها كان يجب أن تُمنح لي بالكامل من قبل، عندما حاولت بكل الوسـائل أن أجعلكم تفهمون الحقيقة. لم تستمعوا إليّ. لم تعد تسمحوا لي بالتحدث إليكم مباشرة. وعندما فعلت ذلك، عبر الكونت تشانو الذي قيل إنه مفوض منكم للسـماح لي بذلك بشـكل غير مباشـر، طلبتم مني أن أسـتدعى من رئيس الأركان العامة. ثم أرسـلتوا لي رسـالتكم المؤرخة 26 أكتوبر التي عرضـت عليّ طريقًا للنجاة لم أرد أن أتحلى بجبن أخلاقي لأتبعه، مسـتمرًا في البقاء في موقعي ذي المسـؤولية القصـوى. لقد اسـتمررتم في الاسـتماع إلى من خدعكم عمدًا، أو خدعكم. لقد تم تصـويري على أنني غير كفء. أصـبحت غير صـالح. مهتم فقط بإنقاذ نقطة وصـولي. أعرف كل شـيء: الحقائق والأسـماء. في لحظة المسـؤوليات العليا أمام التاريخ والوطن، أصـبح من الشـرعية الضـرورية أن أتحدث إليكم كرجل لرجل. لقد أنكرتموني بعد عودتي من الإمبراطورية. ثم دعوتوني إلى منصـب رئيس أركان الجيش دون أن تمنحوني فرصـة القيام بذلك بحرية، محاطًا بالدسـائس من الجميع حولكم. أنا الذي امتلكت وحدي الشجاعة بأن لا أخدعكم أبدًا.

«ثم أرسـلتوني هنا دون أن تمنحوني حتى فرصـة للتحدث إليكم. لقد نسـيتم أنني خدمتكم بإخلاص وإيمان لا حدود لهما لمدة عشرين عامًا. لقد نسيتم أنه إذا كان النصر الإثيوبي ممكنًا، فذلك يرجع إلى حقيقة أنكم سـمحتم لي بالتحدث إليكم بحرية متجاوزًا كل الأوغاد الذين أرادوا منعي من ذلك.

«الآن، يا قائدي، ليس هناك سـوى حكم واحد، هو القدر، الذي لا أسـتطيع أن أواجه قواه العليا بقواي البشـرية، التي سـأجعلها تهتز في داخلي وفي الجميع حتى اللحظة الأخيرة. إنني أدفع ثمن ديون لم تنشأ عن عمائي أو إرادتي، بل عن عمى وإرادة أولئك الذين خانوك بخسارة، ومعك إيطاليا. - غراتسياني.»

عند عودتي إلى الوطن، قال لي الجنرال غوزوني، الذي كان آنذاك وكيل وزارة الحرب ونائب رئيس الأركان العامة، إن هذه البرقية، التي أُحرقت النسخة المستلمة فورًا في الإذاعة، لم يعرفها سـوى هو والجنرال سـوريس وموسـوليني؛ لكن هذا الادعاء غير صـحيح، وهو ما يسـتنتج من يوميات سـيانو ويوميات أرميليني. وقد أكد فاريناتشـي نفسـه أنه كان على علم بها ولم يتمكن من مسـامحتي عليها، لأنه، كما قال: «برقية كهذه، إلى موسـوليني، أنا وحدي، روبرتو فاريناتشـي، من كان يجرؤ على إرسالها».

على العكس من ذلك، لم يرد موسـوليني على الضـربة المروعة وأجاب ببرقية: «المارشـال غراتسياني، الماضي قد مضى. المهم هو المستقبل وإنقاذ برقة».

يذكر الجنرال أرميليني بدقة في تعليقاته المؤرخة 14 و 15 ديسمبر، كل ما يتعلق بهذه البرقية: «يوم 14. رد غراتسياني على الدوتشي ببرقية رهيبة، يشكره فيها، بنبرة ساخرة، على تجديد الثقة، مؤكداً في الوقت نفسه أن هذه الثقة كان من الأفضل أن تظهر له منذ البداية، بدلاً من الاستماع إلى من خانه وخدعه. ثم يستمر بعنف، موجهاً ضربة قوية لسلطة الدكتاتور، الذي يصبح مسؤولاً شخصياً. وقد سلم غوزوني البرقية إلى الدوتشي شخصياً: لا أعرف ما هو الأثر الذي ستتركه. المؤكد أن غوزوني اتصل هاتفياً بعد ذلك مباشرة آمراً بتدمير أي أثر لها.

«يوم 13. أمس، تلقى الدوتشي برقية غراتسياني الشهيرة، وأراد استبداله على الفور. ثم أرجأ القرار إلى اليوم. يبدو أن الليل جلب نصائح جيدة، وهدأت الأعصاب، وسكنت النفوس».

ملاحظة أخرى مثيرة للاهتمام للغاية هي تلك الواردة في يوميات أرميليني بتاريخ 19 ديسمبر: «غراتسياني يتوقع أن برقة كلها "فُقدت". رؤيته الأولى كانت صحيحة - التي تمت مشاركتها هنا - بالتخلي عن كل شيء والانسحاب إلى الخلف. أمر الدوتشي بالدفاع عن البردية وطبرق حتى النهاية لم يكن مناسبًا». نحن في 19 ديسمبر. بادوليو اختفى بالفعل منذ اليوم الرابع، نتيجة للاستقالات التي قدمها بينما كان الانهيار على وشك أن يجتاح كل شيء، في اليونان وليبيا على حد سواء. فكرة الانسحاب من طبرق، التي فسرها بادوليو على أنها علامة على الارتباك، تعتبر صحيحة ومشتركة من قبل هيئة الأركان العامة، دون أن تتدخل الأخيرة لقبولها.

الملك نفسه يوافق على هذا الرأي، كما يعلق تشيانو في المجلد الثاني من اليوميات بتاريخ 16 يناير: «صباحاً مقابلة مع الملك. [...] يرى بقلق شديد الوضع في ليبيا، ويعتبر الدفاع عن طبرق خطأً جسيماً. لن يحقق ذلك أي نتيجة عملية، باستثناء استنزاف قواتنا البائسة بالفعل، في حين أن الانسحاب بشجاعة إلى مرتفعات درنة كان سيسمح بمقاومة ربما منتصرة».

في نفس يوم 14 ديسمبر، بينما كنت أصارع في دوامات هذا الوضع المأساوي، أرسل إليّ بادوغليو، عن طريق الرائد مالكوفاتي، مذكرة بخط يده، بدون تاريخ، أعلن فيها، بسخرية بالغة، عن... تضامنه معي. عباراته، المكتوبة بخط مرتعش، والتي ألقيتها في سلة المهملات دون رد، تردّد صدى بكاء التماسيح!

لقد نشأت هوة لا يمكن ردمها الآن بين دوق أديس أبابا وضميري كجندي شريف.

الرائد مالكوفاتي هذا، الذي كان قد خدم في الأشهر السابقة في وحدة دبابات في ليبيا، وعاد إلى وطنه بطلب شخصي من المارشال بادوليو، كان على دراية تامة بكل ما يتعلق بهيئة الأركان العامة ووزارة الحرب. في حياته المدنية، كان بائعًا أو ما شابه ذلك لشركة أنسالدو، أو شركة أخرى، مصنعة للدبابات، باسمها كان يقدم نفسه. إلى جانب مذكرة المارشال بادوليو، عرض عليّ مائة

دبابة متوسـطة، لم تُختبر بعد، ولكنها جاهزة في الورشـة. كانت وزارة الحرب، التي كانت على علم بذلك بالفعل، ستقوم بشرائها، شريطة أن يكون هناك طلب محدد مني.

على الرغم من أن هذه الطريقة الغريبة للغاية لإرســال تعزيزات مادية إلى قائد في الميدان بدت لي متناقضــة، فقد أرســلت برقية بهذا المعنى إلى وزارة الحرب تحت الضـغط. ووصـلت الدبابات. لكنها لم تكن "جاهزة": كانت معظمها تفتقر إلى بعض الأجزاء التي يمكن أن تضـمن اسـتخدامها؛ كانت عبئًا ثقيلاً أكثر من كونها إضافة قوة.

بعد سـقوط برقة، وإنشـاء دفاع متقدم لطرابلس عند حدود سـرت، طلبت في 8 فبراير إعفائي من جميع مهامي، وأرسـلت برقية إلى الجنرال غوزوني أرجوه فيها أن يرسـل الرسـالة التالية: «يا قائدي، لقد أثرت الأحداث الأخيرة بشكل كبير على أعصابي وقواي، لدرجة أنني لم أعد أستطيع الاحتفاظ بالقيادة بكامل قواي العقلية. لقد حاولت بكل الطرق أن أفهم الحقيقة حول الوضع، ولم أُستمع. لو صمتت بسبب شعور زائف بحب الذات، لشعرت بذنب كبير. لذلك أطلب منكم اسـتدعائي واسـتبدالي. أنا متأكد من أن طاقة جديدة يمكن أن تقدم أكثر بكثير مني في المرحلة الحاسمة من العمليات التي يتم إعدادها هنا.»

أجاب موسـوليني بأنه قبل ذلك بالنظر إلى الأسـباب التي ذكرتها. من جانبي، مع علمي بأن التخريب لم يكن له هدف نهائي سـوى التضـحية بي، أردت أن أُخرج نفسـي من الطريق، مقدماً لروما أعدل المبررات: وهو اعترافي بعدم قدرتي على الاستمرار في القيادة.

بعد ثلاثة أيام، غادرت إقليم طرابلس جوًا من مطار صبراتة. في الثالث عشـر من الشـهر، كنت في روما. في الخامس عشـر والسادس عشـر من الشـهر، أجريت ثلاث محادثات مع موسوليني، وفي نهايتها قال لي «إنه لم يقبل اسـتقالتي كقائد أعلى لشـمال إفريقيا، حيث كان علي العودة لأخذ "انتقامي" أيضًـا!»، ونصـحني في هذه الأثناء بألا أقترب من أحد، خاصـة من أعضـاء مجلس الشيوخ، وبالأخص أعضاء مجلس الشيوخ العسكريين. وأضاف: «تعلمون، هناك سبعة وتسعون منهم في مجلس الشيوخ، ولكل منهم خطته التي لا تخطئ.»

لقد جعلته يعتبر أنه في حالة عودتي، يجب أن يتم ذلك على الفور، لوضـع حد للنميمة التي ستتفجر هناك وتضر بسير الأمور بشكل جيد.

«لا، أريدك أن تعود عندما تصل المعدات والقوات الألمانية إلى ليبيا، حتى تتمكن من التصـرف بحكمة، الآن وقد وصل رومل إلى هناك أيضًا.» هكذا قال الدوتشي؛ ولكن يجب توضيح أنه في 11 فبراير، عندما غادرت طرابلس، لم يكن قد وصل بعد لا بندقية ولا دبابة ألمانية ولا طائرة. وصل رومل في اليوم التالي، 12 فبراير.

«هذا سيعقد وظائف القيادة»، أجبت. فقال: «لكنني أعتزم أن يتولى رومل قيادة الأعمدة العاملة».

«شريطة أن تُحفظ كرامتنا وسلطتي كقائد أعلى».

«بالتأكيد»، كان الرد.

سألني فجأة: «هل يشعر بالحرب؟» فأجبت بالنفي: «ولماذا؟».

«لأنها تنبع من دوافع لم تُنشر من قبل، ومن أهداف ليس من السهل على جميع النفوس الوصول إليها. كما أنها تفتقر إلى النبرة العاطفية الضرورية للغاية للمس نفوس شعبنا، والتي كانت المحرك الرئيسي الذي جرفهم خلال حرب 1915-1918.»

قاطعني قائلاً: «الإفراط في استخدام هذا التوازي. حتى في ذلك الوقت كان هناك مؤيدون للتدخل وغير مؤيدين.»

«حسناً،» أجبت، «لكن جميع من هم في جيلي وجيلك (كنا كلانا في حوالي الثانية والثلاثين من العمر في مايو 1915) قد تلقوا حقنة مستمرة من التحريرية لتيرينتو وترييستي والكراهية ضد النمسا، الدافع العاطفي للحرب. أما الحرب الحالية، فقد نشأت عن قدر تاريخي، جاء بعد احتلال إثيوبيا.»

صمت لحظة؛ ثم أراد أن يعرف: «هل يقاتل الضباط؟» فأجبت: «القدماء جيدون، أما الشباب جدًا فهم أقل بشكل عام، أي أولئك الذين نشأوا في الجو الفاشي. أعتقد،» أضفت، «أن هؤلاء الشباب قد غُرست فيهم ملذات الحياة أكثر من اللازم: المخيمات البحرية والجبلية، والمسابح والفتيات، والوجبات المجانية، والكثير من الأشياء الأخرى، بينما ربما لم يُتحدث إليهم كثيراً عن قسوة الحياة، والتضحية، والعمل، كما كان الحال لجيلنا؛ وقبل كل شيء، لم يُغرس في نفوسهم مفهوم "العذوبة والجمال هو الموت من أجل الوطن" إلا قليلاً، وهو المبدأ الأول بالنسبة لنا في الحب والتضحية.»

قطع المحادثة وودعني.

انعزلت في منزلي في ألتيبياني دي أرتشينازو. هناك في 23 فبراير استمعت عبر الراديو إلى خطاب موسوليني في "أدريانو". أراد أن يكون بمثابة اتهام لي، رداً على التقرير المذكور وبرقيتي. مع ذلك، حتى للعامة، كان هذا بمثابة تأكيد.

في الأول من مارس، غادر إلى ألبانيا. في الواحد والعشرين من الشهر، عاد للأسف بدون ذلك النصر العظيم الذي كان يأمل في تحقيقه هناك. في نفس اليوم أبلغني كتابيًا، أنه نظرًا لتغير

الوضع في ليبيا، فقد قبل استقالتي كقائد أعلى في شمال أفريقيا. أما استقالتي كرئيس للأركان العامة للجيش، فقد قبلها بالفعل في 14 فبراير، مستبدلًا بي رواتا.

كتب تشيانو في مذكراته: «3 أغسطس 1940 - سودو يقول إن غراتسياني، بعد أن أفرغ إيطاليا لتزويد ليبيا، لا يعتبر نفسه قادرًا على الهجوم على مصر.»

«5 أغسطس 1940 - [...] الدوتشي غير راضٍ لأن غراتسياني، الذي كان قد حاسب بالبو كثيرًا، يرفض الآن الحساب، ولا يريد الهجوم على مصر. اليوم استدعاه للحساب. لكنني لا أعرف بعد ما هي النتائج.»

«8 أغسطس 1940 - زارني غراتسياني. يتحدث عن الهجوم على مصر كمهمة خطيرة للغاية، وليس عن الاستعدادات الحالية بأنها بعيدة عن أن تكون مثالية لمواجهتها. يهاجم بادوليو بشكل خاص الذي لا يكبح جماح الدوتشي في حماسه العدواني، وهو ما "بالنسبة لرجل يعرف أفريقيا، يعني أنه أصبح ضعيفًا أو ما هو أسوأ من ذلك، سيء النية". "إمدادات المياه غير كافية على الإطلاق. نحن متجهون إلى فشل سيتحول حتماً وبسرعة في الصحراء إلى كارثة شاملة". أبلغت الدوتشي، الذي حزن كثيرًا لأنه، من آخر محادثة مع غراتسياني، كان لديه انطباع كامل بأن الهجوم سيبدأ في غضون أيام قليلة. معي، لم يحدد غراتسياني تواريخ: لا يريد الهجوم على الإطلاق، على أي حال ليس قبل شهرين أو ثلاثة أشهر. خلص موسوليني إلى أنه "لا يجب تكليف مهام لأولئك الذين ليس لديهم على الأقل رتبة واحدة ليرتقوها. غراتسياني لديه الكثير ليخسره".»

«19 أغسطس 1940 - الدوتشي يقرأ لي برقية مرسلة إلى غراتسياني: الأمر هو الزحف نحو مصر فور هبوط دورية ألمانية في إنكلترا. موسوليني يتحمل بنفسه مسؤولية الأمر؛ ومع ذلك يعرف جيدًا الاعتراضات التي يثيرها غراتسياني.»

[هنا، أغفل تشيانو الإشارة إلى أنه، لعدم حدوث هذا الإنزال الألماني في إنكلترا، أرسل لي موسوليني برقية يأمرني فيها بالهجوم على أي حال، لأنه في ظل الفرضية التي كانت تلوح في الأفق بوجود سلام بين إنكلترا وألمانيا، كنا سنبقى خالي الوفاض على طاولة السلام، إذا لم نكن قد كسبنا على الأقل بضعة آلاف من الأمتار من الصحراء.]

«7 سبتمبر 1940 - مجلس الوزراء. الدوتشي، في نهاية الجلسة، يدلي ببعض التصريحات السياسية.

«يبدأ بالتأكيد على أنه في رأيه، الحرب محتملة أن تمتد إلى ما بعد الشتاء، على الرغم من أنه يعتبر إنزال الألمان في إنكلترا أمرًا مؤكدًا. أما بالنسبة لما يهمنا بشكل مباشر، فقد أعاد سرد تاريخ الهجوم على مصر: كان من المفترض أن يبدأ اليوم، لولا أن غراتسياني طلب تأجيلًا لمدة شهر:

بادوليو كان يؤيد التأجيل. موسوليني رفض ذلك، متحملًا مسؤولية القرار. إذا لم يهاجم غراتسياني يوم الاثنين، فسيتم استبداله.»

«8 سبتمبر 1940 - أجاب غراتسياني بأنه يطيع: الهجوم سيبدأ غداً. العديد من الخبراء العسكريين متشككون. ومن بين آخرين، أمير بيدمونت، الذي أبدى معي أكبر التحفظات حول إمكانية وجدوى المهمة.»

«9 سبتمبر 1940 - تأخر الهجوم على مصر مرة أخرى. غراتسياني يستعد لبدء العملية في يوم 12. لم تُنفذ أي عملية عسكرية بهذا القدر من التردد من قبل القادة.»

«13 سبتمبر 1940 - كان من المفترض أن يهاجم غراتسياني، لكن حتى الآن ليس لدينا أخبار دقيقة.»

«14 سبتمبر 1940 - بدأ الهجوم في مصر.»

«16 سبتمبر 1940 - موسوليني متحمس لسير المعركة في مصر. لكنه غاضب من بيرتي [القائد العام للجيش العاشر] الذي، ببطئه، كان سيجعلنا نخسر الغنائم. والحقيقة أنه لم تحدث أي معارك حتى الآن: مجرد بعض المناوشات الخلفية.»

«17 سبتمبر 1940 - يبدو أن الأمور في مصر تسير من حسن إلى أحسن. ينسحب الإنكليز بسرعة غير متوقعة. وفقاً للخبراء العسكريين، ستقام المقاومة في مرسى مطروح: بينما يعتقد آخرون أنها ستكون في الإسكندرية. موسوليني متوهج: لقد تحمل المسؤولية الكاملة عن الهجوم وهو فخور بأنه كان على حق.»

[كما هو الحال دائمًا! لكن الغبطة سابقة لأوانها وسرعان ما سيدرك أنه لم يخطئ أبدًا بشكل مذهل إلى هذا الحد.]

«30 سبتمبر 1940 - أتشاور مع الدوتشي. أجده في مزاج جيد وسعيد للغاية لأن إيطاليا تستطيع أن تسجل في مصر "نجاحًا من شأنه أن يمنحها المجد الذي تبحث عنه عبثًا منذ ثلاثة قرون".

«إنه مستاء نوعًا ما من بادوليو الذي يبدو أنه تولى الآن دور معطل مسيرة غراتسياني.»

«2 أكتوبر 1940 - الدوتشي مندفع جداً نحو هجوم وشيك على مرسى مطروح وهو مستاء من بادوليو لأنه استبعد إمكانية تنفيذ العملية في أكتوبر. أتحدث مع غراتسياني، لأن الدوتشي يريد أن يعرف رأيه الحقيقي. يعتقد غراتسياني أنه يجب الانتظار لفترة طويلة - على الأقل طوال نوفمبر - لاستكمال التحضيرات اللوجستية، وهي الضمانة الوحيدة والحقيقية والنهائية للنجاح.

«يخشى أن يتمكن الإنكليز في مرسى مطروح من المقاومة لفترة طويلة بما فيه الكفاية: إذا لم تعمل إمداداتنا، فسيكون من الضروري الانسحاب. وفي الصحراء (كما يؤكد) *الانسحاب هو هزيمة*.»[1]

«12 أكتوبر 1940 - عودةالدوتشي. إنه غاضب جداً من غراتسياني لأنه رد مرة أخرى بشكل مماطل على أمر المضي في الهجوم. يتحدث عن استبداله ويذكر أسماء الجنرال ميسي والجنرال فيرتشيلينو.»

[الجنرال أرميليني، كما رأينا، يقول بدلاً من ذلك إن البديل الإلهي كان يمكن أن يكون بادوليو شخصياً!]

«16 أكتوبر 1940 - تلقيت نسخة من تقرير غراتسياني. يذكر أنه لاستئناف الزحف في مصر يحتاج إلى شهرين على الأقل. أرسل الوثيقة على الفور إلى الدوتشي وأتخيل سخطه.»

«26 أكتوبر 1940 - لا جديد.»

[هذه الملاحظة السلبية غريبة للغاية في هذا اليوم، بينما يشهد هذا اليوم تاريخ الرسالة الخطيرة التي أرسلها إلي موسوليني.]

«13 نوفمبر 1940 - بدأ الدوتشي يشك بعمق في بادوليو.»

«22 نوفمبر 1940 - موسوليني [...] وصف بادوليو بأنه "عدو النظام" و "خائن". ألقاب قوية بما فيه الكفاية لرئيس الأركان الخاص به في الحرب.»

«10 ديسمبر 1940 - تصل أخبار الهجوم على سيدي البراني كصاعقة. في البداية لا يبدو الأمر خطيرًا، لكن برقيات غراتسياني اللاحقة تؤكد أنها ضربة قوية. موسوليني، الذي أراه مرتين، هادئ جدًا. يبدو أن الأمر لا يعنيه، وهو قلق بشأن هيبة غراتسياني. لا يريد أن يدرك بعد خطورة ما حدث.

«وهي خطيرة. في الخارج والداخل. في الخارج لأن نبرة برقيات غراتسياني لا توحي بأنه تعافى من الضربة ويستعد للرد.»

«11 ديسمبر 1940 - الأمور في ليبيا تسير على نحو سيء للغاية. يمكن اعتبار أربع فرق قد أُخرجت من القتال، وغراتسياني، الذي يرصد قوة العدو وتصميمه، لا يقول شيئاً عما يمكنه فعله لصد الضربة. موسوليني هادئ أكثر فأكثر. [...] لا يزال يأمل أن يتمكن غراتسياني من

[1] الخط المائل والعبارة بين قوسين من المؤلف. (ملاحظة المحرر)

إيقاف التقدم الإنكليزي ويعرف كيف يفعل ذلك: إذا بقوا عند الحدود القديمة، فإنه لا يعتبر الوضع خطيراً: أما إذا وصلوا إلى طبرق، فإنه سيعتبر "الوضع مأساوياً".

«في المساء، تصل الأنباء بأن فرقة "كاتانزارو" لم تصمد أمام الهجوم الإنكليزي وانهارت. ولكن ما هو الخطأ إذاً في هذا الجيش، إذا كانت خمس فرق يمكن أن تتحول إلى غبار في يومين؟»

[هكذا هو الأمر: «الخبز،» كما سيقول جندي ليبي، ملخصاً الوضع في هذه العبارة البسيطة، «لا يقطع الحديد.»]

«12 ديسمبر 1940 - وصلت برقية كارثية من غراتسياني، ممزوجة بالإثارة والأدب والمخاوف. يفكر في الانسحاب إلى طرابلس، "للحفاظ على العلم مرفوعًا على تلك القلعة"، لكنه سرعان ما يقلق من اتهام رومل - أي موسوليني - "بإجباره على خوض حرب البرغوث ضد الفيل". أدخل على موسوليني وأجده متأثرًا جدًا.»

«14 ديسمبر 1940 - تبدو الأخبار الليبية أفضل. غراتسياني يرسل برقيات أقل وليس مظلمًا كما كان من قبل.»

[على العكس من ذلك، هذا أحد أهم الأيام بالنسبة لي، كما رأينا.]

«15 ديسمبر 1940 - أجد الدوتشي هادئًا وغاضبًا من غراتسياني بسبب برقية وجهها إليه هذا الأخير. برقية طويلة مليئة بالشكاوى يتحدث فيها "كرجل لرجل" ويلوم الدوتشي على السماح لنفسه بالانخداع من قبل المساعدين العسكريين في روما، وعدم الاستماع إليه أبدًا، ودفعه إلى مغامرة تتجاوز الآن الإمكانيات البشرية لتصبح من شأن القدر.

«قرأها لي موسوليني وقال: "هذا رجل آخر لا أستطيع أن أغضب منه لأنني أحتقره". الدوتشي لا يزال يعتقد أن التقدم الإنكليزي يمكن أن يتوقف عند مرتفعات درنة.»

«24 ديسمبر 1940 - محادثة مطولة مع ميلكيوري، العائد من برقة. هو ضابط اتصال غراتسياني، وبالتالي على دراية تامة. في رأيه، تحسن الوضع بشكل واضح، ولا ينبغي أن نتعرض لصحوات مفاجئة بعد الآن. غراتسياني يتهم بادوليو صراحة بالخيانة وقال، حتى في أحلك الساعات، إن الشيء الوحيد الذي جعله يغض النظر عن الانتحار هو الرغبة في جر بادوليو إلى قفص الاتهام يوماً ما.»

«4 يناير 1941 - مجلس الوزراء، الدوتشي يقدم عرضاً طويلاً للوضع العسكري، في ليبيا وألبانيا على حد سواء، الأول كئيب إلى حد ما، والثاني متفائل إلى حد ما. في الواقع، يبدو أن الهجوم على بارديا قد نجح بالكامل، وبعد ساعتين فقط من بدء القتال، اعتبر بيرغونزولي وضع

الحصـن خطيراً للغاية. يقرأ جميع الوثائق، بما في ذلك برقيات غراتسـيـاني، المكتوبة "بينما كان هذا الرجل قد فقد وعيه، على الأقل عقلياً".»

«5 يناير 1941 - منذ السـاعـة 16 أمس، صـمـتت إذاعة بارديا. لا نتلقى أخبارًا إلا من خلال البيانات البريطانية. كانت مقاومة قواتنا قصـيرة: مسـألة سـاعات. ومع ذلك، لم تكن الأسـلحة تنقص. كانت المدافع 430 فقط. لماذا لم تستمر المعركة لفترة أطول؟»

«6 يناير 1941 - بعد فترة طويلة، رأيت الملك مرة أخرى. قلق ومضـطرب بشـأن ليبيا. لا يعتقد أن القوات المنتشرة في طبرق وعلى مرتفعات درنة كافية لوقف الهجوم البريطاني.»

«7 يناير 1941 - أحدث سقوط البردية هزة جديدة في الرأي العام. الوضع الداخلي يزداد سوءاً مرة أخرى.»

«22 يناير 1941 - سـقطت طبرق أيضًـا. كان هناك قتال أكثر بقليل، لكنه قليل. الدوتشي يلهو بالأوهام. اعتقدت أنني أتحدث إليه بفظاظة: "في سـيـدي البراني - قلت - تحدثوا عن مفاجأة. لكنكم اعتمدتم على البردية حيث كان بيرغونزولي، بيرغونزولي البطل. سـقطت البردية بعد سـاعتين. ثم وضـعتم آمالكم على طبرق لأنه كان هناك بيتازي مانيلا، ملك المدفعيين. وسـقطت طبرق بسـرعة أيضًـا. الآن تتحدثون بإيمان كبير عن مرتفعات درنة. أسمح لنفسي بألا أشاركم أوهامكم الخطيرة. الشر خطير، غامض، وعميق".»

ثم تتبع اليوميات جميع المراحل اللاحقة للمأساة الأفريقية. تظهر شخصيات قادة آخرين على السـاحة: رومل، كافاليرو، باسـتيكو، غاريبولدي، غامبارا. الأحكام التي يصـدرها موسـوليني وتشيانو بشأنهم تتبع تقلبات المؤشر الذي يرسم مخطط الأحداث.

يتذكرني موسـوليني في 26 يونيو 1942 [ربما لأن التقويم يضـع أمامه أن هذا هو عيد القديس رودولف] ليؤكد أنني كنت دائمًا على بعد سـبعين درجة تحت الأرض - وليس عشـرين أو ثلاثين أو خمسـين كما يقول بادوليو، وكيانو، وبريكولو، وما إلى ذلك - ، في مقبرة رومانية في قورينا، بينما رومل "يعرف كيف يقود قواته بالمثال الشـخصـي للقائد الذي يعيش في الدبابة". لكن هذا التمجيد لرومل سيستمر حتى يتحول هو أيضًا إلى "مجنون مثل غراتسياني".

«10 يناير 1941 - [؟] الدوتشي... يوجه كلمات قاسية ضد كافاليرو وضد ذلك "المجنون" رومل الذي لا يفكر إلا في الانسحاب إلى تونس...»

[تمامًا مثلما كان ذلك "مجنون غراتسياني" يفكر في الانسحاب إلى قلعة طرابلس.]

على النقيض من ذلك، يظهر تشيانو أنه قد أصبح خبيراً في حرب الصحراء، وفي 6 يوليو 1942 كتب ما يلي: «أعود إلى روما. هناك قلق غامض في الأجواء بسـبب توقف القوات أمام مواقع

العلمين. يُخشى أن رومل، بعد أن فقد زخمه الأولي، لن يتمكن من التقدم أكثر. وفي الصحراء، من يتوقف حقاً يُهزم.»

أدرك تشيانو أخيرًا حقيقة ما قلته له في 2 أكتوبر 1940، بأن الانسحاب في الصحراء هو دائمًا هزيمة. وبالتالي، يجوز مرة أخرى وبمرارة أن نختتم بالقول الكلاسيكي " وهو المطلوب إثباته". ماذا كان موسوليني قد فكر وتأمل خلال المراحل المختلفة لحملة شمال إفريقيا، مقارنًا إياها بمراحل سيدي البراني الأولى، وبشأني؟ لا شيء، إذا أخذنا في الاعتبار ما قاله لكيانو في 7 مارس 1942.

«موسوليني تلقى تقرير ريفيل بعد تحقيق غراتسياني. يبدو أنه قاسٍ جداً على غراتسياني: سيعطيني نسخة منه. لكنه لا يعرف ما إذا كان سيحيله إلى محكمة أو يصفيه إدارياً بإحالته إلى التقاعد. أنا أميل إلى هذا الحل على الأقل، طالما استمرت الحرب. الدوتشي يتهم غراتسياني بالتسبب في ثلاثة أضرار جسيمة للبلاد: ضربة لهيبة العسكرية، ووصول الألمان إلى إيطاليا [ألم يكن هناك بالفعل، قبل فبراير 1941، جيش جوي كامل في صقلية؟] وفقدان الإمبراطورية.»

[أنا مذنب بكل هذا؛ أم كبش فداء لكل أخطاء الآخرين؟]

لكن موسوليني كان قد فكر مليًا في حقيقة الأمور، ففي يناير 1943، جعل الجنرال سكويرو يخبرني، كما رأينا، أنه بعد قراءة مذكرتي الدفاعية، عدت إليه كما كنت من قبل، وأنه لذلك لم يعد ينبغي الحديث عن هذا الأمر.

العمود الفقري: لقد تفاخر المارشال ويفل، في كتابه "تدمير جيش"، بالانتصار المذهل الذي حققه عليّ في مرماريكا، لكنه أغفل ذكر أن جيشي كان بالنسبة لجيشه كجيش أرتاكسيركس بالنسبة لجيش داريوس. بمعنى ما، يمكننا القول أيضًا كجيش حنبعل بالنسبة لجيش سكيبيو في معركة زاما، لأنه، مثل القرطاجي، كان مجهزًا جيدًا بأفيال حديثة في شكل دبابات، ثقيلة، ومتوسطة، وخفيفة، وما إلى ذلك، بينما كنت أنا، مثل سكيبيو، شبه محروم تمامًا منها. وإذا تمكن سكيبيو، بالخدعة المعروفة، من إحباط عمل الفيل، فلم أكن لأحصل، بصوت الأبواق والطبول، على نفس النتيجة، لأن الدبابات لا يمكن إيقافها إلا بمضادات الدبابات، التي كنت محرومًا منها بالمثل!

أما فيما يتعلق بالتكتيك الذي يجب اتباعه، فقد كنا متكافئين: فبينما كان هو تلميذ ألنبي، كنت أنا معلمًا بالفعل في قورينا من قبل، مستخدماً سلاح الفرسان بدلاً من المركبات المدرعة، كما فعل ألنبي في فلسطين. لكن الآن، كان الاختلاف مع ويفل يكمن في هذا: أنه اقتحم بالدبابات والسيارات المدرعة، بينما في غياب هذه الوسائل، لم يكن بوسعنا إلا أن نواجه بكتائب صغيرة غير متكافئة تحملها السيارات، والتي ردت بشكل كافٍ، ولكن فقط في حالة الدفاع الساكن.

وعندما شن العدو هجومه العام، واجتاح معاقلنا بكتل آلياته المدرعة، كان كل محاولة للمقاومة بلا جدوى، نظراً لنقصنا المطلق في وسائل مقاومة الدبابات. ومنذ البداية، بدا تفكك تشكيلاتنا بأكملها.

وقد عبر جنرال محايد ذو سلطة لا جدال فيها عن أحداث حملة 1940-1943 في شمال إفريقيا على النحو التالي:

استمعوا إليه من خلال التقرير الذي قدمه في شتاء عام 1943، كابتن من "فيلق المقاتلين" (منظمة الحزب الموالية آنذاك لبيتان)، مقرب جداً من الجنرال نوغيس، المقيم العام (الحاكم) للمغرب الفرنسي، لصحفي إيطالي كان قد أقام معه علاقات صداقة ودية لمدة أربع سنوات تقريباً. إليكم ما قاله الضابط الفرنسي: «في إحدى ليالي ديسمبر 1942، بعد عشاء أقامه الجنرال نوغيس لبعض الشخصيات العسكرية والسياسية الأنكلو ساكسونية التي وصلت إلى المغرب للتحضير لمؤتمر الدار البيضاء الشهير بين تشرشل وروزفلت، تحول الحديث إلى تقدم مونتغومري نحو طرابلس والعمليات التي سبقته. خلال النقاش، تداخلت تعليقات ومقارنات متعددة بين الإنكليز والأمريكيين بخصوص الجنرالات الذين تولوا القيادة في هذا القطاع الأفريقي، وخاصة ويفل وغراتسياني، أوشينليك ورومل، مونتغومري والمارشال الألماني نفسه الذي هُزم لاحقاً في معركة مفتوحة في العلمين. في لحظة معينة، طلب أحد الجنرالات الأمريكيين (باتون، على ما يبدو) من نوغيس التدخل في النقاش للتعبير عن رأيه، خاصة وأنه عند اندلاع الأعمال العدائية بين المحور والأنكلو-فرنسيين، كان قد عُين قائداً عاماً للمسرح الشمال أفريقي بأكمله، من مصر إلى المغرب، وبهذه الصفة تمكن من زيارة هذا المسرح الهام للعمليات. بدأ نوغيس حينئذ في التعبير عن رأيه قائلاً: "أعتقد أن هذا النقاش برمته قد غاب عنه ذكر أحد العوامل الرئيسية والحاسمة في تلك الحملة: عامل 'الإمكانيات'، الذي له قيمة أساسية في الحرب الحديثة. صحيح أنه اليوم - كما كان الحال في العصور القديمة وفي جميع الأوقات تقريباً - يجب على القائد أن يعرف مهنته كجندي جيداً وأن يمتلك جميع الفضائل العسكرية الأخرى التي تبرر المسؤوليات الموكلة إليه من قبل بلاده، ولكن صحيح أيضاً أنه لا يكفي اليوم أن يكون استراتيجياً جيداً للفوز بمعركة تعتمد على الاستخدام الشامل للمعدات الميكانيكية بمشاركة الطيران. حتى نابليون برجاله ووسائله في عصره، ولو كان متفوقاً عددياً، سيُضحك اليوم وهو يواجه الجيش الثامن لمونتغومري (أو حتى أوشينليك، إذا أردتم). لذلك أعتقد أنه يجب إجراء مقارنة بين قائدين بعد الأخذ في الاعتبار بهدوء قوة وحجم القوات الإجمالية المتاحة لكل منهما. وأيضاً: لا يكفي أن يكون لديك مائة أو ألف مدفع لتحقيق النصر مسبقاً؛ يجب التأكد من أن هذه المدافع تطلق النار بشكل أفضل، أي بسرعة أكبر وبمدى أبعد من مدافع الخصم؛ لا يجب الاكتفاء بوجود مائة أو ألف طائرة لدعم القوات التي ستُرمى على العدو، بل يجب التأكد من أن

الخصـم لا يمكنه مواجهة ذلك بكتلة جوية قد تكون أقل عدداً قليلاً، ولكنها أسـرع وأفضـل تسـليحاً. ويمكن قول الشـيء نفسـه عن الدبابات وجميع المواد الأخرى. لذلك، يجب البحث عن عامل 'النصـر' اليوم، ليس في عبقرية الاسـتراتيجي، بل في الثالوث 'السـرعة-القوة-العدد' الذي هو، إذا نظرنا إليه، القانون الأساسي للنجاحات العسكرية في جميع الأوقات. وبالعودة إلى بعض الأمثلة العملية للحملة الأفريقية الحالية، أود أن ألاحظ فقط ما يلي: في منتصـف سـبتمبر 1940، ينطلق غراتسـياني من قواعده في البردية وفي ثلاثة أيام فقط يصـل إلى سـيدي البراني، سـاحقاً حرفياً جيش النيل الذي يتشـتت وينسـحب حتى الدلتا. لكن، خلافاً للتوقعات العامة، يتوقف غراتسـياني ويخسـر بذلك ثمار ذلك النصـر الذي كان سـيقوده بالتأكيد إلى الإسـكندرية. وسيعطي بذلك الوقت لخصمه لإعادة بناء قواته والتحرك في أقرب وقت للانتقام. وبالفعل، بعد ثلاثة أشهر، في ديسمبر 1940، يهاجم ويفل بشكل مفاجئ ويسـقط غراتسياني، ويقلصه خطوة بخطوة حتى العُقيلة، أي حتى الحدود بين برقة وطرابلس. الآن بعض التعليقات النقدية: يبدو غريباً جداً أن قائداً بمزاج غراتسـياني قد تحرك من مواقعه المنظمة بدقة حيث لم يجرؤ أحد على مضـايقته، ليتوقف في سـيدي البراني، أي في منطقة صـحراوية مفتوحة لجميع الكمائن، تفتقر إلى نقاط ارتكاز تكتيكية جدية، على بعد مائة كيلومتر فقط من مواقع الانطلاق. كان من الأفضل، على ما أعتقد، البقاء بهدوء في مكانه. سيدي البراني لم يقل شيئاً، ولم يحل شيئاً، ولم يعد بشـيء. لو وصـل على الأقل إلى مرسـى مطروح! لكان وجد هناك أرضـاً أكثر ملاءمة للدفاع، ومنصـة إطلاق أكثر راحة لاسـتئناف التقدم المحتمل. ثم نعود لنسـأل أنفسـنا بحيرة: لماذا تحرك غراتسـياني ولماذا - قبل كل شـيء - توقف هناك؟ هل كانت هذه هي المعايير الحاسـمة لإرادته، أم كان عليه أن يستسـلم، رغم إرادته، لضغوط من روما استجابة لضرورات سياسـية طارئة؟ أنا - بصـراحة - أؤيد الفرضـية الأخيرة. غراتسـياني ليس رجلاً يخطئ في حسـاباته أو يتردد بمجرد الانطلاق: لقد تبعناه ودرسـناه في مناسـبات كثيرة جداً. حتى بالنسـبة لنا الفرنسـيين، أصـبح غراتسـياني الآن معلماً. وقد وصـفه بذلك من كان يفهم في الحروب الأفريقية، أعني لياوتي، معلم المعلمين. حملات غراتسياني الأفريقية هي نموذج: لم نتمكن أبداً من اكتشاف أي خطأ فيها سواء في المجال الاسـتراتيجي أو التكتيكي. وهو أيضـاً منظم مثالي ونجاحاته ترجع إلى حد كبير - أعتقد - إلى إعداده الذكي والدقيق. بل ربما يكون هذا الإعداد هو الذي سـيسـمح له لاحقاً بذلك الاندفاع الذي لا يقاوم والذي، في المجال التكتيكي، سـيسـحق أي عقبة حتى الهدف المحدد مسـبقاً. حتى بعد نجاحاته التي لا تعد ولا تحصى في ليبيا، حيث أظهر بأسلوب لا لبس فيه، فإن موهبة وقيمة غراتسـياني تتأكد في هجومه الجريء وغير المتوقع على نغيلي، في إثيوبيا، وتعود مرة أخرى على جدول أعمال الأمة بعد المعركة القاسية والدامية للاستيلاء على المعسكر المحصن في ساسابانه، الذي تم تنظيمه للدفاع وفقاً لمعايير الفن العسـكري الحديث. في الواقع، كان الجنرال التركي

وهيب باشــا، خريج مدرسـة الحرب في برلين ومدافع الدردنيل في الحرب العالمية الأولى، قد عمل على ذلك. ولكن بعد ذلك، سـتسـألون بحق، كيف نفسـر أن غراتسـياني علق في سـيدي البراني، وكيف نفسر حقيقة أنه أُطيح به بسرعة كبيرة من قبل ويفل؟ لماذا ذهب إلى سيدي البراني - لقد أخبرتكم بالفعل - ربما يجب أن تسـألوا روما، وليس هو، ويجب - على ما أعتقد - أن تطلبوا من السـلطات المركزية نفسـها تفسـيراً للهزيمة اللاحقة. غراتسـياني لم يكن بإمكانه منع ويفل على الإطلاق لسبب بسيط هو أنه كان يفتقر إلى الوسائل للقيام بذلك. وبلاده لم ترسل له شيئاً لأنها كانت تواجه حملة في اليونان كانت تسـبب لها أخطر المشـاكل. غراتسـياني لم يتمكن من إيقاف ويفل بمواجهة حراب مشـاته بدبابات عديدة من أحدث طراز، وبمواجهة مدفعية عتيقة ومعيبة ببطاريات حديثة جداً كانت تتمتع بمدى أبعد بكثير، وبمواجهة طيران ضـعيف ومتفوق عليه بأحدث طرازات سلاح الجو الملكي.»

«هذا صحيح تمامًا» قال عقيد طيار إنكليزي في هذه المرحلة. «لقد كنا قد حصلنا على شيفرات الإيطاليين، وفي تلك الأيام كنا قد اعترضـنا أيضًـا نداء اسـتغاثة من غراتسـياني يطلب فيه المارشـال تعزيزات عاجلة من روما. أتذكر جيدًا جملة من تلك الرسـالة تقول: "لقد كنت أهاجم بشـكل مكثف منذ عشـرة أيام بالعدد القليل من الطائرات المتبقية والمنهكة بسـبب سـنوات الخدمة الاستعمارية الطويلة والاستخدام المكثف في هذه الأسابيع. لقد طلبت تعزيزات مادية لا نصائح".»

«كان محقاً تماماً» أردف الجنرال نوغيس. «علاوة على ذلك، كان انسـحابه في تلك الظروف، تحت نيران قاتلة من الأرض، من السـماء، ومن البحر، مذهلاً من جميع النواحي. يكفي ببسـاطة مقارنة ما اسـتطاع هو فعله في الظروف اليائسـة التي وجد نفسـه فيها، وما فعله فيما بعد رومل الشـهير المزود بعدد كبير من الدبابات القوية والمدعوم بطيران من الطراز الأول. يكفي مقارنة بعض الأرقام: غراتسياني في هجمته الأولية من الحدود القورينية إلى سيدي البراني يستغرق ثلاثة أيام فقط، على الرغم من الظروف الجوية المانعة؛ وفي انسـحابه سـيسـتغرق سـبعة أيام كاملة تحت ضـغط مسـتمر من عدو سـاحق. رومل تحت ضـغط مونتغومري لإنجاز نفس المسـافة سـيسـتغرق يوماً واحداً فقط، أي من 9 إلى 10 نوفمبر، مخسـراً في أيام قليلة من القتال 60 ألف رجل، 500 دبابة، ألف مدفع. مع غراتسياني، كلف الدفاع عن البردية ويفل أكثر من 15 يوماً من الجهود وخسـائر فادحة، رومل لا يسـتطيع مقاومته أكثر من يومين؛ وكانت معركة طبرق أشـد ضـراوة حيث لم يغادرها الإيطاليون إلا بعد 21 يوماً من القتال الرهيب الذي تدخل فيه الأسـطول البريطاني أيضـاً ليحسـم المعركة؛ ولم يمتد دفاع رومل لأكثر من 36 سـاعة. وهكذا دواليك: قوات غراتسـياني تصـل، وهي تقاتل دائماً، إلى العقيلة حيث تتمركز للدفاع وتقاوم، في الأيام العشـرة الأولى من فبراير، أي بعد شـهرين من التخلي عن سـيدي البراني والقتال العنيف

جداً: لإنجاز نفس المسافة، تستغرق قوات رومل خمسة عشر يوماً بالضبط. إذا كان بالإمكان إضافة أي تعليق إلى هذا العرض الموجز، فيجب ملاحظة ما يلي فقط: أن غراتسياني كان ينسحب وفقاً لقواعد أرفع فنون الحرب، ورومل كان يهرب.

«الباقي يمكنك - إذا أردت - إضافته بنفسك. على أي حال، يجب أن نستنتج من كل هذا - على ما يبدو - أن مقارنة بين مواهب وقيمة وقدرات، إلخ، القادة يمكن إجراؤها، إن أمكن، بين رومل وخصومه الإنكليز الثلاثة، ويفل، وأوشينليك، ومونتغومري الذين كانوا يمتلكون وسائل حديثة متساوية تقريبًا؛ لكن - في رأيي - مقارنة مع غراتسياني لن تكون ممكنة، ولا نزيهة، لأن الجنرال الإيطالي كان يمتلك وسائل وإمكانيات أقل بكثير من خصمه. في مثل هذه الظروف كان يجب اعتباره مهزوماً من البداية. يؤكد ذلك حقيقة أن ويفل نفسه هُزم بدوره لاحقًا وطُرد إلى مصر من قبل رومل، ليس لأنه عرف المناورة أفضل منه - بل كانت تلك المرة الأولى التي يعمل فيها في أفريقيا - ولكن لأنه كان يمتلك دبابات ومدفعية وطيرانًا أفضل وأكثر وفرة من خصمه. سيكون هذا دائمًا سر كل انتصار ليس فقط في أفريقيا. أي اعتبار آخر سيكون مجرد أكاديمية بحتة.»

لقد مضت عشر سنوات الآن. في مواجهة التطورات الهائلة التي اتخذتها الحرب، تبدو الحملة الأولى في شمال إفريقيا 1940-1941، الآن، حادثة متواضعة.

لكن ذكراها تظل حية ومؤلمة في نفوس الإيطاليين، ولذلك من الضروري أن تُقال كلمة "حق" لإرضاء الموتى والأحياء.

فقط في نوفمبر 1941، أي بعد تسعة أشهر، عين موسوليني لجنة تحقيق لدراسة عملي، برئاسة الأدميرال الكبير تاون دي ريفيل، وتتألف من الجنرال أغو، والجنرال مانّي من سلاح الجو، والمسؤول الحزبي ماناريزي.

ويبدو له بالفعل أن هذا هو الوقت الأنسب لوضع الأسس لإحالتي إلى محكمة عسكرية. رومل، بعد الهجوم المضاد الناجح في أبريل 1941، وبعد أن انتظر أشهر أغسطس، وسبتمبر، وأكتوبر، ونوفمبر لإعداد الأداة المناسبة، يستعد لتوجيه الضربة القاضية على طبرق، بعد أن تلقى دعم فرقتين ولواء مدرعين ألمانيين، بالإضافة إلى فرقتين ميكانيكيتين إيطاليتين.

في روما، هم واثقون من النصر، ويتوقون إلى شن الهجوم.

سيكون الانتصار المذهل، الذي سيُعلن بالتوازي مع إحالتي، أفضل وسيلة لتبرير إدانتي أمام الشعب الإيطالي.

لكن في 19 نوفمبر 1941، تكرارًا دقيقًا لما حدث في ديسمبر 1940، هاجم الإنكليز بشكل استباقي، والجنرال رومل، على الرغم من توفر جميع الوسائل التي كنت أفتقر إليها تمامًا، طُرد

تمامًا، كما كان الحال آنذاك، إلى خط العقيلة-مرادة، حيث وصـل الإنكليز في 12 يناير 1942 بتقدم سبعة أيام على الوقت الذي استغرقه قواتي هناك، المسلحة بالطريقة التي نعرفها.

على الرغم من هذا التحذير، الذي كان ينبغي أن يجعلها تفكر ملياً، استمرت اللجنة في أعمالها.

لقد قامت بالتحقيق والتقييم لمدة أربعة أشـهر ونصـف، دون أن يصـلني أي إخطار رسـمي. علمت بذلك من خلال سرية من الموظفين؛ وصمتت منتظراً أن يتم استدعائي أو دعوتي لتقديم توضيحات كتابية. لا شيء.

في مارس 1942، بعد أن علمت أنها أنهت أعمالها، كسـرت الصـمت وطلبت كتابة تقديم مذكرة دفاعية، وهو ما لم يكن بوسـعهم إنكاره. في أغسـطس 1942، قدمت المذكرة إلى الدوتشـي. ثم علمت أنه قد فحصها بدقة بنفسه؛ ثم دفنها في الأرشيفات.[1]

[1] لقد نشرت نصها الكامل في مجلد شمال إفريقيا (1940-1941)، روما، دار دانسي، 1948.

10 - عودة إلى الأرض

ملكيتي في أرتشينازو، التي اشتريتها بمدخراتي والتي كانت حتى ذلك الحين عبارة عن مرج حجري مهجور وغير مزروع، وملحق جبلي بين تسعمائة وألف ومائة متر، قد تحولت في السنوات الثلاث من عزلتي إلى نموذج لمزرعة، مع تربية خيول شبه حكومية، ومواشي من جميع الأنواع. أثارت المزرعة إعجاب كل من شاهد نشأتها وتطورها بشكوك فدحضها النجاح الكامل للمشروع. محباً وعاشقاً للأرض، كنت قد حملت معي بالفعل في العمليات العسكرية في أفريقيا، نفس الحب لمشاكل الاستعمار وقد خضت فيها أيضاً بشكل خاص، أولاً في ليبيا ثم في الصومال وهارار، بعد عودتي إلى الوطن من إثيوبيا، مستفيدا من المميزات التي كانت الحرب قد دمرتها وألغتها بالفعل.

عندما تم تعييني ماركيزًا لنيغيلي، وكان عليّ اختيار شعار ونقش، لم أدمج أبراجًا مع أسود، أو نسرًا، أو ما شابه ذلك، بل اخترت محراثًا ونخلة على حقل أخضر، ليرمز إلى الأهداف العليا للفتح، وليس الكبرياء الشخصي للفتح؛ وشعارًا بسيطًا وذو معنى "بالسيف والمحراث" لتلخيص حياتي كجندي ومستعمر.

بعد أن فقدت كل ما بنيته في أفريقيا، كرست نفسي لاستصلاح قطعتي الأرض في هضاب أرسيناتسو ووادي ساكو بالقرب من أناكني، والتي تشكل مزرعة كاسال بيانكانيتزي-سانتانا. بذلت فيها ثلاث سنوات من العمل الشخصي المستمر، وكل ما أملك من مال حتى آخر ليرة.

بعد 23 سبتمبر 1943، بينما كنت جزءًا من الحكومة الجمهورية، أعلن الراديو عن مصادرة ممتلكاتي في فيليتينو، أرسيناتسو، أَنَانْيِي، بِيلْيُو، وروما.

تدل طبيعة وحجم هذه الممتلكات بوضوح على أنها كانت ثمرة مشروعة لعملي ومدخراتي.

عندما أذاعت إذاعة روما وغيرها خبر مصادرتها، طلبت أن أخضع للتحقيق من قبل نفس اللجنة التي عينتها حكومة بادوليو في روما، والتي واصلت عملها لاحقًا في الشمال، والتي كانت في ذلك الوقت برئاسة قاضٍ ذي سمعة لا تشوبها شائبة هو القاضي بيتونى، وقد حصلت على رضى كامل.

كان العقيد كاليغاريس يدير ورشة الهندسة العسكرية في بافيا، ويدافع عنها، مدعومًا مني، بكل ما أوتي من قوة. في فترة من عام 1944 لا أستطيع تحديدها، سلمني صندوقًا يحتوي على عشرة كيلوغرامات من البلاتين والماس الخام، يخص الورشة، وقد أخذه منها لإنقاذه من احتمال سرقته.

احتفظت بالصندوق الثمين شخصيًا في خزنة مكتبي، في "فيلا أوموديو" في ديزنزانو. في 19 أبريل 1945، عندما كانت كل آمال حكومة الشمال قد تبددت، ومصيري نفسه معلقًا بخيط القدر، أمرت بنقل الصندوق إلى بارما بواسطة القس العسكري لمكتب القوات المسلحة، دون مارسيلي، وهو رجل أثق به ثقة مطلقة، وتسليمه إلى الأب دي فينسينتيس من دير سان جوفاني البينديكتي، وهو صديق لي، مع طلب ضمان إنقاذه بأمان من عملية نقل مخططة إلى ألمانيا.

تم إعادته إلى وزارة الحرب، التي وجهت الرسالة التالية إلى الأب دي فينسنتس: «روما، 24 يناير 1946؛ رقم 101591 - حضرة الأب الفاضل. يسعدني أن أعرب لكم عن خالص شكري على المهمة الدقيقة التي قمتم بها بضمير حي لمصلحة وطننا، بحراسة الصندوق الذي أودعه لديكم المارشال السابق غراتسياني وحمايته من الاختلاس، وذلك في مواجهة الأحداث التي أدت إلى تحرير شمال إيطاليا، لتسليمه لاحقًا إلى الحكومة الإيطالية الشرعية. مع خالص التقدير - وزير الحرب - بروسيو».

عندما زادت مخصصات القوات الجمهورية، رفضت الزيادة لنفسي. وحتى الثوار كانوا يعلمون ذلك جيداً. كنت أكرر دائما للمتعاونين والموظفين معي أن: «كل شيء يمكن أن ينسب إلينا إلا أن نكون قد استفدنا ليرة واحدة!» وكان وزير المالية دائماً يثني على إدارة القوات المسلحة.

لقد شاء القدر أن تُحفظ أجنداتي لعامي 1942-1943، مما يسمح لي بإعادة بناء حياتي يومًا بيوم، وما هي الهموم التي سيطرت عليها، وما هي الاتصالات التي أجريتها مع مختلف الشخصيات.

تناوبت إقامتي في هضاب أرسيناتسو مع إقامات قصيرة في روما، حيث كنت أتوجه كل صباح إلى قصر المارشالات لإنجاز المعاملات العسكرية المتعلقة بمسؤولياتي القديمة؛ وهناك كنت أتواصل مع القليلين الذين بقوا قريبين ومخلصين لي. بعد بضعة أشهر فقط، قمت بزيارة المارشال دي بونو، الذي كان مكتبه أيضًا على بعد عشرين خطوة من مكتبي، والذي كانت تربطني به دائمًا علاقات احترام ومودة. كنت أعتبره أخي الأكبر الصالح. حاشا لله أن أسميه، ولو رمزياً، "أباً". لكان كل شيء قد انتهى؛ لأنه كان فخوراً بشبابه الدائم. حينها قال لي: "بادوليو لا يتراجع. إنه لا يزال يعتقد أنه يجب عليه هو، عاجلاً أم آجلاً، أن يعيد الأمور إلى نصابها. لكنه بالطبع بحاجة إلى من يساعده". صمت؛ ولم نعد إلى هذا الموضوع مرة أخرى.

في الآونة الأخيرة، كان دي بونو مكروهًا من قبل الحزب بسبب شجاعته بسهولة في انتقاد الفاشية وزعيمها بشدة. تركه موسوليني يفعل ما يشاء، لأن (كما قال كبار المسؤولين) كان يعتبره غير ضار. دي بونو، بدوره، كان يكن له نوعًا من الحنان كحماة، مما سمح له بتوبيخه وتذكيره وتحذيره، خاصة فيما يتعلق بالجيش، الذي كان الجندي العجوز يشعر تجاهه بحب غيور؛ وبسبب الأضرار التي لحقت بهيكل القوات المسلحة نتيجة الازدواجية فيها.

بعد 25 يوليو، عدت إليه، فاستقبلني بعبارة: «لقد تعرضنا للخيانة!»، فسألته: «ممن؟»، فأجاب: «آه، من غراندي!». وبهذه الكلمات انتهى الحديث.

كان قلقًا من اعتباره على دراية بما حدث بالفعل؛ وطلب مني تكذيب أي شخص يطرح هذه الفرضية.

في يوم آخر، بين 25 يوليو و 8 سبتمبر، وجدته متأملًا جدًا: «أفكر من أي من الأطراف المتصارعة سأُطلق عليه الرصاص!» رأيته مرة أخرى بعد 8 سبتمبر. عندما تم اعتقاله، كتب لي رسالة كئيبة. «تلك الليلة في ريجينا كويلي»، قال لي، «كانت بالنسبة لي قاتلة حقًا!»

ثم سمح له موسوليني بالبقاء محتجزًا في منزله في كاسانو دأدا؛ من هناك كتب لي معربًا عن رغبته في رؤيتي. وبأسف كبير لم أستطع تلبية طلبه، لأن موسوليني منعني من ذلك. ثم نُقل المارشال العجوز إلى سجن فيرونا.

بعد الإدانة، تشفعت له بحرارة لدى موسوليني بطلب العفو عنه، مراعاة لماضيه العسكري المجيد، وكبر سنه. تردد الدوتشي؛ ثم استنتج: «مستحيل، إنها مسألة الصوت المعارض الذي يساويهم جميعًا».

خلال المحاكمة، وحتى الساعات الأخيرة، تصرف دي بونو بشجاعة وكرامة عظيمة. في الليلة الأخيرة، كان الوحيد من المدانين الذي استطاع أن ينام قليلاً، وعندما استيقظ قال مازحًا: «يا للأسف! إنهم يسرقون مني عشر سنوات من الحياة، التي كنت سأعيشها بالتأكيد!»

ونصح بعض المدانين الذين أصابتهم نوبة تمرد عنيفة في اللحظات الأخيرة قبل التوجه إلى الإعدام، بالاستسلام، مذكراً بأنه يجب المثول أمام محكمة الله بقلب مطمئن.

وصاح قبل أن يصاب: «عاشت إيطاليا!».

في الأول من أغسطس 1943، ذهبت لأحيي فولبي الذي عاد إلى روما من سويسرا. وجدت عنده قراندي، فسألته: «هل ما حققتموه هو بالضبط ما أردتم تحقيقه؟». فأجابني: «لا، لا. منذ سنتين "هو" لم يعد يمضي قدمًا. أردنا إنقاذ القليل الذي يمكن إنقاذه من الفاشية». ثم غادر.

ثم قال لي فولبي: «عزيزي غراتسـياني، يا لها من كارثة تتجهز! بادوليو عنيد وطموح، وهو غير مستعد على الإطلاق لمهمة بهذه الخطورة».

عدت إلى أرتشـينازو. بعد بضـعة أيام، جاء الجنرال غراتسـيولي إلى هناك، ضـيفًا على صـهره المهندس المعماري بوسيري-فيتشي، وخاطبني قائلاً: «كيف ذلك! بينما تدور أحداث بهذه الأهمية في روما، أنت باقٍ بهدوء هنا؟».

«القدر وحده»، أجبته، «وليس إرادتي، هو الذي سـيخرجني من الوضـع الذي ألقتني فيه الأحداث منذ ثلاث سنوات.»

صباح يوم 26 يوليو، جاء إلي في قصـر المارشـالات، الجنرال إيتوري كوتروني، الرئيس السـابق لأمانة الأركان العامة خلال فترة عملي كرئيس لأركان الجيش، وقال لي إن الجنرال شـيريكا، قائد سـلاح الكارابينييري الملكي، كلفه بأن يبلغني، باسـم وزير البيت الملكي، الكونت أكواتون، أن "ساعتي ستأتي لاحقاً".

فكتبت إلى أكواتون الرسـالة التالية، والتي أدت إلى رده ونسـختي منه: «عزيزي أكواتون، أبلغني الجنرال سـي. أن الجنرال سـي. أخبره أنك قلت له أنني كنت مطمئناً تماماً، لأن سـاعتي سـتأتي بالتأكيد.

بالنظر إلى المرجعيات، يجب أن أعتبر أن الأمر صـحيح وهو يسـعدني بشـكل خاص (خاصـة بسـبب تأكيد التقدير المرتبط به)، حيث قالت لي بالأمس سـيدة محترمة جدًا من البلاط إنني "مرفوض هناك" لأنني أعتبر مناهضًـا للملكية، مسـتنتجة ذلك من حقيقة أنه في عام 1938، عندما تسلمت عصا المارشـال في الكابيتول، لو لم يشـدني زميلي دي بونو من سـترتي لما كنت قد حييت الملك، بل الدوتشي فقط.

في هذين العامين والنصـف من العذاب المعنوي لم أتكلم قط، وهذا احترامًا للانضـباط. فور عودتي من شـمال إفريقيا طلبت زيارة واجب لرئيس الحكومة بعد صـدور قرار إعفائي. وهذا ما وُعدت به وتم الوفاء به، مما منعني من زيارة الملك فورًا بعد ذلك؛ لأنني لم أرغب في خرق التسلسل الهرمي.

ولكي لا يُسـاء فهم ذلك، أبلغت مسـاعد القائد الأول. بعد عام، معتبرًا نفسـي حراً الآن، طلبت من نفس المساعد، الجنرال بونتونى، أن أتمكن من زيارة "ملكي"، وجاء الرد بالرفض.

الاتهام، الذي أدهشـني، أنا الذي تشـربت الإيمان الملكي منذ الولادة، مؤكداً إياه باسـتمرار في أعمالي، وأقوالي، وكتاباتي طوال حياتي، يدفعني اليوم (اليوم بالذات) أن أقدم لك التصـريحات الموقعة، لتكون على علم تام بهذا الشأن على أي حال. أحييك بحرارة. - غراتسياني.»

إليكم الرد بتاريخ 9 أغسطس 1943: «صاحب السعادة العزيز، سامحني على تأخري في الرد على رسالتك الكريمة بتاريخ 26 من الشهر الماضي؛ لكنني كنت منشغلاً ومنغمسًا بشكل كبير في مجرى الأحداث غير المتوقعة. أستطيع أن أؤكد لك أنهم قد أبلغوك معلومات خاطئة للغاية؛ في هذا الوسط الصغير والمتواضع في البلاط، البعيد والمنفصل عن أي تيار خارجي، يحظى المارشال غراتسياني بكل التقدير الذي يستحقه.

«لا أستطيع أن أفسر كيف يمكن أن يكونوا قد نقلوا إليك مثل هذه الأكاذيب! ويسعدني في هذه المناسبة بأن أذكرك بعميق صداقتي. - أكواتوني».

وها هو ردي: «هضاب أركينازو، 13 أغسطس 1943. عزيزي أكواروني، أنا ممتن لك كثيرًا على رسالتك المؤرخة 9 أغسطس، التي أعادت لي الطمأنينة؛ ويجب أن أقتنع بأن هذه الحادثة هي أيضاً جزء من حملة التشهير التي شنت ضدي (ستكون على دراية بمظاهرها المختلفة)؛ ويعرفها من كنت أخدمه دائمًا بولاء وقد سعى إلى تدميري لإلغاء مسؤولياته عن الحلقة الأولى من حملة أفريقيا.

«لمدة عامين ونصف قاومت عدم الرد بأي شكل من الأشكال؛ واليوم وقد أتم العقاب مساره، لدي ثقة تامة بأن اليوم سيأتي عندما أُنصف وسيتم الدفاع عن نقاء نواياي وأفعالي أمام الشعب الإيطالي الذي، على أية حال، بأغلبيته العظمى النزيهة، قد حكم كما ينبغي.

الرغبة في أن يتجاوز الوطن هذه المحنة الكبرى بأقل الأضرار تفوق اليوم أي اعتبار شخصي آخر، ولا داعي لتأكيد أن شخصي تحت تصرف الوطن والملك بالكامل.

أحييك بحرارة. - غراتسياني».

بعد ذلك، في الخامس والعشرين من أغسطس، التقيت بنفس وزير البيت الملكي، الكونت أكواروني. في ذلك اللقاء، كررت ما كتبته سابقًا. ولكن لتوضيح وضعي تجاه الملك، يجب أن أوضح الظروف التالية بشكل أفضل. عند عودتي بعد حملة 1940-1941 المشؤومة في شمال أفريقيا، وبعد أن قبل موسوليني استقالتي من جميع المناصب في 21 مارس 1941، ولم يرغب في استقبالي لزيارة الواجب، كما ذكرت بالفعل في الرسالة إلى أكواروني، أبلغت الجنرال بونتونى بذلك، موضحًا أنني، لكي لا أخرق التسلسل الهرمي، لم أستطع طلب زيارة الملك.

بعد أيام قليلة، أبلغني أن الملك قد علم بالأمر؛ وأنه لن يتمكن من منحي مقابلة. لكن، بعد عام، في عام 1942، أصررت، وأخبرني بونتونى بفكر الملك، بأن «زيارتي ستسبب له إحراجًا جديًا». وعندما اعترض بونتونى بأن الأمر يتعلق بغراتسياني، مارشال إيطاليا، رد الملك بأن «لهذا السبب بالذات سيسبب له إحراجًا كبيرًا».

في أواخر يوليو، أخبرني المحامي جوزيبي تروياني، الذي كان زميلي في ثانوية ألاتري، عن طريق الدكتور مانيو بوكّا، سكرتيري الخاص، أن البروفيسور كافانيارو، المشرف على الشؤون الخاصة للملك، يرغب في التعرف عليّ. لم يكن من الصعب تخمين أن البيت الملكي قد كلفه بهذه الزيارة. لماذا تذكرني هذا الرجل الذي كان يرى الملك كل صباح لمدة ساعتين، بالذات في يوليو 1943؟ على أي حال، هكذا فكرت.

جرت المحادثة في منزلي في شارع نومنتانا، يوم 31 يوليو، بحضور المحامي تروياني، وانتقلت فورًا إلى الوضع الذي نشأ نتيجة لأحداث يوم 25. لخصت أفكاري على النحو التالي: «كما أعلن بيان بادوليو، يجب أن تستمر الحرب؛ يشرفنا وطنيا أن نلتزم باتفاق تم إقراره رسميًا، ما لم نرغب في أن يديننا أبناؤنا، لأننا جرّينا الوطن إلى الحرب دون استعداد، ثم خرجنا منها بوصمة عار الخيانة. يجب تفضيل أي شر آخر على الدمار المعنوي، لأن الأمم تستطيع النهوض من الخراب، لا من العار. أفضل أن أخسر كل شيء»، واختتمت مكررا شعار فرانسيس الأول، «ما عدا الشرف! في رأيي، يجب على الملك أن يتبع هذا المسار حتى لو كلفه ذلك فقدان العرش».

اعترض المحامي تروياني، في مرحلة معينة، أن الحجج التي قدمتها كانت رفيعة جداً ولن تكون مفهومة للشعب، الذي لا يرغب إلا في رؤية نهاية الحرب. فرددت بأن من الضروري إطلاع الشعب على الأمور بحقيقتها، وعلى الأسباب الأخلاقية العليا. وبما أنها لم تعد تُعلن من قبل الفاشية، فسيتم فهمها؛ وسيرد الشعب، إذا أظهرت إرادة الحكومة وإرادة الملك نفسها بوضوح وصراحة، كما حدث في ساعات تاريخية أخرى مصيرية.

بعد أيام قليلة من هذا اللقاء، أبلغ البروفيسور كافانيارو الدكتور بوكا أن «الملك كان أيضًا من نفس رأي المارشال؛ لكنه، فيما يتعلق بي، لم يستطع فعل أي شيء لأنه لم يجهل العلاقات السيئة بيني وبين بادوليو». هكذا قال الملك؛ لكنني لم أطلب شيئًا لنفسي.

أردت أن أبرز أهمية هذا اللقاء لأنه يثبت وجهة نظري، حتى بعد 25 يوليو مباشرة، بشأن المسار التاريخي الذي كان يجب على البلاد والتاج اتباعه. لم يكن بإمكان الكونت أكواتون أن يخفى عليه كل هذا؛ وقد نشأت زيارتي من هذه الظروف: ففي 12 أغسطس، التقيت بولي العهد في أناني ، وأعربت له عن رغبتي في أن يقدم إلى الملك مذكرتي، التي كانت لديه للقراءة منذ يونيو.

«خذها بنفسك،» أجابني، «واطلبها من وزير البلاط الملكي.» فذهبت لأطلب ذلك. ولكن كما هو طبيعي، انتهى الحديث إلى الوضع العام. وظل صامتًا. من الواضح أنني، لو كنت قد علمت بمسار الأحداث، لكنت كجندي احتفظت بأفكاري لنفسي. وما أقوله عن أكواروني، ينطبق أكثر على الأمير؛ الذي ظل صامتًا معي حتى اللحظة الأخيرة.

وبهذه الطريقة بقيت جاهلاً بكل شيء، حتى إعلان الهدنة.

في 24 أغسطس الساعة 11 صباحًا، زرت الجنرال سوريسي، وزير الحرب، لأطلب منه إعادة النظر في وضعي.

أخبرني دي بونو أنه كان هناك هو أيضًا ليسأل عما يجب أن يفعله في حالة انتقال الحكومة. لذلك قررت أن أطرح نفس السؤال على الوزير؛ فأجاب بأن المارشالات يجب أن يتبعوا الحكومة. ثم سألت أين يتوقع أن يتراجع الملك والحكومة، إذا كان إلى بييمونتي أو لومبارديا. كنت مقتنعاً بأن أي تحرك من روما سيكون نتيجة تقدم الأنكلو أمريكيين من الجنوب إلى الشمال: وبالتالي ضرورة تراجع التاج والحكومة، على غرار ما حدث في عام 1914 في فرنسا، بين باريس وبوردو.

بعد لحظة تردد أجاب سوريسي: «بالتأكيد في بييمونتي أو لومبارديا.»

بعد قراءة ما كان يدور في الخفاء في "مذكرات بونومي" في تلك الأيام بالذات، وبالعودة إلى انطباعات تلك اللحظة اليوم، أتذكر الوجه الشاحب للجنرال سوريسي الذي، عند سماعه لي أتحدث بمثل هذه السذاجة الملائكية، عبر عن شعور لا أعرف ما إذا كان دهشة، أو عدم ثقة، أو ذهول. لا بد أنني ظهرت له بالفعل كـ "أليجي" الذي نزل من الجبل بعد أن نام سبعمائة عام... وأكثر؛ أو ماذا؟

ثم استأنف بنبرة طبيعية ليخبرني أنه، بالنسبة لقضيتي، بسبب رتبتي العالية، كان من الصعب تشكيل لجنة لإعادة فحصها. ولكن هذا ليس كل شيء! من مذكراتي لعام 1943 يتضح أنني حتى في 4 سبتمبر ذهبت إلى الجنرال سوريسي لنفس السبب.

في ذلك اليوم نفسه، 4 سبتمبر، أرسلت رسالة إلى صحيفة "المساجّيرو" لتفنيد الخبر الذي أذاعته إذاعة الجزائر، بأنني اعتقلت وأرسلت لمرافقة المارشال كافاليرو في حصن بوكشيا؛ بالإضافة إلى الشائعات المدمرة المنتشرة منذ ثلاث سنوات حول صحتي. واختتمت بأن "بفضل الله، كنت في أفضل حال، أعمل في الأرض بسعادة، وأن حريتي مقدسة وغير منتهكة."

«حتى متى»، علق أحدهم من حكومة بادوليو بنبرة ساخرة، «سنرسله هو أيضاً إلى حصن بوكشيا.»

في 30 أغسطس، انتهى الحصاد في كاسال بيانكانيفي-سانتانا، وفي نفس التاريخ، اعتقلت قوات الدرك أكيلي ستاراتشي (الأمين العام السابق للحزب الوطني الفاشي) الذي، بعد 25 يوليو مباشرة، كان قد تقاعد في هضاب أرتشينازو. كانوا قد جاءوا لأخذه بالفعل بسيارة بأمر من بادوليو؛ ثم عاد وروى لي التوضيحات التي قدمها وإطلاق سراحه اللاحق. لكن الأمور الآن سارت بطريقة مثيرة. وصلت تعزيزات من الدرك إلى محطة سلاح الدرك في بيغليو؛ ثم تم تنظيم مناورة حصار حقيقية للمنزل، مع نزول مفاجئ للعسكريين من السلاح من الغابة القريبة من مونتي ريتافاني. وُجد ستاراتشي يرتدي سروالاً قصيراً، وهو يحفر حديقة المنزل: أعلن بهدوء أنه لا داعي

لتلك القوة، لأنه لم يكن لديه أي نية للمقاومة أو الهروب. ذهب إلى روما للمرة الثانية؛ ولم يعد أبداً.

بعد هذا الحدث، وبعد ما أُشير إليّ به سابقًا من روما، اعتقدت أن دوري سيأتي في أي لحظة. لكنهم لم يجرؤوا.

وهذه كانت علاقاتي مع أمير بييمونتي منذ يونيو 1943 عندما، بناءً على طلبي، وافق على دراسة المذكرة المتعلقة بالحملة في شمال إفريقيا. بعد العمليات في جبال الألب الغربية، عُين قائدًا لمجموعة جيوش الجنوب، وأقام قيادته في أناغني، أي بالقرب جدًا من أرتشينازو حيث كنت أعيش. نحو الأيام العشرة الأولى من أغسطس، جاء اللفتنانت كولونيل روبرتو دي سان مارزانو، الضابط الملحق بالأمير، للبحث عني هناك، وبعد أن لم يجدني، ترك رسالة ليبلغني بذلك. بعد بضعة أيام التقيت بسان مارزانو في أرضي في كاسال سانتانا، بالقرب من أناغني. أبلغني أن الأمير يرغب في رؤيتي ودعوتي لتناول الغداء في أحد تلك الأيام. وهو ما حدث في 12 أغسطس.

استقبلني في مكتبه. بعد أن تطرق إلى موضوع المذكرة، التي قال إن عملي وتصرفاتي كقائد قد خرجت منها بوضوح تام ونزاهة، أشرت إليه إلى المراسلات المتبادلة مع الكونت أكواتون واللقاء الذي أجريته مع البروفيسور كافاغنارو. ثم اتخذ الأمير موقفًا من الجدية الصارمة ليقول لي: «أحتاجك في مسألة ذات أهمية استثنائية؛ سأتمكن من التحدث إليك عنها في جو من الهدوء التام. في أحد هذه الأيام سأصعد إلى هضاب أرتشينازو، مع إعطاء الانطباع بأنني أقوم بجولة استطلاع؛ وسأزورك، متظاهرًا بتبادل زيارة مجاملة. الآن لنذهب إلى المائدة».

أجبت بأنني تحت تصرفه الكامل، لكنني اعتبرت أنه من واجبي أن أبلغه فورًا بصعوبة التعاون مع المارشال بادوليو، لأنني اعتبرته المسؤول الرئيسي عن الأخطاء العسكرية، سواء بسبب قصوره في عمله كرئيس للأركان العامة خلال سنوات التحضير، أو بعد ذلك بسبب إدارة الحرب.

كبت الأمير دهشته من هذا التصريح الصريح والواضح؛ لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه، مضيفًا: «ليس لهذا أهمية كبيرة، لأن هذه الحكومة لن تدوم أكثر من خمسة عشر يومًا بعد الآن!».

عندما قمنا للذهاب لتناول الغداء، أضاف عند عتبة المكتب: «بل بالنسبة لي، حقيقة أنك لست متفقًا مع المارشال بادوليو هو أمر مفيد!».

جلسنا في قاعة الطعام المشتركة للضباط، الذين حظوا بفرصة غير متوقعة لملاحظة أنني، على الرغم من الشائعات الكارثية حول صحتي، كنت في أفضل حال. جلست على يمين الأمير، وعلى يساره كان الجنرال أغوستينوتشي، من الكارابينيري، ملحقًا بقيادته. وعندما حان وقت الوداع، كرر لي ما قاله لي من قبل. لكن الأيام مرت ولم يحدث شيء آخر.

رأيت الأمير بييمونتي مرة ثانية في شهر أغسطس في أناغني، بمناسبة الجنازة التي أقامها لوفاة الملك بوريس ملك بلغاريا. دعاني للحضور أنا وزوجتي. حتى في ذلك الحين، صمت. ماذا كان في ذهنه ولم يخبرني به؟

لفترة طويلة، ظل يساورني الشك في أنه تجاهل ما كان يُعد. ولكن بعد قراءة تعليق بونومي بتاريخ 11 أغسطس، أي اليوم السابق ليوم تحدثه معي، يتلاشى هذا الشك. إليكم ما كتبه إيفانو بونومي: «منذ بضعة أيام، أخبرني العقيد كارينياني أن أمير بييمونتي، الذي لم أره منذ انقلاب 25 يوليو، يرغب في التشاور معي بشأن الوضع العسكري الحالي. وافقت وذهبت الساعة الثامنة صباحًا مباشرة إلى الكويرينال. كانت المحادثة معلوماتية بشكل أساسي. أخبرني الأمير، الذي يتولى قيادة القوات المتمركزة في جنوب القارة، عن الوضع العسكري للفرقتين الألمانيتين الموجودتين بين نابولي وكالابريا وبوليا، وعن حالة الفرق تحت قيادته. اعترف لي بأن القوات الإيطالية "مدمرة"، حيث أفسدت الفاشية الجيش ماديًا ومعنويًا. إذا أراد الأنكلو أمريكيون الهبوط في القارة، فسيكون بإمكانهم فعل ذلك بسهولة كما فعلوا في صقلية. تحدثنا كثيرًا عن حالة الجنود والقادة وطلبت منه تفاصيل عن الجنرال كاربوني الذي يقود قوات روما.

"أعطاني أخبارًا تؤكد رأيي: إنه رجل ذكي، قادر، لكنه طموح ومراوغ؛ لديه العديد من الأعداء في الجيش. أما عن الوضع العام، فالأمير متفائل. الضربة الأولى، أي الإطاحة بالفاشية، نجحت جيدًا؛ وستنجح الضربة الثانية أيضًا، أي الانفصال عن ألمانيا. أحذر الأمير أن الضغطين لهما درجة مختلفة من السهولة: الأول، الذي بدا صعبًا، اتضح أنه سهل للغاية، والثاني، الذي قد يبدو سهلاً، هو في الواقع معقد لدرجة مخيفة. لحل المشكلة الثانية، يلزم الجرأة والفكر الواضح، الثابت والحازم. فقط بإنزال أنكلو-أمريكي في الأراضي الإيطالية يمكن صد التهديد الألماني. ولكن يجب استغلال ذلك، أي يجب مواجهة العدوان الألماني بروح ثابتة وإيجاد القوات على الفور في التحالف مع الأنكلو-أمريكيين لتحرير إيطاليا من الاحتلال التوتوني (الجرماني).

"قلت للأمير أنني لا أرى في الحكومة، التي أراد الملك تشكيلها بعناصر غير سياسية، موقفاً حازماً، وأشعر بتزايد نفاد صبر في البلاد تزيد من حدته وتفاقمه القصف المتكرر. واعترف الأمير بدوره أن في رأيه أيضاً أن إنزالاً أنكلو-أمريكياً وحده يمكن أن يحل الوضع: "كجنرال لبلد في حالة حرب، أخجل من قول ذلك، لكن يجب عليّ للأسف أن أعترف أن السبيل الوحيد للخلاص هو إنزال العدو على الأراضي الوطنية."»

وهكذا يروي إيفانو بونومي.

ثم جرت محادثتي الأخيرة مع الأمير في 7 سـبتمبر، من السـاعة 18:30 إلى 19:30 مسـاءً؛ وظل صامتًا معي. أتذكر أنني دخلت مكتب رئيس أركانه؛ وكان هناك ضباط آخرون أيضًا. سألت عن الخط الرئيسي للمقاومة الذي سنعتمد عليه لصد الأنكلو أمريكان. أجابوني بطريقة غامضة وغير مؤكدة. هل كانوا على علم بما كان يُعد حولهم أم لا؟

في مساء يوم 8 سبتمبر، عندما سمعت عبر الراديو في منزلي المنعزل في أركيناتسو إعلان الهدنة، حاولت الاتصـال بقيادة مجموعة جيوش أناغني، لكنني لم أنجح. في صـباح اليوم التالي فقط تمكنت من التحدث مع اللفتنانت كولونيل دي سـان مارزانو؛ ومنه علمت أن الأمير كان في روما وسيعود في المساء. رجوته أن يأتي إليّ فأجاب بنعم؛ ولكن بعد قليل أبلغني أن رئيس الأركان منعه بسـبب عدم أمان الطرق. رجوته مرة أخرى أن يخبرني فورًا، في أي وقت من الليل يعود الأمير، لأنني كنت بحاجة ماسة للتحدث معه. لكنني انتظرت عبثاً.

في صـباح اليوم التالي تلقيت أخبارًا من روما بأن الملك والأمير وبادوليو وأمبروزيو ورواتا، جميع المسؤولين عن هذا العمل الخطير، غادروا روما متوجهين إلى البحر الأدرياتيكي.

هذه كانت اتصالاتي مع العائلة المالكة منذ فبراير 1941، تاريخ عودتي من شمال إفريقيا، حتى 8 سبتمبر 1943. يمكن تلخيصها في إهمال كامل أولاً؛ وكيف يمكن تعريف البقية؟

بعد عدة أشهر، عند عودتي من الجزائر، أتيحت لي الفرصة للتحدث عن الأمير مع رائد الطيران جوليو سـيزاري غراتسـياني، ابن أخي، وهو البطل رقم 2 في قاذفات الطوربيد، الحاصـل على ثمانية أوسمة للشجاعة، وتمت ترقيته لأعماله الحربية. قال إنه علم من الأمير نفسه أن الأخير، في اللحظة الأخيرة (ربما عند الصعود على متن السفينة في بيسكارا؟) كان قد أوكل إلى ضابط من قيادته رسـالة لي، ولكن هذا لم يتم لأنه "قُتل ذلك الضـابط على يد الألمان بينما كان يحاول الوصول إلي في أرتشينازو". لم يتم ذكر أي تفاصيل عن محتوى تلك الرسالة.

فيما يتعلق بعلاقاتي مع الفاشية، بعد فبراير 1941، بقيت غريباً وبعيداً عنها. أحياناً فقط كان أليساندرو ميلكيوري، الذي كان تحت إمرتي في إثيوبيا وشمال أفريقيا، يظهر في قصر المارشالات.

قبل أيام قليلة من 25 يوليو، أصـرّ على أن يتم اسـتقباله، وروى لي أنه، بينما كان في اجتماع لرموز الحزب، من بينهم سـكورزا، أمين الحزب، زعم أن «هناك رجل واحد فقط يمكن الاعتماد عليه لحل أزمة القيادة العسكرية التي وجد موسوليني نفسه فيها. هذا الرجل، على الرغم من كل الأخطاء والإهانات التي لحقت به من الحزب نفسه، لا يمكن أن يكون سوى المارشال غراتسياني».

أجبت بأنني بعد كل العار الذي ألقي عليّ، يجب أن نكون في قمة اليأس حتى نفكر في "إعادة إحياء" لي. ومع ذلك، كجندي، ظللت دائمًا في خدمة الوطن إذا كان بإمكاني أن أكون مفيدًا له: واجبي يفرض عليّ أن أختتم هكذا.

لكن، بعد 23 سبتمبر، عندما كنا في الشمال، أعطاني أليساندرو ميلكيوري نسخة من رسالة أرسلها إلى موسوليني بعد محادثتنا.

حينها تمكنت من فهم أمور أخرى حدثت في الأيام ما بين 23 و 25 يوليو، حيث كان الدكتور ماغنو بوكا قد استأنف نفس الموضوع مع أمين الحزب سكورزا، كما سنرى. ماذا كان موسوليني يفكر؟ هل كان يريد إعادتي؟

بعد عدة أيام من 25 يوليو، طلب كارلو سكورزا، -الذي أصر مرارًا على مقابلتي منذ عودتي من إفريقيا، والذي لم أكن أرغب في استقباله أبدًا-، من الدكتور بوكا معرفة ما إذا كنت مستعدًا لتولي قيادة حزب "ذو توجه نقابي عسكري، يجمع إرث الفاشية تحت مسمى مختلف، لمنع العديد من الفاشيين الضائعين والمشمئزين من الانضمام إلى صفوف الشيوعية". جعلته يجيب بأنني لا أنوي اتخاذ أي موقف سياسي، ناهيك عن تولي قيادة حزب.

وصلتني دعوات وإغراءات من أكثر القطاعات تباينًا. أجبت الجميع بأنني لا أهتم بالسياسة النشطة، لأنني كنت، وسأظل دائمًا، جنديًا لا أكثر. لقد أردت توضيح هذا الأمر أيضًا، لأنه خلال فترة أسري في الجزائر، أتيحت لي الفرصة لقراءة أن الجنرال كاستيلانو، لا أتذكر ما إذا كان في سياق صحفي، أو مؤتمر، أو غير ذلك، قد أعلن أن المارشال بادوليو، من بين الأسباب التي دفعته إلى التعجيل بالهدنة، ذكر خطر التشكيل المحتمل لحزب فاشي جديد، ذو توجه قومي، "على رأسه غراتسياني". وهذا لم يخطر ببالي حتى في أقصى درجات التفكير!

إذن، خلاصة القول، كان موقفي فيما يتعلق بالفاشية في 25 يوليو، ثم في 8 و 23 سبتمبر، هو الانعزال التام والمطلق عنها وعن زعيمها.

في الواقع، في خطابَيّ اللذين ألقيتهما في 25 سبتمبر 1943 عبر الراديو وفي 2 أكتوبر في "أدريانو"، لا يوجد أي إشارة إلى الفاشية. لقد كرست نفسي حينها ودائمًا للوطن فقط.

قد يكون من المثير للاهتمام معرفة ما ذكره الدكتور بوكا في تقريره الذي قدمه إلى المحكمة الخاصة، عندما استدعي للإدلاء بشهادته في القضية المرفوعة من قبل الفاشية ضد كارلو سكورزا، خلال عشرين شهرًا من غاردا.

«23 يوليو 1943. الساعة 11. اتصل بي المستشار أ. ميلكيوري يطلب مقابلتي مع صاحب السعادة المارشال. أجبت بأنه غائب وسيعود خلال بضعة أيام.

"الأمر عاجل"، أضاف، "هل يمكنك أن تأتي إلي للحظة؟"

«الساعة 11:30. أدخلني ميلكيوري، الذي استقبلني في صالة الاجتماعات، حيث كان لديه ضيوف في مكتبه. قال لي تقريبًا: "عزيزي بوكا، الأمور تتدهور؛ الوضع خطير للغاية. البلد يظهر

علامات التعب. في صقلية الجنود لا يقاتلون. السلطات العسكرية لا تتخذ إجراءات، إنها خاملة. الفوضى تتفشى. الضباط والجنود الذين يهربون من الجبهة الصقلية لا يُوقَفون ولا يعاقبون. في السابق كانوا يُعدمون؛ اليوم، بدلاً من ذلك، تقتصر القيادات، بناءً على تعليمات عليا، على إرسالهم إلى المستودعات. نحتاج إلى رجل ذي هيبة عظيمة لإنقاذ الوضع. وهذا لا يمكن أن يكون سوى غراتسياني. لماذا لا يتقدم ويطلب لقاء مع الدوتشي؟"

أجبت بأن الدوتشي لم يستقبله منذ حوالي عامين، ومن الصعب أن يستقبله الآن. "أنت محق"، أضاف ميلكيوري، "قد يواجه الرفض."

بما أنه لا يمكن الاتصال بالدوتشي، فلماذا لا يحاول مقابلة سكورزا؟ سكورزا متسامح جداً تجاه المارشال. بالأمس كان هناك اجتماع في مكتبه لرموز الحزب الوطني الفاشي لمناقشة الوضع العسكري والسياسي للبلاد. كنت أنا أيضاً هناك. عند الحديث عن الوضع العسكري، قلت في مرحلة ما أن الجنود محبطون ويقاتلون بشكل سيء لأنهم لا يثقون بقادتهم، وأنه يجب إعطاء القيادة لجنرالات يتمتعون بالسلطة والهيبة بين القوات.

"صحيح جدًا،" أجاب سكورزا، "لكن أين نجدهم؟ للأسف، الجنرالات ليسوا على مستوى الوضع. أعطني أسماء، إذا كان لديك."

"إليك أحدهم: غراتسياني. لماذا لا يُعطى القيادة لغراتسياني؟"

"أنت محق، أنا من رأيك. غراتسياني سيكون الرجل المطلوب."

بعد تبادل بعض الأفكار الأخرى، تقرر: بمناسبة جلسة المجلس الكبير، التي ستعقد غدًا، سيقترح سكورزا اسم المارشال لتعيينه رئيسًا للأركان العامة.

عند هذه النقطة، من الجيد إبلاغ المارشال بالأمر، ولذلك أود التحدث معه قبل اجتماع المجلس الكبير.

أُغادِر ميلكيوري في الساعة 11:33، واعدًا إياه بأنني سأتصل بالمارشال في أرتشينازو وأرجوه أن يأتي إلى روما صباح الغد.

الساعة 16:00. أتمكن من التواصل مع غراتسياني الذي يؤكد لي أنه سيكون في روما صباح الغد.

«يوم 24 يوليو 1943. الساعة 11. يصل المارشال الذي أبلغه بالمحادثة التي أجريتها مع ميلكيوري. يطلب مني أن أجعله يأتي إلى المنزل في شارع نومنتانا.

«الساعة 11:30. يصل ميلكيوري ويُدخل فوراً إلى صاحب السعادة الذي يستقبله حتى الساعة 13:30 ويرافقه بعد ذلك إلى باب المنزل. وعند توديعه يقول له في حضوري: "على الرغم من كل شيء، وبما أن الأمر يتعلق بمصلحة الوطن، ما زلت مستعداً لتقديم خدمتي، ولكن لا أستطيع اتخاذ أي مبادرة شخصية أو الاتصال بأحد. إذا أرادوني، فإنهم يعرفون أين يجدونني".

«يوم 23. الساعة 8:30. أتصل بـ "ميلكيوري" لأستفسر عن القرارات المتخذة في "المجلس الكبير". لا يعرف شيئًا بعد؛ سيستعلم وسيتصل بي من مكتبه حوالي الساعة 12. وبالفعل في الساعة 12 يتصل بي وبعد دقائق قليلة أدخل إليه. وجهه العابس لا يوحي بخير. هذا هو جوهر ما يبلغه لي: كانت جلسة "المجلس الكبير" عاصفة للغاية واستمرت من الساعة 7 مساءً أمس حتى حوالي الساعة 4 صباحًا اليوم. وقد تعرض "الدوتشي" لهجوم عنيف من "غراندي" و"فيدرزوني" و"جيورياتي" وحتى "كيانو". وعند التصويت على جدول أعمال، صوت جميع الحاضرين تقريبًا، بمن فيهم "كيانو"، على تخلي "الدوتشي" عن السلطات العسكرية.

«كان الدوتشي قد صرح بأنه بتسليم السلطات العسكرية للملك، فإن هذا الأخير سيعطي القيادة على الفور للمارشال بادوليو، وفي هذه الحالة، سيجد موسوليني نفسه مضطرًا للاستقالة والمغادرة. ومع ذلك، يبدو أنه لم يتخذ قرارًا بعد.

بالنظر إلى كيفية تطور الأمور، لم يُذكر اسم غراتسياني خلال الاجتماع؛ إما أن سكورزا نسي ذلك أو اعتقد أنه لم يعد من المناسب الحديث عنه. الآن، لا يسعنا إلا الانتظار لنرى ما سيحدث. على أي حال، يجب أن أخبرك أنه بالأمس، بمجرد خروجي من محادثتي مع المارشال، رأيت أنه من الأفضل إبلاغ الدوتشي وكتبت له رسالة أذكر فيها كيف وجدت المارشال في حالة بدنية وعقلية ممتازة؛ وما هي مشاعره على الرغم من عدم الاعتراف به، وأنني في رأيي هو القائد الوحيد الذي يمكن في هذه اللحظة أن تُعهد إليه إدارة العمليات، نظراً للمكانة والنفوذ الكبير الذي يتمتع به بين جميع القوات المسلحة وفي البلاد. أرسلت الرسالة إلى دي سيزاري وأعتقد أنه سلمها إلى الدوتشي قبل بدء جلسة المجلس الكبير.

«الساعة 13:00. أترك ميلكيوري وأذهب إلى منزل المارشال لإطلاعه على الأمر. يبقى المارشال متفاجئًا ويفكر في مسار الأحداث، لكنه لا يرى من المناسب الخروج من صمته الطويل الآن للبحث عن اتصالات مع أي شخصية.

«الساعة 13:45. أشعر أن شيئًا كبيرًا على وشك الحدوث، وأقرر، بمبادرة مني، الاتصال بـ "سكورزا" لطلب مقابلة. إنه ليس في المنزل. أجده في شارع بونكومباجني حيث يتناول الغداء في منزل أخيه. يحدد لي موعدًا في منزله في الساعة 14:45.

«الساعة 14:45. أُدخل إلى مكتبه حيث ينتظر. يرتدي زي اللفتنانت جنرال، وهو متعب وشاحب قليلاً بسبب السهر الطويل الليلة الماضية:

"ما الجديد يا بوكا؟"

العمود الفقري: المارشال على دراية بكل ما حدث في الأيام الأخيرة. إنه يدرك أننا أمام منعطف تاريخي، وأن الوطن في خطر جسيم، ويجب على كل فرد أن يأخذ مكانه. لقد ظل حتى الآن منعزلاً، وأنت تعرف السبب. ولكن الآن مصير الوطن على المحك، وأنا متأكد من أنه عازم على وضع نفسه تحت التصرف من أجل خير البلاد، بشرط أن يكون عمله مقبولاً ومفيداً بالطبع.

«عزيزي بوكا، كنت أتوقع هذا القرار من المارشال. كنت متأكداً أنه سيتخذه يوماً ما. أعترف لك أنني كنت على وشك إرسال طلب استدعاء له قبل أيام قليلة، لكنني امتنعت عن ذلك، مدفوعاً بتقدير مفرط ربما لشخصه. الآن أنا سعيد حقاً بما تخبرني به. نحن بحاجة إلى قائد؛ الجنود لا يصدقون، ولا يثقون في أولئك الذين يقودونهم حالياً، ولذلك لا يقاتلون كما ينبغي. من المؤلم أن أقول ذلك، لكن هذا هو الحال. في صقلية، يمكن القول إن الألمان فقط هم من يقاتلون. المارشال هو رجل الموقف، هو ما نحتاجه.»

ينهض سكورزا بعزم، ويتوجه إلى الهاتف الموجود على المكتب ويتصل بالدوتشي مباشرة في "فيلا تورلونيا". يأتيه رد بأن الدوتشي لم يعد بعد، وعليه معاودة الاتصال بعد عشر دقائق. نجلس مجددًا ونتحدث عن الأحداث العسكرية واجتماع المجلس الكبير الليلة الماضية.

في الساعة 15:10 يعاود سكورزا الاتصال بالدوتشي، لكنه لم يعد بعد؛ فيقرر أن يستريح لمدة نصف ساعة. أستغل الفرصة لأذهب إلى المارشال وأطلعه على المحادثة التي أجريتها.

الساعة 15:30. انتهيت للتو من الكلام عندما أتلقى مكالمة هاتفية من منزلي ويُخبرني أن أمين الحزب يبحث عني بشدة. لقد ترك تعليمات بإيجادي بأي ثمن وجعلي أذهب إليه مباشرة، ويفضل أن يكون ذلك بزي رسمي، لكن بمجرد وصولي، يخبرونني أن سكورزا قد اتصل مرة أخرى، تاركاً تعليمات بعدم مغادرة المنزل والبقاء مستعداً حتى الساعة الخامسة مساءً.

«الساعة 17:10. لم أتلق أي إشعار، أعاود الاتصال بـ "سكورزا" الذي يجيب بأنه ينتظر مكالمة من "الدوتشي".»

«الساعة 18:30. بعد أن اتصل بي المارشال وأخبرني أنه علم للتو من صديق أن بادوليو ذهب إلى "فيلا سافويا"، أعود فورًا إلى سكورزا لإخباره. يستبقيني في انتظار الحصول على الاتصال بالدوتشي، وفي هذه الأثناء يخبرني أنه قد تحدث بالفعل، عبر الهاتف، حوالي الساعة 15:20، وأبلغه بمحادثتنا. ويضيف أن الدوتشي استمع باهتمام شديد وقال له إنه يرغب في التعرف عليّ.

لهذا السبب أوصاني بارتداء الزي الرسمي. كان الدوتشي قد حدد الموعد فورًا، لكنه أجله إلى الساعة 17:00، لأنه في الساعة 16:30 كان عليه الذهاب إلى الملك، الذي كان يعتقد أنه سيقضي معه نصف ساعة على الأكثر.»

«الساعة 18:15-19:15. يعاود سكورزا الاتصال بـ "فيلا تورلونيا" و "قصر فينيسيا" عدة مرات دون جدوى. ثم، اشتبه في وجود شيء جديد، يتصل بنائبي الأمين "ديلا فالي" و "تارابيني"، اللذين يتواجدان في مقر الحزب. يسأل عما إذا كانت هناك أي أخبار جديدة في المجالين السياسي والعسكري. يجيبان بأن كل شيء هادئ. يرجوهما أن ينتظراه ليذهب إلى المكتب فورًا.

نودع بعضنا البعض على وعد بالتواصل هاتفياً. لكن الوقت متأخر الآن، وكل شيء يشير إلى أن القيادة العسكرية قد مُنحت للمارشال بادوليو، وأن زيارتي للدوتشي قد أُلغيت. أعبر عن هذه الأفكار للمارشال الذي يشاركني نفس الرأي. في المساء، أتصل بمنزل سكورزا عدة مرات، لكن دائمًا ما يُجاب بأنّه لم يعد بعد.

«يوم 11 أغسطس. يبلغني الصحفي دي بيتريس تحيات سكورزا، الذي يرغب في رؤيتي. أجيب بأنني، إذا أراد، يمكنني الذهاب إليه غداً 12 أغسطس، الساعة 18.

«اليوم الثاني عشر. الساعة 18:00. أجد سكورزا في المنزل. أعبر له عن دهشتي لرؤيته طليقاً، بينما يعتقد الجميع أنه معتقل. ثم يروي لي مغامراته منذ 25 يوليو فصاعداً.

في الساعة 19:30 من يوم 25 يوليو، بعد أن غادرني مباشرة، توجه إلى مقر الحزب في ساحة كولونّا، واتصل مرة أخرى بـ "فيلا تورلونيا" و "قصر فينيسيا"، لكن الخطوط المباشرة كانت مقطوعة. ثم اتصل بمقسم وزارة الداخلية. تلقى رداً فظاً. كل هذا كان غير مسبوق. قلقاً ومرتاباً، قرر الذهاب شخصياً إلى قصر فينيسيا. ركب السيارة، ولكن في الطريق، غير رأيه واتجه إلى القيادة العامة للكارابينييري الملكي للتحدث مع الجنرال شيريكا. كان الوقت حوالي الساعة 20:00.

استقبله الجنرال شيريكا بلباقة وأخبره أولاً بأن الدوتشي قد اعتقل في "فيلا سافويا". (صدر الأمر منذ الساعة 16:30، لكن لم يتم تنفيذه لأن الدوتشي ذهب لزيارة منطقة سان لورينزو التي تعرضت للقصف، ثم عاد إلى "فيلا تورلونيا" في الساعة 15:30. وقد اتصل على الفور بسكورزا، الذي أبلغه بالمحادثة التي دارت بيننا. استمع باهتمام كبير وأخيرًا هتف: "مهم جداً، مهم جداً! أحضروا لي بوكا أريد أن ألتقي به".)

في الساعة 16:30 ذهب بعد ذلك إلى "فيلا سافويا" حيث تم اعتقاله.

بمجرد خروجه من مكتب سيريكا، أوقف العقيد فريغناني من الكارابينييري الملكي سكورزا، وطلب منه البقاء تحت تصرف السلاح.

ثم طلب أن يرى سيريكا مرة أخرى.

أمر سيريكا، بعد نقاش قصير، بإطلاق سراحه. فعاد أولاً إلى المنزل، ثم إلى مقر الحزب حيث أعطى بعض التعليمات ثم غادر روما، وبقي خارجها حتى صباح يوم 27. ومنذ ذلك الحين ظل منعزلاً في المنزل.

بعد أن انتهى من سرد مغامراته، يقول سكورزا إن نيته هي تأسيس حزب جديد ذو توجه نقابي عسكري، يجمع تحت مسمى مختلف، إرث الفاشية، وهذا أيضًا لمنع العديد من الفاشيين المشوشين والمشمئزين من الانضمام إلى صفوف الشيوعيين.

يحتاج إلى اسم كبير يستند إليه، وقد فكر في المارشال. هل المارشال مستعد لتقديم دعمه له؟

أجبت أنني سأطلب ذلك من المارشال وسأعطيه إجابة.

«يوم 17 أغسطس. بالأمس مساءً، أبلغت المارشال الذي عاد من أركيناتسو بالمحادثة. إنه، في الوقت الحالي، لا ينوي الخروج من تحفظه. سيفكر جيداً ثم يقرر.

«في الساعة 16:30 أذهب إلى سكورزا الذي يستقبلني في مكتبه. أبلغه برد المارشال، الذي يأخذ به علماً. بعد دقائق قليلة أغادر، لأن سكورزا يجب أن يذهب إلى السفارة الألمانية حيث ينتظرونه.»

وهنا ينتهي تقرير الدكتور بوكا.

ظل يساورني الشك دائمًا فيما إذا كان موسوليني قد فكر حقًا في إعادتي في اللحظات الأخيرة. هذا التساؤل يجد إجابته اليوم فقط في يوميات فاريناتشي حيث يذكر، في ختام تاريخ ليلة 24 يوليو 1943 المأساوية، قول موسوليني: «وأقبل اقتراحك فيما يتعلق بأمبروسيو. لقد تواصلت مع غراتسياني وأعتقد أنه سيقبل. ليلة سعيدة. فاريناتشي. أنت يا سكورزا، ابق هنا».

خلال فترة حكومة الشمال، لم يُستذكر الماضي قط بين موسوليني وبيني.

عندما رأيته أول مرة في "روكا ديلي غاماته" في 27 سبتمبر 1943، كان قد أصبح خيالاً لذاته؛ تلك العيون الكبيرة كانت تبرز على فكه المربع النحيل كمنارتين شبه باهتتين تستعيدان نورهما القديم من حين لآخر لتغرقا مرة أخرى في ضباب مخيف. احتضنني بصمت واندفاع؛ ومنذ ذلك الحين، نشأ بيني وبينه تفاهم متبادل صامت بالنسيان، استمر حتى آخر يوم.

لقد رأيت موسوليني دائمًا تقريبًا من بعيد، نظرًا لإقامتي المستمرة في إفريقيا من عام 1921 إلى عام 1938. فقط في عام 1939، عندما توليت مهام رئيس أركان الجيش، التي تلتها عودتي إلى إفريقيا على الفور تقريبًا، اقتربت منه حقًا؛ ولكن لفترة قصيرة.

خلال العشرين شهرًا التي قضيتها في الشمال، كان تواصلي شبه يومي، وقد تمكنت من إدراك الجوانب الإيجابية والسلبية لشخصيته.

لم أكن قط من المتملقين له، على الرغم من إعجابي بالجوانب الهامة في شخصيته، وظللت كذلك حتى النهاية.

لقد أظهر لي في تلك الفترة احترامًا عبر إظهارات صامتة من الود التي بدا صعبًا على طبيعته القاسية والمتسلطة أن تعبر عنها. وبدوري، حافظت دائمًا على نبرة من التحفظ المحترم الذي قدره هو.

بعد أن غير رأيه تمامًا من خلال التجارب التي مر بها، إليكم كيف عبر عن حكمه النهائي عليّ في الرسالة التي وجهها إلى هتلر بتاريخ 30 أكتوبر 1943، والتي نشرتها جريدة "إل جورنالي" في نابولي، تحت عنوان "موسوليني إلى هتلر. شهادة ميلاد جمهورية سالو":

"ومع ذلك، ونظراً للظروف الاستثنائية، فإن ترشيحي الشخصي، الذي يمكن أن يظهر كضرورة ناجمة عن اعتلال صحتي، سيقع على عاتق جندي ذو مكانة لا شك فيها: رودولفو غراتسياني.

«رودولفو غراتسياني، الذي لم أتحدث معه عن الفكرة الوطنية الشيوعية الجديدة، رغبة مني في الحصول على رد شامل منك أولاً، أيها الفوهرر، هو النموذج الأصلي للجندي النشيط، المتحمس، والمتجرد من الأنانية، القادر على السقوط وسيف الشرف في يده واسم إيطاليا على شفتيه.

«يجب أن يتولى غراتسياني جميع السلطات، تاركاً لي السلطة العليا لرئاسة الجمهورية والمنظم الأعلى، وبهذا أهدف إلى أن أفهم الفاشيين أن الفكرة لم تتغير، لأن مؤسسها حيّ ومُتيقظ.»

بينما كان يخطها، أراد أن يقرأ لي بعض الصفحات من كتابه "تاريخ عام". سألته حينها كيف أنه، وهو يعلم مسبقاً ما كان يخططه أعضاء المجلس الكبير المعادون، انصاع بشكل سلبي للعبتهم. أجاب حرفياً: «ما خدعني هو الثقة المطلقة التي وضعتها في تضامن الملك، الذي ظننت أنه لن يخذلني أبداً».

هذا التأكيد، الذي قد يبدو "حجّة" في ذلك الوقت، يجد اليوم تأكيدًا في مذكرات فاريناتشي. لقد فكر حتى في "إمكانية طلب الملك اعتقال الخونة التسعة عشر فوراً": هكذا ورد فيها.

بين فبراير 1941 الغائم وسبتمبر 1943 العاصف، كانت ثلاث سنوات قد انقضت منذ عودتي إلى الوطن.

11 غير المتوقع والحقيقة

تلقيت خبر إعلان الهدنة في وحدتي في أرتشـيناتسـو. كنت أعيش في عزلة تامة عن الدوائر الرسمية والسياسية والعسكرية منذ حوالي ثلاث سنوات، ولم أكن أعرف الوضع إلا من خلال النشرات "الحمراء" الجافة التي كانت تصدرها هيئة الأركان العامة للجيش، والتي كانت لا تزال تصلني.

لذلك لم يكن لدي ما يكفي من معطيات الحكم لتقييم عمل بهذه الخطورة القصوى. ولكن عندما علمت في اليوم التالي أن الملك والحكومة غادرا روما كفارّين، أدركت أن الهدنة، مع التخلي عن العاصمة، كانت تبشر بشرور لا حصر لها للوطن. رأيتها تتحول إلى مسرح حرب لا هوادة فيها بين جيوش أجنبية، مع انقسام الشعب إلى قسمين، مع تزايد الدمار والخراب بالتأكيد بسبب شدة القتال، والمضاعفات الداخلية التي ستترتب على ذلك. كل هذا مع خيبة أمل كبيرة للشعب، الذي صفق للهدنة، فقط لأنه اعتبرها مرادفًا لانتهاء الحرب.

تخلى الملك، متبعًا رئيس وزرائه، عن خمسة أسداس الشعب الإيطالي لأكثر المصائر مأساوية في أيدي الحليف السابق، الذي أصبح عدوًا.

لم يكن لأحد حينئذٍ أن يؤكد بشكل قاطع أن ألمانيا قد خسرت الحرب بالفعل. وإذا فازت بها، فمن كان ليوقف انتقامها؟

إن احتمال وقوع مثل هذا الخراب لم يكن ليغيب عن بال واضعي الهدنة، التي تحولت إلى "استسلام" حقيقي مع القبول الضمني "للاستسلام غير المشروط"، كنتيجة "للهزيمة" المعلنة، بينما كان من الممكن التفاوض على الهدنة بشكل مختلف تمامًا.

عند دراسة آليات التنفيذ، تظهر المسؤولية الجسيمة لمن قاموا بها.

كل الفاعلين، عندما يحاولون تبرير أنفسهم من العواقب المدمرة للهدنة، لا يعرفون إلا أن يؤكدوا أن تاريخ الإعلان كان يجب أن يكون الثاني عشر وليس الثامن من سبتمبر؛ وأنه لو كان كذلك، لكانت الأمور قد سارت بشكل مختلف تمامًا.

إن البحث عن "ذريعة" هو أمر طفولي للغاية؛ فمن المؤكد أن هذه الأيام الأربعة لم تكن لتغير النتائج كثيرًا. كان من الضـروري للغاية إعداد التفاهمات مع الأنكلو أمريكيين مباشـرة بعد 25 يوليو، بدلاً من اتخاذ مثل هذا القرار الخطير بعد شهر ونصف، في خضم رد الفعل الألماني وفي ظل القلق الشخصي للملك وبادوليو. ما هي الأسباب التي نصحت بالتأجيل، عندما كان الجميع يعتبرون ويؤكدون أن الشعب لم يعد يريد معرفة المزيد عن الحرب؟

"إعلان" المارشـال بادوليو بتاريخ 25 يوليو قد أعلن الحدث للبلاد على النحو التالي: "الحرب مسـتمرة. إيطاليا، التي تضـررت بشـدة في مقاطعاتها المحتلة، وفي مدنها المدمرة، تلتزم بالكلمة المعطاة، حارسـة غيورة لتقاليدها الألفية". ولكن ما هي الكلمة المعطاة؟ تلك المنصـوص عليها في المادة 5 من معاهدة التحالف، التي نصـت على ما يلي: "تتعهد الأطراف المتعاقدة، من الآن فصـاعدًا، في حالة حرب تُجرى معًا، بعدم إبرام هدنة أو سـلام إلا باتفاق كامل بينها". فهل كان القلق من الوفاء بهذا "العهد"، وما يترتب عليه من التزام بالشـرف، هو الذي دفع الحكومة إلى إصدار هذا الإعلان الرسمي؟ أم كان هذا ادعاءً كاذبًا لعدم إثارة الشكوك لدى الألمان؟

وحتى لو كان الأمر كذلك، لا يمكن إنكار أن القلق من "قانون الشـرف" الذي يجب حمايته بأي ثمن، كان موجودًا في أذهان شخصيات الدراما نفسها. يشير إلى ذلك يوميات إيفانو بونومي. ففي تاريخ 24 أغسـطس أيضًـا، جعل بونومي بادوليو يقول: "لا يمكننا، بفعل إرادتنا، الانفصـال عن ألمانيا، التي يربطنا بها ميثاق تحالف". وقبل ذلك، قال لنيتري: "إيطاليا لا يمكن أن تخفق "دون أن تلطخ شرفها" في الالتزامات التي تم التعهد بها؛... ولكن يجب عليها بسلوكها النزيه، بعد العديد من الأعمال غير النزيهة، الخروج من الوضـع الحالي الخطير للغاية، والخروج منه، إن لم يكن جيداً، فبأقل سوء ممكن".

هذا الرد، أكثر من كونه تعبيراً دقيقاً عن فعل محدد جيداً، هو في الحقيقة "عرافة دلفي"؛ لكن الافتراض المسبق للشرف الذي يجب حمايته راسخ فيه!

في السـابع من أغسـطس، يوضـح إيفانو بونومي فكره مع فكر أورلاندو: «في هذا الوضـع قررت مراجعة أورلاندو... نتحدث طويلاً عن الوضـع، الذي نعتبره مأسـاوياً بالتوافق... لا يمكن لإيطاليا أن تنفصـل عن ألمانيا دون أن تتعرض لهجوم فوري من حليفتها وتُجبر على القتال ضـد...». وفي العاشـر من أغسـطس جعل غواريليا، وزير الخارجية، يقول: «ترتبط ألمانيا وإيطاليا بميثاق تحالف في حرب أصبحت مشتركة. الميثاق قائم، والحرب مستمرة».

أخيرًا، في 11 أغسـطس، تحدث إيفانو بونومي، كما رأينا، إلى الأمير في المحادثة التي دارت بينهما: «فقط بإنزال أنكلو-أمريكي في إيطاليا القارية، يمكن صـد التهديد الألماني. ولكن يجب مواجهة العـدوان الألمـاني على الفور بروح ثـابتـة، وإيجـاد القوات على الفور في التحـالف مع الأنكلو-

أمريكيين لتحرير إيطاليا من الاحتلال الإقليمي». لقد رأى البرلماني العجوز الأمور بوضـــوح أكبر بكثير مما رأها رئيس الحكومة، بادوليو، ورئيس الأركان العامة، أمبروســـيو. وأومبرتو، بدوره، في هذا الاعتراف بالعار يجمع احمرار الأمير الملكي والعســـكري والجندي المســـتعد للتنكر لتراث الشرف الذي كان سيمنعه من ذلك.

إن هذا الاحتمال، بالإضـافة إلى اليقين بأن ألمانيا ستهاجمنا، حاضـر في أذهان جميع الفاعلين الرئيسيين في الدراما الكبرى، الذين سيتنازلون بعد ذلك، دون الاستعداد لصد "العدوان" بشكل مناسب.

ما العجب الذي لعزوفهم عن مثل ردود فعل دفعت مئات الآلاف من الرجال، المنتشـــرين على جميع الجهات، إلى البقاء إلى جانب الحليف القديم، لمتابعة مصيره حتى النهاية، دون أي حساب لما إذا كانوا يراهنون على الفائز أم الخاسر، ولكن فقط ليكونوا مخلصين لرمز الشرف؟

يبدو لنا وكأننا نحلم عندما نقرأ ما كتبته الأمريكية باربرا باركلي كارتر (التي، تجدر الإشـــارة، كانت لســـنوات عديدة المترجمة والمتعاونة مع دون ســـتورزو، الذي كتب مقدمة كتابها "إيطاليا تتحدث"). في صـــفحـة 98: «في يوم التحرير، تقـدم قـادة الأحزاب الســـتـة كجوهر للحكومة الجديدة، التي كانوا يرغبون في أن تُعهد رئاستها إلى بونومي. لقد رفضوا التعاون مع بادوليو أو أي شـــخص آخر كان له علاقة بالماضـــي، ولم يقســـموا الولاء للملك فيتوريو إيمانويل، الذي بدا إعلانه الحرب ضد ألمانيا عملاً من أعمال الخيانة تجاه حليف قديم» (هكذا).

يعني هؤلاء، بعد أن قاموا بتخريب الحرب، ورغبوا في الهزيمة وساعدوا عليها لتدمير الفاشـية، ودفعوا الملك إلى تغيير الموقف بـــ "الاستسلام غير المشروط" في 8 سبتمبر وما ترتب عليه من خيانة للتحالف، يعبرون عن صـدمتهم وينكرونه بعد ذلك، لـــ "خيانة" الحليف نفسـه، بإعلان الحرب على ألمانيا.

أمام هذا الكم من الوقاحة، الذي يطغى على أخبث ماكيافيلي، يجب أن نشـكر العناية الإلهية التي ألهمت هؤلاء الرجال الآخرين للتضـحية بأنفســهم، حتى يتمكن التاريخ من تسـجيل عبر العصور أن ليس جميع الإيطاليين من نفس الطينة.

يســـتحق الأمر حقًا إجراء تحقيق في النتائج المزعومة للتقديم المزعوم لتاريخ إعلان الهدنة من قبل الحلفاء، من 12 إلى 8 سبتمبر.

يجب البحث عن العناصر في المصادر الببليوغرافية الأمريكية والإيطالية. وبما أنني لا أستطيع التحقق من الأولى، يجب أن أقتصر على دراسة الثانية. يقول الجنرال كاستيلانو، في كتابه "كيف وقعت هدنة كاسيبيلي"، في الصفحتين 156-157:

«في الساعة 17:00، يظهر لي الكابتن الإنكليزي دين، ويقف في وضع الاستعداد، ويؤدي تحية عسكرية مثالية (هو الذي في اليوم السابق وطوال الصباح مر أمامي عدة مرات متظاهرًا دائمًا بأنه لا يراني) ويقول لي: "لقد أرسلوا برقية بالموافقة". يحمل في يده برقية أريد أن أقرأها بعيني، وبوضوح. إليكم نصها: "رقمنا 8 ألغي. الجنرال كاستيلانو مخول من الحكومة الإيطالية بتوقيع قبول شروط الهدنة. البيان الذي طلبته ببرقيتكم 19 (أي لأوزبورن في الفاتيكان) سيسلم اليوم".»

"[...] سميث يقدم لي ثلاث نسخ من الهدنة - ما يسمى "الهدنة العسكرية القصيرة" - التي أتصفحها (لقد فهمت اللغة الإنكليزية بعد قراءتها عدة مرات) وأوقع في الأسفل بتفويض من المارشال بادوليو. بعدي، يوقع سميث بتفويض من الجنرال أيزنهاور. وظيفة قصيرة جدًا. إنها الساعة 17:15 من 3 سبتمبر 1943. بمجرد الانتهاء، يقترب أيزنهاور، يصافحني ويخبرني أنه، منذ تلك اللحظة، يعتبرني رفيقًا سيتعاون معه."

لقد أُلقيت النردات ويشعر الجنرال كاستيلانو أنه دخل التاريخ! (سيؤكد أحد الضباط المرافقين لاحقًا أنه وقع تلك الوثيقة دون حتى إعادة قراءتها.) في المساء، يقام عشاء صاخب ومبهج، حيث، على مائدة الطعام الأمريكية، "شربوا النبيذ تكريماً للمفوضين الإيطاليين". هكذا يروي كاستيلانو، لكنه يدرك على الفور أنه من تلك الليلة تبدأ مقدمات عدم الثقة، التي سيواصل الحلفاء كشفها شيئًا فشيئًا تجاه حكومة الجنوب!

في الرابع من سبتمبر التالي، في الساعة الثانية، تبدأ المناقشات "ذات الطابع العسكري، وتتناول أولاً عملية المظليين". تجدر الإشارة إلى أن هذه الساعة هي "الساعة الثانية الشمسية من اليوم الرابع"، أي بعد العشاء، الذي شرب فيه النبيذ والويسكي بكثرة، مجدًا لوفودنا، ومن المعروف أن الأمريكيين يشربون الكحول بقوة أكبر بكثير من الإيطاليين. "الجلسة تستمر حتى الخامسة!"

وهكذا، تم إنجاز العمل الهام للغاية بعد عشاء فاخر وليلة بلا نوم. ولكن تم استئنافه في الساعة الثامنة.

يواصل كاستيلانو، «بعد الإفطار، يأتي سميث ليودعني، يغادر إلى الجزائر. قبل أن أودعه، أوجه له السؤال الأبدي الذي لم يُجب عليه حتى الآن. أخبرني، ولو تقريبًا، أين سيهبطون ومتى. كنا أمام خيمتي، يمسك سميث بذراعي ويقودني إلى الخارج. مانتوفاني الأمين معنا. يقول سميث: "أفهم تمامًا القلق الكبير الذي لديك لمعرفة هذه البيانات، لكن للأسف لا أستطيع إخبارك بأي شيء، إنه سر عسكري يجب أن أحافظ عليه"؛ ثم أضاف بصوت منخفض: "أستطيع أن أخبرك فقط أن الهبوط سيحدث في غضون أسبوعين". يصافحني ويغادر.» يعتقد كاستيلانو أنه أصبح لديه النقطة الأساسية التي يستند إليها في حساباته الحسابية. يكتب على الفور إلى أمبروزيو:

«على الرغم من أنني بذلت المستحيل لتحقيق ذلك، لم أستطع الحصول على أي معلومات حول الموقع الدقيق للهبوط. أما بالنسبة للتاريخ، لا أستطيع أن أقول شيئًا محددًا، ولكن من معلومات سرية، أفترض أن الهبوط قد يحدث بين 10 و 15 سبتمبر، ربما في 12».

إنها المرة الأولى التي يتم فيها التلميح إلى هذا التاريخ، ولكنه عُبر عنها بتحفظ شديد. عندما عاتب أحد ما الجنرال كاستيلانو على هذا الإشارة شبه التعسفية، يرتدي بدلة بييرينو بينبنسانتي[1] المدرسية، ويكتب ببعض الفكاهة في الصفحة 173: «نحن في اليوم الرابع. أقول لنفسي: لو كان الهبوط سيحدث خلال الأيام الأولى، لكان سميث تحدث معي عن أسبوع وليس أسبوعين. من ناحية أخرى، في جلسة 31 أغسطس، تم تدوين أن الفترة الزمنية بين الهبوطين كانت أسبوعًا أو أسبوعين: على أي حال، كان سيمر سبعة أيام على الأقل بين أحدهما والآخر. إذا كان الهبوط سيحدث خلال الحد الأدنى، وبما أن أربعة زائد سبعة يساوي أحد عشر، فإن هذا التاريخ سيشكل الحد الأقصى الأقرب. ولكن يمكن أن يحدث أيضًا في الحد الأقصى الأبعد، أي 19. عند الكتابة إلى الجنرال أمبروزيو، من باب الحذر، أقول: بين 10 و 15. وبما أن سميث يؤكد أخيرًا: "في غضون أسبوعين"، وليس في غضون أسبوع، أفترض (وهكذا ألتزم دائمًا بحدود الحذر)، أن الهبوط سيحدث في اليوم الأول من الأسبوع الثاني، أي 12، لأن "أربعة زائد ثمانية يساوي اثني عشر"، ومع ذلك أكتب "ربما 12"». يضيف كاستيلانو:

"هذا هو المنطق البسيط الذي اتبعته، منطق صحيح لأنه حسابي. لقد تكهن الكثيرون حول هذه المعلومة التي قدمتها، ربما لتبرير الخمول في تلك الأيام في روما، لكنني لا أرغب في إلقاء اللوم على أحد؛ ومع ذلك، من المؤكد أنه بناءً على المعلومة التي قدمتها، بالعبارات الدقيقة المذكورة أعلاه، لم يكن هناك تصريح لتحديد تاريخ معين بدلاً من آخر." ومن هنا يتضح أن الحكومة والأركان العامة كانت تلعب لعبة "عميان" مع الحلفاء بهذا القدر من الأهمية...

بالنظر إلى أن ما صاغه كاستيلانو كان مجرد فرضية، وبالتالي قابلاً للخطأ، يجب التسليم بأنه محق عندما يخلص إلى أنه كان ينبغي ألا يؤخذ نتيجة حسابه في روما على أنها حقيقة مؤكدة. على العكس من ذلك، في روما، اعتُمد عليها كمسلمة، واعتُبر تاريخ 12 مؤكدًا، وبهذا التحيز عملوا... بتأخير انفجاري. وعندما واجه ضرورة تبرئة نفسه من تهمة التقاعس في تلك الأيام في روما، التي أشار إليها كاستيلانو، كتب بادوليو:

«في اليوم الثاني عاد كاستيلانو إلى صقلية، وفي اليوم الثالث تم توقيع الهدنة، وجُلبت جميع الوثائق المتعلقة بالهدنة إلى روما في اليوم الخامس من قبل الرائد ماركيزي، الذي كان قد رافق

---

[1] قد تكون إشارة لشخصية تحاول أن تكون جادة بنفاق لكنه يتصرف كطفل غرّ. [المترجم]

الجنرال كاستيلانو إلى صقلية. وقد صرح الضابط المذكور أن تاريخ الهدنة قد حدد بين 10 و 15 سبتمبر، وأنه وفقًا لمعلومات سرية من الجنرال سميث، من المحتمل جدًا أن يكون 12 سبتمبر... ثم أكد لي الجنرال أمبروزيو، عند عرض الوثيقة علي، أنه يجب اعتبار تاريخ 12 سبتمبر مؤكدًا.» وهكذا، من الاحتمال الافتراضي الذي طرحه كاستيلانو وأكده ماركيزي، انتقلوا إلى اليقين الذي أكده رئيس الأركان العامة وقبله رئيس الحكومة، المارشال بادوليو، على أنه حقيقة مؤكدة.

على أي أساس بنى الجنرال أمبروزيو هذا اليقين، بالإضافة إلى ما قدمه كاستيلانو والرائد الذي رافقه؟ هذا لا يظهر؛ لكن يبدو أنه لا يمكن أن يكون هناك غير ذلك. في هذا الصدد، تشهد أقوال الجنرال فرانشيسكو روسي، نائب رئيس الأركان العامة، في كتابه "كيف وصلنا إلى الهدنة". في الصفحة 133: «نتائج المحادثات [تلك التي أجراها كاستيلانو في كاسيبيل] تم تثبيتها في بعض الوثائق، التي أحضرها الرائد ماركيزي إلى روما وسلمها إلى الجنرال أمبروزيو حوالي الساعة 12 ظهرًا في 5 سبتمبر». وفي الصفحة 134: «كان الرائد ماركيزي يحمل أيضًا "البنود الإضافية لشروط الهدنة" ذات الطابع السياسي والعسكري والاقتصادي، ورسالة شخصية من كاستيلانو أوضح فيها لأمبروزيو المفاوضات التي جرت وأبلغه أنه يعتقد أن الإعلان سيتم بين 10 و 15 سبتمبر، وربما في 12 [.].» ثم يضيف: «ثبت رئيس الأركان العامة على تاريخ 12، الذي أكدته المحادثات الشفهية مع ماركيزي، وأصدرت جميع الأوامر بناءً على هذا اليوم». تعبير "روسي"، "ثبت"، يعكس جيدًا الوضع ويصور بدقة شخصية الجنرال أمبروزيو. يكفي رؤيته لتقتنع. إنه ينحدر من سلاح الفرسان ولا يزال يحتفظ بشكله؛ ينحني إلى الأمام، دائمًا مشدود نحو العقبة ولكنه مثل حصان، كونه قاسياً بعض الشيء في الفم، "يسحب". جبهته متجعدة أفقياً (علامة سيئة على العناد) وفي عينيه جمود حصان. في الواقع، كما يفعل الحصان غالبًا، الذي "يثبت" وبالتالي يتفادى ويخاطر بالسقوط، فإنه، وهو يثبت على يوم 12، يقع في سبات عميق، في 6 يغادر إلى تورينو بهدف تسوية مصالحه الخاصة. يضيف "روسي" في الصفحة 141: «تجدر الإشارة إلى أن الجنرال رواتا، رئيس أركان الجيش، لم يكن لديه أي معرفة بسير مفاوضات كاستيلانو». ثم في الصفحة 144: «منذ مساء يوم 6 كان معروفًا أن ضابطي اتصال أمريكيين سيصلان إلى إيطاليا؛ ولكن لم يحدد أن أحدهما هو الجنرال تايلور، وإلا لما غادر الجنرال أمبروزيو». ومع ذلك، غادر أمبروزيو وهو يعلم أنه في نفس اليوم سيصل ضابطان أمريكيان إلى روما، اللذان، قادمين من معسكر الحلفاء، في لحظة حساسة للغاية، حتى لو كانا مجرد ملازمين ثانين، يمكن أن يكونا حاملين لأخبار هامة للغاية.

كيف يعبر روسي، نائب رئيس الأركان العامة، بشكل مشكوك فيه؟ ألم يكن هو البديل الطبيعي لأمبروزيو؟ كيف كانت تعمل هذه الأركان العامة إذن؟ هل كانت تعمل في أقسام منفصلة؟ نتيجة كل ذلك أن تايلور، عندما وصل إلى روما، لم يجد رئيس الأركان العامة هناك؛ وهذا الأخير غاب

عن المحادثة الهامة بين بادوليو وكاربوني وتايلور، بحيث ظل كاربوني دون سيطرة قائده الطبيعي ومحاسبه. وعلى إثر هذه المحادثة، أُرسلت برقية إلى أيزنهاور، طلب فيها بادوليو التمديد الذي لم يُمنح. وعندما عاد أمبروزيو إلى روما في الثامن من الشهر، في الساعة العاشرة، أجرى محادثة مع بادوليو، كتب عنها الجنرال روسي في الصفحة 157: «حتى الجنرال أمبروزيو، على حد علمي، لم يشعر بأن تاريخ الثامن لا يتغير، حتى بعد المحادثة اللاحقة التي أجراها مع بادوليو قبل الظهر».

من الطبيعي جدًا أن يستمر أمبروزيو في التمسك بتاريخ 12، ولو لسبب عدم الاضطرار إلى الاعتراف بأنه غادر روما في لحظة بالغة الأهمية. بادوليو، في مجلده "إيطاليا في الحرب العالمية الثانية"، يعبر عن ذلك في الصفحات 104-105: «بناءً على هذه البيانات، أعددت برقية إلى الجنرال أيزنهاور، أكدت فيها مشاعر التعاون والولاء للحكومة الإيطالية، وأصررت على أن "يتم الإبقاء" على الهدنة في تاريخ 12 كما كان مقررًا من قبل، وهذا لمصلحة العمليات بشكل خاص». البرقية، التي سبق ذكرها، هي كما يلي، وقد أوردها الجنرال روسي في الصفحة 152:

«يرى المارشال استحالة الهبوط الجوي للفرقة في ليلة الثامن إلى التاسع، ويطلب تأخير الهدنة بضعة أيام لتمكين هذه العملية.

يُطمئن القيادة الحليفة على مشاعر التعاون والولاء، ويرجو إعادة استدعاء الجنرال تايلور لتقديم شرح أفضل للوضع للقيادة الحليفة.

يكتب إذن بشكل تعسفي عن "الإبقاء" ثم عن "التأخير" لتاريخ لم يحدده الأمريكيون أبدًا، وهو نفسه في برقيته لا يجرؤ، لهذا السبب، على الإشارة إليه. باختصار، من الواضح أنه بعد عودة الرائد ماركيزي في اليوم الخامس، كان يجب عليه، بدلاً من التمسك بـ "اليقين" بتاريخ 12، الذي لم يؤكده أحد، أن يطلب على الفور تمديدًا مبررًا، وهو ما ربما لم يكن الأمريكيون ليرفضوه في ذلك الوقت، لأنه طُلب قبل قرارهم؛ بينما بعد ذلك، كان من الواضح أنه سيرفض لأنه سيثير الشكوك وعدم الثقة.

كان عزاءً هزيلًا ذلك الذي قدمه الجنرال أيزنهاور للجنرال فرانشيسكو روسي، الذي هرع في الثامن من الشهر إلى تونس لتأكيد طلب التأجيل، ووصل إليها بعد أن أعلنت الهدنة بالفعل. «أنا مستعد للاعتراف بأني أخطأت، لكن المهم الآن هو التعاون بأفضل طريقة لمصلحتنا المتبادلة» (انظر بادوليو، ص 105). لكن هذا الاعتراف المتأخر لا يعوض على الإطلاق الأضرار الناجمة عن سوء إدارة المفاوضات ولا يمحو ذنب من كان وراءها، وما ترتب عليه من انهيار للقوات المسلحة وتخلي عن خمسة أسداس الإيطاليين في أيدي الحليف الخائن. يكفي قراءة كتب بادوليو، كاستيلانو، فرانشيسكو روسي، وكاربوني، لإدراك ذلك.

بعد وقوع الكارثة، تخلى جميع المسؤولين عن روما ليلة 9 سبتمبر، وألقوا مسؤولية الدفاع عنها على عاتق الجنرال كاربوني، ولم يتذكروا إصدار الأوامر التنفيذية للمذكرة الشهيرة OP 44 من بريندیزي إلا في 11 سبتمبر، أي بعد وقوع الكارثة.

يتم الآن محاكمة المسؤولين عن عدم الدفاع عن روما، وهم الجنرالان رواتا وكاربوني؛ فلماذا لا تتم محاكمة المسؤولين عن الهدنة أيضًا، ولو لسبب الطريقة الوحشية التي تم بها تنفيذها، والتي "عدم الدفاع عن روما" هو نتيجتها الطبيعية؟

بالنظر بعناية إلى تلك المفاوضات والقرارات اللاحقة التي اتخذها الأنكلو أمريكيون لغزو شبه الجزيرة، ليس من السهل رفض الشك في أن خطتهم كانت نتيجة ارتجال. يطرح السؤال تلقائيًا: بعد احتلال صقلية، الذي ضمن لهم السيطرة المطلقة على المضيق الذي يحمل الاسم نفسه، هل أراد الحلفاء الاقتراب من إيطاليا، أم أنهم فضلوا المضي قدمًا إلى البلقان وشن الهجوم من تلك الجهة من الجنوب على القلعة الأوروبية؟ أم أنهم اضطروا إلى تعديل الخطط المعدة مسبقًا، عندما أتيحت لهم إمكانية الهدنة مع إيطاليا، والتي من خلالها كان من المقبول اعتبار التقدم إلى برينر سهلاً وسريعًا؟

ربما أراد تشرشل في خطابه أمام مجلس العموم في 21 سبتمبر 1943 إبعاد هذا الشك عندما أدلى بالتصريح التالي: «لقد حددنا تاريخ الهجوم الرئيسي على إيطاليا، دون أي إشارة إلى موقف الحكومة الإيطالية، وقد تم تحديد المرحلة الحالية من العمليات قبل وقت طويل من سقوط موسوليني». في الواقع، يبدو أن هذا التصريح، الذي جاء بعد خيبة الأمل التي عانوا منها بسبب عدم تحقيق زحف انتصاري سهل عبر شبه الجزيرة، يحمل نبرة "excusatio non petita" (تبرير غير مطلوب).

الجنرال فرانشيسكو روسي، في ختام كتابه "كيف وصلنا إلى الهدنة"، يستشهد بهذا الأمر وكأنه لتبديد الشك الرهيب بأن هذا قد يكون صحيحًا حقًا. «حتى قبل أن تلوح الهدنة الإيطالية في الأفق، كان لدى الحلفاء خطة لغزو شبه الجزيرة، وقد اتبعوا هذه الخطة بالكامل بعد توقيع الهدنة.»

الجنرال كاستيلانو، في الصفحة 193 من الكتاب المذكور، نقلاً عن تصريحات ضابط بريطاني رفيع المستوى، يكتب: «لم تضع هيئة الأركان العامة للحلفاء في خططها الأصلية غزو البر الإيطالي. كان من المفترض أن تنتهي حملة البحر الأبيض المتوسط بفتح صقلية لأنه كان يُعتقد أنه لا توجد قوات كافية للمضي قدمًا. كان من المفترض أن يبدأ الهجوم على القلعة الأوروبية من فرنسا.

«لقد أدت حملة صقلية السهلة، التي سارت بوتيرة أسرع من المتوقع، إلى ظهور فكرة مهاجمة شبه الجزيرة في مرحلة لاحقة.»

لذلك، كان التخريب الذي تركز في روما، وبالتأكيد عرض "الاستسلام غير المشروط" الذي قدمه كاستيلانو في 15 أغسطس في مدريد، هو ما أثار بين الأنكلو-أمريكيين نية غزو إيطاليا بثمن بخس. وهكذا تقرر ذلك الإنزال، الذي كاد الألمان أن يصدوه، وتطورت تلك الحملة الحربية التي استمرت عشرين شهرًا في اتجاه استراتيجي سخيف على طول شبه الجزيرة بأكملها، مما دمر إيطاليا.

من الجيد أن يعرف الشعب الإيطالي كل هذا؛ وهو ما يؤكده بشكل غير مباشر ما كتبه بادوليو في كتابه، في فصل "المسائل العسكرية"، الصفحتين 136-137، موجهًا نقدًا لاذعًا للقيادة الحليفة بشأن القيادة الاستراتيجية في غزو إيطاليا. يقول: «كان اختيار صقلية كأول احتلال للحلفاء، في رأيي، خطأً استراتيجيًا. إن احتلال هذه الجزيرة، في أقصى جنوب القارة الإيطالية، وضع الحلفاء في وضع، وهو ما حدث بالكامل لاحقًا، من صعود شبه الجزيرة بأكملها. لقد كانت سردينيا ستوفر للحلفاء إمكانيات أخرى أفضل بكثير، ونطاق عمل أوسع بكثير. يكفي إلقاء نظرة على الخريطة الجغرافية لإيطاليا، لإقناع المرء بوضوح تأكيدي هذا. لم يقدم احتلال سردينيا للحلفاء صعوبات بحرية وإقليمية تفوق تلك التي قدمتها صقلية. بل كان يجب أن تمنحهم خدمة معلوماتهم اليقين بأن سردينيا كانت أقل حراسة من صقلية. كان إنزالًا بين تشيفيتافيكيا وليفورنو سيضع الحلفاء في وضع يهدد بشكل جدي كل انتشار العدو في جنوب إيطاليا، وكانت توجد في سردينيا مطارات جيدة لتكون قاعدة لقوات الحماية الجوية.»

إن فرصة الإنزال في سردينيا بدلاً من صقلية، واضحة تمامًا بالنسبة لغزو شامل لإيطاليا، لدرجة يصعب إسناد الخطأ إلى هيئة الأركان العامة للحلفاء.[1] فقد أظهرت خلال خمس سنوات كاملة من إدارة الحرب صفات ثابتة في الحساب، والتقدير، والحذر، وبعضها كان مبالغًا فيه أحيانًا. ولا يمكن من ناحية أخرى تجاهل حقيقة أن إنزال الحلفاء بدأ في كالابريا من قبل الجيش الثامن، في نفس يوم توقيع الهدنة، أي في 3 سبتمبر، كما يوضح الجنرال روسي في الصفحة 132 من مجلده.

لذلك، يجب أن نصل إلى النتيجة المأساوية التي مفادها أن الهدنة جلبت معها الحرب من رأس ليليبيا إلى برينر، بكل ما ترتب على ذلك من خراب، وفي مقدمتها الحرب الأهلية.

---

[1] أنظر الملاحظة رقم 5 في الملحق.

يُسأل ما كان سيحدث لإيطاليا لو لم تكن هناك الهدنة وما تبعها من غزو أنكلو-أمريكي للقارة بأكملها. هل كانت ستواصل القتال إلى جانب ألمانيا؟ أم أنها كانت ستسلك الطرق المشروعة للعودة إلى الحياد، وبالتالي الخروج من الصراع دون الحاجة إلى القتال ضد حليفتها بالأمس؟

سأعود الآن إلى قصتي الشخصية.

طوال يوم 9 سبتمبر انتظرت عبثًا معرفة ما إذا كان الأمير قد عاد إلى أناغني. في 10 سبتمبر اضطررت إلى إخلاء منزلي في أرتشيناتسو، الذي كان معزولًا جدًا، إلى منزل في فيليتينو، لأن عناصر ألمانية محمولة قد اقتحمت ممتلكاتي في اليوم السابق.

في طريق "سوبلاسينسي" في الحادي عشر من الشهر، اتجهت إلى روما بسيارتي. بدأت علامات تفكك الجيش تظهر على الطرقات. مجموعات من الجنود غير المسلحين، يحملون حقائب الظهر أو جزءًا من معداتهم على أكتافهم، وبعضهم مع دواب محمّلة بالمؤن، كانوا يتدفقون في جميع الاتجاهات نحو مدنهم الأصلية. في اليوم السابق، قابلت بعضهم قادمين من كامبانيا أو جنوب لاتسيو، يصعدون الوادي لعبور "سيرا دي سانت أنتوني" (فيليتينو)، ثم يتجهون إلى أبروتسو (فالي ديل ليري) متوجهين إلى البحر الأدرياتيكي. لم يتكلموا، ساروا بصمت، وجوههم مذهولة، مقتنعين بأنهم يعودون بشكل قانوني إلى منازلهم، بعد أن لم تعد الحكومة وقيادة القوات المسلحة موجودة.

وصلت إلى سوبياكو بينما كانت تدور معركة بين حامية المدينة ووحدة ألمانية وصلت إليها من فروزينوني. احتُجزت لعدة ساعات كرهينة تحت فوهات عشرين رشاشًا؛ حتى وصل من تيفولي العقيد قائد الفوج الذي كان جزءًا من الفرقة.

في فترة ما بعد الظهر (دائمًا في 12 سبتمبر)، أجريت محادثة أخرى مع دي بونو في منزله بشارع ماساوا. ثم عدت إلى وزارة الحرب لمقابلة الجنرال كالفي دي بيرغولو، لاستلام تصريح التنقل خارج أسوار المدينة، لأنني كنت أرغب في العودة فورًا إلى فيليتينو لطمأنة أهلي، بعد مغامرة سوبياكو، والتي ربما انتشرت عنها في فال دانيينو قصص مبالغ فيها لا حصر لها.

أخبرني الجنرال كالفي أن صلاحية منح تصاريح التنقل قد استولى عليها الجنرال شتاهل، القائد الألماني لمدينة روما، الذي كان مقره في السفارة، وبمبادرة منه وبوجودي، طلب موعدًا هاتفيًا لي من الجنرال المذكور. تم تحديد الموعد على الفور.

عند ذهابي إلى السفارة، لمحت في الممرات المارشال كافاليرو، الذي كنت أعلم أنه معتقل في حصن بوتشيا. منحني الجنرال شتاهل تصريح التنقل دون صعوبة؛ لم نتحدث عن شيء آخر غير ذلك. بينما كنت أخرج، ركض إلي الرائد لانتييري من الشرطة العسكرية الإيطالية، وأخبرني

بتحرير موسوليني من كامبو إمبراتوري، وجميع القادة المعتقلين في ريجينا كويلي وحصن بوتشيا. كانوا في تلك اللحظة مجتمعين في مكتب السفير.

لأنني عندما غادرت وزارة الحرب بعد المحادثة مع كالفي دي بيرغولو، التقيت هناك بالمارشالين كافيليا ودي بونو، عدت إلى الوزارة لإبلاغهما.

سقط دي بونو من دهشته عندما سمع خبر تحرير موسوليني. فقد كان قد أكد لي، في المحادثات السابقة، أنه قد مات. وعندما تعجبت من هذا الخبر، أضاف أنه حقيقي تمامًا، بل وكرر الكلمات الأخيرة التي قيل إن موسوليني نطقها قبل وفاته: «لقد خدمت الملك دائمًا بإخلاص وهو خانني».

أما كافيليا، فعند سماعه أن القادة الفاشيين قد أُفرج عنهم، تأثر وخاف من أن تُفسر أعماله بشكل سيء ولا أعرف لماذا، فطلب مني العودة إلى السفارة لتوضيح وضعه مع كافاليرو وتيروزي. وهو ما فعلته على الفور. هناك التقيت بالقادة وهم يخرجون من مقابلة مع السفير ران، وأجريت المحادثة التي طلبها كافيليا. لكن خوف المارشال كان بلا أساس، لأن الجميع عبروا لي عن أقصى درجات الاحترام والتفاني له. أما القادة، فبدلاً من استعادة السلطة، فقد أرسلهم الألمان في نفس المساء إلى فراسكاتي ثم في 13 و 14 نقلوا إلى ألمانيا.

عدت على الفور إلى الوزارة لأبلغ المارشالين، فوجدت أنهما قد استُدعيا أيضًا إلى السفارة من قبل السفير ران. ثم ذهبت إلى منزل دي بونو. أما بالنسبة لكافيليا، فقد أجلت ذلك لليوم التالي، 13 سبتمبر. في الواقع، في الساعة 8 صباحًا، ذهبت إلى منزله في مونتي ماريو ووجدته يستعد للذهاب إلى المارشال كيسلرينغ، كما يروي الجنرال كاراتشولو في الصفحة 170 من كتابه "وبعد ذلك؟" مأساة الجيش الإيطالي حيث يكتب: «ولكنني أردت أولاً مقابلة المارشال كافيليا لأخذ فكرة عن الوضع والحصول على أوامر منه. أكد ضرورة ذهابي إلى الجنرال الألماني؛ بل لأنه كان من المقرر أن يذهب هو أيضًا في صباح اليوم التالي (أي 13)، فقد قرر أنه سيذهب قبلي، حوالي الساعة 9. بعد ذلك سأذهب أنا. وسيأتي ضابط مترجم من الوزارة ليصحبني».

لقد سخر البعض من زيارتي الصباحية هذه في يوميات المارشال كافيليا التي نُشرت بعد وفاته. ونظرًا للتقدير المعروف الذي أظهره لي دائمًا، أرفض اعتبار ذلك النص أصيلًا. ومع ذلك، يظل سببها واضحًا تمامًا، حيث كان عليّ مغادرة روما فورًا إلى تشيوتشاريا. أخبرني كافيليا أنه بدوره التقى بتيروتزي وكافاليرو في السفارة وأوضح معهما الشك الذي كان يزعجه. كما روى لي أنه في اللحظة التي كان يغادر فيها السفارة، اقترب منه كافاليرو وقال له بلكنة مرعوبة: «كافيليا، سأُعدم بالتأكيد، لا أعرف أين ومتى، لكن بالتأكيد!».

سألته عما إذا كان هناك أي شيء إيجابي بخصوص ما قاله لي دي بونو بشأن تشكيل حكومة برئاسته، وأن يكون دي بونو نفسه وزيرًا للداخلية. فأجاب بأنها كانت أفكار دي بونو ولا أحد كان يعرف حينها ما الذي سيفعله الألمان، الذين أصبحوا سادة الموقف المطلقين. كان مستعجلاً؛ وأنا أيضًا. وهكذا افترقنا، هو ليذهب إلى كيسلرينغ في الساعة 9، وأنا لأذهب إلى فيليتينو إلى أهلي وإلى ممتلكاتي في أناغني لأرى ما حدث، حيث لم يعد هناك ما يمكن فعله في روما. كان معي ضابطي الملحق.

وصلنا إلى المكان عندما كان بعض الجنود الألمان يقومون بتركيب عجلات شاحنة ذات مقطورة للاستيلاء عليها بعد أن قاموا بالفعل بسرقة شاحنة صغيرة وشاحنة بيك آب ودراجة نارية.. لم ينفع شيئًا أنني عرّفت بنفسي وأظهرت تصريح التنقل الموقّع من الجنرال ستاهل. أجابوا: «إنها الحرب». ثم ذهبت إلى القيادة الألمانية لوحدة سيارات، ومقرها في فيرينتينو، وأبلغت عن الحادث. وضع القائد تحت تصرفي جنديين يتحدثان الإيطالية؛ وبدأنا معهما مطاردة على آثار السارقين، استمرت حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ولكن كل شيء كان عبثًا. عدنا إلى روما في الساعة 9:30 مساءً.

في 15 سبتمبر، تسجل مذكرتي: «في السفارة الألمانية بشأن قضية الشاحنة. لا يمكن استقبالنا. محادثة مع سعادة كافيا في قصر القيادات العليا.»

لقد أحبني كافيليا وقدرني دائمًا. لم أره منذ ثلاث سنوات. كشفت له مرارة روحي. أوضح لي أنه اعتبر واجبه التصرف هكذا لتجنب المزيد من سفك الدماء غير الضروري، مستنكرًا تصرف بادوليو الذي، بعد أن تسبب في هذه الكارثة الكبيرة، تخلى، حسب عادته، عن منصبه. أخبرني أيضًا أنه أبلغ الملك تلغرافيًا بما اعتقد أنه فعله، وسأله عما إذا كان بإمكانه الاستمرار في المهمة التي أسندها لنفسه؛ لكنه، حتى تلك اللحظة، لم يتلق أي رد.

بعد الثالث والعشرين من سبتمبر، كتب لي رسالة، بأسلوبه البسيط والواضح، يخبرني فيها "أنه معي"؛ وتمنى لي النجاح في المهمة الكبيرة التي توليتها؛ وأوصاني بالتوازن والكياسة، واختتمها مازحًا، بأنه بينما ناديته عبر الراديو "المرشال كافيليا العجوز"، لم يكن عمره سوى اثنتين وثمانين عامًا!

رأيته مرة أخرى في روما: كان قلقاً جداً على مصير المدينة. طمأنته بأن كل جهودي كانت موجهة، كما كانت دائماً بعد ذلك، إلى ممارسة ضغط مستمر على المارشال كيسلرينغ لإقناعه بعدم إشراك روما في المعركة. بل في أواخر مايو، عبرت للسيد مونتيني، من أمانة سر دولة الفاتيكان،

وللقاصد الرسولي، السيد بورغونجيني-دوكا، في محادثة جرت معي في منزلي، عن اقتناعي بأن روما ستُجنب المعركة والانسحاب. وهو ما حدث بالفعل.[1]

في باني دي لوكا، حيث أقام مقره بعد سوراتيه، رأيت المارشال كيسلرينغ مرة أخرى، وبدت عليه ملامح الحزن والكبرياء لمن يعرف أنه قام بعمل يستحق التقدير في التاريخ. قال لي: "سيأتي يوم"، "يعرف فيه ما هي التضحية التي قدمتها على حساب قيادتي للحرب، لتجنب اشتعال القتال داخل أسوار روما. ويمكنك أن تشهد على ذلك." صافحته متأثرًا، وعلى وجهه الذي لا يتأثر، رأيت علامات تأثر مكبوت مماثل.

فُقدت رسالة المارشال كافيليا في الشمال، مع وثائق أخرى لي. رأيته مرة أخرى في ديزينزانو، حيث جاء ليطلب مني الحماية من الهجمات التي وجهها إليه فاشيو فايناليمارينا والمناطق المحيطة بها. فعلت ما يمليه الواجب والمودة والعدالة، وحصلت على أمر من موسوليني بوقف هذه الحملة. ولكن في ربيع عام 1945، بينما كنت أقوم بآخر تفتيش على فرقة "سان ماركو" المنتشرة في ليغوريا، أشار لي حاكم المنطقة إلى تجدد التهديدات ضد كافيليا بتهمة التضامن مع بارتيزان[2] المنطقة؛ وإجراءات الشرطة التي تهدده.

لقد منعت بأشد الطرق على الإطلاق التجرؤ على مثل هذا الأمر ضد رجل يرمز إلى قيمة ونزاهة لا مثيل لهما؛ وبهذا، قدمت آخر تحية من المودة والإخلاص لمن اعتبرته دائمًا معلمًا عظيمًا في فن الحرب، ومثالًا لشخصية وكرامة لا تشوبها شائبة. بعد فترة وجيزة من استكشافي في ليغوريا، توفي. وهكذا، نجاه الله من مشهد الدم المؤلم في 25 أبريل.

لا تزال مذكرتي تسجل في 15 سبتمبر: «محادثة مع الجنرال بيرغولو لطلب محادثة مع المارشال كيسلرينغ لطلب استعادة الشاحنة التي أخذت من كاسال سانت آنا».

تبريراً وتفهماً لحرصي على استعادة معدات السيارات الزراعية، يجب أن نضع في الاعتبار مزرعة الخيول شبه الحكومية، التي كانت محرومة من وسائل النقل الضرورية لتغذيتها. في الواقع، في 15 من الشهر، توجهت مرة أخرى إلى قيادة "المدينة المفتوحة"، حيث قيل لي أن أمرًا من المارشال كيسلرينغ وحده هو الذي يمكن أن يعيد لي الأجزاء التي أخذت. طلبت حينها، عبر تلك القيادة، مقابلة معه، الذي لم أكن أعرفه حتى بالرؤية حتى تلك اللحظة.

لذا، قمت بتدوين ذلك في 16 سبتمبر في مذكرتي: «يرد المارشال كيسلرينغ بأنه ليس لديه ما يقوله لي، ويطلب مني أن أقدم أسباب طلب المقابلة كتابة».

---

[1] أنظر الملاحظة 6 و 7 في الملحق.

[2] حركة المقاومة الإيطالية ضد الألمان ونظام "جمهورية إيطاليا الاشتراكية" الفاشي حليف ألمانيا. [المترجم]

إليكم نص الرسالة الموجهة إلى الجنرال كالفي دي بيرغولو: «كانت رغبتي أن أقوم بزيارة مجاملة للمارشال كيسلرينغ، وبهذه المناسبة أرجوه أن يأمر بتسليمي شاحنة فيات، وشاحنة فان صغيرة، ودراجة نارية، بديلاً لتلك التي كانت تشكل معدات مزرعتي "كاسال بيانكانيفي-سانت آنا" (مقاطعة فروزينوني)، والتي تشمل مزرعة خيول شبه حكومية، والتي تم أخذها في 13 الشهر الجاري دون إصدار إيصالات مصادرة، مما أدى إلى شل عمل المزرعة نفسها، التي كرست لها كل نشاطي منذ اليوم الذي تركت فيه قيادتي الفعلية، والتي تساهم إنتاجها في تغذية روما.

«بالنظر إلى حجم العمل الذي يخضع له سعادة المارشال كيسلرينغ، أتخلى عن الزيارة وأتوجه في نفس الوقت بطلب ملح للغاية لقبول طلبي هذا».

لقد رويت كل هذا لأن منه يتبين طبيعة علاقاتي بالجانب الألماني في 17 سبتمبر، أي بعد خمسة أيام من تشكيل حكومة الشمال. بمعنى آخر: في 15 سبتمبر، رُفضت عند باب السفارة؛ وفي 16 سبتمبر، رفض كيسلرينغ طلبي لمقابلة، وهي علامة واضحة على أنه لم يكن لديه حتى الفضول لمعرفتي شخصيًا.

«14 سبتمبر (الثلاثاء) في روما: بعد الظهر في منزل فولبي حيث يأتي السفير تشيرنيتي ويخبرنا أول خبر عن وفاة كافاليري والنسختين، نسخة الانتحار ونسخة القتل من قبل قوات الأمن الخاصة الألمانية.»[1]

كتب المؤرخ المرموق البروفيسور سيلفا في الصفحة 202 من كتابه "أنا أدافع عن الملكية": «... ذلك المارشال نفسه، غراتسياني، كان قد هنأ، قبل 24 ساعة من قبوله منصبه الحزين، جنرالاً شجاعًا، غرازيولي، الذي رفض قبول قيادة القوات المسلحة الجمهورية». ويقارن حالتي بحالة كافاليرو: «ربما غيرت نهاية الجنرال كافاليري رأيه إلى هذا الحد الذي دفعه، وهكذا...». بسلطته، في الصيغة الماكرة التي تكشف عن نقص في الاقتناع، يساهم في خلق إشاعات تشهيرية بين الصحفيين الذين يفتقرون إلى الرقابة النقدية.

بعيداً عن فكرة محاكمة كافاليرو، لا أعرف الكثير عن نشأة قصته. لم تكن علاقتي بكافاليرو صداقة خاصة أبداً، ولكنها لم تكن العكس أيضاً: كان لدينا توجه روحي وعقلي وحياتي متناقض؛ ولكن لم يكن هناك أي خلاف بيننا، حتى عندما جاء ليحل محلي في أديس أبابا كقائد أعلى في حكومة نائب الملك أميديو دي سافويا أوستا.

وعليه، علمت بنهايته في 14 سبتمبر، في منزل فولبي، على لسان السفير تشيرنيتي. حدثت الوفاة ليلة 13 إلى 14 سبتمبر، في حديقة فندق فراسكاتي، حيث عُثر على الجثة. في الشمال، خلال

[1] أنظر الملاحظة 8 في الملحق.

محاكمة فيرونا ضــد قادة 25 يوليو، قُبلت في النهاية الرواية التي تفيد بأنه انتحر، مع علمه بأن "المذكرة الشــهيرة" وقعت في أيدي الألمان، لأنه (هكذا قيل) تركها بادوليو عمداً على مكتبه قبل مغادرة روما. بهذا التصــرف، أراد دوق أديس أبابا أن يطلق العنان للكراهية الشــديدة التي كان يكنها لكافاليرو منذ سنوات، بسبب خلافات تعود إلى فيتوريو فينيتو، التي كان الأخير ينازعه على فضلها؛ والتي كانت قد ظهرت بالفعل للمرة الأولى في الأمر الفوري بالقبض عليه الذي أصدره في 25 يوليو. أخبرني موسـوليني لاحقًا أنه أمر في ذلك الوقت أيضًـا باحتجاز فاريناشـي، لأن كافاليرو كتب في مذكرته أنه أطلعه على نواياه؛ ولذلك اعتبره شريكًا له. لكنه لم يفعل شيئًا بعد ذلك.

دافع فاريناشـي بشـدة عن كافاليرو وقال إنه مقتنع بأن تلك المذكرة كتبها الأخير، بعد اعتقاله، في حصــن بوتشــيا، بتحريض من الجنرال كاربوني، ليتمكن من إظهار بادوليو مؤهلات مناســبة لتمييزه وإطلاق سـراحه؛ لكن الحقيقة لم تكن موجودة. كل ذلك كان خدعة للحصـول على عفو من بادوليو.

هكذا يوضــح تيروزي، الذي كان من بين الزعماء الذين غادروا إلى فراســكاتي، بعض الظروف المتعلقة به والتي تسلط ضوءًا كبيرًا على القضية:

"في الثاني عشــر من بعد الظهر، تم أخذي من قبل المظليين الألمان في ريجينا كويلي ونقلي إلى الســفارة الألمانية في سـيارة. كان معي ريكاردي ودي تشـيزاري. عند وصـولنا إلى السـفارة، وجدنا أولئك الذين أطلق ســراحهم من فورت بوتشــيا، ومن بينهم أتذكر: بوفارمي، كافاليرو، فريدي، مونتانيا، غالباتي، غرافيللي، سودو وبولاستريني.

«حوالي الســاعة الثانية بعد الظهر، ذهبنا لتناول الغداء وفي نهايته أعلن العقيد دولمان أن الدوتشــي قد تم تحريره وأنه في تلك اللحظة كان يقلع من مطار بالقرب من روما متجهاً إلى فيينا. تم تقديم الشـمبانيا وشـربنا نخب الدوتشـي. ألقى كافاليرو كلمة قصـيرة اختتمها بالهتاف للملك والدوتشي. ضُجَّ عليه واعتذر متحججاً بقوة العادة.

بعد ذلك مباشــرة، جمعنا الســفير راهن، الذي تحدث إلينا عن الخيانة التي ارتكبت بحق الألمان، واختتم كلامه بتحذيرنا بأننا ســنغادر في صـباح اليوم التالي بالطائرة إلى ألمانيا حيث كان علينا اللحاق بالدوتشـي. حوالي الســاعة 6 مســاءً، تم إبلاغنا بالاسـتعداد لنقلنا بالسـيارات إلى فراسكاتي حيث سنقضي الليل.

"بدأ كافاليرو بالاضــطراب مؤكداً أنه لن يغادر إلا إذا تمكن من رؤية عائلته أولاً. رد دولمان بأن ذلك لا يعتمد عليه وأن الأمر هو أن يذهب الجميع إلى فراسكاتي. في مرحلة ما، أصبح المشهد غير لائق، حيث اشـتدت حماسـة المتنازعين وتهيجا. تدخلت شـخصـياً طالباً من كافاليرو أن يهدأ مع

الأخذ في الاعتبار أننا كنا ضـيوفاً. قرر كافاليرو وغادرنا. بالقرب من فراسـكاتي توقفنا عند قيادة كيسلرينغ، الذي نزل لتحيتنا، وبناءً على طلب كافاليرو، وافق على استقباله لاحقاً.

"عند وصـولنا إلى فراسـكاتي، قُدم لنا العشــاء، وفي نهايته طلب مني نقيب كنت أعرفه إعطاء قائمة بالركاب الذين سيصعدون على متن الطائرتين المتاحتين لنا في صباح اليوم التالي. لم يرغب الكثيرون في المغادرة، ومن بينهم كافاليرو، الذي، بعد انتهاء العشـاء، نزل للتشـاور مع كيسـلرينغ بصحبة سـودو، وعاد بعد سـاعة ليبلغ أنه سُـمح له بالمغادرة في 14 الشـهر الجاري، بحيث تغادر طائرة واحدة فقط في صباح 13 الشهر الجاري. نمنا، وفي الصباح الباكر غادرنا إلى تشـنتوشيلي ومن هناك إلى ميونخ. لم أر الجنرال كافاليرو مرة أخرى.

«في الرابع عشـر من الشـهر وصـل سـودو إلى ميونيخ، وأبلغني بانتحار كافـاليرو، وقص لي التفاصـيل المعروفة للبحث الطويل في حديقة الفندق الذي انتهى بالعثور على الجثة على مقعد في زاوية نائية».

ختامًا، قد نتساءل: هل انتحر كافاليرو أم قُتل؟

منذ اللحظات الأولى، انتشرت في روما شائعة مفادها أن كافاليرو قُتل بطلقة مسدس في الرأس، مستشهدين كدليل على أنه، كونه أعسر، لم يكن بإمكانه أن يضع فوهة المسدس في ذلك المكان. لكن من يسـتطيع أن يمنع أفراد عـائلتـه من إجراء فحص حتى اليوم؟ وصـل البعض إلى حـد افتراض الفرضية المتناقضة، بالنسبة لمن يعرفون جيدًا، مثلي، الروح العسـكرية القاسـية ولكن المخلصة والفروسية لكيسلرينغ، أنه هو نفسه الذي قتل كافاليرو.

ما هي الأسـباب التي دعت، من ناحية أخرى، إلى قتل كافاليرو حتمًا من قبل الألمان، أو التي دفعته إلى الانتحار؟ لم تكن لديهم ضغائن خاصة ضده، بل على العكس، وكما صرح المارشـال كيسـلرينغ مرة أخرى في محاكمته، كان مقتنعًا بمؤيد المحور وحافظ دائمًا على علاقات ممتازة مع الألمان.

على أقصـى تقدير، إذا رفض قبول قيادة القوات المسـلحة الجمهورية الجديدة، فربما كان يخشى أن يتم احتجازه في معسكر اعتقال في ألمانيا، كما حدث لي، وانتهى الأمر. من ناحية أخرى، هل يمكن أن يؤدي هذا الخوف، ما لم يكن قد فقد توازنه تمامًا، وربما عقله، إلى خطوة الانتحار القصوى؟

إذن، إذا انتحر فعلاً، فلماذا فعل ذلك؟ ربما بسبب المذكرة الشهيرة التي أرسلها إلى بادوليو من حصـن بوتشـيا، والتي يعترف فيها بأنه في خريف عـام 1942 كان ينظم انقلاباً للقضـاء على موسوليني، وهو الانقلاب الذي حدث بالفعل في 25 يوليو؟

من المؤكد أن كافاليرو كان يخشى، أو كان يعلم بالفعل، أن تلك الوثيقة كانت في أيدي الفاشيين، منذ أن قال لكافيليا في السفارة، قبل الذهاب إلى كيسلرينغ، "إنه سيُطلق عليه النار عاجلاً أم آجلاً".

من ناحية أخرى، كيف كان بإمكان موسوليني أن يقبل كافاليرو كقائد للقوات المسلحة الجمهورية، بمجرد أن علم بتلك الوثيقة التي شهدت له، أو كانت ستشهد له، على نيته المدروسة؟

مستلهما من هذه الأحداث المؤسفة والغامضة، ذهب التشهير الطائفي ضدي بسادية إلى حد التباهي "بأنني استسلمت للألمان مع مسدسات وحدات SS موجهة إلى أذني، على عكس من دفع حياته ثمن الرفض". ولذلك أرفض بازدراء هذه المقارنة، التي أرادت تشويه عملي بعد 8 سبتمبر، كناتج عن جبن تجاه قضية كافاليرو، وكراهية دنيئة تجاه المارشال بادوليو. دوافع مثالية مختلفة تمامًا هي التي حركتني!

مما رويته، يتضح أربع نقاط.

أولاً: لم تكن هناك أي علاقة من أي نوع، مباشرة أو غير مباشرة، مع المارشال بادوليو من 25 يوليو إلى 8 سبتمبر 1943، وحتى قبل فبراير 1941، تاريخ عودتي من شمال إفريقيا.

ثانياً: العلاقات التي أُجريت مع العائلة المالكة من هذا التاريخ، انتهت بالنسيان التام قبل 25 يوليو 1943؛ ثم محاولة تقرب فورية مني رُفضت بعد هذا التاريخ؛ ثم سخرية مفترضة ارتكبها أمير بييمونتي حتى 7 سبتمبر 1943. هل كان على علم بما سيحدث في اليوم التالي؟ وإلى أي مدى؟ ما زلت أرفض أن أصدق ذلك حتى اليوم.

ثالثاً: من فبراير 1941، تم تهميشي من قبل موسوليني والفاشية.

رابعًا: انقطعت جميع اتصالاتي بالسفارة الألمانية منذ عام عودتي من إثيوبيا. لم نكن أنا أو زوجتي أبدًا من أولئك الذين يتقربون من السفارات بحثًا عن علاقات أو خدمات أو دعوات أو غير ذلك. قبل تعييني رئيسًا لأركان الجيش، لم نكن أبدًا، ولو لتناول الشاي، في السفارة الألمانية. بعد هذا التعيين فقط أقام السفير فون ماكنسن مأدبة غداء تكريمًا لهيئة الأركان العامة للجيش، حضرتها أنا وزوجتي.

خلال مهامي كرئيس، كانت علاقاتي الشخصية مع الجانب الألماني تقتصر على العقيد فون رينتلين، الذي كان الملحق العسكري في روما آنذاك. لقد أوضحت بالفعل أنني لم أتقرب من المارشال كيسلرينغ ولا السفير راهن حتى 23 من نفس الشهر من سبتمبر، ولا حتى رأيتهما. كل هذا يبدو لا جدال فيه من الشهادات التي استشهدت بها شيئًا فشيئًا.

كيف يمكن أن يحدث إدخالي المفاجئ في حكومة الشـمال في 23 سـبتمبر؟ إذا أردنا أن نكون قدريين، يمكننا أن نعود إلى إسخيلوس.

الأيام الخمسة من 17 إلى 23 سبتمبر أمضيها بالفعل بين روما وأرتشينازو، خاصة في أرتشينازو.

قبل مغادرتي روما، كنت قد أصـدرت تعليمات لسـكرتيري بأن ينكر وجودي لأي قائد فاشـي، حيث لم أكن أنوي الاتصال بأي منهم. هذا ما يتضح من رسالته التالية بتاريخ 22، والتي للأسف أُرسـلت من روما في نفس اليوم الذي أتى فيه باراكو للبحث عني، وتسـلمتها بعد بضـعة أيام: «سـعادة، مساء الاثنين اتصـل بي باراكو هاتفياً ليخبرني أنه كان في منزلي في وقت متأخر من بعد الظهر ولم يجدني، وأنه بحاجة ماسـة وعاجلة جداً للتحدث مع سـعادتكم. فأجبت بأنه لم يكن في روما بل في الريف. أراد مني أن أسافر معه بالسيارة في صباح اليوم التالي لمرافقته إلى سعادتكم. وعندما رفضـت، رد بانزعاج بأنه سـيغادر بمفرده على أي حال. لا أعرف ماذا كان يريد، لكنني أتخيل ذلك». (حذف)

(ملاحظة بخط يدي بقلم رصاص أزرق: «وصـل باراكو في 22 نفسـه إلى أرتشـينازو ووجدني في المخيم.»)

تستمر ملاحظات جدول أعمالي.

«19 سـبتمبر، الأحد. صباحاً في أفّيل مع فونتانيللا لإصلاح الكنيسـة الصـغيرة؛ ثم العودة إلى بيانكانيفي، ومن هناك أغادر إلى روما مع بوسيري.

«20 سـبتمبر، الاثنين، في روما. ألتقي غابرييللي وسـعادة غراتسـيولي، الذي يبلغني أنه في مساء أمس تلقى أمراً من بوفـارمي بتولي الوزارات العسـكريـة والقيـادة العليـا للحكومـة الجمهوريـة الفاشية. وقد رد بالرفض.

"وأضـاف أنه عندما سـأل بوفاريني لماذا لم يفكروا بي، تلقى رداً بأن موسـوليني لم يرغب بي بسبب قضية إفريقيا."

فرحت على الفور بغراتسيولي لأنه لم يقبل، لكنني لم أستطع الموافقة على ذكره لي، خاصة وأنه لا يوجد من هو أعلم منه بظروفي التي كنت أعيشـها منذ حوالي ثلاث سـنوات، وخاصـة حالتي النفسـية تجاه القادة والحزب. من ناحية أخرى، فإن اسـتبعاد بوفاريني الصـريح لترشـيحي قد منحني إحساسـاً بالارتياح والهدوء والفرح، لدرجة أنني عانقت غراتسـيولي مازحاً وقلت له: "الآن نعم، سأغادر حقاً سعيداً إلى الهضاب العليا".

«يوم 21 سبتمبر في كاسال بيانكانيفي. ترتيبات مختلفة لبدء حصاد البطاطس المتأخرة غداً.»

في صباح يوم 22 سبتمبر 1943، بدأت في مزرعتي عملية حصاد البطاطس النبيلة، التي كنت أديرها بسلام تام؛ عندما حدث ما لم يكن متوقعًا. حوالي منتصف النهار، وصلت سيارة، نزل منها حامل وسام الشجاعة الذهبي فرانشيسكو باراكو. جاء ليبلغني أن موسوليني، عبر الهاتف من ميونخ، طلب مني قبول منصب وزير الدفاع الوطني في الحكومة التي كانت تتشكل هناك. سأكون مسؤولاً عن ثلاث وكالات لوزارة القوات المسلحة. أجبت بالرفض.

على الرغم من أنني آمنت بالفاشية التي كانت تعزز توسع إيطاليا في العالم، وكفكرة تجلب العدالة الاجتماعية بين الأنظمة المتعارضة، وقد اتبعتها بإخلاص لسنوات عديدة في المشاريع الاستعمارية، إلا أنني لم أستطع الآن إلا أن أستنكر الأساليب والرجال الذين خانوا مهمتهم. الأخطاء التي ارتكبها الزعيم، ناسياً تعزيز الأسلحة بالتزامن مع السياسة، دفعت الأمة إلى هاوية حرب كارثية. عارضني باراكو بشكل خاص بالخراب المأساوي الذي غرق فيه الوطن بعد الهدنة، وضرورة إقامة حكومة تدعم القيادة الألمانية في إيطاليا، والتي، إذا كانت سيدة مطلقة، ستطلق غضبها على الشعب والبلاد. من بين جميع الحجج العاطفية التي استخدمها باراكو لإقناعي بالقبول، كان هذا هو الأكثر تأثيراً عليّ، لأنه كان متطابقاً تماماً مع احساسي تجاه الأحداث. لكن التأملات قد أقنعتني بالفعل بعدم المشاركة بأي دور نشط، نظراً لوضعي. لذلك، أصررت على الرفض. كنت متأكداً تماماً أن لا أحد سيستطيع أن يثنيني عن هذا القرار؛ أو إجبار إرادتي بأي شكل من الأشكال. لذلك، رفضت نصيحة البعض، الذين أشاروا إلى طريق "الدير"، لأنه بدا لي حلاً جباناً وخسيساً، وتمرد عليه كل كياني. في صباح يوم 23، كنت في روما، في منزلي بشارع نومنتانا؛ ومعي سكرتيري وضابطي الملحق. طلب باراكو وميتساسوما، الذي كان في شمال إفريقيا خلال الحملة، أن يتم استقبالهما. كررت معهما قراري المعارض، الذي أكدته تأملات الليل الهادئة.

كنت قد أعطيت تعليمات بتجهيز السيارة عند مخرج الخدمة من الفيلا، حيث كنت أنوي مغادرة روما على الفور. لكن المحادثة، التي اشتعلت بجميع الأسباب العاطفية الممكنة، استمرت ساعتين.

من السفارة الألمانية، حيث كان الوزراء الجدد مجتمعين، أُرسل إلي بيليغريني، الذي كان مقدرًا له وزارة المالية. هذا الجندي المقطوع اليد في الحرب، الحائز على العديد من الأوسمة، ضغط على حجج باراكو وميزاسوما. ولكن بما أنني كنت أظهر ثباتًا في قراري، حتى أمام الإيحاء الذي كان يمارسه عليّ وجود جنود شجعان مستعدين للتضحية بأنفسهم، قال باراكو: «على أي حال، يجب أن تأتي إلى السفارة، حيث تنتظر السلطات الألمانية. وإلا فقد يُعتبر رفضك خوفًا».

عند هذا الاستفزاز، كان رد فعلي فوريًا. سألته أن يوضح بصدق ما إذا كان قد التزم باسمي، كما جعلتني إصراره أصدق. فأجاب بالنفي. ثم قلت: «أعلم ما قد يعنيه لي القدوم إلى السفارة، ولكن لكي لا تعتقدوا حقًا أنني أخشى فعل ذلك، دعونا نذهب».

أول من التقيت بهم في السفارة كانوا بوفاريني غويدي وبافوليني. كنا قد دخلنا لتونا غرفة صغيرة، عندما جاء مسؤول ليخبرني أن السفير ران ينتظر. في المكتب الذي أدخلت إليه كان هناك أيضاً الجنرال وولف، قائد قوات الأمن الخاصة في إيطاليا، وسكرتيره، الرائد وينر، الذي كان يعمل مترجماً.

كانت هذه المرة الأولى التي أراهم فيها. تناول راهن على الفور موضوع الخيانة التي ارتكبها بادوليو بمكيافيلية شيطانية. في نفس يوم الثامن من الشهر، ذهب إلى الملك وإلى المارشال رئيس الحكومة لتقديم أوراق اعتماده، وحصل من كليهما على أوسع التأكيدات بأن إيطاليا، التزاماً بالعهد التحالفي، ستستمر في الحرب إلى جانب ألمانيا، كما أعلن بادوليو على الراديو في 25 يوليو. وأضاف أن بادوليو، عند توديعه ومصافحته، وقد تأثر حتى الدموع تقريباً، قال له: «أنا واحد من أقدم ثلاثة مارشالات في أوروبا: فون ماكنسن، بيتان، بادوليو. هل يمكنك أن تتخيل أنني سأخلف بكلمتي كجندي؟».

لم يخفِ راهن فوق كل ذلك استياءه من الإذلال الشخصي الذي تعرض له. بعد أن أكد أن ألمانيا، التي تعرضت لضربة قاسية من الخلف من قبل بادوليو، ستتجاوز الأزمة الخطيرة الناتجة عن هذا الانشقاق الكبير، وستنتصر في الحرب بلا شك، دخل في موضوع ضرورة تشكيل حكومة على الفور، للإظهار للعالم أن ليس كل الشعب الإيطالي يشارك في الخيانة ضد حليف يدافع بجيوشه عن أراضيه من الغزو. ثم، بعبارات تهديدية، أشار إلى الأعمال الانتقامية التي كانت إيطاليا تعاني منها بالفعل، لأن الفوهرر أعلنها "بلدًا من الغنائم الحربية"؛ وقال إن الانتقام، الذي بدأ بالفعل عليها، سيزداد حدة، إذا لم تبدأ حكومة موسوليني، التي كانت تتشكل في أقرب وقت، في العمل للحفاظ على التحالف، وبالتالي مسح العار الذي كان سيلطخ الشعب الإيطالي لقرون. ثم اعتمد على أنني سأقبل العرض الذي قدمه لي موسوليني، لما فيه مصلحة إيطاليا العليا، التي كانت ستلقى مصير بولندا لولا ذلك.

بينما كان يتحدث هكذا، رنت في أذني بشكل مشؤوم الكلمات التي نطق بها هتلر على الراديو في 10 سبتمبر: «القواعد الصادرة لحماية المصالح الألمانية في مواجهة خطوة إيطاليا قاسية جداً. وفيما يتعلق بإيطاليا، فإنها تسير بشكل منهجي وفعال وتعدها لمصير سيكون درساً فظيعاً للجميع».

أجبت: «إن قسماً يربطني بالملك، ويمنعني من تولي المهمة المقترحة عليّ، ولذلك أرفضها».

لقد سألت نفسي مراراً وتكراراً في أعماقي: «هل حررنا الملك نفسه، بعد 8 سبتمبر، من الرابط المتبادل، بفصله مصلحته الشخصية عن مصلحة الوطن "التي لا تنفصل"؟». على هذه الصيغة كان يقوم العهد؛ ونحن، المراهقون حينها، قد أقسمنا.

حول هذا الموضوع، دار نقاش حاد؛ واستمر ران في مواجهة حججي بعناد بضرورة الأخذ في الاعتبار الضرر الأكبر الذي سيلحقه رفضي بإيطاليا.

كان صراع كبير يهز روحي؛ عندما انفتح الباب، ظهر مسؤول على عتبته وقال للسفير: «حان وقت إصدار البيان الإذاعي!». فسألني ران: «قراراتكم؟».

في تلك اللحظة أدركت أن القدر يفرض عليّ أقصى تضحية بنفسي، ووقفت قائلاً: «أيها السادة، بما أن هناك تهديداً كبيراً يلوح في الأفق، ها أنا ذا مستعد لخدمة الوطن مرة أخرى وتكريس كل آخر عمل لي لخلاصه».

وهكذا حدث.

في جدول أعمالي، لخصت هذه الأيام المصيرية على النحو التالي: «22 سبتمبر (الأربعاء). حوالي الساعة 11 يصل الكابتن باراكو، السكرتير الفيدرالي السابق لبنغازي. يقول لي إن موسوليني اتصل من ميونخ، وعينني كقائد أعلى ووزير للقوات المسلحة في الحكومة الجمهورية الفاشية الجديدة.

«عند طلب رد فوري بالقبول، أعلن أنني لا أرغب في الانضمام؛ وأوضح أنني، لأسباب شخصية، سأكون في روما غداً في الساعة 11 صباحاً، حيث أرغب في التحدث مع ميتساسوما.

«أذهب إلى فيليتينو لإبلاغ إينيس، ثم أغادر إلى روما، حيث أصل في الساعة 7:30 مساءً. أتصل ببوتشا على الفور الذي يبقى لينام في المنزل.

"يوم 23 سبتمبر (الخميس) في روما. في الصباح أستقبل C[1]. الذي يخبرني عن الجهود التي يبذلها الحزب لتشكيل وزارة والصعوبات التي يواجهها بسبب نقص الرجال.

"يتصل بوكا بباراكو ويحدد موعدًا للقاء معه ومع ميتساسوما في المنزل في الساعة العاشرة صباحًا. ألتقي بالمذكورين في المنزل. مقاومتي حاسمة. يتدخل بيليغريني. في السفارة الألمانية.

"تم بالفعل إدراج اسمي في قائمة الحكومة الجديدة. لقد اكتملت التضحية الشاملة."

هذه هي مأساتي، هذه هي الحقيقة.

---

[1] هكذا في الأصل. [المترجم]

12. عشرون شهرا في غاردا

بدت الظروف التي قذفني بها القدر في أربع وعشـرين سـاعة من عزلة تامة دامت قرابة ثلاث سـنوات، إلى أشـد ميادين حياتي عصـفًا، وكأنها علامة من القدر. ربما كان مكتوبًا عليّ ألا أبقى خاملًا وغائبًا عن المأسـاة التي انجرف إليها الوطن، بل أن أتولى فيها دورًا من التضـحية التي لا توصف.

كرّست نفسي لتحقيق الأهداف التالية: «منح الحكومة التي تشكلت القوات المسلحة الجديدة لرفع هيبتنا وكرامتنا أمام ألمانيا والحلف الثلاثي، واسـتعادة جميع حقوقنا وامتيازاتنا في التحالف. حماية شعبي بنفسي أمام الألمان، محاولاً بكل طريقة ممكنة التقليل من الشر الذي كان ينهال بعنف على إيطاليا والشعب الإيطالي».

لقد وجدت العملية التي كنت منخرطًا فيها صـدى روحيًا وفكريًا مثاليًا في قناعاتي، والتي عبرت عنها بوضوح في محادثتي مع البروفيسور كافانيارو في 31 يوليو، بخصوص المسار التاريخي الذي كان يجب على الملك والبلاد اتباعه. لذلك، انغمسـت في العمل بإيمان راسـخ لطالما كان سـمة أساسية من سمات شخصيتي. الغضب الذي شعرت به تجاه هذه الاستسلام الكارثي غير المشروط، الذي وُصف بـ"الهدنة" مجازًا، والذي أذل البلاد، ورؤية الشرور اللانهائية التي ستترتب عليه، سـواء في الظروف الفورية أو لاحقًا، قد هيأت روحي بالفعل لإلقاء الخطاب الإذاعي في 25 سبتمبر 1943. فيه، صببت كل استنكاري وتعبيراتي الصادقة عن مشاعري.

لم يكن بإمكان كلماتي تلك أن تنبعث من كراهية شخصية وضيعة لـــ"بادوليو". إذا لم يكن ما أوضحته في هذه الصفحات بأكبر قدر ممكن من الموضوعية كافياً لتدمير هذه الأسطورة حتى اليوم، فلا أعرف حقًا أي حجج أخرى يمكن أن تنجح في ذلك. إذا عوتبت على قسـوة كلامي وعنفه، فإنني أجيب بأن لا أحد سأل شيشرون قط عن سبب عنفه الخطابي في "خطابات ضد كاتلينا". وليسامحني المرء على جرأة هذه المقارنة![1]

---

[1] شيشرون خطيب وسياسي ألقى خطبا أمام مجلس الشيوخ الروماني، **مهاجماً** فيها النبيل الروماني كاتلينا بحدة وشراسة متهما إياه بالخيانة و **مطالبًا** بإعدامه أو نفيه. [المترجم]

لكن عند إعادة قراءة خطابي ذلك، أجد فيه مقدمة للاستنكار الجماعي الذي يغمر بادوليو اليوم: من جانب الفاشيين، بسبب الخيانات المنسوبة إليه؛ ومن جانب المعادين للفاشية، بسبب عمله المدمر منذ الهدنة فصاعداً. يكفي أن نقرأ ما كتبه العديد من مؤرخي الحدث المشؤوم في هذا الصدد، للاقتناع بذلك؛ على وجه الخصوص الجنرال جياكومو كاربوني في كتابه "إيطاليا خانتها الهدنة إلى السلام". ويضاف إلى ذلك اليوم ما ذكره سي. إم. فرانزيرو في مقال: "تحدثت طويلاً مع الملك السابق أمبرتو الثاني".

هكذا يعبر أومبرتو دي سافويا في هذا الصدد: «ارتكب بادوليو العديد من الأخطاء؛ أخطاء ناتجة عن نقص معين في الفهم السياسي، ولكنها ناتجة بشكل أساسي عن شخصيته. ومن الغريب ملاحظة ذلك في جندي ورئيس أركان حرب، كان بادوليو يعاني من اكتئاب عصبي لا يمكن السيطرة عليه. [يتفق هذا الحكم مع ما قاله المارشال كافيليا في كتابه.]

"كنت حاضرًا في غرفته عندما وصل الخبر بأن الألمان يحتلون روما، وأن قائدهم يريد التحدث معه. تأثر بشكل مفرط؛ وعانق مساعده وتمتم: "ماذا سيحدث الآن لابني المسكين؟". لدرجة أنني اضطررت لأقول له مرتين: "اهدأ يا سيدي المارشال، اهدأ"، وخلال مغادرتنا روما حدثت حادثة أثرت في.

"لقد غادر والدي، الملك، بالفعل في سيارته مع رايته على غطاء المحرك. غادرت أنا بعد ذلك بقليل، برفقة بادوليو. بمجرد خروجنا من المدينة نحو الجبال، أصبح الليل شديد البرودة، وكان بادوليو، الذي كان يرتدي ملابس مدنية وكان في حالة اكتئاب شديد، يرتجف من البرد. خلعت معطفي العسكري وأعطيته إياه ليحتمي به. ارتدى بادوليو المعطف؛ لكن بعد لحظات رأيته، سراً، يرفع الأكمام ليخفي الرتب!". بنفس الطريقة في كابوريتو، خلع شارات قبعته، تمامًا كما فعلت حثالة الجنود الفارين، الذين كانوا يمزقون شاراتهم ورقم الفوج حتى لا يتم التعرف عليهم.

هذا هو الرجل الذي اتهمني بالهوس والجبن ونقص السيطرة، وأخيراً التخلي عن منصبي.

من 23 سبتمبر إلى 1 أكتوبر، أجريت أولى اتصالاتي بالمارشال كيسلرينغ. طلب ثلاثة أمور: التجريد الفوري لأسلحة الكارابينييري في روما بسبب موقفهم المشكوك فيه؛ وتوفير ثلاثين ألف رجل على الفور لخدمة العمل، مع استمرار الإمداد بعد ذلك؛ وإخلاء فوري لجميع الضباط، من أي فئة كانوا، المقيمين في روما، بما في ذلك ضباط الاحتياط والمتقاعدين وأصحاب المهن المختلفة، ومن جميع الرتب والأعمار، إلى الشمال.

في مواجهة هذه المطالب الخطيرة، أوضحت للقائد الألماني ضرورة أن يترك لي أقصى درجات الحرية في التمييز في هذا الشأن، وأن يمنحني كل الثقة اللازمة. كان هدفي الرئيسي هو منع وقوع الشرور التي كانت ستنزل بعنف على الإيطاليين الأبرياء، والتي، بسبب طبيعة شعبنا، كانت

ستؤدي إلى نتائج سلبية ومعاكسة. كان عنصرًا أساسيًا للنجاح في تحقيق هذا الهدف، الحماية الواضحة لهيبتي؛ وبالتالي كان يجب بذل كل جهد لزيادتها، لا لتقليلها. فرضت تصريحاتي الصريحة والدقيقة هذه نفسها على الفور على انتباه القائد الألماني الأعلى.

في الأول من أكتوبر، كان هناك تجمع كبير للضباط في مسرح "أدريانو". وقد أُعلن عنه عبر الراديو، وقد قدمت أنا شخصيًا ضمانًا بعدم حدوث أي مفاجآت. كان الهدف الذي أردت تحقيقه هو إطلاق نداء للضباط للانضمام إلى صفوف القوات العسكرية المعاد تشكيلها، تحت رايتنا، بأوامر قادتنا، في رمز الشرف والتضحية. كان المسرح مكتظًا حرفيًا بما لا يقل عن أربعة آلاف ضابط، وقد قوبل دخولي بحماس شديد. كان من الممكن أن ينطفئ هذا الحماس بشكل مأساوي بسبب عدم انفجار مطفأة حريق محملة بالمتفجرات عالية القوة، والتي وضعها إرهابي في فتحة الملقن. وقد علمت بهذا الخبر في فلورنسا، بقراءة مجلد صغير ورد فيه؛ والذي، بحرص إنكليزي، وضعه الكابتن الإنكليزي هارميش هندرسون، رئيس مركز الأسرى حيث كنت محتجزًا، والذي سأتحدث عنه لاحقًا، أمامي.

هناك سوابق توضح بشكل أفضل نشأة التجمع. بالفعل في محضر 10 سبتمبر بين الجنرال شتاهل والعقيد جياكوني، تم إدراج ما يلي: «ستصدر القيادة الألمانية إعلانًا يُعلم فيه أن العسكريين الإيطاليين الذين يعلنون رغبتهم في الانضمام إلى القوات المسلحة الألمانية، سيتعين عليهم أداء القسم للفوهرر. وبالنسبة للضباط، من الشرف بشكل خاص المشاركة في الصراع المستمر، وبالتالي الابتعاد عن خيانة الحكومة».

في 24 سبتمبر، أرسلت القيادة الألمانية هذا البرقية الأخرى: «ضباط القوات المسلحة الإيطالية! لقد اضطرت القوات المسلحة الألمانية، بمجرد علمها بخيانة بادوليو، إلى التدخل بقوة وسرعة لقمع أكبر خيانة في التاريخ في مهدها. قد يكون بعض الضباط الإيطاليين قد عانوا من عواقب وخيمة. والآن، لقد توضح الوضع. لقد شوه الملك السابق وحكومته سمعة إيطاليا أمام العالم بأسره، ثم تخلوا عن شعبهم بجبن. لذلك، لم يعد أي ضابط إيطالي ملزماً بالقسم لملك لم يجلب لإيطاليا سوى العار ودعا العدو إلى البلاد. أيها الضباط الإيطاليون! يفتح أمامكم أفق جديد. إنه يتطلب كل جهودكم. وفي هذا - كما هو الحال دائماً - يجب أن يكون الضابط في المقدمة وأن يكونوا هم من يخطو الخطوة الأولى نحو عصر جديد. يجب أن تقرروا بوضوح:

"1 - هل تنوون الاستمرار في القتال بأسلحتنا إلى جانبنا، والحفاظ على الشرف كضباط، أو حتى القيام بواجبكم كقادة وحدات في خدمة العمل.

"2 - هل تنوون البقاء بعيدًا عن الصراع من أجل وجود شعبكم.

"اعلموا في هذا الصدد بأن من ليس معنا فهو ضدنا! لذلك، لا توجد كلمة سر إلا واحدة لكل ضابط إيطالي شريف ومخلص: إلينا من أجل إيطاليا!".

لكن نفوس أولئك الضباط الذين كانوا ينوون العودة إلى القتال كانت مضطربة بسبب الإبلاغ السابق بوجوب أداء القسم لهتلر، ولم يتمكنوا من التسليم بفكرة وجوب الخضوع لذلك. من جانبي، كنت قد أعلنت بوضوح أنني لن أمنح اسمي أبدًا لمثل هذا التشكيل للقوات المسلحة: إما أن تتشكل هذه القوات تحت راية وقيادة إيطاليين، أو لا شيء.

لم تُسجل المسألة بعد (ومع الألمان، ما يُكتب هو ما يُعتبر)، وأردت، في تلك المناسبة، أن أوضح الوضع دون لبس. وهكذا ولدت كلمتي المرتجلة في مسرح "أدريانو" في روما. لقد انتشرت الكثير من الأساطير حولها لدرجة أنني ما زلت أسأل حتى اليوم لماذا كانت كلمتي تتسم بهذه الشغف الحماسي. ولكن ما هو التعبير الأكثر صدقًا وأصالة عن حالة نفسية؟ لا أذكر الفاشية، ولا القائد الألماني الجنرال شتاهل الذي يقف إلى جانبي. أنا أناشد الوطن، والوطن وحده، معلناً بوضوح أن من أجل الوطن فقط، سنقسم ونقاتل.

القائد الألماني نفسه، مدفوعًا بحماس كلامي، وقد تأثر في أعماق روحه العسكرية، أومأ برأسه، مبددًا بذلك أي شكوك قد تعكر صفو ضميرنا كجنود.

كان لكلامي الشغوف أسباب عميقة لوجوده. من يعرفونني يعلمون أنني، إن لم أشعر بما أقوله وبما أفعله، أكون عاجزًا عن التعبير عن المشاعر. لا يمكن فهم كل هذا إلا عندما يقتنع المرء بأن عملي كان مستلهمًا من اليقين بأنني أقوم بمهمة سامية أقدم فيها نفسي قربانًا.

يمكن اليوم أن يُدان المرء بناءً على قانون مادي وساخر؛ ولكن لو سارت الأمور بشكل مختلف، لكنت قد لقيت إشادة كبطل منقذ للوطن على قدم المساواة مع ديغول. لا، لن يتمكن أحد أبدًا من تدمير "الباثوس"[1] الذي حركني والذي لن أتنكر له أبدًا، بإدانة ونشر أساطير كاذبة.

عندما توليت مهام وزير الدفاع في 23 سبتمبر 1943، كانت الحالة العسكرية في جميع أنحاء البلاد قد وصلت إلى فوضى عارمة. في روما، كانت قيادة المدينة تعمل، والتي كان الجنرال كالفي دي بيرغولو يتولاها حتى ذلك الحين.

أصدرت حكومة بادوليو أول إعلان لروما "مدينة مفتوحة" في 14 أغسطس ببيان تالي، وأُبلغ به دبلوماسيًا في 24 أغسطس عبر الحكومة السويسرية: "لقد أبلغت الحكومة الإيطالية منذ 31 يوليو، عبر الكرسي الرسولي، القرار المتخذ بإعلان روما "مدينة مفتوحة"، وكانت تنتظر معرفة الظروف التي يمكن فيها قبول هذا الإعلان. نظرًا لتوالي الغارات الجوية على روما، مركز

[1] Pathos أحد أساليب الإقناع التي وضعها أرسطو. باثوس يرتكز على استثارة العاطفة والمشاعر. [المترجم]

الكاثوليكية، قررت الحكومة الإيطالية المضي قدمًا، دون انتظار المزيد، في الإعلان الرسمي لروما "مدينة مفتوحة" وتتخذ الإجراءات اللازمة وفقًا للقانون الدولي". ظل الإعلان أحادي الجانب، لأنه لم يتم تأكيده أبدًا من قبل الأنكلو أمريكيين، لكن روما لم تُقصف بعد ذلك. في 24 سبتمبر، أكدت الحكومة الجمهورية طابع "روما "مدينة مفتوحة"": "تؤكد الحكومة الوطنية الفاشية لروما طابع "المدينة المفتوحة" وستتخذ، بناءً على ذلك، جميع الإجراءات المناسبة في هذا الصدد".

في 27 سبتمبر التالي، وفي اجتماع مجلس الوزراء، تم تأكيد هذا الطابع بشكل نهائي مع التوضيح التالي: "بعد تأكيد إعلان "المدينة المفتوحة" لروما، تحدد الحكومة مقرها في مكان آخر، بالقرب من مقر القوات المسلحة".

الرواية الموجزة التالية للأحداث العسكرية من 9 إلى 23 سبتمبر، والمأخوذة من اليوميات التاريخية لقيادة "المدينة المفتوحة" في روما، توضح أخيرًا كيف تم اعتماد هذه الصفة بشكل نهائي. "بعد مغادرة الملك والوزراء، كانت أعلى سلطة موجودة في روما هي المارشال كافيليا. في الساعة 14، أرسل المارشال كيسلرينغ، عبر الجنرال كالفي الذي دعي إلى فراسكاتي، إنذارًا إلى سعادة كافيليا: "إذا لم تتوقف الأعمال القتالية في الساعة 16:30، فسيتم قصف روما بسبعمائة طائرة. وسيتم تفجير قنوات المياه".

سعادة كافيليا، وبحضور الجنرال كاربوني، الذي يلخص وضع الفرق الإيطالية المحيطة بروما، في حالة من الفوضى الحرجة، وتفتقر إلى القوات ونقص المؤن، يأمر بقبول الإنذار.

في الساعة 22 في فراسكاتي، يجري المارشال كيسلرينغ محادثة مع المقدم جياكوني، رئيس أركان سعادة كالفي. تم خلالها وضع العناصر الأولى للاتفاق. ولا يزال الحديث يدور حول "قائد ساحة روما".

10 سبتمبر، الساعة 16: اتفاق بين القائد الألماني الأعلى للجنوب، وقائد القوات الإيطالية حول روما. في النقطة رقم 7، جاء فيه: "سيتم وضع القائد الإيطالي لساحة روما تحت إمرة القائد الأعلى للجنوب". بعد ساعات قليلة، أصدرت قيادة "المدينة المفتوحة" في روما أول أمر "يُبلغ فيه حامية روما، وقوات الشرطة، والمحكمة العسكرية، والسكان، وحاملي الأسلحة، بالاتفاق الذي تم والأوامر المترتبة عليه".

11 سبتمبر: تحسين التشكيل المعطى.

12 سبتمبر: استكمال تشكيل قيادة "المدينة المفتوحة". تم إجراء الاتصالات الأولى لتوفير الإمدادات الغذائية للسكان، وحماية المركبات، وإخلاء العديد من القوات الألمانية من روما. طلب تغيير حراس الهاتف ومحطات التلغراف اللاسلكي والسفارات مرة أو مرتين في الأسبوع، وليس كل يوم، حتى لا يثيروا قلق السكان. وصل الجنرال ستاهيل، القائد الألماني لروما.

ترك كافيليا وزارة الحرب حيث تولى منصبه في 9 سبتمبر، و"بعد أن وضع السفينة في الميناء"، كما يقول، عهد إلى الجنرال كالفي قيادة روما وجميع المفاوضات مع الألمان. في 12 سبتمبر أيضًا، خاطب المارشال كيسلرينغ "قائد الساحة الإيطالية في روما" لتنظيم تدفق وبقاء جميع ضباط القيادات العليا الإيطالية المنحلة، وهيئة "كاربوني" الآلية المنحلة.

بعد هذه الرسالة، لم يعد هناك ذكر لـ"قيادة الساحة" بل دائمًا "المدينة المفتوحة".

14 سبتمبر: قيادة "المدينة المفتوحة" في روما تصدر الأمرين 2 و 3.

16 سبتمبر: نفس القيادة تصدر الأوامر 4-5-6.

17 سبتمبر: نفس القيادة تصدر الأوامر 7 و 8.

19 سبتمبر: نفس القيادة تصدر الأوامر 9 و 10.

21 سبتمبر: نفس القيادة تصدر الأمر 11.

في الاتفاق الذي تم في اليوم العاشر في الفقرة 7، وتحديدًا حيث جاء فيه: "سيتم وضع القائد الإيطالي لساحة روما" تحت إمرة القائد الأعلى للجنوب، يضاف: "سيُلحق به القائد الألماني لروما". هذا هو إذن موقع الجنرال كالفي دي بيرغولو؛ وبهذه الصفة يقوم بإصدار الأوامر المذكورة. من بين هذه الأوامر، يستحق الأمر الأول اهتمامًا خاصًا، حيث جاء فيه: "يجب على العسكريين من أي رتبة الموجودين في روما والمنتمين إلى المستودعات والهيئات والوحدات العسكرية، أن يحضروا في أقرب وقت ممكن إلى ثكناتهم مع تسليحهم الفردي ومع الوسائل التي في حوزتهم: مدة أربع وعشرين ساعة، وبعد انقضائها سيتم إبلاغ المحكمة العسكرية في روما. ستنعقد المحكمة العسكرية في روما بشكل دائم". في الثاني، ينص على أنه "بعد أربع وعشرين ساعة من اليوم الخامس عشر الحالي، أي شخص يتم القبض عليه وهو يحمل أسلحة، مثل المذكورة أعلاه، سيتم محاكمته وإعدامه بمحاكمة سريعة. قيادة قوات الشرطة في "المدينة المفتوحة" في روما مكلفة بتنفيذ هذا الأمر".

الخامس ينص على أن: "... اعتبارًا من الساعة 24 من يوم 20 سبتمبر، أي شخص يتم العثور بحوزته على المواد المذكورة أعلاه، دون الامتثال لما نص عليه هذا الأمر، سيتم إحالته مباشرة إلى محكمة الحرب" (يتعلق الأمر بمواد السيارات من أي نوع قادمة من المخازن العسكرية). التاسع يأمر باستدعاء المنتمين إلى دفعات 1920-21-22-23-24 ضمن نطاق "المدينة المفتوحة" ويفرض عقوبة "على كل من لا يلتزم بالأمر خلال أربع وعشرين ساعة من تاريخ نشر هذا الإعلان، سيتم إحالته إلى محكمة الحرب لإجراء محاكمة سريعة". العاشر يهدد بالإحالة إلى المحكمة العسكرية للمخالفات المرورية البسيطة.

يبدو كل هذا كافياً لتوجيه اتهامات "بالتعاون" للجنرال كالفي دي بيرغولو بسبب إصدار هذه الأوامر الصارمة، التي صدرت علاوة على ذلك بأوامر مباشرة من القائد الألماني الأعلى. ومع ذلك، تم تبرئته بالكامل؛ بينما تم إحالة خلفائه، الجنرالان شيبلي وشيريليسون، إلى المحاكم الخاصة، أو المحاكم العسكرية.[1]

ومع ذلك، في أعمالهم منذ 23 سبتمبر فصاعدًا، عندما كانوا تحت إمرتي، لا يمكن العثور على أوامر من نوع أوامر الجنرال كالفي دي بيرغولو. بل على العكس، هناك سلسلة كاملة من الإجراءات التي اتخذت لصالح مدينة روما، والمؤسسات العامة والخاصة العاملة فيها، والمواطنين المحتاجين للمساعدة والحماية والدعم بأي شكل من الأشكال.

صحيح أنه حتى بعد 23 سبتمبر، استمرت قيادة "المدينة المفتوحة" في روما في تبعيتها المباشرة لقيادة الألمانية العليا، ولكن وزارة القوات المسلحة، التي كنت أمثلها، كانت تراقب من الخلف وتدعم عملها دائمًا، وتوجهه لصالح مجتمع روما بالكامل، وتحمي استقلالها عن القيادة الألمانية في روما.

في الاجتماع الأول الذي عقد في 9 سبتمبر الساعة 22 في فراسكاتي بين المقدم جياكوني والمارشال كيسلرينغ، أملى الأخير شروط وقف الأعمال العدائية حول روما، وطلب إجابة فورية بحلول الساعة العاشرة من اليوم التالي. "إجابة صريحة: نعم، أو لا."

من بين ما تم التوقيع عليه: "يجب على المارشال كيسلرينغ، الذي يتحمل مسؤولية القوات، أن يحمي أمنها". (في تلك اللحظة، كان هو المحتل وبهذه الصفة أملى إرادته بناءً على قانون الحرب الذي سمح له بتطبيق جميع التدابير اللازمة لضمان "سلامة قواته").

استمر هذا المحضر: "ستقوم جميع القوات الإيطالية على مسافة 50 كم حول روما بإلقاء أسلحتها. يمكن لفرقة واحدة بدون مدفعية، وبدون مدرعات، بالإضافة إلى قوات الشرطة، أن تبقى حول روما، تحت إمرة قيادة ساحة روما."

كانت هذه الشروط قد قبلت من قبل القيادة الإيطالية في روما في الاتفاق اللاحق الذي تم في اليوم العاشر. في الفقرة 7، جاء أيضًا: "للحفاظ على النظام العام، سيتم وضع ثلاث كتائب إيطالية بدون أسلحة ثقيلة، مع مدرعات، تحت إمرة روما." (في الواقع، لم يتم توفيرها أبدًا). في

---

[1] تمت تبرئة الجنرالين تشيلي وكويريليسون بعد محاكمتهما؛ الأول «لأن الفعل لا يشكل جريمة»؛ والثاني «لعدم ارتكابه الأفعال المنسوبة إليه.«

23 سبتمبر، تم تجريد فرقة "بيافي"، التي تركت في البداية لخدمة الشرطة، من السلاح، قبل تشكيل الحكومة الجديدة.

بناءً على ذلك، وحتى ذلك التاريخ، بقيت قوات الشرطة التالية: الكارابينيري - الشرطة الإيطالية الأفريقية (P.A.I.) - شرطة العاصمة؛ ثم أضيفت إليها قوات حرس المالية في روما.

حتى 23 سبتمبر، بقيت الشرطة بقيادة الجنرال مارافيا تحت إمرة قيادة "المدينة المفتوحة" في روما (الجنرال كالفي دي بيرغولو).

في 23 سبتمبر، تم اعتقال الجنرال مارافيا في ألمانيا وتولى قيادة الشرطة الجنرال أمبرتو بريستي، القائد السابق للشرطة الإيطالية الأفريقية (P.A.I.)، تحت الأوامر المباشرة للقائد الألماني لـ"المدينة المفتوحة" في روما، الجنرال ستاهيل.

كان هذا هو وضع قوات الشرطة في روما، في لحظة تسلمي لوزارة الدفاع الوطني. كانت تبعية الهيئات التي تشكلها كالتالي: الكارابينيري وشرطة العاصمة من وزارة الداخلية (باستثناء الأولين، من وزارة الدفاع، في حالة الاستخدام الحربي، كما هو معتاد). الشرطة الإيطالية الأفريقية (P.A.I.)، من الوزارة التي تحمل نفس الاسم، وقد انتقلت أيضًا للاستخدام إلى وزارة الداخلية. حرس المالية من الوزارة التي تحمل نفس الاسم، وهي أيضًا تحت تصرف وزارة الداخلية. لم يكن لهذه القوات أي علاقة تبعية بوزارة الدفاع: لا إدارية ولا استخدامية.

قوات الشرطة، باستثناء الشرطة القضائية، في جميع أنحاء الأراضي التي تسيطر عليها حكومة الشمال، كانت، في الواقع، منذ 23 سبتمبر فصاعدًا، تحت القيادة المباشرة للجنرال كارل وولف، قائد قوات الأمن الخاصة (SS) في إيطاليا ثم مفوضًا عامًا، عندما تم استدعاء الجنرال توسان إلى ألمانيا.

عندما أراد موسوليني تولي القيادة المباشرة للحرس الوطني الجمهوري (مع إقالة الجنرال ريتشي)، طالب الجنرال وولف منه، وحصل على، إعلانًا مكتوبًا يجب أن يظهر بوضوح أن "لا شيء قد تغير فيما يتعلق بتبعيتها للاستخدام، لقيادته". وهكذا، نشأ وضع متناقض حيث أن رئيس الحكومة نفسه، قائد "حارسه" الوطني، لم يكن يستطيع استخدام حتى عشرة رجال دون موافقة الجنرال وولف، الذي كان أقل استعدادًا ليتركني أستخدم ولو واحدًا منهم.

في الحقيقة، يجب التوضيح أن رئيس أركان الحرس الوطني الجمهوري، منذ يوم إنشائه حتى 25 أبريل 1945، كان عمليًا أيضًا قائدًا له خلال الفترة التي كان فيها موسوليني يتولى القيادة الاسمية.

كان القائد الألماني الأعلى تحت انطباع مستمر بأن هناك تنظيمًا نشطًا لهجوم في روما على مؤخرة قواته في حال الانسحاب. وكان الموقف الغادر للكارابينيري هو السبب الرئيسي لشبهاته؛ وفي هذا الصدد، كان يتلقى بلاغات مستمرة تفيد بأنهم كانوا يستعدون لمحاكاة الوحدات في نابولي، التي تميزت في الهجوم على القوات الألمانية أثناء انسحابها من تلك المدينة.

لذلك كان يعتزم منذ فترة طويلة القضاء على هذا التهديد المحتمل لسلامة قواته، والذي كان قد احتفظ بوضوح بالقدرة على تحقيقه في اتفاقيات الاستسلام مع قيادة روما، من خلال تطبيق تلك الإجراءات التي، علاوة على ذلك، كانت مسموحة له بموجب قانون الحرب الحالي لدينا والذي يعكس القواعد ذات الطابع الدولي التي وضعتها اتفاقية لاهاي الرابعة لعام 1907.

بموجب المادة 60 من القانون، يندرج ضمن حق القوة المحتلة سحب جميع الأسلحة الموجودة في البلد المحتل، بما في ذلك أسلحة قوات الشرطة التي أبقاها المحتل في الخدمة.

ومع ذلك، حتى تأسيس الحكومة الجديدة، التي أعادتنا إلى شروط التحالف، لم تستخدم القيادة الألمانية العليا هذا الحق. ولكن، مع استمرار البلاغات المتعلقة بعداء الكارابينيري، أشارت القيادة الألمانية العليا إلى ضرورة نزع سلاحهم إلى وزارة الداخلية لاتخاذ الإجراءات اللازمة. في غضون ذلك، قامت بإعداد مشروع لعملية قسرية، سيتم تنفيذها على ثكنات ومحطات الشرطة الطرفية، باستخدام فرقة المظليين، وإذا لزم الأمر، بمشاركة الطيران. أرجأ الوزير بوفارمي الأمور وكان سيكتفي بترك الألمان يتولون الأمر، مع العواقب التي يسهل تخيلها. وقد رأينا مثالاً واضحًا جدًا لاحقًا عندما تعلق الأمر بتصفية عصابة باردي-بولاستريني. عبثًا أصر موسوليني، بتحريضي، على وزير الداخلية والحزب. في النهاية، كان على الألمان أن يتولوا الأمر.

بالنسبة للكارابينيري، كانت المسألة أخطر بكثير وكان من الممكن أن تنتهي بمجزرة، نظرًا للتوتر الشديد في النفوس.

طلب الجنرال ستاهيل، في محادثة أجراها معي في أوائل أكتوبر، تدخلي لمحاولة حل المشكلة دون اللجوء إلى القوة. شعرت حينها بواجبي الدقيق بتولي المهمة لتحقيقها سلميًا، مستفيدًا من سلطتي على قادة سلاح الشرطة. طلبت ضمانًا مطلقًا من القيادة الألمانية بأن الجنود الذين تم نزع سلاحهم لن يتم ترحيلهم إلى ألمانيا. وتم الاتفاق على أن يتم تجميعهم في فيدينزا، ومن هناك يتم توزيعهم على مختلف قيادات السلاح في الشمال. لذلك احتفظت لنفسي بأقصى قدر من حرية العمل في اختيار الوقت، باستثناء التنسيق مع الجانب الألماني بشأن الإجراءات. بعد تفكير عميق، اقتنعت تمامًا بأن نزع السلاح بهذه الطريقة يمثل الشر الأدنى، ومهما كانت هذه العملية مؤلمة، فقد تحملت عبئها بضمير كامل.

كان القائد المؤقت للسلاح يقدم لي يومياً تقارير القوة. ومن خلال ما كان يبلغه لي ومن التقلبات التي كانت تتعرض لها يوماً بعد يوم، كان يمكن اســتنتاج أن الجهاز كان يتأثر بشــدة بعواقب 8 سبتمبر. كانت حالات الانشقاق تتزايد باستمرار، وتتوالى المغادرات التعسفية مع عودات مؤقتة لأغراض نفعية، تليها مغادرات تعسفية أخرى.

في 6 أكتوبر، أتاح لي ظرف غير متوقع على الإطلاق فرصــة لمعالجة المشــكلة الخطيرة بأســاس مشرف وشرعي. أرسل محافظ زارا برقية يتوسل فيها إرسال بعض الكتائب لمنع سقوط المدينة في أيدي الســلاف. راودني أمل بأن يتمكن الكارابينيري المخصــصــون لهذه المهمة من إيجاد طريقة لمغادرة روما دون التعرض لإهانة نزع السلاح.

عندما جاء القائد ليقدم لي تقرير القوة، شرحت له ضرورة أن يغادر الكارابينيري، المنظمون في كتائب في حالة حرب، على وجه السرعة إلى زارا بهدف الدفاع عنها من الاحتلال السلافي. تأثر هو بشــدة، وأعلن على الفور أنه لا يشــعر بأي قدرة على الامتثال لمثل هذا الأمر، مؤكداً أنه لا يمكنه الاعتماد على رجاله المحبطين والذين يعانون من معنويات منخفضة للغاية.

وبذلك فشــل الأمل الذي كنت أرجوه، ومع بالغ أســفي، قلت: "في هذه الحالة، لم يبق إلا نزع سلاحهم لأنهم عديمو الفائدة وربما ضارون". وعلى الفور سلمته الأمر كتابة.

أمام إرادتي، المعبر عنها في وثيقة ملموسة، أطاع القائد.

بعد ذلك مباشــرة، توجه إلى الســفارة الألمانية لتحديد تفاصــيل العملية التي كان من المقرر أن تتم في صباح اليوم التالي.

خلال الليل، أصدر أوامر مكتوبة منتظمة للقيادات التابعة له.

تمت العملية بشــكل منظم إلى حد ما؛ من الجانب الألماني، حدثت اقتحامات وقائية في بعض الثكنات بهدف الاســتيلاء على مواد التســليح والمعدات؛ وكان هناك جريح واحد فقط، لأســباب عرضــية. قدرت القيادة الألمانية أن ثلثي القوة قد تم نزع ســلاحها. في الواقع، حدثت العديد من المغادرات من المحطات الطرفية خلال الليل، ولكن، في معظم الحالات، دون حمل أســلحة. وقد تم تحقيق الهدف الرئيسي الذي كنت أرمي إليه، وهو تجنب الاشتباكات وإراقة الدماء.

184

في الأيام التالية، تم نقل الكارابينيري والضباط (هؤلاء الأخيرين في قطارات ركاب) إلى الشمال، ولكن القوافل، بدلاً من التوقف في فيدينا، كما كان مقرراً، تم توجيهها من قبل القيادة الألمانية إلى ألمانيا.[1]

لقد أرادت القيادة الألمانية العليا أن تثبت على الفور حسن نيتها تجاه الاحتجاج القوي الذي قدمته وزارة القوات المسلحة على الفور، وذلك بقبول اقتراح إرسال وفد إيطالي إلى ألمانيا، مزودًا بجميع الوثائق الممكنة، بهدف استعادة جنود الكارابينيري الذين تم ترحيلهم، ومعهم حوالي عشرة آلاف آخرين، قادمين من مختلف الجبهات الأوروبية بعد 8 سبتمبر. بقي الوفد في ألمانيا لأكثر من شهر، متنقلًا بين هيرودس وفيلاتو، لكنه لم يتمكن من تحقيق أي شيء إيجابي، واضطر للعودة إلى إيطاليا خاوي الوفاض.

كان نزع سلاح الكارابينيري في روما ضرورة حتمية، وكان من الجريمة معارضتها، خشية الوقوع في مجزرة، مع مقاومة محكوم عليها بالفشل المؤكد.

طالبت القيادة الألمانية العليا، من جانبها، بنزع السلاح استنادًا إلى قوانين الحرب، وبنود الاتفاق الذي تم في محضر 9 سبتمبر، والذي قبلته قيادة "المدينة المفتوحة" في روما آنذاك بالكامل، والذي ورثته عنها وزارة الدفاع الجديدة.

يريحني التفكير بأنني سمعت من أفواه العديد من جنود الكارابينيري الذين التقيت بهم في معسكرات الأسر، وفي تنقلاتي في السجون، أن الذين نُقلوا من روما إلى معسكرات الاعتقال الألمانية نسبوا لي خلاصهم، لأنهم كانوا مقتنعين بأنه لو بقوا هناك لفترة أطول، لكانوا قد عانوا من مصير أقسى بكثير بطريقة أو بأخرى.

كانت قضية الكارابينيري آخر مشكلة ظهرت في أعقاب هدنة 8 سبتمبر. ألم تكن هناك، بالصدفة أيضًا في هذه المناسبة، دوافع لكراهيتي الخاصة للقوات المسلحة، والتي كان يعزى إليها عملي؟ لو كان الأمر كذلك، لكانت هذه الكذبة البائسة الأخرى ستذوب بمجرد التحقق الممكن جدًا من العلاقات الودية التي حافظت عليها دائمًا معها طوال مسيرتي المهنية؛ ليس على المستوى البيروقراطي للمكتب، ولكن، الأهم من ذلك، في ساحات معارك طرابلس وبرقة والصومال وإثيوبيا حيث قاتلت مجموعات الكارابينيري، تحت إمرتي، ببسالة في غونو-غادو، في الأوغادين.

أم أن هناك من زعم أنني بعد 23 سبتمبر كنت أعتزم حلّ سلاح الكارابينيري بأكمله، ناسبًا إليّ ما كان في الواقع إرادة الحزب؟

[1] ربما حدث هذا بأمر من روميل، قائد الشمال، على عكس علم قيادة الجنوب (كيسلرينغ) ودون علمها.

قبل تعيين الجنرال ميشي قائدًا، استشرت أحد أبرز رموزها، الجنرال أغوستينوتشي. شخصيته وسلطته التي لا جدال فيها، لو كان قد قبل، لربما كانت كافية لمنع التفكك الذي أعقب ذلك في الشمال، بسبب جهل أولئك الذين أرادوا أن يجعلوا منه هجينًا، وبالطبع لم ينجح في التزاوج مع الحرس الوطني الجمهوري.

الجنرال ميسكي، باتفاق كامل معي، وطالما بقي قائداً ثانياً للحرس الوطني الجمهوري، دافع بقوة عن مصير جنود الكارابينيري في الشمال. سُمح لهم بطلب التسريح؛ فقط المتطوعون انضموا إلى الحرس الوطني الجمهوري؛ أما بالنسبة للذين غادروها، فقد تم الترتيب لكي يتمكنوا من تصفية أوضاعهم دون أي تجاوزات أو أعمال انتقامية من أي نوع.

ليس من غير المهم في النهاية أن الكتيبة الوحيدة التي ظلت قائمة حتى النهاية، بزيّها وشاراتها، كانت كتيبة الحامية التي كانت موزعة بين مختلف الدوائر العسكرية لخدمة المؤسسة، على الرغم من الهجمات المتكررة للحزب الذي أراد حلها، وهو ما لم أسمح به أبدًا.

بعد التخلص من الكارابينيري، تقلصت قوات الشرطة في روما إلى شرطة العاصمة (حوالي 5000 رجل)، والشرطة الإيطالية الأفريقية (حوالي 1500)، وقوات حرس المالية (حوالي ألف).

كان القائد يعمل تحت الأوامر المباشرة للجنرال الألماني ستاهيل أولاً، ثم مايلتزر بعد ذلك، للحفاظ على النظام العام في روما، بوظيفة غير سياسية.

كان معروفًا لدى حكومة الشمال أن كل من الشرطة الإيطالية الأفريقية وقوات حرس المالية لم تتفق معها. وكان معروفًا بنفس القدر لدى وزارة القوات المسلحة أن حوالي مائة ضابط من الجيش، ومن بينهم العديد من ذوي الرتب العالية المنتمين إلى هيئة الأركان، قد تماهوا في صفوف الشرطة الإيطالية الأفريقية، مختارين بذلك طريقًا مريحًا أخرجهم من المعضلة والعذاب الذي كان يعصف بنفوس الغالبية العظمى من الضباط المتواجدين في روما، القادمين من الفرق المنحلة التابعة لهيئة "كاربوني" الآلية، والذين التزموا رسمياً بكلمة شرف عند الاستسلام بعدم المغادرة.

من الجيد أن يوضع هذا الشرط الأولي في الاعتبار من الآن من أجل الفحص الهادئ والموضوعي لما كان حلاً لمشكلتهم لاحقًا.

تجاهل الضباط الذين انضموا إلى الشرطة الإيطالية الأفريقية، مع مراعاة الظرف المخفف وهو أن هذه الهيئة المسلحة لم تكن تابعة لوزارة القوات المسلحة، ولم يتعرض أحد للاضطهاد.

كانت الشرطة الإيطالية الأفريقية P.A.I إنشاءً فاشيًا خالصًا لوزارة إفريقيا. على هذا النحو، اعتبرها موسوليني محبوبة جميع أجهزة الشرطة، وكان يرغب بشدة في نقلها إلى الشمال. ولم

يتمكن من قبول فكرة أنها أصبحت غير وفية له. ولكن في مواجهة الإرادة السلبية الواضحة، تخلى عن الفكرة.

لكي لا أخلط بين اختصاصاتي واختصاصات الأجهزة الحكومية التي كانت مسؤولة عن العمل الشرطي، طلبت من موسوليني تغيير صفة "وزير الدفاع" إلى "وزير القوات المسلحة". لم يغب هذا التمييز عن انتباه الخصوم، لدرجة أنني سمعت عبر الإذاعة، من كانديدوس، أو ماريو فيردي، أو كالوسو، أو ميلانو-ليبيرتا أو غيرهم، أنني أخيرًا، وللمرة الأولى، أظهرت (من فضلهم) أنني ذكي!

خلال شهر مايو 1944، بقيت في روما حتى اللحظة الأخيرة حتى لا أغيب عن دوري المعتدل في تلك الفترة الحاسمة، التي كانت فيها النفوس في أقصى درجات التوتر من جانب وآخر، ولا أحد يعرف أفضل مني أن مصير روما كان محددًا.

كان جنود حرس المالية، بتباهٍ يستحق الثناء (من وجهة نظرهم)، لا يزالون يتباهون في تلك الأيام بشارات الرتب على ياقة ستراتهم. ولهذا السبب، وقعت عدة حوادث دموية بينهم وبين رجال كتائب "بارباريتو"، "X ماس"، القوات الخاصة الإيطالية، والمظليين "نيمبو"، وكلهم من التشكيلات التطوعية لجمهورية السالوي الإيطالية R.S.I الذين كانوا يقاتلون بشجاعة على جبهة نيتونو.

عندئذٍ، دعوت قائد حرس المالية في روما إلى مكتبي. بعد أن جعلته يفكر في ضرورة تجنب جميع الأسباب التي تساهم في إثارة النفوس، وبالإشارة إلى مسألة شارات الرتب، قلت بسخرية حزينة: "كونوا على الأقل أذكياء؛ ضعوا السيف فوق النجوم، أسفل شارات الرتب، لأنه ليس سراً بالنسبة لنا أن هذا يتوافق مع موقفكم الحقيقي. في الوقت المناسب، ستقلبون الياقة وسيكون كل شيء على ما يرام؛ ولكن في هذه الأثناء، ستكونون قد تجنبتم وقوع حوادث قتل أخوي أخرى في شوارع روما".

كان هذا، للأسف، هو الجو المأساوي الذي كان يحيط بمعظم الإيطاليين آنذاك، القلقين على اتباع مصير الأقوى، منكرين الشخصية والكرامة وحب الذات، ليتقمصوا بعد ذلك دور أبطال "اليوم السابع" في الوقت المناسب. أبطال "اللعبة المزدوجة"، أقصد، إن الذين يستحقون التقدير بدلاً منهم، هم أولئك الذين، في خندق أو آخر، خاطروا بشجاعة بحياتهم من أجل سبب واعٍ للتفكير والاعتقاد.

في المحادثة الأولى التي جرت في 9 سبتمبر مع المقدم جياكوني، ذكر المارشال كيسلرينغ في البداية إلى الضباط: "سيتم الاحتفاظ بالأعلام، وستترك الأسلحة الشخصية للضباط". ثم في الاتفاق المكتوب في 10 سبتمبر، جاء فيه: "بالنسبة للضباط الإيطاليين، من الشرف بشكل خاص

مواصلة المشاركة في القتال، وذلك للنأي بأنفسهم رسميًا عن خيانة الحكومة. وللحفاظ على شرف الأسلحة الإيطالية، ستترك الأسلحة الفردية للضباط".

في اليوم التالي، 12 سبتمبر، أرسل الرسالة التالية إلى قائد ساحة روما: "قائد الساحة الإيطالية في روما مسؤول عن بقاء جميع ضباط القيادات العسكرية الإيطالية المنحلة (القيادة العليا - الجيش الأعلى - البحرية العليا - الجو الأعلى) في روما إلى أجل غير مسمى. كما يجب على جميع ضباط هيئة "كاربوني" الآلية الإيطالية الإقامة في روما. في حال كانت عائلاتهم تقيم هنا، يمكنهم البقاء معها، وإلا يجب جمعهم جميعًا. يجب على الضباط الالتزام بكلمة الشرف بعدم مغادرة روما.

"يجب الاحتفاظ بهذه التصريحات مكتوبة وتسليمها إليّ، مجمعة. قد يترتب على خرق هذا الالتزام عواقب وخيمة على الجميع. على قائد ساحة روما الإيطالية اتخاذ الإجراءات التالية: 1) إبلاغ عن عدد الضباط الموجودين في روما، من القيادات العليا الإيطالية المنحلة، وهيئة "كاربوني" الآلية المنحلة، بحلول مساء 16 سبتمبر؛ 2) إبلاغ عن أسماء ورتب ونوع الانتماء (الوحدات) ومقار إقامة جميع الضباط في روما في أقرب وقت ممكن.

"جميع التصاريح للضباط الإيطاليين من القيادات العليا الإيطالية المنحلة، وهيئة "كاربوني" الآلية المنحلة، للبقاء في مواقع خارج روما، هي من صلاحياتي الشخصية. لن أمنح هذه التصاريح في الوقت الحالي إلا في الحالات المبررة. يُمنع منعًا باتًا الإجازات لمنطقة جنوب خط روما-بيسكارا. سيتم منح التسهيلات بمجرد وضوح الوضع. - كيسلرينغ".

من 12 سبتمبر حتى نهاية الشهر، كان الوضع قد اتضح بلا شك، ولكن ليس بالمعنى الذي يرغب فيه القائد الألماني الأعلى. عدد قليل جدًا من الضباط كانوا قد رغبوا بالفعل في الانضمام إلى القوات الألمانية، مع أداء القسم للفوهرر. البعض الآخر اختفوا وانضموا إلى صفوف المقاومة السرية؛ بينما كانت الغالبية العظمى، المرتبطة بكلمة شرف، تتخبط في حيرة، لا تعرف أي طرف تلتجئ إليه.

استمرت أجهزة الاستخبارات الألمانية في الإبلاغ عن التحضير لهجمات واسعة النطاق على القوات الألمانية، في حالة الانسحاب. طلب القائد الألماني الأعلى، في لقائنا الأول، بشكل قاطع نقل جميع الضباط الموجودين في روما إلى الشمال. كان ينوي بذلك القضاء على الكوادر التنظيمية العسكرية السرية المفترضة. كان يلوح في الأفق احتمال تفتيشهم حيًا حيًا؛ وفي حالة عدم العثور على الضابط، كانت العائلة ستدفع الثمن بالترحيل إلى ألمانيا.

الآن، من خلال البيانات المطلوبة في رسالة 12 سبتمبر، والتي زودتها له قيادة "المدينة المفتوحة" في روما، كانت القيادة الألمانية العليا تملك قوائم بأسماء جميع الضباط المقيمين في روما ومؤشرات أماكن إقامتهم.

هذه هي الصورة القاتمة التي كانت أمامي، وفي تحملي للمهمة الشاقة لتوضيحها، كنت ألعب لعبة خطيرة، كان رهانها هو شخصي. ألم أوقع سنداً لصالح الطرف المستفيد، الذي لم يكن بوسعي أن أقسم على موافقته؟ كانت الغالبية العظمى من الضباط تتجنب الاتصال، وكانت الاتصالات مع قيادة "المدينة المفتوحة" تتم من قبل بعض الموثوقين من المجموعات المختلفة، الذين كانوا يبلغون ما يهمهم. ولكن كل شيء كان يُقابل بعدم ثقة كبيرة، يغذيه شائعات متعمدة بأن الألمان يريدون جذب الضباط إلى اجتماع كبير يعقد أحيانًا في الملعب، وأحيانًا في ثكنة "سانتا كروتشي إن جيروساليم"، أو في مكان آخر، ثم محاصرتهم وترحيلهم إلى ألمانيا. ولتوضيح هذا الوضع، أمرت بعقد اجتماع، هذه المرة عن طريق وكلائهم، في الفناء الكبير لوزارة الحرب. كنت أنوي إبلاغهم، عن طريق العقيد كيلي، بما هو ضروري لتوجيه تصرفاتهم بشكل صحيح، وتذكيرهم بأن الكلمة المعطاة تلزمهم، وإذا لم يلتزموا بها، فقد يتعرضون لانتقامات خطيرة هددت القيادة الألمانية بها عليهم وعلى عائلاتهم.

في الوقت المتفق عليه، من شرفات قصر كابرارا، حيث كان مكتبي، كنت أراقب تذبذبات تلك الكتلة المتأرجحة، غير المتأكدة، بين ساحة سان برناردو والوزارة، التي لم تقرر عبور عتبتها. نزلت إلى الشارع وأنهيت، بهذه الإشارة، مشهدًا غير مثمر على الإطلاق. تحدثت إلى تلك الكتلة من الرجال الضائعين والمشتتين، بلكنة قوية وإشارات واضحة إلى ما كان يدور في الخفاء. دعوتهم إلى ضرورة فتح عيون الفهم، والاستجابة للجهود التي كنت أبذلها "لمنع أن تتحول ليلة القديس بارثولوميو[1] في أي لحظة، للجميع، إلى صحوة مفاجئة جدًا للواقع المأساوي الراهن"، وخلصت إلى أن عملي لم يكن إلا لمصلحتهم، ولكن كلماتي وحديثي الشغوف لم يفهمهما الجميع. في الأيام التالية، في الواقع، أمطرتني رسائل مجهولة اتهمتني فيها بأنني أرغب في إحداث "ليلة القديس بارثولوميو"، وهي نفس التهمة التي ستنسب إلي لاحقًا في ميلانو في أبريل 1945، لو لم يسلموا لي ثلاثة وعشرين ألف رهينة أخذوا من مثقفي العاصمة اللومباردية، وهي نفس الليلة التي لا تزال بعض الصحف، بعد سنوات عديدة، تشير إليها اليوم: "مارشال موسوليني الذي وعد بليلة قديس بارثولوميو جديدة للضباط الذين لم ينضموا إلى النازيين".

---

[1] ليلة القديس بارثولوميو" (أو مجزرة سانت بارتليمي) هي واحدة من أبشع وأشهر الأحداث في التاريخ الفرنسي ، وتُشير إلى سلسلة من أعمال العنف المنظمة التي استهدفت البروتستانت الفرنسيين (الهوغونوت) في عام 1572، بدأت اثر احتفال في باريس دعي إليه قادة البروتوستانت. [المترجم]

ليلة القديس بارثولوميو الوحيدة، في الحقيقة، كانت تلك التي تلت 25 أبريل 1945، أي "التحرير"، عندما قُتل 350.000 ضحية في الفورة القاتلة العشوائية التي اجتاحت شمال إيطاليا، عندما استسلمت الجيوش الألمانية، وحلت محلها الجيوش الأنكلو-أمريكية في غزو الأراضي الوطنية، وذُبحت الميليشيات الفاشية بينما كانت تلقي سلاحها دون قتال. لست أنا من يصف ذلك اليوم هكذا، بل أقر بذلك الرأي الأجنبي. هذا إذن كان عملي فيما يتعلق بنقل الضباط إلى الشمال.

ساهم التجمع اللاحق في "أدريانو"، الذي كتبت عنه، في دحض أسطورة الاعتقال الجماعي المهدد، وقد استعادوا الهدوء اللازم ليقرروا مصيرهم. وقد تولى الجنرال غامبارا هذه المسألة، الذي تقلّد مهام رئيس أركان الجيش اعتبارًا من 18 أكتوبر، مع تفويض بأهم المهام المخصصة عادة لوكيل وزارة الحرب في الفترة العادية.

أُصدرَ أمرٌ عبر المذياع يقضي بمثول جميع ضباط الجيش الذين كانوا في الخدمة في الثامن من سبتمبر، أياً كانت الصنوف أو الهيئات العسكرية التي ينتمون إليها، سواء من كادر الخدمة الدائمة، أو من هم في إجازة، أو المعاد استدعاؤهم، أو ضباط الاحتياط، وذلك لإجراء تدقيقٍ وفحصٍ أمني. وقد جاءت أعداد الممتثلين كبيرة جداً؛ ففي روما وحدها، وضع 63 ضابطاً برتبة لواء توقيعاتهم، بمن فيهم ضباط الاحتياط، وكان من بينهم جنرالات الجيش "أمانتيا" و"أغو"، اللذان تحولا لاحقاً إلى ممارسي "تطهير".

كان التوجيه الذي أعطيته هو تقليل طلبات القائد الألماني إلى الحد الأدنى، والحد من فئة الضباط الذين سيتم نقلهم. كانت النتيجة الأولى التي تم تحقيقها هي استبعاد ضباط التكملة، الذين كانوا قد تم تسريحهم بالفعل، وبالتالي تجنب أن يضرب الإجراء آلاف وآلاف المهنيين والموظفين وما إلى ذلك. كل هذا كان معروفًا جيدًا، في ذلك الوقت، للمهتمين في روما. بعد ذلك، أكد لي الكثيرون أنهم كانوا يعلمون جيدًا أن خلاصهم كان بفضل هذا العمل المعتدل مني. لا يمكن أن يكونوا قد نسوا ذلك اليوم.

كما طلبت القيادة الألمانية نقل جميع ضباط الاحتياط إلى الشمال، وخاصة ذوي الرتب العالية، بهدف إبعاد كبار القادة العسكريين وأكثرهم نفوذاً عن روما. لم يتم استبعاد احتمال أن يشمل ذلك الأدميرال الكبير ثاون دي ريفيل نفسه. ولكن في هذه الأثناء، أمرت بأن يحتفظ بأمانته سليمة وطمأنته بشأن وضعه الشخصي.

من أجل حماية ضباط الاحتياط إلى أقصى حد، صدر مرسوم يخفض حدود العمر التي لن يتأثروا بها. وهكذا تمكنوا جميعًا من الهروب.

لذلك، تقلصت فئة الضباط الذين سيتم نقلهم إلى ضباط الخدمة الدائمة الفعلية، والانتظار بسبب تخفيض الكوادر، من أي رتبة، الذين لم يكونوا يخدمون في كيانات مرخصة تابعة لوزارة القوات المسلحة. بدأت المغادرات حتى أواخر يناير. كان من الضروري تمديد فترة التقديم البطيئة بإصدار أمر آخر بتاريخ 16 ديسمبر.

"تم السماح للجميع، إذا أرادوا، باصطحاب عائلاتهم. وتم ترك الجميع أحراراً في تحديد إقامتهم في المكان الذي يفضلونه؛ وتم اتخاذ تدابير اقتصادية للعائلات التي بقيت في روما؛ وقد زودت هذه العائلات بإعلان ثنائي اللغة (الإيطالية-الألمانية) يثبت نقل الضابط. وتم تحديد أنه بالنسبة لمن يعولون أسراً، يتم إصدار تفويض لأقرب قريب لاستلام نصف المستحقات المستحقة لهم؛ وأن يتم دفع هذه المستحقات للعائلات من قبل المفوضيات الثلاثة للدوائر العسكرية التي بقيت في روما. بعد نقل الوزارات إلى الشمال، تم دفع مستحقات أربعة أشهر مقدماً للعائلات؛ وتم منح الضباط بدلات خاصة؛ وتم السماح للعائلات بالسفر المجاني حتى المحطة النهائية للقطارات الخاصة التي كانت تنقل الضباط. أخيراً، تم إسكان الغالبية العظمى من هؤلاء في فنادق ممتازة في فلورنسا والمناطق المحيطة بها. كل هذا يظهر من الوثائق المرفقة بملف محاكمتي."

وهكذا حُلت مشكلة هائلة كانت تبدو في البداية مرعبة. وكانت النتيجة أن الضباط، الذين كانوا يتألفون في الغالب من ضباط الفرق المنحلة التابعة لهيئة "كاربوني" الآلية، بدلاً من ترحيلهم إلى ألمانيا، كما كان على وشك الحدوث، تم احترامهم وحمايتهم، وبالتالي وضعهم في ظروف تمكنهم من اختيار طريقهم بعلم وإرادة، حيث لم يجبر أحد، بينما تم إنقاذ العائلات بهذه الطريقة من الأعمال الانتقامية المهددة.

هل كان بإمكانهم أن يأملوا في حماية من قبل مرتكبي الهدنة، الذين كانوا، وهم آمنون في ميناء بريnديزي الآمن، يتهمونهم في الوقت نفسه بعدم الدفاع عن روما؟

بعد استسلام 9 سبتمبر مباشرة، طلب القائد الألماني الأعلى من قيادة "المدينة المفتوحة" في روما رجالًا لخدمة العمل. ويُستدل على ذلك، في غياب وثائق أخرى، من الأمر رقم 11، الصادر عن الجنرال كالفي دي بيرغولو بتاريخ 21 سبتمبر: "من الضروري السماح بمشاركة أوسع في دعوة خدمة العمل، التي قررتها وزارة الداخلية في بعض المقاطعات، بناءً على طلب السلطة العسكرية الألمانية. لذلك، آمر بتعليق الدعوة المشار إليها في الفقرة 9، التي صدرت لخدمة عسكرية ذات طابع إقليمي، تتعلق بالعسكريين المنتمين إلى دفعات 1920-21-22-23-24، الذين يقعون ضمن حدود "المدينة المفتوحة" في روما".

في هذه الأثناء، بدأت القيادة الألمانية في عمليات جمع عشوائية للرجال للعمل. وكانت المقاطعات الأكثر تأثرًا هي فروزينوني وليتوريا، التي كانت تقع على جبهة كاسينو. بعد 23 سبتمبر

مباشرة، قدم إليّ في روما محافظ فروزينوني وممثلها الفيدرالي، يتوسلان إليّ التدخل بسلطتي لمنع المزيد من هذه الخطوات؛ وقد وقعت حوادث مختلفة في شوارع روما نفسها.

مشكلة خدمة العمل لم تكن من اختصاصي، بل من اختصاص وزارة الداخلية التي كان ينبغي عليها تنظيمها عبر المحافظين. كان يمكنني أن أغسل يدي منها كما فعل بيلاطس[1] ، لكنني لم أرغب في البقاء متفرجًا سلبيًا على المشاكل اللانهائية التي كانت تلوح في الأفق أيضًا من هذا المنطلق.

أردت حينها أن أواجهه شخصياً بهذه المسألة. بدأت بتمثيل ضرورة وقف عمليات السحب العشوائي التي كانت ستثير غضب الشعب، وتؤدي إلى نتائج عكسية تمامًا: "... ولذلك، فليوافق على اقتراحي بالبدء في تنظيم عمل تطوعي، مع تشكيل كتائب عمالية ضمن إطار "مفتشية عسكرية للعمل" سأعمل على إنشائها على الفور."

في هذه المناسبة، كما في العديد من الظروف الأخرى التي تشهد على جدارة القائد الألماني العالية، أظهر فهمه لأهمية المشكلة ووافق على اقتراحي.

وهكذا، تم تشكيل هذه الهيئة بموجب مرسوم مني بتاريخ 1 أكتوبر.

كانت البنود التي تم الاتفاق عليها مع القيادة الألمانية كالتالي:

1. التجنيد طوعي حصراً؛
2. عدم سياسية المنظمة؛
3. دمج العمال مع ضباط وقيادات الهندسة؛
4. لا يجوز عزل أي ضابط، ضمن المفتشية، لتكليفه بقوات مسلحة معاد تشكيلها، باستثناء حالة التطوع؛
5. لا يجوز إرسال أي من العمال إلى ألمانيا، بل يجب توظيفهم جميعاً في إيطاليا ضمن حدود المقاطعة التي تم تجنيدهم فيها.

تم تنظيم هذه الهيئة في مفتشيات إقليمية ومقاطعات للعمل، امتدت تدريجياً إلى شمال إيطاليا، وأوقفت هناك أيضاً عمليات التفتيش الجماعي التي بدأها المارشال رومل. وهكذا أنقذت مفتشية العمل من الترحيل إلى ألمانيا كتلة من ثلاثة آلاف وثمانمائة ضابط، وتسعة آلاف ضابط

[1] بيلاطس البنطي - Pontius Pilatus كان الحاكم الروماني لمقاطعة "يهودا" و يعرف بصفته القاضي الذي تولى محاكمة يسوع الناصري وأصدر الحكم بصلبه، مدعيا تنصله من المسؤولية الأخلاقية عن الحكم الذي أصدره وأن ذلك كان تحت ضغط من النخب المحلية، وارتبط اسمه بعبارة "غسل يديه". [المترجم]

صف، وحوالي ثلاثمائة ألف رجل، ينتمون إلى جميع الفئات الاجتماعية، تناوبوا في صفوفها. وقد أدت المنظمة خدمات جليلة للسكان والبلدان المتضررة من القصف الجوي، وقدمت تضحيات كبيرة بالدم من قتلى وجرحى. وقد نشأت خارج الحزب، ولذلك كانت دائماً معارضة ومكافحة من قبله، وتعرضت لاعتداءات مستمرة مصحوبة بمحاولات إخضاعها، والتي تم رفضها حتى النهاية. وقد وصل الأمر إلى حد محاولة اعتقال رئيسها، بتهمة مناهضة الفاشية من قبل ممثل الحزب داخل المفتشية. تدخلت وأمرت بإطلاق سراحه وأمرت باعتقال ممثل الحزب نفسه.

عندما أنشأت الحكومة المفوضية الوطنية للعمل، حاول الحزب مراراً وتكراراً دمج المفتشية العسكرية فيها، بهدف نقل الغالبية العظمى من المنتمين إليها إلى ألمانيا. بعد فشل المحاولة، بدأت عملية انتقامية تحقيقية، أسفرت عن وجود العديد من المتخلفين، وحتى الفارين الذين نزلوا من الجبال بعد مراسيم العفو، قد لجأوا إلى صفوف المفتشية. وتم إحالة نتائج هذه التحقيقات إلى موسوليني، ومنه إليّ، ومني إلى المفتشية؛ لكن القائد تركها ترقد في أرشيفاته. وهكذا استمرت منظمة مفتشية العمل في الوجود حتى اليوم الأخير من الجمهورية الاجتماعية.

لم ينس أولئك العمال، الذين رفعوا قائدهم منتصراً في المحاكمة عندما أصدرت المحكمة الخاصة حكم البراءة، الفائدة التي تلقوها.

هل سيكون هذا أيضاً بالنسبة لي مادة "تعاون مع العدو" على حساب الشعب الإيطالي؟

وهكذا حُلت المشاكل الثلاثة المخيفة التي ظهرت في المحادثة الأولى مع القائد الألماني الأعلى بمساهمة فهمه العميق.

في منتصف سبتمبر 1943، أعلن موسوليني عبر الراديو، من ميونخ، أنه يستعيد حكم الدولة، ويستقر في شمال إيطاليا. في 27 سبتمبر، عقد أول مجلس للوزراء في روكا ديلي كامبياتي وأصدر التصريحات التالية: "يمكن تعريف وضع إيطاليا، في اللحظة التي تبدأ فيها الحكومة الفاشية الجمهورية عملها، دون أدنى مبالغة، بأنه من أخطر الأوضاع في تاريخها. ويكفي لتأكيد ذلك الاعتبارات البسيطة التالية: في صباح 25 يوليو، كانت إيطاليا، على الرغم من تعرضها للقصف الوحشي من قبل الأنكلو-أمريكيين، دولة؛ وكانت أراضيها، باستثناء غرب صقلية، سليمة. كان العلم ثلاثي الألوان لا يزال يرفرف في رودس، وتيرانا، وليوبليانا، وسبالاتو، وكورسيكا، وعلى فارو. اليوم، بعد شهرين، يحتل العدو ثلث الأراضي الوطنية، وقد تم إخلاء جميع مواقعنا خارج الأراضي الوطنية أو ما وراء البحار. وقد نتج فقدان هذه المواقع، التي كلفت الشعب الإيطالي الكثير من الدماء والتضحيات، عن هدنة بالغة القسوة، لم يسبق لها مثيل في التاريخ، أُبرمت دون علم الحلفاء، وبالتالي من خلال خيانة غير مسبوقة، تكفي لتشويه سمعة الملكية والمتواطئين معها إلى الأبد. لقد كانت عواقب الهدنة كارثية ببساطة. تسليم البحرية الإيطالية

للعدو، تصفية مهينة، من خلال نزع السلاح، لجميع القوات العسكرية الإيطالية الأخرى، قصف مستمر لا يرحم كان يجب أن "يغطي" المفاوضات الجارية منذ أوائل أغسطس، انكسار عميق للروح الوطنية، فوضى في الأمور وفي النفوس: واستمرار الحرب في أراضينا، كما كان يمكن لأي شخص أن يتنبأ بسهولة.

"بناءً على هذا الوضع الواقعي، فإن التوجيهات التي توجه عمل الحكومة لا يمكن أن تكون سوى التالية: الحفاظ على الولاء للتحالف مع دول المحور، وبالتالي استعادة موقعنا القتالي إلى جانب الوحدات الألمانية، من خلال إعادة التنظيم الأسرع لقواتنا العسكرية، بدءًا من قوات الدفاع الجوي والساحلي. وفي انتظار إعداد هذه القوات، الذي بدأ بالفعل، تقديم تعاون ودي وعملي للقوات الألمانية العاملة على الجبهة الإيطالية. من خلال الجهد العسكري، لا نهدف فقط إلى محو صفحة 25 يوليو وتلك الأكثر كارثية في 8 سبتمبر، بل تحقيق أهدافنا وهي: سلامة أراضي الأمة، واستقلالها السياسي، ومكانتها في العالم.

"إن الجهد العسكري الجديد الذي يفرضه علينا شرف الأمة ومصالحها سيكون مستحيلاً، إذا لم تستعد الحياة في المقاطعات إيقاعها الطبيعي، وإذا لم يدرك المواطنون بانضباطهم الواعي الضرورات الحالية.

"تتولى الحكومة الحالية، من بين مهامها الأساسية، إعداد الجمعية التأسيسية التي ستكرس برنامج الحزب بإنشاء الدولة الفاشية الجمهورية.

"كما قلت في البداية، الوضع من جميع النواحي خطير للغاية، ولكنه ليس ميئوسًا منه. لا يمكن لأمة أن تهلك عندما تدرك أنها أمة. هناك شعوب عانت من محن مروعة، أحيانًا لقرون، ثم ازدهرت من جديد. قوى التعافي موجودة بالفعل. تنوي الحكومة تنظيمها، توجيهها، إعدادها لمهام الحرب، لأن مصير الوطن لا يزال وسيظل حاسمًا لمستقبله."

جاء في البيان الرسمي الذي نُشر لاحقًا:

"بالموافقة على التوجيه الذي أقره مجلس الوزراء في 27 سبتمبر، يبدأ عمل الدولة الفاشية الجمهورية الجديدة، والتي ستجد في الجمعية التأسيسية، التي ستعقد قريبًا، إعلان تنظيماتها الدستورية النهائية. يتولى الدوتشي اليوم مهام رئيس الدولة الفاشية الجمهورية الجديدة."

وهكذا وُلدت حكومة "الأمر الواقع" في الشمال.

قوبل الإعلان بشعور من الارتياح من قبل الغالبية العظمى من سكان وسط وشمال إيطاليا، الذين رأوا فيه طوق نجاة في إعادة تشكيل حكومة إيطالية تخرجهم من الفوضى والتعسف الألماني الذي وقعوا فيه بعد هدنة 8 سبتمبر.

وهكذا، نشـأت الحكومة من حالة ضـرورة لا يمكن إنكارها. وعلاوة على ذلك، فقد اسـتوفت جميع المتطلبات المعترف بها بموجب القانون الدولي، لكي تصـبح حكومة قانونية. فقد بقيت غالبية الأراضي الوطنية، بما في ذلك العاصمة، مع أكثر من خمسة أسداس السكان، محرومة من السيادة والحكومة، بسبب انتقالهم إلى العدو باستسلام مهين وغير مشروط. وقد أدى كل هذا إلى ضرورة مطلقة لإرساء نظام سياسي اجتماعي عسكري جديد، من أجل متطلبات الوجود المشترك نفسها. مارست هذه الحكومة السيادة الكاملة على السكان الذين كانوا يطيعونها - أدارت جميع الإدارات الحكومية بانتظام - أدارت العدالة من خلال قضـاء منتظم - وكان من المقرر أن تمتلك قوى نظامية قريبًا - وكانت تتمتع بقوات شـرطة نظامية - وقد اعترفت بها عدة قوى أجنبية.

لكن ليس قصـدي أن أروي هنا تاريخ "الجمهورية الاجتماعية الإيطالية". إنها كيان تاريخي-سياسي-قانوني موجود، يراد اليوم التنكر له، والتقليل من شأنه، والسخرية منه، لكن لا يمكن تجاهله في المستقبل.

يوجد بالفعل العديد من دارسـي القانون الذين يؤكدون أن حكومة الشـمال لم تكن مفيدة فحسب، بل ضرورية؛ وبعض كبار المفكرين يذهبون إلى أبعد من ذلك ليقروا بأنه بعد 8 سبتمبر 1943، كانت هناك حكومتان في إيطاليا: واحدة في الجنوب، والأخرى في الشـمال، وكلاهما كان لهما مظهر وخصائص "حكومة أمر واقع"، في الأراضي الوطنية المقسمة إلى قسمين ومحتلة في الشمال والجنوب من قبل جيوش أجنبية.[1]

ما هي الحرية الفعلية التي حظيت بها حكومة الملك في حكم جنوب إيطاليا، بعد أن استسلمت دون قيد أو شرط للعدو، وبالتالي أصبحت أسيرة له؟ أم أن حكومة الشمال كانت أكثر حرية في ذلك، في خمسة أسداس الأراضي المهجورة، عندما تمكنت من استعادة ألقاب التحالف؟

إذا كانت الشـكوك والعداوة الألمانية تلازمنا في الشـمال، فإن الأنكلو-أمريكيين كانوا يظهرون ازدراءً وعدم ثقة أكبر بكثير في الجنوب. من المؤكد أن تغيير الجبهة من هذا النوع قد قوبل بحماس من جانبهم، ولكن لم يُوافق عليه بنفس القدر، داخليًا، وفقًا لقوانين الشـرف والولاء والوفاء بالعهود الخالدة.[2]

---

[1] أنظر الملاحظة رقم 9 في الملحق

[2] هذا ما أورده "هـ. س. بوتشر" في هذا الشأن في كتابه "ثلاث سنوات مع أيزنهاور" (الصفحة 338): "خلال جميع المباحثات التي جرت في لشبونة، استرسل "كاستيلانو" والإيطاليون الآخرون في الحديث طويلاً وبإسهاب عن 'شرف إيطاليا'؛ رغم أنهم في ذات اللحظة التي يتشدقون فيها بكلمة 'الشرف'، كانوا يستلذون بوصف الكيفية التي عرقلوا بها 'غراندي' دون حياء، وكيف كانوا يطمحون إلى الانقلاب التام بمغادرة 'المحور' والتحول إلى حلفاء للأمم المتحدة"...!

أما فيما يخص الشمال، فإن المصادر المعادية القائمة على الإنكار تجدُ، للأسف، سنداً قوياً لدى أولئك الذين ــ برغم انضوائهم سابقاً تحت لواء "الجمهورية الاجتماعية" ــ يسعون اليوم لاستعادة "عذرية" موهومة؛ وذلك عبر تعرية جراح تلك الحقبة والمبالغة في تصوير آلامها.

لكن بالنسبة للجنوب، فإن باربرا باركلي كارتر هي التي تساعدنا دائمًا في المقارنة المثيرة. إليكم ما تكتبه في الصفحات 99-100 من العمل المذكور أعلاه. "وهكذا، تلك القيود التي أُعدت لحكومة موالية لألمانيا والفاشية، استخدمت لحكومة روما المحررة المناهضة للفاشية. وكان على بيروقراطية حليفة ضخمة مهمة السيطرة على كل تحركاتها. حتى أدنى الأعمال الإدارية العادية، مثل توظيف أو فصل الموظفين (كم من الفاشيين نجوا هكذا!)، أو زيادة الرواتب، لم يكن بالإمكان إجراؤها دون موافقة لجنة الحلفاء للسيطرة. يا له من خيبة أمل لشعب، يكافح الجوع، ويفتقر إلى أبسط الضروريات، لا يرى أي تحسن في الأفق، على الرغم من أنه كان يأمل الكثير منذ تحرير روما!

"جهلا بما عاناه الأحياء والأموات، دخل الإنكليز والأمريكيون روما وكأنها عاصمة عدو مهزوم. كانت الكهرباء شحيحة؛ فقيل لذلك: "لا كهرباء للإيطاليين!" استمر هذا الوضع طوال الشتاء، بينما كانت قاعات الرقص والفنادق والمنازل المصادرة التي لا تحصى غارقة في الضوء الكهربائي في جميع ساعات اليوم. - وقد تمت المصادرة بإشعار مسبق مدته ثلاث ساعات، كما هو معتاد في البلدان المعادية المحتلة عسكريًا -

"جاء ضابط سابق، مبتور الساقين، من تيفولي إلى روما على كرسيه المتحرك، ليطلب من ضباط لجنة المراقبة مدفأة كهربائية صغيرة، لمساعدته في ضعف الدورة الدموية. لم يتم استقباله.

"لم يتم استقبال وفد من المحافظة يطلب كمية الكهرباء اللازمة لتشغيل معاصر الزيتون لمدة شهر، لإنقاذ المحصول الثمين. ومنذ ذلك الحين، تعلم الرومان الاعتماد على قوتهم فقط، كما كان الحال تحت الاحتلال السابق: تم تحويل الكابلات الكهربائية بشكل غير قانوني، وتم إنقاذ الزيت.

أقيم جدار من البرودة بين الحلفاء (باستثناء الطبقات العليا) وإيطاليا المقاومة. في المقابل، سرعان ما نشأت علاقات ودية مع الأميرات الأنيقات وأفراد الطبقة الراقية الذين نجحوا في الحفاظ على موائدهم عامرة، وكانوا على استعداد لإظهار لطفهم، بنفس اللباقة التي استخدموها مع الغزاة السابقين. بل إن هذه العلاقات الودية تأسست بسرعة لدرجة أنها أثارت استياء الحاكم الأمريكي لروما، العقيد بوليتي. ولكن كيف كان يمكن النظر إلى هؤلاء الرجال، المتعبين والجائعين، الذين لم يعرفوا كيف يعاملوا المحررين بذلك الإذعان الذي أصبح طبيعيًا؟

[...، ص 101]. كتب مراقب إيطالي-إنكليزي من مكتب حرب المعلومات (P.W.B.)، في خريف عام 1945، أن السلطات الحليفة كانت محاطة بـــ"عاهرات من كلا الجنسين"، وهذا الحكم امتد ضمنيًا ليشمل الشعب الإيطالي بأكمله.

وماذا بعد؟ لنعد إلى الشمال.

لإعطاء الحكومة أساسًا فعليًا للقوة والهيبة، كان الهدف الأول هو إنشاء قوى مسلحة جديدة، كان وجودها من جهة سيكون حاميًا للشعب، ومن جهة أخرى سيرفع من شأننا وسلطتنا أمام الحلفاء القدامى. كان موسوليني قد أعلن في خطاباته من ميونيخ أن الجيش الجديد، الذي سيعتمد على الميليشيا، سيعاد تشكيله حصريًا من عناصر فاشية. ثم أوضح وجهة نظره هذه في أول مجلس للوزراء: «في إعادة التنظيم الجارية للقوات المسلحة، يتم دمج القوات البرية والبحرية والجوية على التوالي في الميليشيا، والبحرية، والقوات الجوية التابعة للدولة الفاشية الجمهورية. ويتم التجنيد عن طريق التجنيد الإلزامي أو التطوع. وبالنسبة للضباط وضباط الصف، مع احترام حقوقهم المكتسبة، يتم تعديل المعاملة الأخلاقية والاقتصادية لتتناسب مع المهمة السامية لمؤسسة عسكرية حديثة، ومع المتطلبات الجديدة للحياة الاجتماعية».

كما نرى، تم حظر كلمة «جيش» وبدلاً منها تم الحديث عن «ميليشيا»: أي هيئة حزبية. لذلك، عارضتُ مفهوم موسوليني، النابع من الحزب، بمفهوم تنظيم القوات المسلحة على أساس وطني وغير سياسي، مع كوادر ضباط متطوعين حصريًا، ومعظم القوات من المتطوعين، لكي يتمكن كل الشعب، بغض النظر عن انتمائهم الحزبي، من الدفاع عن الوطن. بعد عودتي إلى روما، وبالتعاون مع الجنرال إميليو كانيفاري، الذي تولى منصب الأمين العام للقوات المسلحة، تم إعداد مشروع مستوحى من هذا المفهوم. وافق موسوليني على الفور على أطروحتي، وبالتالي، في مجلس الوزراء الذي عُقد في غارغنانو يوم 28 أكتوبر 1943، تم إقرار قانون تأسيس القوات المسلحة الجديدة، والذي نص في المادة 19 منه، بعد معارضة شديدة من الهيئات الحزبية، على عدم سياسية القوات المسلحة. ونصت المادة على ما يلي: «لا يجوز للضباط وضباط الصف والجنود في الخدمة الفعلية ممارسة أي نشاط سياسي»، وبناءً على ذلك، تم منع تسجيل الضباط في الحزب الفاشي الجمهوري الجديد بشكل مطلق.

بدأت جميع الصحف الجمهورية، بموافقة الوزير ميتزاسوما للثقافة الشعبية، وعلى رأسها روبرتو فاريناشي في صحيفته «النظام الفاشي»، على الفور حملة عنيفة ضدي، وضد هيئة الأركان، وضد القوات المسلحة النظامية غير السياسية. كان يصرخ بخطأ الحكومة، لعدم امتلاكها الشجاعة لتشكيل جيش «حزبي». إذا كان هذا يرضي «التحزب»، فإنه لم يكن، ولا يمكن أن يكون، ضمن رؤاي، التي، على أي حال، لم أخفها عن أحد. كانت إرادتي ومهمتي هي

إنشاء قوات مسلحة في خدمة الأمة بأكملها، وفي هذا المنظور الوطني وليس الفئوي، قمت بعملي حتى النهاية.

من وجهة نظر دولية، كانت القوات المسلحة الجديدة ستعطي جسدًا ومضمونًا جديدين لمشاركة إيطاليا في التحالف الثلاثي، وشكلاً متجددًا للتحالف مع ألمانيا، للحصول، في حالة النصر، على الاعتراف بحقوقنا.

جميع الذين يريدون اليوم تبرير الاستسلام غير المشروط في سبتمبر 1943، يؤكدون أن الحرب كانت تعتبر بالفعل خاسرة بالنسبة لألمانيا، ولهذا السبب أيضًا، كان انعطافنا مبررًا. على أي حال، من وجهة نظر أخلاقية، لا يمكن أن يبدو من المقبول التخلي عن الحليف الذي حاربنا جنبًا إلى جنب معه لمدة ثلاث سنوات، في اللحظة التي تسوء فيها الأمور، لرمي أنفسنا في أحضان عدو الأمس، على أمل الحصول على التساهل والصفح والكرم والشهامة. كل من تغذى على هذه الآمال وجد ردًا مناسبًا في إملاء باريس.

وعندما يتم الرد بأنه في عام 1943 كان لا يزال هناك المجهول المأساوي للأسلحة السرية، الذي غطى نتيجة الحرب والنصر بعدم اليقين، نشعر على الفور بتقليل قيمة هذه الحجة، التي كانت في ذلك الوقت مخيفة وواقعية. اليوم لم يعد سرًا لأحد أن القيادة الأنكلو-أمريكية، التي كانت حذرة جدًا في إدارة الحرب، انطلقت بحزم في صيف عام 1944 ضد الجدار الأطلسي، على وجه التحديد لأنها شعرت بالحاجة الملحة التي لا يمكن تأجيلها لغزو الأراضي الفرنسية، حيث كانت تقع منشآت الأسلحة السرية الألمانية، لتدمير قواعد انطلاقها ومصانعها. ومن المعروف أيضًا أن العالم أوتو هان، الحائز على جائزة نوبل لعام 1944، كان في لندن لمدة أربعة أشهر عندما أُلقيت أول قنبلة ذرية على هيروشيما. في نفس هذه الأيام، لم تخف الصحافة الأنكلو-ساكسونية أن الألمان كانوا يسعون لبناء القنبلة الذرية، مع تقدم ستة أشهر عليهم، وشكر تشرشل نفسه، في أحد خطاباته، العناية الإلهية لإنقاذ إنكلترا من الكارثة الهائلة. فقط بضعة أشهر من التأخير، إذن، جعلت الألمان ليسوا أول من استخدم هذا السلاح الرهيب، أو غيره من الأسلحة الأكثر تدميرًا التي كانوا يجهزونها.

اليوم، وقد اعترف الحلفاء أنفسهم، حتى بعد النصر، بأن الخطر كان موجودًا بالفعل، كيف يمكن الاستمرار في القول إنه في سبتمبر 1943 كانت ألمانيا تشعر، ويجب اعتبارها، مهزومة؟

هكذا تحدد باربرا باركلي كارتر [ص 68] حالة الإيطاليين النفسية، لحظة وصول الحلفاء:

«وهكذا، فإن الطلبات الملحة للمشاركة بنشاط في القتال ضد الألمان، والتي كانت تُقدم أحيانًا من قبل رجال خاطروا كثيرًا للوصول إلى خطوط الحلفاء، كانت تُعتبر انتهازية غير أمينة، ومناورة وقحة للانتقال إلى جانب المنتصرين، على الرغم من أنه لم يكن واضحًا في ذلك الوقت أن هذا

الجانب سيفوز بالتأكيد، وأن قوة الجيش الألماني كانت تبدو لمعظم الإيطاليين أقوى من أي وقت مضى.» [تأكيد من المؤلف]

إذا كانت ألمانيا قد فازت، فمن كان سيحمي حقوق إيطاليا، إن لم تكن حكومة الشمال؟ وإذا لم تكن قد قدمت مساهمة حقيقية بالأسلحة، فما هو الاعتراف الذي كنا سنطمح إليه؟ الجنرال ديغول، الذي ظل وفيًا للتحالف الإنكليزي، كان الوحيد القادر على دعم المطالب الفرنسية.

وهكذا، كان للقوات المسلحة الجمهورية، التي أعيد تشكيلها في إطار «حكومة الشمال [الفعلية]»، طابع إصلاحي أخلاقي ووطني بحت، مع أهداف وغايات ذات طبيعة دولية، لحماية حقوقنا، في حالة النصر الألماني.

وُلدت القوات المسلحة للجمهورية الاجتماعية قانونياً في 28 أكتوبر 1943، عقب موافقة مجلس الوزراء على مرسومين تشريعيين متزامنين: الأول نص على حل القوات المسلحة الملكية اعتباراً من 8 سبتمبر، ومع ميلاد القوات المسلحة الجمهورية في 9 سبتمبر؛ والثاني شكّل القانون الأساسي، أي حدد ملامح القوات المسلحة وخصائصها القانونية والالتزامات العسكرية للمواطن.

شكّل القانون نظاماً متكاملاً تماماً؛ لقد منحنا قوات مسلحة موحدة، ووضع حداً للنظام المؤسف المتمثل في تكاثر الكيانات العسكرية المتوازية والمتنافسة، وكلها علاوة على ذلك غير فعالة. للأسف، لم يتم احترام الجوهر الوحدوي، بعد فترة، من قبل موسوليني الذي قام بإنشاء الحرس الوطني المستقل بميزانية خاصة به، مما أدى إلى كسر هذا الجوهر وتجديد الفجوة السياسية. لم يستطع مقاومة ضغط الأجهزة الأكثر حماسة في الحزب، التي أكدت أنه لن يتم إقامة جنازات الميليشيا مرة أخرى.

وفقاً لمشروع وزارة الدفاع، لم يكن من المفترض أن يضم الحرس الوطني الجمهوري سوى جنود الكارابينيري الذين بقوا طواعية في الخدمة، مع بعض الإضافات، ومهمة الحفاظ على النظام في الريف والمدن: في المدن، كانت قوات الشرطة بالمعنى الحقيقي، والمؤلفة من وكلاء وعناصر شرطة العاصمة المجمّعين في هيئة واحدة، ستعمل أيضاً.

وصلت قوة الحرس الوطني الجمهوري إلى 150 ألف رجل، جميعهم متطوعون؛ وبهذه الطريقة عادت "ازدواجية القوات المسلحة".

بعد أن ظهرت كل أضرار النظام، اعتقد موسوليني أنه يمكنه تدارك الأمر، فأقر بأن الحرس الوطني الجمهوري سيأخذ مكانه ضمن الأسلحة التي تشكل الجيش، في ترتيب الأسبقية الذي كانت تحتله سابقاً قوات الكارابينيري، لكن هذا الإجراء بقي شكلياً بحتاً، لأنه استمر في الاحتفاظ

بطابع الاستقلال المطلق، سواء من الناحية التنظيمية أو الإدارية أو التشغيلية، وخارج وزارة القوات المسلحة تماماً.

بعد الحرس الوطني الجمهوري، جاءت الفرق السوداء بقيادة أمين الحزب، وبذلك اكتمل التعدد الفوضوي للكيانات المسلحة. ومع ذلك، في خطابه الأخير في ديسمبر 1944 في قلعة سفورزيسكو، كان موسوليني لا يزال يدعو إلى ضرورة تحقيق وحدة القوات المسلحة، التي كان هو نفسه قد جعلها مستحيلة بهذا الشكل. مظهر جديد للتناقض الدائم بين الفكر والعمل، والذي كان أحد الجوانب المميزة لعقليته، وربما عيبه الرئيسي.

لقد بلغ الشرخ الذي نشأ بين القوات المسلحة المختلفة درجة من الاتساع، حتى إن مجرد محاولة إسناد وظيفة موحدة معينة للسيطرة التأديبية إلى رئيس الأركان العامة بقيت عقيمة، بسبب المعارضة التي أعلنها قادة الألوية السوداء والحرس الوطني الجمهوري. وقد انضم عدد كبير جداً من الشباب إلى صفوف هذا الأخير، والذين، مليئين بالحماس والإيمان، كانوا يتوقون إلى خوض غمار القتال ضد العدو، بدلاً من استخدامهم في أعمال الشرطة. ولم يتمكن سوى عدد قليل من الوحدات من تحقيق هذا الشرف المنشود، وقاتلوا بشجاعة وبطولة ضد الأنكلو-أمريكيين، على جبهة الجيش الثامن.

استمر وزير القوات المسلحة حتى اللحظة الأخيرة في التمتع بصلاحيات كاملة وحصرية على الجيش والبحرية والقوات الجوية. وكان تحت إمرته ثلاثة وكلاء وزارة وثلاثة رؤساء أركان. وهكذا تحققت الوحدة الإدارية والعملياتية الكاملة، حيث كان يشغل أيضاً مهام رئيس الأركان العامة.

كان معاونوني على التوالي: في الحرب، الجنرال أومبيرتو جيليو، وكيل وزارة؛ الجنرال غاستوني غامبارا، رئيس الأركان؛ ثم حل محله، بسبب المرض، الجنرال أرشيميدي ميسكي.

في البحرية: الأدميرال ليغاني، الذي توفي في الأيام الأولى بسبب حادث سيارة؛ ثم النقيب البحري فيريني، ثم الأدميرال سبارزاني كوكيلَي وزارة؛ الأول والثالث، أيضاً رؤساء أركان.

في القوات الجوية: تناوب في مهام وكيل الوزارة المقدم بوتو، "صاحب الساق الحديدية"، الجنرال تيساتي، العقيد المتقاعد مولفيسي، الجنرال بونومي؛ أما رئيس الأركان، من اليوم الأول حتى الأخير، فكان المقدم بايلون.

عندما توليت قيادة جيش "ليغوريا" في منتصف أغسطس 1944، كان عليّ أن أكرس نفسي له بشكل أساسي، مع الاحتفاظ بمهام الوزير شكليًا. في الواقع، كان موسوليني في تلك الفترة يتعامل مع جميع المسائل المتعلقة بالقوات المسلحة مباشرة مع وكلاء الوزارة.

حينها استبدل قادة المقاطعات، الذين كانوا ضباطاً في الجيش، بآخرين من الحرس الوطني الجمهوري، وعين وكيلين لوزير الجيش ووزير البحرية، وهما شخصيتان سياسيتان بارزتان: للجيش، المحافظ كارلو إيمانويل باسيلي، وللبحرية، حامل ميدالية الشرف الذهبية جيميللي.

لقد تم تمييز هؤلاء جميعاً إما دون محاكمة أو تمت تبرئتهم بالكامل، مثل الجنرال غاستوني غامبارا، الذي كان أول من أعاد تنظيم الجيش؛ أو تمت محاكمتهم وتبرئتهم قبل العفو، أو حُكم عليهم بعقوبات خفيفة ثم شملهم العفو.

إذا كانت النتائج القضائية إيجابية للجميع، فلا بد لي أن أستنتج أنه لم تُنسب إليهم جرائم خاصة، وبالتالي لم يتلقوا أوامر تدفعهم إلى ارتكاب جرائم، أوامر صادرة عني بصفتي وزيراً.

في الثالث عشر من أكتوبر، غادرت معسكر غويدونيا متوجهاً إلى مقر القيادة الخاص بالفوهرر في سيليزيا العليا. كان يرافقني المقدم الألماني دولمان. في مهبط الطائرات قرب المقر العام، كان المشير كايتل في انتظاري، فاستضافني في قطار القيادة الخاص به. بعد ذلك مباشرة، استقبلني هتلر في كابينته السكنية والمكتبية، التي كانت مخبأة عن أنظار الطائرات بغابة كثيفة، وكانت متواضعة جداً في متطلباتها. استقبلني هتلر عند الباب. لم أره منذ عام 1938، تاريخ زيارته لروما. بدا لي أكبر بخمسة عشر عاماً، بلا رونق شخصي؛ سترته الرمادية من الطراز النمساوي للحرب الأخرى، وسراويله السوداء الطويلة، وأحذيته المسطحة المصقولة، جعلته يشبه الزاهد؛ كانت مشيته منحنية إلى الأمام، وعيناه بلا قسوة، باهتة تقريباً. لون يديه ووجهه الشفاف أكمل مظهراً مقدساً، بدلاً من مظهر قائد حرب بهذه الأهمية.

استقبلني بالكلمات التالية: "أنا آسف لأن هذه المهمة الشاقة يجب أن تقع عليكم بالذات". وأضاف: "لقد أحسنتم في قبول مهمتكم، لأنه بالنسبة للجندي، ليس من الممكن البقاء طويلاً خارج ميدان العمل والشرف."

دخلنا غرفة عمله الواسعة جداً، التي تتوسطها طاولة مستديرة. كان هناك موقد حائط كبير، محمل بالفعل بالحطب، جاهز للإشعال الذي أمر به هتلر. ولأول مرة يحدث هذا في ذلك الموسم البارد الذي بدأ للتو، وقد أراد هذا الطقس أن يرمز إلى تعزيز الصداقة الإيطالية-الألمانية التي كنت سفيراً لها.

دخل جميع كبار ضباط الأركان وكنت وحدي، بصفتي من يطلب. كنت أحمل رسالة من موسوليني، يصف فيها الوضع العام في إيطاليا، ويطلب الدفاع عن روما، مبرهناً على ضرورة ذلك كأمر جوهري حتى من وجهة النظر الدولية، لما ستترتب عليه من تداعيات سياسية خطيرة في العالم بأسره، من فقدان، ليس العاصمة الإيطالية، بل "روما".

في هذه النقطة، كان رأي المشيرين الألمانيين في إيطاليا، كيسلرينغ ورومل، متبايناً. الأول أبدى تأييداً للدفاع عن روما، بينما رأى الثاني أنه من الأنسب الانسحاب مباشرة إلى خط سبيتسيا-ريميني، لتغطية وادي بادانا. هتلر، في هذا الصدد، كان يشارك موسوليني رأيه بالفعل، ولذلك لم تشكل هذه النقطة موضوع نقاش.

كان الدوتشي يطلب أيضاً توفير الوسائل اللازمة لإعادة بناء القوات المسلحة، وخاصة الجيش والطيران.

على الطاولة الواسعة (نفس الطاولة التي ستتحطم لاحقاً في 20 يوليو 1944)، كانت هناك خريطة كبيرة لإيطاليا رسم عليها خط يشير إلى ما يسمى "منطقة العمليات"، والتي امتدت من ستيلفيو إلى البحر الأدرياتيكي.

في البداية، كان من المفترض أن يمتد هذا الخط غربًا، ليشمل كامل قوس جبال الألب، وبالتالي يشمل أيضًا وديان بييمونتي، ولكن تم التغاضي عن ذلك.

في المنطقة المحددة بهذه الطريقة، لم يكن للسلطات السياسية الإيطالية أي سلطة قضائية. وقد تم تقسيمها بين حاكمي الرايخ الألمانيين في جنوب تيرول والبحر الأدرياتيكي.

وقد مُنعت السلطات العسكرية الإيطالية منعاً باتاً من التنقل بحرية فيها، وتم إلغاء القيادة الإقليمية الإيطالية التي كانت قائمة في بولزانو.

وفي المقابل، تم الاحتفاظ بها في تريستي، لكن السلطات الألمانية كانت تهدف أيضاً إلى سحبها، بحجة أن وجودها كان يعكر صفو ما يسمى بسياسة "رعاية الأعراق" التي كان يقوم بها حاكم التابع للرايخ (الغالايتر)[1] الموالي للنزعة النمساوية.

كان السفير "راهن" يضغط على موسوليني في هذا الاتجاه، وقد أشار إليّ مراراً وتكراراً بشكل خجول، لكنني رفضت دائماً.

وافق موسوليني على هذا الإجراء مني، وتركني أقاتل شخصيًا، كما حدث مرات عديدة، ضد هذا الادعاء الألماني. ذات يوم، أبلغني السفير راهن، عبر المقدم الألماني هيغنراينر، الملحق بقيادتي بصفته "ضابط اتصال"، علانية برغبة سحب القيادة الإقليمية من تريستي، التي كان يشغلها قائد الفيلق جوفاني إسبوزيتو، وهو ما كان سيعني اختفاء علمنا من فينيتسيا جوليا.

---

[1] الغالايتر :(Gauleiter) رتبة سياسية قيادية في الحزب النازي كان يحملها الحاكم الإقليمي. [المترجم]

أجبت بأنني سأفضل أن يتم اعتقالي في ألمانيا على الفور، بدلاً من تحمل مثل هذا الإذلال لكرامتنا وحقنا، فمدينة تريستي ومنطقة فينيتسيا جوليا، بالنسبة لنا كإيطاليين، تمثل أقوى دافع لشعورنا الوطني.

ليس هذا فحسب، بل في الأيام التالية وصلت فجأة إلى أوديني، التي كانت تعتبر بالفعل منطقة محظورة، لزيارة فوج جبال الألب "تالْيامنتو" بقيادة العقيد زولياني، والذي يتكون بالكامل من المتطوعين، والذين دافعوا بشجاعة عن فريولي حتى النهاية ضد عصابات البارتيزان السلافية.

منذ ذلك اليوم، تم كسر الحظر المفروض، وتمكنت السلطات العسكرية وتلك التابعة للحزب من الدخول بحرية إلى فينيتسيا جوليا وتريستي.

تضمنت القوات الإيطالية المتمركزة هناك وحدات من الجيش والبحرية وقوات "X ماس" والحرس الوطني الجمهوري.

الجنرال إسبوزيتو، شخصية بطولية من الجنود. حائز على الميدالية الذهبية في حرب ليبيا الأولى، أصيب عدة مرات، وحصل على عدة أوسمة، أبقى علمنا مرفوعاً على برج سان جوستو حتى وصول الحلفاء.

لكنه حكم عليه بالسجن ثلاثين عامًا لأنه - هكذا يؤكد الحكم الجائر - "شكل جيشاً من الخونة".

هل كانوا حقاً خونة للوطن، ذلك القائد وهؤلاء الجنود من الجمهورية الاجتماعية، الذين دافعوا عن تريستي وغوريتسيا ضد السلاف حتى وصول القوات الأنكلو-أمريكية؟

لنعد الآن إلى اجتماع 13 أكتوبر 1943، في مقر قيادة هتلر. بعد الدخول في موضوع إعادة بناء القوات المسلحة، اقترحت سحب العناصر المتطوعة الضرورية لإعادة تنظيم عدد معين من الفرق من معسكرات الاعتقال التي كانت قد تشكلت للتو. كان هذا أيضًا فكر موسوليني، وقد تم الاتفاق بالفعل على اعتماد مبدأ عدم سياسية المنتمين، تمامًا كما كان على وشك الإعلان في القانون الجديد الخاص بتشكيل القوات المسلحة.

في تلك اللحظة، في الواقع، كان مئات الآلاف من المرحلين يطلبون وكانوا مستعدين للانضمام واستئناف حمل السلاح؛ من بينهم العديد من الضباط.

لكن هتلر، مع هيئة أركانه، حكم على هؤلاء الرجال بأنهم محبطون بسبب الضربة التي تلقوها، وفي ظروف لا تسمح بالاعتماد عليهم بشكل كافٍ للتعافي. فأصررت حينها على أن يتم تمكيني من زيارة فورية للمخيمات لأتحقق من الوضع بنفسي، لكن الرد كان أنهم ما زالوا في طور الترتيب.

في مواجهة طلبي، الذي تلخص في النقل الفوري لأي متطوعين إلى إيطاليا، لإعادة بناء الفرق في الأراضي الوطنية، اقترحت هيئة الأركان الألمانية بدلاً من ذلك إعادة تنظيمها، بعناصر قيادية، ضباط وصف ضباط، يتم سحبهم من معسكرات الاعتقال، واستكمال أعداد القوات، من داخل إيطاليا عبر استدعاء المواليد للخدمة العسكرية، مع تلقي التدريب اللازم في ألمانيا.

لقد كان الوضع الداخلي للبلاد، التي غاصت في غيابة الفوضى عقب أحداث الثامن من سبتمبر، يشي بصعوباتٍ جسيمة ومحاذيرَ تجعل من مسألة "التجنيد الإلزامي" أمراً بالغ التعقيد؛ وبناءً عليه، أعلنتُ عدم قدرتي على تأييد هذا المقترح، مع الاحتفاظ بحقي في رفع تقريرٍ بشأن ذلك إلى رئيس الحكومة.

ثم تطرق الحديث إلى عدد الفرق التي سيتم إعادة تشكيلها. في البداية أربع، ثم ثماني، ثم اثني عشرة. ستكون بنيتها التنظيمية وتسليحها متماثلين لتلك الخاصة بفرق المشاة الألمانية. في حال موافقة موسوليني على المشروع الألماني، فسيتم تجهيز الجنود في إيطاليا، وسيتلقون التدريب في معسكرات التدريب الألمانية الكبيرة، التي أُنشئت لهذا الغرض منذ زمن السلم.

مؤسسة رائعة لم تتمكن هيئة أركاننا أبدًا من إنشاء مثال واحد منها على الأقل. كان معسكر غرافينفور وحده يمتد على مساحة خمسة وثلاثين ألف هكتار ويسمح بالمناورات بالذخيرة الحية لفيلق بأكمله، وتدريبات لفيلقين متقابلين.

مدة الإقامة في ألمانيا للتدريب: ستة أشهر.

في 14 أكتوبر، بعد عودتي إلى إيطاليا، أبلغت موسوليني، الذي وافق تماماً على رأيي، بأن الفرصة التي لا غنى عنها هي عدم المضي في استدعاء المواليدإلى السلاح.

لتوقيع البروتوكولات ذات الصلة، أُرسل الجنرال إميليو كانيفاري إلى ألمانيا في اليوم التالي، مع أمر قاطع، كرره موسوليني وأنا، بعدم التراجع عن هذا المبدأ.

قاومت القيادة الألمانية. أظهروا لكانيفاري البروتوكولات التي تم إعدادها بالفعل بناءً على التقارير المختصرة المتعلقة بلقائي السابق، والتي (حسب كانيفاري) لم تذكر شيئًا عن رأيي. كان عليه بالطبع أن يطلب توضيحًا هاتفيًا. لم يفعل، ووقع على البروتوكولات مما جعل أي اعتراض لاحق من جانبنا "مستحيلًا مسبقًا". وهكذا حدث بالفعل، لأنه عندما أعاده موسوليني على

الفور إلى ألمانيا للحصول على مراجعة، لم يكن من الممكن النجاح في ذلك، على الرغم من محادثة أخيرة مباشرة جرت هاتفيًا بين موسوليني نفسه والمشير كايتل.[1]

بهذه النشأة غير الواعدة، وصلنا إلى "استدعاء الفئات للخدمة العسكرية". في 20 أكتوبر 1943، أصدرت وزارة القوات المسلحة البلاغ الإذاعي التالي:

"اعتبارًا من 20 الشهر الجاري، يجب على جميع مكاتب التجنيد استئناف عملها بشكل منتظم."

في الواقع، كانت السلطات الألمانية تحظر الاتصالات البرقية من المركز إلى الأطراف، واستمر هذا الحظر طوال شهر نوفمبر.

ومع ذلك، وصلت الأخبار تدريجياً من مختلف المقاطعات، وتبيّن أنه، بعد الإعلان، وبمبادرة من الضباط وضباط الصف، كانت مناطق ومستودعات التجنيد تعاود الفتح في كل مكان، وأن الأفراد العسكريين، الذين كانوا قد تشتتوا سابقاً، كانوا يتدفقون إليها لاستئناف العمل.

في 6 نوفمبر، أطلق الجنرال غاستون غامبارا، رئيس أركان الجيش، نداءً حاراً عبر الإذاعة إلى جميع جنود إيطاليا، داعياً إياهم إلى الاستجابة لنداء الوطن.

وقال: "ما دام هناك رجال شرف يقاتلون، فستكون هناك إمكانية للخلاص. إذا ضاع الشرف، فلا مفر، إنها نهاية كل أمل. أيها الشباب! تولوا مكانكم في القتال في جيشكم الذي سيكون بكم قوياً بكل تقاليده من الشرف والشجاعة، جنباً إلى جنب مع الرفاق الألمان. أنا في انتظاركم. لا تلطخوا شعاراتكم. سنقاتل معاً كما هو الحال دائماً: كما في إفريقيا - في إسبانيا - في فرنسا - في ألبانيا - في سلوفينيا - وفي كرواتيا، من أجل إيطاليا دائماً. أيها الجنود! لنكن جديرين بأنفسنا وبأمواتنا، ولنمنحهم السلام بأفعال رجولية."

توجيهات جليلة!

بما أنني كنت أنوي أن يتم كل شيء في إعادة تنظيم القوات المسلحة بصفة قانونية مطلقة، فقد قمت باصدار مرسوم في نوفمبر بإعادة تشكيل القضاء العسكري، الذي ظل يرأسه المحامي العام تشانكاريني.

---

[1] يتناول الجنرال كانيفاري، في ملحق كتابه " قال لي غراتسياني" (Graziani mi ha detto)، رقم 9، الصفحتين 285 وما يليهما، هذه الأحداث على نطاق واسع، لكنه ينسى ذكر الظرف الأهم، وهو الأمر الصارم الذي صدر بعدم التراجع عن موقفنا.

تم تقسيم الأراضي الوطنية، التي كانت تسيطر عليها حكومة الشمال، إلى سبع قيادات إقليمية. وتتبعها عدد معين من القيادات الإقليمية. أي: قيادة أليساندريا الإقليمية مع اختصاص على بيمونتي، ليغوريا، ومقاطعة بياتشينزا؛ ميلانو مع اختصاص على لومبارديا؛ تريستي لمدينة فينيتو وفينيسيا جوليا؛ بولونيا لمدينة إميليا؛ فلورنسا لتوسكانا، ماركي، وأومبريا؛ روما للاتسيو وأبروتسو؛ بولزانو لفينيسيا ترينتينا (ألغيت لاحقًا).

تم تشكيل عدد مماثل من المحاكم العسكرية ومقارها في تورينو - ميلانو - فيرونا - تريستي - بولونيا - فلورنسا - روما.

كما أُنشئ قسم في المحكمة العليا، وكان مقره في البداية في كريمونا، ثم في تورينو.

كان المحامي العام تشانكاريني دليلاً قيماً لضمان سير العدالة العسكرية، بعد إعادة تشكيلها، ضمن حدود القانون، في ظروف صعبة للغاية، ليس فقط بسبب طبيعة الأمور نفسها، ولكن أيضاً بسبب ضرورة صد المحاولات الألمانية المستمرة للتدخل فيها.

حتى اللحظة الأخيرة، حاولت تأخير دعوة المواليد إلى الخدمة العسكرية، بانتظار تجهيز المناطق والمخازن بالمواد الضرورية للملابس، والمعدات، والإيواء، والتسليح. في الواقع، بعد 8 سبتمبر، تم إزالة كل شيء وتخريبه من قبل الألمان (في الفترة التي سبقت 23 سبتمبر)، ومن قبل السكان الذين أكملوا نهب المنشآت.

الألمان، الذين كانوا يعرفون هذا الوضع أفضل من أي شخص آخر، كانوا يضغطون على موسوليني ليتم الاستدعاء في أقرب وقت ممكن، وقد استسلم هو، وأمرني، خلال إقامتي في روما في نوفمبر، باستدعاء الفئتين الثانية والثالثة من مواليد 1924، وجميع مواليد 1925.

أمام عيني نص "بيان الاستدعاء" المدرج في وثائق محاكمتي. إنه يتناول الفئات التي يجب استدعاؤها، والاستثناءات، والأحكام الخاصة لطلاب الطب، والمعاملة الاقتصادية والمساعدة للعائلات. عبثًا سيبحث المرء فيه عن أي إشارة إلى العقوبات الجنائية المتعلقة بالمتقاعسين عن الاستدعاء، حتى تلك العادية التي ينص عليها القانون الجنائي العسكري للمتهربين.

كما أن وثائق محاكمتي تشتمل على نصوص أوامر وإعلانات استدعاء من قبل مختلف الجهات سواء في الجيش أو البحرية أو القوات الجوية. ولا توجد في أي منها تهديدات بـ"الإعدام الفوري" أو "الإعدام بإجراءات موجزة". ومع ذلك، في تقرير الشرطة القضائية الملحق بالمفوضية العليا، والذي استندت إليه أسباب أمر اعتقالي، أُتهم "بإصدار قوانين عسكرية وأوامر تفرض عقوبة الإعدام دون توقف، لتحقيق مقاصدي".

كان هناك قانون استثنائي واحد فقط، لم يصدر بناءً على اقتراحي، بل صادر عن رئيس الدولة والحكومة:[1] وهو القانون المتعلق بالرافضين لدعوة حمل السلاح، وسنرى لاحقًا نشأته الدقيقة، وكذلك الدور الذي لعبته فيه، لتأخير إصداره أولاً، ثم تخفيف قسوته.

أعطى استدعاء فئتي 1924 و 1925، على الرغم من جميع الظروف المعاكسة، نتائج لم يجرؤ أحد على توقعها. كانت هناك نسب مختلفة في المقاطعات المختلفة، ولكن بشكل عام كانت النتيجة مواتية جدًا.

احتلت إميليا المرتبة الأولى بنسبة 98 (أقول ثمانية وتسعون) في المئة من الحاضرين!...

أليس هذا هو أفضل مؤشر على الترحيب الشعبي بتشكيل الحكومة الجديدة؟ حتى ذلك الحين، لم يصدر قانون الصرامة بعد، ولم تكن هناك قوة شرطة قادرة على جمع المدعوين قسراً.

كان الحضور تلقائياً، ولو لم يرتكب موسوليني خطأ إبقاء رجال فترة ما قبل 25 يوليو في مواقع القيادة، ولو لم يرتكب الألمان أخطاء نفسية، لكانت حكومة الجمهورية الاجتماعية قد شهدت تطوراً مختلفاً تماماً، ومعها تنظيم القوات المسلحة الجديدة.

استغل قادة المقاومة السرية هذا الوضع بمهارة كبيرة، فضاعفوا جهودهم الدعائية لتحييد النتائج الإيجابية التي حققناها.

أضيف إلى ذلك: عدم استعداد المخازن، والمناطق، والتخريب الذي قام به نفس عناصر القيادة في العديد منها، والتدخل الألماني غير الملائم الذي أثار النفوس.

ولكل هذه الأسباب، انتشرت ظاهرة الانشقاق بسرعة.

طلبت القيادة الألمانية العليا تطبيق إجراءات صارمة لوقف التطور التدريجي للانشقاق، لكنني لم أوافق على ذلك قط.

تتضمن وثائق محاكمتي مستندات لا تدع مجالًا للشك في هذا الشأن: رسالة من القائد الألماني الأعلى بتاريخ فبراير 1944 ورد مني في نفس الشهر من عام 1944. إليكموها:

"من القائد الألماني الأعلى إلى وزير القوات المسلحة الإيطالية:

"12 فبراير 1944 - في الآونة الأخيرة، اتخذت حالات الانشقاق بين أفراد التشكيلات الجديدة للجيش الإيطالي أبعادًا لا تحتمل.

---

[1] صدر المرسوم بعنوان: «الدوتشي، رئيس الحكومة»، دون حتى الصيغة الرسمية «بعد الاستماع إلى مجلس الوزراء.«

"أقدم لكم بعض الأمثلة: من كتيبة "سـيينا"، أثناء انتقالها من فيرتشـيلي، فر 340 رجلاً. ومن وحدات شمال إيطاليا في الأسابيع الخمسة الماضية 3500 رجل. ومن كتيبة "العمال" رقم 105، أثناء انتقالها إلى موقع العمل، 548 رجلاً؛ ومن 756 مجندًا، تم جمعهم للخدمة العسكرية، في الفترة من 2 إلى 7 فبراير فقط، 425. لدي انطباع بأن القيادات الإقليمية والمحافظات، وكذلك قادة الوحدات والضباط المسؤولين، لا يتمتعون بالقوة والطاقة الكافية. وبما أن تشكيل جيش إيطالي جديد قوي يهم الطرفين، أرجوكم، سـيدي المشـير، اتخاذ إجراءات لوقف المزيد من التفكك. ومن الضـروري لذلك، أن تعمل جميع السـلطات الإيطالية بجدية في مصـلحة هذه المهمة، وتنفذ أوامركم بمزيد من الطاقة. سـأكون ممتنًا لو أبلغتني بالإجراءات الخاصـة التي تم اتخاذها. - كيسلرينغ".

"من وزير القوات المسلحة الإيطالية إلى القائد الألماني الأعلى:

"18 فبراير 1944، أسباب التغيب التعسفي عن الوحدات معروفة لكم أيضاً. يا سعادة المشير! لقد وجدت الدعاية المعارضة غذاءً سهلاً في الصعوبات المتعددة التي واجهناها لبدء عمل إعادة البناء الشاق، وهي صعوبات تعود إلى الفوضى الكاملة لجميع الخدمات - بدءاً من تلك الضرورية لحياة الرجال وإيوائهم - وإلى التأخير الذي تمكنت بعض القيادات الألمانية الطرفية من توفير مواد الملابس والإيواء. في هذا الوضع، لا يثير الدهشة إذا لم يتمكن الرجال، في منتصف الشتاء، ممن يرتدون ملابس سـيئة ويقيمون في ثكنات تفتقر أو تكاد تكون خالية من أي راحة، من مقاومة إغراء المغادرة.

"لهذه الاعتبارات، لم أرَ من المناسـب، ولا كان من العدل، تطبيق عقوبات صـارمة ضـد المخالفين، أو ضد أسرهم. لذلك اضطررنا إلى الاقتصار بشكل أساسي على القيام بعمل إقناعي، ورفع روحي، يهدف أساساً إلى إلغاء الدعاية المعارضة من خلال تكثيف عمل العقاب تدريجياً مع تقدم التنظيم اللوجستي، وتنظيم قوات الشرطة. - غراتسياني".

يبدو لي أن هذا المستند يوضح بما فيه الكفاية المعايير التي اتبعتها في تطبيق الإجراءات العقابية والتأديبية.

كانت السـلطات الألمانية تضـغط بالتوازي على الدوتشـي لتطبيق عقوبات شـديدة. كتب موسوليني بخط يده، منذ نوفمبر، بمناسبة استدعاء فئتي 1924-1925، مقالين أو ثلاثة أساسًا لمرسـوم كان من المفترض أن يوسـع عقوبة الإعدام للمتخلفين عن الاسـتدعاء، وبذلك يسـاويهم بالهاربين في وجود العدو. وقد احتفظت بمسودة هذا المرسوم مخبأة حوالي ثلاثة أشهر.

في النصف الأول من شهر فبراير، قام المحامي العام العسكري تشانكاريني بجولة تفتيش في الشمال. كانت تلك الأيام التي كان فيها موسوليني، تحت ضغط متزايد من السلطة الألمانية، يصر مجدداً على نشر المرسوم المعني، وعرضه على موافقة مجلس الوزراء.

بطلب مني، قام المحامي العام تشانكاريني، في لقاء مع رئيس الحكومة، بعرض خطورة الإجراء، الذي يتعارض مع الإجراءات العادية التي ينص عليها قانوننا الجنائي العسكري.

أجاب موسوليني بأن الأمر يتعلق بـ "قانون استثنائي" تفرضه ظروف استثنائية بنفس القدر، مؤكداً صدوره.

أُنيطت مهمة صياغة نص المرسوم بالعقيد فيتالي من القضاء العسكري، الذي كان ملحقاً مستشاراً بمكتب القوات المسلحة. وبالاتفاق التام معي، سارع بعد ذلك إلى إصدار مرسوم آخر، يسمح بشكل عام وبصيغة واسعة، بتطبيق الظروف المخففة، مما يوفر للقضاة العسكريين الوسيلة والطريقة لتجنب، في أي حال، تطبيق عقوبة الإعدام.

وهذه الوسيلة استخدمتها المحاكم على نطاق واسع لصالح العديد من المتهمين، مما أدى إلى تحييد تطبيق القاعدة. بعد ذلك، صدرت تعميمات مستمرة لتذكير القيادات الإقليمية، والمحاكم التابعة لها، بالالتزام الصارم بحدود القانون، وعدم تجاوزها أبداً. وقد تم التأكيد باستمرار على نفس الأحكام القاطعة للجنرال ميسكي، رئيس أركان الجيش، الذي كان يرأس عمل القضاء العسكري.

بعد عودته إلى منصبه، توقف المحامي العام تشانكاريني، بناءً على رغبته، عن مهامه، وخلفه الجنرال كاستيلانو من القضاء العسكري الذي، مثل العقيد فيتالي، ظل في منصبه حتى 25 أبريل 1945.

تم تمييز هؤلاء الممثلين الثلاثة للعدالة العسكرية، الذين ترأسوا عملها في حكومة الشمال، جميعهم. وهذا دليل واضح على أنه لم يكن من الممكن أن تُنسب إليهم أي مخالفات لعمل العدالة، وأقل من ذلك أن يتعرضوا لضغوط غير قانونية مني.

على الرغم من جميع العوامل السلبية التي ساهمت في تحييد جهود تنظيم القوات المسلحة، إلا أن مجموعها، في نهاية مارس 1944، كان يضم في الجيش والبحرية والقوات الجوية والحرس الوطني الجمهوري والشرطة والشرطة المالية والمفتشية العسكرية للعمل، عدة مئات الآلاف من الرجال؛ بالإضافة إلى هذه القوات، المنتشرة في الأراضي الوطنية، كان هناك في شبه جزيرة البلقان وفي فرنسا وأماكن أخرى عشرات الآلاف من الجنود والعسكريين الذين بقوا طواعية منذ سبتمبر 1943 للقتال إلى جانب القوات الألمانية.

تم تشكيل عدد كبير من الكتائب والبطاريات الساحلية ووحدات المهندسين، التي تم نشرها في المنطقة الخلفية لدفاع روما لحماية السواحل، بالتعاون مع الألمان، ولإصلاح الطرق والسكك الحديدية المتضررة من القصف الجوي.

كانت وحدات الحامية الأمنية تحت تصرف القيادات الإقليمية والمحلية. وفي الوقت نفسه، كانت أربع فرق قيد التجهيز في ألمانيا: "مونتيروسا"، "سان ماركو"، "ليتوريو"، "إيطاليا" في معسكرات التدريب في مونزينغن، غرافنفور، هايدلبرغ، وسينلاغر. تراوحت أعداد الفرق بين خمسة عشر وعشرين ألف رجل. وتكونت من ضباط وضباط صف متطوعين تم سحبهم من معسكرات الاعتقال في ألمانيا، ومن المجندين الشباب من فئتي 1924-1925 الذين تم إرسالهم من إيطاليا بعد تجهيزهم في فيرتشيلي، في مركز تشكيل الوحدات الكبيرة الذي أُنشئ هناك.

في النصف الأول من يوليو 1944، قام موسوليني برحلته الثانية إلى ألمانيا لتسليم الأعلام لأفواج الفرق، التي كانت قد أكملت تدريبها إلى حد كبير وتستعد للعودة إلى إيطاليا. كان مظهر هؤلاء الرجال عسكريًا وشبه عسكري إلى أقصى حد يمكن تخيله. بدا عليهم التحول، وكانوا متحمسين بروح رائعة، ومعنوياتهم كانت مرتفعة للغاية، وحماسهم بلغ ذروته. أعطى اصطفاف الفرق انطباعًا مهيبًا بالقوة والرجولة، وهو ما لم تعد أعيننا معتادة عليه للأسف.

أُقيم الحفل الأخير في معسكر سينلاغر، حيث يُرى من بعيد غابة توتوبورغ، حيث هُزمت الجحافل الرومانية لأغسطس بقيادة فاروس في العام "التاسع"، وحيث أُقيم نصب أرمينيوس، رمز الاستقلال القومي التوتوني. بعد حوالي ألفي عام، من هناك بالذات عادت إلينا الجحافل التي استدعاها أغسطس، في شكل فرق حديثة.

استمر القطار الخاص الذي كان يقل موسوليني وموكبه في طريقه إلى مقر قيادة هتلر في سيليزيا العليا.

كان ذلك يوم 20 يوليو 1944، وهو اليوم الذي وقع فيه الهجوم بالقنابل[1]. وصلنا بعد ساعتين، غير مدركين تمامًا لما حدث. كان هتلر شخصياً، مع هيئة أركانه، ينتظر في المحطة وصول موسوليني.

كان هتلر، الذي كان يرتدي عباءته السوداء الكبيرة بسبب الجو القاسي والضبابي، يبدو هادئًا تمامًا. فقط ارتعاش خفيف في ذراعه، عند رفعها للتحية النازية، كشف عن الصدمة العصبية التي تعرض لها. على سطح يده اليمنى، خدش طفيف جدًا وبسيط. لا شيء آخر.

[1] المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر. [المترجم]

في كابينة قيادة الجنرال كايتل، روى هتلر أن المتفجرات، التي كانت تحتويها حقيبة وثائق عادية، قد وضـعها ملازم أول، فون شـتاوفنبرغ، تحت الطاولة المسـتديرة الكبيرة التي كانت تُعقد حولها المؤتمرات العملياتية المعتادة. وقد أصـاب الانفجار هتلر وهو ممدد فوق الطاولة، لتحديد موقع على الخريطة الطبوغرافية. وقد قُذف حوالي عشـرين مترًا بعيدًا، دون أن يصـاب بأي كدمات خارجية أو ارتجاج داخلي، بينما كان هناك، من بين المشـاركين الآخرين، العديد من القتلى والجرحى. وقد تحطمت الكابينة تماماً بفعل قوة الانفجار.

وصـل تدريجياً دونيتز، وهيملر، وغوبلز، وريبنتروب، وغيرهم من الشـخصـيات البارزة في الحكومة النازية.

لم يكن غورينغ حاضـراً في المؤتمر العملياتي في ذلك اليوم. بين جميع من كانوا مجتمعين حول هتلر الآن، بدا هو الأقل انفعالاً.

تمت رحلة العودة بالنسبة لي بالسيارة من كوتبوس فصاعدًا، عبر دريسدن، ميونيخ، برينيرو. كنت قد سـبقت موسـوليني في زيارة المعسـكرات، حيث قطعت حوالي سـتة آلاف كيلومتر عبر ألمانيا.

ما أذهلني بشـكل رئيسـي هو المظهر المثالي للنظام الذي لوحظ في كل مكان في البلاد. على الطرق الكبيرة، في الريف والمدن، لم يظهر سـوى النسـاء والرجال المسـنين والأطفال. أما بقية السـكان، فكانوا إما في الجبهة أو في خدمة العمل. كان الانطباع السـائد هو بلد يبذل أقصى الجهود. كانت كاسـل وهامبورغ، وحتى ميونيخ نفسـها، أكوامًا من الأنقاض، شـبه مدمرة بسـبب القصـف. أما دريسدن فكانت سليمة، وتنام ممتدة على ضفاف نهر إلبه الهادئة، غير مدركة لمصيرها المأساوي الذي حل بها خلال الدفعة اللاحقة للهجوم الروسي، عندما استهدفتها خمسة آلاف طائرة بشكل عشوائي ليوم وليلة، مع مذبحة مئتين وخمسين ألف شخص.

بالعودة إلى الفرق، يمكن اعتبار أفرادها متطوعين، حتى لو لم يتمتعوا جميعاً بالسمة المحددة لذلك، لأن إمكانيات الانشـقاق، قبل أو عند المغادرة، كانت، كما رأينا، سـهلة للغاية، مما يجعل من ذهبوا إلى ألمانيا يعتبرون حقاً متطوعين.

في النصف الأول من أغسطس 1944، بدأت العودة إلى إيطاليا، مع انتشار فرقتي "مونتيروسا" و"سان ماركو" على طول الريفيرا الليغورية من فينتيميليا شرقاً، وانضمت إلى فرق ألمانية أخرى. في تلك اللحظة، لم يكن هناك يقين بعد ما إذا كان الهجوم على فرنسـا سـيأتي من الجنوب أو الشـمال، لذلك كانت القيادة الألمانية العليا قلقة جداً من احتمالية حدوث إنزالات في ليغوريا أيضـاً. بعد زوال هذا القلق، نُقلت فرقة "مونتيروسـا" إلى جبال الألب الغربية، حيث انتشـرت

أيضاً فرقة "ليتوريو"، حيث، بعد إنزال نورماندي، انسحبت القوات الألمانية من جنوب فرنسا، وتخوف من غزو إيطاليا عبر ممرات الألب، من قبل القوات الأمريكية والديغولية.

كانت فرقة "إيطاليا" آخر الفرق التي عادت، وتم نشرها في غارفانيانا، حيث تم تشكيل مجموعة قتالية مختلطة، بقيادة الجنرال كارلوني، بالتعاون مع وحدات من "سان ماركو" و"مونتيروسا" التي بقيت في الموقع.

كان موسوليني يرغب في استخدام هذه الفرق على جبهة الجيش الثامن البريطاني، لإظهار القدرة القتالية حيث كانت المعارك أشد قسوة، وكان يصر باستمرار على تحقيق ذلك من القيادة الألمانية العليا.

قاوم المشير كيسلرينغ بتحفظ مسبق مفاده أن هؤلاء الجنود لم يكونوا مستعدين بعد لمواجهة اختبار النار على الجبهة الأكثر قسوة. من جانبي، كنت دائمًا أرغب في منع الفرق الجمهورية من الاشتباك مع القوات الإيطالية الجنوبية، التي كانت منتشرة، كما هو معروف، في قطاع الجيش الثامن البريطاني، ولم أؤيد أبدًا ضغوط موسوليني.

قاتلت الفرق الجمهورية بالتالي في جبال الألب الغربية وفي غارفانيانا، اشتبكت مع القوات الفرنسية (فرق جزائرية ومغربية)، والأمريكية السوداء، والبرازيلية. لم تحدث قط اشتباكات بينها وبين القوات الإيطالية الجنوبية. وقد تحقق ذلك بشكل خاص بسبب إرادتي القوية لمنع ذلك.

كان جيش "ليغوريا"، الذي ضم "مونتيروسا"، "سان ماركو"، "ليتوريو"، والفرقتين الألمانيتين 34 و 42 للمشاة، والفرقة الجبلية الخامسة، بالإضافة إلى قوات إيطالية-ألمانية إضافية أخرى، منظماً كالتالي:

الفيلق الخامس والسبعون - الجنرال شليمر - المنتشر من سان برناردو إلى ريفييرا ألبينا.

مجموعة "لومبارديا" - الجنرال يان - من ريفييرا ألبينا إلى لا سبيتسيا.

توليت قيادة الجيش في 15 أغسطس، ثم اتخذ مقره لاحقًا في نوفلي ليغوري في "فيلا لوميلينا" (الكونت بياجيو)، وفي فيديغولفو بين بافيا وميلانو، مع مفرزة في غراديلا دي كريمونا ("فيلا ماجّي").

قاومت قوات فرقتي "مونتيروسا" و"ليتوريو" بالاشتراك مع القوات الألمانية، في ممرات جبال الألب الغربية، محاولة القوات الفرنسية والأمريكية غزو بييمونتي وليغوريا، كرد فعل على التخلي الألماني عن جنوب فرنسا. وإذا لم يتم غزو بييمونتي وليغوريا في ذلك الوقت، فيرجع

الفضل في ذلك إلى سرعة سيطرة قوات جيش "ليغوريا" على ممرات جبال الألب، والتي دفعت الوحدات البارتيزانية، التي كانت تحتلها حتى ذلك الحين، إلى الأراضي الفرنسية.

أُجبر أفرادها، بعد أن عبروا جبال الألب، على استقبال سيء جداً من قبل المقاومة الفرنسية، وأُجبروا على العودة إلى إيطاليا متفرقين، باستثناء أفراد لواء "كارلو روسيلي"، كما تؤكد باربرا باركلي كارتر في الصفحة 121 من كتابها.

فيما بعد، وحتى 25 أبريل 1945، ظل الجهد الفرنسي من مونينفرو، ومونتشينيسيو، وسان برناردو، وفي الأسفل، في وادي رويا، محتوياً دائماً، بحيث لم يتم غزو بييمونتي وليغوريا، أو، إذا أردت بلغة ملطفة، "تحريرهما"!

خلال جولة تفتيش لي في جبال الألب الغربية، قمت بها في يناير 1945، بعد أن التقيت بصديق من بييمونتي في تورينو، أردت أن أسأله عما إذا كان سكان تلك المناطق قد فهموا أو قدروا هذه النتيجة على الأقل. تلقيت رداً متشككاً: "لا شيء يمكن أن يعوض الرغبة في إنهاء الحرب بأي ثمن."

"حتى لو كان ذلك بغزو بييمونتي من قبل المغاربة والجزائريين؟"

"حتى ذلك،" كان الرد الجديد.

لاستجلاء ما إذا كان هذا هو الرأي الحقيقي لسكّان بيمونتي الوطنيين آنذاك، وما إذا كان لا يزال كذلك حتى اليوم؛ فإنني أودُّ لو يُجرى استفتاءٌ بينهم في أعقاب ما ارتكبته العناصر المغربية والجزائرية بحق نساء إسبيريا و راديكوفاني وغيرها، وبعد تلك الاقتطاعات التي أقرّها "ديكتات باريس" (إملاءات معاهدة السلام) عند حدودنا الغربية، والتي من شأنها أن تشرع الأبواب أمام فرنسا من سان برناردو حتى فينتيميلّيا. إن نفسي تعافُ التصديق بأن هذا الاستفتاء قد يؤكد ذلك الحكم.

هكذا يوضح بينيديتو كروتشي خطورة هذه الاقتطاعات في مقابلته مع "كوريجو باوليستانو" البرازيلي، في 9 يوليو 1946: "إنه تدمير لكل ما بنته إيطاليا في قرن من العمل الدؤوب، إنه تجريدها الكامل، إنه حرمانها من أي إمكانية للدفاع العسكري، إنه فتح حدودها أمام تعسف الشعوب المجاورة."

وأضاف: "إنه التحضير المتعمد لميدان المعركة المستقبلي بين جيوش الغرب والشرق، التي ستصطدم مرة أخرى بشكل مروع في بلدنا، تحت أعين الإيطاليين، الذين أصبحوا عزلًا وعاجزين عن الدفاع عن حدودهم."

لكن دع الفيلسوف يواصل كلامه "بمرارة مؤلمة": "إنه أمر غير مجدٍ تمامًا وغير لائق على الإطلاق أن نضع المنتصرين أمام التناقض الواضح بين كلماتهم النبيلة والكريمة في الماضي وسلوكهم الحالي، لأنهم سيبتسمون لسذاجتنا وبلاهتنا في اعتبار دعايتهم الحربية عملة صحيحة." وهذا يعني أنه كان من الأفضل بكثير مواصلة الكفاح حتى النهاية، والسقوط واقفين بشجاعة الاعتراف بالهزيمة.

انها لمرارة حقاً أن نقارن هذه الكلمات لبينيديتو كروتشي بتلك التي نطق بها سابقاً في الخطاب المذكور في مسرح "كويرينو" في روما، ووفقاً لتشرشل، بشأن المساهمة التي قدمها عمله التدميري في تحقيق هزيمتنا!

ولكن ما هي المطالب الغالية، وكم كانت أكبر، لو وجدت نهاية الحرب القوات الفرنسية المحتلة، أو المحررة، إذا شئت، في تورينو وكونيو؟

إن رجال جبال الألب الشجعان من الفرق الجمهورية "مونتيروسا" و"ليتوريو" الذين قاتلوا في جبال الألب الغربية لمنع ذلك، وفوج المظليين "فولغور" التابع لسلاح الجو، وأتباع إكس ماس، و (ك.أ.ر.س)، و (ر.أ.ب.)، و (ر.أ.و). C.A.R.S., R.A.P., R.A.U، الذين دافعوا عن خطوط اتصالاتهم من هجمات الإخوة، هل كانوا آنذاك يخدمون المصالح الألمانية وما يسمى بـ "جمهورية سالو"، أم مصالح الوطن الإيطالي المشترك؟

التاريخ، هذا القاضي الذي لا يخطئ، يعترف لهم بذلك، وسيزداد اعترافه غدًا.

إن الدعاية الحزبية، المدمرة والمهينة لكل فضيلة بطولية مهما كانت تعبيراتها في "الخندق" الآخر، والسجلات غير المراقبة والتحيزية، تحاول عبثًا تدمير هذه الحقيقة. أعمى الكراهية الحزبية هؤلاء الذين يتحدثون عن قوات الجمهورية الاجتماعية وكأنها "خليط فوضوي من الرجال الفاسدين"؛ يريدون إبطال طابعهم الوطني والبطولي الرفيع، الذي بلغ قمم التضحية الحقيقية من أجل الوطن؛ يصفون أفرادها بـ "المتعاونين الأشرار مع العدو على حساب الوطن" أو "الوحوش النازية الفاشية"، ويضخمون موضوع الانشقاقات الطبيعية، المتأصلة في مثل هذا الوضع المأساوي، وينسون نزول حوالي 150 ألف رجل من الجبل، الذين، بعد مختلف بيانات موسوليني للعفو عام 1944، تركوا صفوف البارتيزان. ينسون أن الفرق الجمهورية عادت إلى إيطاليا بروح معنوية عالية، وأنها استُقبلت بتظاهرات من الحماس الذي لا يُنسى من قبل غالبية السكان. ولم تظهر تظاهرات مماثلة في فيرتشيلي، ونوفارا، وأليساندريا، وفي كل مكان، حيث رافقت مراسم أداء اليمين للمجندين.

أخيراً، نتوقف، بارتياح، عند ملاحظة أن استخدام الفرق الجمهورية كان خاضعاً لرقابة شديدة من قبل القيادة الألمانية، ناسين أن روح الريبة، التي نشأت منها، كانت تشبه تماماً تلك

التي كانت تكنها القيادة الأنكلو-أمريكية تجاه القوات المعاد تشكيلها لحكومة الجنوب. إن الشعور بانعدام الثقة، للأسف، كان بالنسبة للجميع، إرثاً مريراً للثامن سبتمبر.

متى وكيف يمكن للإيطاليين استعادة الاحترام الكامل من الأمم الأخرى، الذي تعرض للخطر بسبب ذلك الحدث المشؤوم؟

إليكم ما تقوله مصدر موثوق (دائماً باربرا باركلي كارتر [ص 78]) حول كيفية تعامل القيادة الأنكلو-أمريكية مع الإيطاليين الجنوبيين، الذين عادوا إلى حمل السلاح:

"في 27 أكتوبر، أعلنت حكومة بادوليو الحرب على ألمانيا، وفي اليوم التالي قبلت إنكلترا والولايات المتحدة وروسيا المشاركة الإيطالية في الحرب بتصريح خلص إلى ما يلي: "لا يمكن للعلاقات القتالية المشتركة بين الحكومة الإيطالية وحكومات الأمم المتحدة أن تغير في حد ذاتها الشروط الموقعة مؤخراً، بل تحتفظ بقيمتها الكاملة، ولا يمكن تعديلها إلا بعد اتفاقات بين الحكومات المتحالفة فيما يتعلق بالمساهمة التي يمكن أن تقدمها الحكومة الإيطالية لقضية الأمم المتحدة."

"لقد فسر الإيطاليون، وليس بدون أساس، ذلك على أنه ضمان بأن سلامًا مؤقتًا سيحل قريبًا محل حالة الهدنة، وأنه، بانتظار الوضع النهائي، ستُقبل إيطاليا بين الحلفاء. ألغى بروتوكول بتاريخ 17 نوفمبر من نص الهدنة، بالإشارة إلى الاستسلام الإيطالي، كلمة "استسلام غير مشروط"، وكان هذا تقدمًا طفيفًا (لكنه لم يتبعه عمليًا أي شيء). وكان نص ديباجة معاهدة السلام لا يزال ينص على: "نظرًا لأن إيطاليا استسلمت دون شروط...". وكانت نية القيادة الأمريكية والإنكليزية استخدام حوالي 300 ألف جندي إيطالي في الخدمات المساعدة. وهؤلاء، في غالبيتهم، مذهولون بالهزيمة، ممزقون، جائعون، يتحركون بين الحلفاء، الذين كانوا مجهزين بشكل رائع ومغذيين جيدًا، وكأنهم بين كائنات متفوقة، ومن جانبهم، كان ضباط الحلفاء يعتبرونهم في مستوى القوات الأمريكية من ذوي البشرة السمراء، التي غالبًا ما كانوا يجعلونهم يعملون تحت أوامرها." إهانة قصوى - أقول - وعار، يطالبان بالانتقام أمام عشرين قرناً من الأحداث التاريخية المجيدة للشعب الإيطالي.

"في هذه الأثناء"، تتابع باركلي كارتر (ص 79)، "بناءً على طلبات ملحة من الحكومة الإيطالية، سُمح لوحدة صغيرة جدًا، رمزية بحتة، بالقتال في الخطوط الأمامية [...].

"هذا،" قال الجنرال براونينغ في 30 أغسطس في C.I.L.، "كان دليلاً على مدى تقدير الحلفاء لتعاونهم." ولكن، وفقاً لكلمات المؤرخ الرسمي لـ C.I.L.، "ما حدث بعد ذلك تسبب لجنود C.I.L. في معاناة أكبر مما مروا به خلال أشهر الحرب الطويلة." لأنهم لم يكونوا، كما أملوا، نواة لجيش جديد، رمز لإيطاليا الناهضة، التي ستحتل مكانها بين الأمم المتحدة. الوحدات الجديدة لم تكن

كيانًا واحدًا، تحت قيادة إيطالية، بل كانت تتألف من ست مجموعات قتالية، كل منها بحجم فرقة، منتشرة بين جيوش الحلفاء المختلفة...".

بالتأكيد كانت هناك أسباب متعددة ساهمت في تقويض الروح الرائعة التي كانت تملأ أفراد الفرق الجمهورية لحظة عودتهم إلى الوطن. فلم تكن المعدات والأسلحة كاملة؛ وكانت وسائل النقل ناقصة؛ كما أن انتشارهم على طول الريفيرا الليغورية، الذي فُرض في ذلك الوقت خوفاً من هبوط قوات الحلفاء، عرّض الرجال لجميع مكائد السكان والدعاة، وخاصة النساء ورجال الدين؛ ومن ناحية أخرى، أجبرهم، رغماً عنهم، على الدفاع عن أنفسهم من هجمات البارتيزان من الخلف. وهكذا تمكنت الدعاية المحلية والأجنبية من استغلال جميع الدوافع العاطفية بحرية، مما أدى إلى تغذية ظاهرة الفرار، التي كانت تزداد جاذبية بسبب الإفلات من العقاب الذي كان يتمتع به الجناة.

لكن سببًا إنسانيًا أسمى منع من اتخاذ إجراءات ضدهم، بالصرامة التي كان من الممكن تطبيقها. فقد أصرت القيادة الألمانية العليا بالفعل على تطبيق عقوبات انتقامية قصوى على العائلات من خلال مصادرة الممتلكات، وترحيل بعض أفرادها إلى ألمانيا.

لقد رفضت تطبيق هذا الإجراء الصارم دائماً وبشكل حاسم حتى اللحظة الأخيرة، على الرغم من الضرر النسبي الذي نتج عن ذلك على تماسك الوحدات. لكنني كنت أدرك دائماً المصير المأساوي الذي كان جميع الإيطاليين، بلا تمييز، من كلا الطرفين، مقيدين به حتماً.

أعيد تشكيل القوات الجوية بالمواد القليلة التي نجت من الدمار الشامل، لكن فقر الوسائل لم يحد من قيمة الطيارين. فقد واصلت أسطول الطوربيدات "بوسكاليا"، وسرب المقاتلات "آسو دي باستوني" القتال ضد القوات المعادية الساحقة، بشجاعة لا تقهر. وفي اللحظة الأخيرة، كانت المقاتلات تمتلك حوالي مائة طائرة ألمانية الصنع، جميعها بقيادة طيارين إيطاليين، دافعوا عن مدننا من القصف المكثف والعشوائي. وكان يقودهم الرائد الشجاع فيسكونتي، الذي استسلم بشكل عسكري لقوات البارتيزان بعد 25 أبريل، ونقل إلى تلك المدينة ميلانو التي دافع عنها حتى اللحظة الأخيرة. وهناك، بدلاً من أن يخضع لما يسمى بالاستجواب، قُتل بوحشية بوابل من الرشاشات من الخلف، بينما كان يعبر عتبة الثكنة التي كان من المفترض أن يستمع إليه فيها.

أعيد تشكيل البحرية حول علم "العاشرة [الأسطول] ماس"، الذي لم يُنزل أبداً، لأنه استمر في عملياته الحربية دون الالتفات إلى الاستسلام، حتى قبل تشكيل الحكومة الجديدة. تدفق الآلاف والآلاف من المتطوعين الشباب إلى صفوفها. في البحر، استأنفت نشاطها بوسائل هجومها الأسطورية، التي جددت أعمالها المجيدة في أنزيو، وعلى السواحل الفرنسية، تخليداً لأمجاد

الإسكندرية، والجزائر، وجبل طارق، وسودا، حيث أغرقت بعض الوحدات البريطانية. وبفضل وفرة قواتها من المتطوعين، تمكنت من تشكيل فرقة بحرية كاملة، "العاشرة"، بقيادة جونيو فاليريو بورغيزي. وقد مثلت هذه الفرقة التطوعية، في أصدق تعبير، على خلفية غير سياسية. قاتلت كتيبة "بارباريغو" بشجاعة خاصة على جبهة نيتونو، حتى سقوط روما؛ بعد ذلك، عملت الفرقة في فينيتسيا جوليا، ضد تشكيلات البارتيزان السلافية، وأنقذت غوريتسيا من احتلالهم؛ وأخيراً، في المرحلة الأخيرة من معركة أبريل 1945، انتشرت على طول نهر سنيو وسانريمو، وحصلت، عند الاستسلام، على شرف حمل السلاح في بادوفا، من قبل الأنكلو أمريكيين.

إجمالاً، منذ خريف عام 1944، أي بعد عام واحد من إصدار القانون التأسيسي للقوات المسلحة الجمهورية، ومن الفوضى وتدمير الوحدات والمخازن والمعدات وأي تنظيم آخر، نشأ كيان عسكري جديد مركزي ومحلي، فعال ومناسب لاحتياجات اللحظة. وقد نزلت إلى الميدان، إلى جانب الحلفاء الألمان، خمس فرق مقاتلة: أربع من الجيش، وواحدة من البحرية، وفوج مظليين من الطيران.

في سبتمبر 1944، طلب موسوليني من القيادة الألمانية العليا البيانات العددية المتعلقة بالقوات الإيطالية المقاتلة على جميع الجبهات، إلى جانب القوات الألمانية، وفي المنظمات العسكرية للعمل.

بلغ مجموع القوات 780 ألف رجل، منهم 25 ألف ضابط على الأقل، دون احتساب قوات الشرطة بالمعنى الحقيقي، والألوية السوداء. هل كانوا جميعاً "متعاونين شرسين" مع العدو، "بائعين" على حساب الوطن، "وحوش نازية فاشية"؛ أم أنهم كانوا يمثلون كتيبة هائلة من الرجال الذين لم يرغبوا في المشاركة في الاستسلام غير المشروط، مفضلين الاستمرار في القتال إلى جانب حليف الأمس، رمزاً للشرف والإيمان "بالعهود" الموقعة رسمياً من قبل الملك وحكومته؟

بعد استسلام أبريل 1945، اعترفت المحكمة الجنائية الدولية الدائمة بقوات الجمهورية الاجتماعية كـ "مقاتلين نظاميين" ومعاملة أسرى حرب. في وقت لاحق، نص مرسوم صادر عن الحكومة الإيطالية على أن "مجرد الانتماء إليها، وأداء اليمين للحكومة الجمهورية، لا يعتبر جريمة."[1]

نتيجة لذلك، لم يتم ملاحقة الضباط المذكورين البالغ عددهم خمسة وعشرين ألفًا، وحوالي سبعمائة وثمانين ألف جندي جمهوري مسلح قانونيًا.

---

[1] أنظر الملاحظة رقم 8 في الملحق.

تم الإبلاغ عن عدد معين فقط من الجنرالات وبعض العقداء إلى المحاكم العسكرية أو الأقسام الخاصة في محكمة الجنايات.

إذا لم يُعتبر الانتماء إلى القوات المسلحة الجمهورية جريمة، ألا ينبغي أن ينطبق هذا المعيار على الجميع؟ وإذا وجد الضابط، الذي كان ينتمي إليها بأي شكل من الأشكال، في علاقات خدمته، في علاقات مباشرة أو غير مباشرة مع القوات المسلحة الألمانية، كحلفاء، فمن الواضح أنه، بغض النظر عن المنصب الذي شغله، والرتبة التي كان يحملها، لم يرتكب أي عمل خيانة.

في 21 أبريل 1944، قام موسوليني بأول زيارة له إلى ألمانيا بعد أحداث سبتمبر 1943.

كان في حاشيته: وزير الخارجية ماتسوليني، السفير الألماني ران، الجنرال فولف، الجنرال سورينتينو، العقيد هيغنراينر، العقيد دولمان وأنا.

انضم إليهم في سالزبورغ سفير إيطاليا في ألمانيا فيليبو أنفوسو، والجنرال موريرا، رئيس البعثة العسكرية الإيطالية في برلين.

تم اتباع البروتوكول المخصص لرؤساء الدول. حضر هتلر إلى المحطة في انتظار وصول موسوليني. في الصباح، عقد اجتماع أول، شارك فيه من الجانب الألماني: هتلر، ريبنتروب، ران، كايتل، فولف؛ ومن الجانب الإيطالي: موسوليني، ماتسوليني، أنفوسو، الجنرال موريرا، وأنا. عمل العقيد دولمان مترجمًا، تحت إشراف الجنرال موريرا. تحدث موسوليني باللغة الألمانية.

قبل المؤتمر، كان هناك خلاف كبير بين السلطات الألمانية في إيطاليا ووزير القوات المسلحة بخصوص التجنيد الشامل للفئات العمرية من 1910 إلى 1926 للعمل في ألمانيا، والذي كانت الألمان تطالب به مرارًا وتكرارًا. وقد وصل الوضع إلى هذا الحد بسبب الفشل التام الذي منيت به مفوضية العمل الوطنية والحزب في تجنيد العمال المتطوعين لألمانيا.

لقد تم تشكيل "المفوضية الوطنية للعمل"، التي وُضع على رأسها المنظم المعروف ماركياندي، الذي استُدعي خصيصاً من فرنسا، لتحقيق إرسال مليون متطوع إلى ألمانيا لخدمة العمل، بهدف تحرير عدد مماثل من الألمان من المصانع وإرسالهم إلى الجبهة. ولكن بعد عدة أشهر من تأسيسها، لم يتجاوز عدد العمال المجندين، على الرغم من دعم الحزب بجميع الطرق، سبعة عشر ألف وحدة فقط.

حينها اقترح الحزب نفسه على السلطات الألمانية اللجوء إلى استدعاء الفئات العمرية للخدمة العسكرية، لهذا الغرض المحدد، الذي تم التعبير عنه بوضوح في الإعلانات، وقد وافق موسوليني على ذلك على الرغم من معارضتي الشديدة. كنت متأكداً في الواقع، قبل كل شيء، من أننا سنواجه فشلاً مدوياً، لأنه كان يجب على المرء أن يغمض عينيه عن الواقع عمدًا، لكي لا يدرك

أن السكان لا يريدون الذهاب إلى ألمانيا. كان السفير راهن يضغط لإجراء استدعاء الفئات العمرية قبل المغادرة.

خلال هذه المناوشات، تمكنت من إطالة الأمور حتى نهاية شهر مارس، بهدف تأجيل القرارات إلى ما بعد المؤتمر المقرر، حيث كنت أعتزم التحدث بصراحة إلى هتلر نفسه، من أجل التخلي عن مشروع كان مقدرًا له الفشل وإثارة مزيد من التوتر بين السكان.

وفي الوقت نفسه، كانت تصل طلبات أخرى من القيادة الألمانية العليا، ومن القيادة العليا في إيطاليا نفسها، لتقديم مساعدة من الرجال للجيش. وعلى الرغم من أنه كان محظورًا عليّ التواصل مباشرة مع القيادة الألمانية العليا، إلا أنني وجهت فورًا إلى المشير كايتل برقية بتاريخ 2 أبريل، وكان معناها الضمني كالتالي: "في ستة أشهر فقط، من سبتمبر 1943 إلى مارس 1944، ببذل جهود قصوى، في وضع كارثي، وفي خضم صعوبات هائلة، تمكنا من إعادة تشكيل القوات التالية: (كنت أسردها). الآن بينما تطلبون مني وحدات إضافية للجيش، تطلب السلطات الألمانية في إيطاليا منا ما لا يقل عن مليون رجل لخدمة العمل. الاستنتاج الضمني: "أخبرونا على الأقل من أين نبدأ"".

لقد أثار تصرفي احتجاجاً ألمانيا لدى موسوليني، بسبب ما قمت به من تجاوز للصلاحيات، لكن الهدف قد تحقق، لأنه لم يُعد الحديث عن التجنيد قبل الرحلة إلى ألمانيا.

وهكذا، ذهبنا إلى سالزبورغ. وهناك كان هذا الموضوع بالتحديد أحد المواضيع الرئيسية التي يجب مناقشتها.

تحدث موسوليني أولاً. قدم عرضاً دقيقاً للوضع العام في إيطاليا، وتطرق إلى الموضوع قيد البحث. ثم جاء دوري لتقديم تقرير عن القوات المسلحة. قلت بوضوح لهتلر، الذي سألني عن أسباب مقاومة السكان للإرسال إلى ألمانيا، أن "هناك سبباً واحداً يطغى على كل الأسباب الأخرى، وهو أن السكان في إيطاليا كانوا مقتنعين بالفعل بأن ألمانيا قد خسرت الحرب".

بعد المقدمة التي قدمتها بأنني سأتحدث بصراحة مطلقة، أزعج هذا التأكيد الجو العام الذي كان يستمع بانتباه لـ "كلمة" هتلر.

رد هتلر بمحاضرة طويلة وحازمة، مؤكداً أنه، على العكس من ذلك، ستنتصر ألمانيا في الحرب قريباً جداً، لأن التحالفات لم تصمد أبداً لأكثر من خمس سنوات، في تاريخ جميع الحروب، ولذلك ستستمر المقاومة حتى النهاية في انتظار "انهيار" التحالف المتناقض بين البلشفية والديمقراطيات. وأخيراً، دخول العديد من الأسلحة السرية إلى الميدان، واستئناف القتال تحت الماء بكامل قوته، مع استعادة التفوق الجوي باستخدام الطائرات المقاتلة "النفّاثة" الجديدة. واختتم بـ "لن نستسلم، أبداً، أبداً، أبدًا!" مكرراً ذلك عدة مرات بنبرة من الاعتقاد المطلق.

مستكملاً عرضي، أعربت عن أسفي لاستمرار القيادة الألمانية في إيطاليا في تفكيك بعض مصانعنا العسكرية، وخاصة مصنع الأسلحة في غاردوني فالترومبيا، على الرغم من الاحتجاجات المتكررة من وزارة القوات المسلحة. أوضحت أن هذا المصنع، الذي كان قادراً بالفعل على إنتاج 1500 بندقية يومياً، كان يمكن أن يصل إنتاجه إلى ثلاثة آلاف إذا تم تطويره، بدلاً من الاستمرار في تفكيكه.

بدا هتلر متشككًا في الأرقام التي ذكرتها؛ ولكن بناءً على أمره، بعد عودتنا إلى الوطن، وُضع حد للضرر المقيت، حتى يمكن القول إن المصنع قد نجا.

بعد مؤتمر سالزبورغ، قام موسوليني بزيارة فرقة "سان ماركو" وهي تتدرب في معسكر غرافنفور، وفي 25 أبريل عاد مع الوفد المرافق إلى إيطاليا.

لبضعة أيام، لم يُذكر التجنيد الإجباري للفئات العمرية لخدمة العمل، واعتقدت أنني نجحت في وقفه بشكل دائم.

في أوائل مايو، مع تصاعد الهجوم الأنكلو-أمريكي الكبير نحو روما، ذهبت إلى هناك وبقيت حتى يوم 26.

بعد عودتي إلى الشمال، علمت أنه خلال غيابي، وصل ساوكل من ألمانيا، مكلفًا من قبل سبير بخدمة العمل في إيطاليا، وأن موسوليني قد وافق على التجنيد، وأمر بالمضي قدمًا في الإعلان ذي الصلة، موضحًا بوضوح أنه كان استدعاء لخدمة العمل بمعاملة خاصة، ومخصصات عائلية، إلخ.

ولخيبة أملي الكبيرة، علمت أن النصف الأول من عام 1926 قد أُدرج في التجنيد. وعندما عبرت عن عدم موافقتي لموسوليني، رد عليّ حرفياً بأن "ساوكل قد فرض ذلك، لأنه حتى في ألمانيا، يقوم الشباب في الثامنة عشرة من العمر، قبل الذهاب إلى الخدمة العسكرية، بفترة تدريب أولية في خدمات العمل".

لقد كانت نتائج التجنيد شبه معدومة، وأقتنع الألمان أخيراً بمدى دقة توقعاتي، وبأن أي محاولة أخرى من هذا القبيل ستكون عبثاً؛ فتخلوا عنها نهائياً.

ثم ساعدت بيانات العفو الموسولينية في أواخر مايو على عودة كل من لجأ إلى الجبال هرباً من خطر الإرسال إلى ألمانيا، ولم تتم ملاحقتهم بأي شكل من الأشكال.

لقد أُعلن عن العملية التي تلت بيان 25 مايو عبر الراديو بشكل كبير، لدرجة أن التشكيلات الحزبية تمكنت من اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتجنبها. وقد أُديرت هذه العملية من قبل القيادة الألمانية. كانت مكافحة البارتيزان تعتمد دائماً عليها: بالقرب من خطوط القتال الأمامية،

كانت من اختصاص القائد الأعلى المارشال كيسلرينغ؛ وفي الجزء الخلفي منها، في ما يسمى بـ "المنطقة الإقليمية"، التي امتدت من بضعة كيلومترات من الخطوط الأمامية، إلى كامل وادي بو، حتى ممرات جبال الألب، كانت من اختصاص الجنرال كارل وولف، قائد قوات الأمن الخاصة في إيطاليا، حيث كان ممثلاً لهيملر. وقد ظهر ذلك بوضوح شديد من خلال محاكمة المارشال كيسلرينغ، ولا يمكن أن يكون هناك أي شك في ذلك.

كان البرنامج الأولي للجنرال وولف هو تشكيل فيلق تطوعي من قوات الأمن الخاصة الإيطالية. ولهذا الغرض، قام بتجنيد أول عشرة آلاف رجل في معسكرات الاعتقال في ألمانيا، والذين، بعد وصولهم إلى إيطاليا، قُسموا إلى كتائب، وتم نشرهم في بعض مراكز الشمال. لكن سرعان ما بدأ تفككهم بسبب عدم اليقين في القيادة الألمانية نفسها، التي كانت دائماً متشككة، عندما يتعلق الأمر بالعناصر الإيطالية، في المضي قدماً في التسليح.

فشلت منظمة هذا الفيلق، وبعد العديد من الانشقاقات، لم يتبق سوى بعض الكتائب، إحداها قاتلت بشجاعة كبيرة على جبهة نيتونو في معركة روما.

بسبب هذا الفشل، تعرض الجنرال وولف للتوبيخ من قبل هيملر، وحاول التعويض في قيادة مكافحة البارتيزان. فقد جعلها من صلاحياته القيادية والتوجيهية، ولم يسمح أبداً للقيادة الإيطالية بالتدخل فيها.

كان موسوليني يرغب في البداية في إنشاء وحدة خاصة لمكافحة حرب العصابات، تحت اسم "صيادي الأبينيني". وكان من المفترض أن تتكون من حوالي عشر كتائب جميعها ذاتية النقل لغرض النقل السريع من نقطة إلى أخرى في الأراضي، لحماية النظام من أي اضطراب: نوع من "الشرطة السريعة" الحالية.

عارض الجنرال وولف إنشاء هذه الوحدة، ومنع تشكيلها معلناً، في مؤتمر سالزبورغ نفسه، "عدم قدرته على توفير وسائل النقل الذاتي". لذلك، تم ضم جزء من الرجال الذين كانوا قد تجمعوا بالفعل في بارما، من قبل هيئة الأركان العامة للجيش، إلى المنظمات الصغيرة التابعة لـ .C.A.R.S، .R.A.P، R.A.U.، والتي، كما ذكرنا سابقاً، في صيف وخريف 1944 كان لها وظيفة حماية المناطق الخلفية لجبال الألب والريفيرا، حيث كانت فرقنا منتشرة لمنع نزول الديغوليين إلى بييمونتي، ومواجهة أي إنزالات أنكلو-أمريكية محتملة في ليغوريا.

إذا تعرضت الفرق الجمهورية، المنتشرة للدفاع عن أراضي الوطن، لهجوم غادر من الخلف، كان لها كل الحق في الدفاع عن نفسها. لا يمكن الخلط بين هذه الضرورة وبين الطابع المنسوب إلى مكافحة البارتيزان التي قامت بها القوات الألمانية في المناطق الداخلية.

لم تكن قيادة مكافحة البارتيزان قط من اختصاصي. ومع ذلك، فقد قلبت الدعاية الطائفية الحقيقة لدرجة أن تقرير المفوضية العليا لمعاقبة الجرائم الفاشية، الذي صدر على أساسه أمر اعتقالي، ينص حرفياً على ما يلي:

"تعود مسؤوليات الغارات، والترحيل، والسلب، وقتل المواطنين والوطنيين الذين كانوا يقاتلون ويقاطعون العدو لاستعادة شرف إيطاليا، بشكل رئيسي إلى المارشال غراتسياني." وعلى أمر اعتقالي، وبدون أي لبس، أُعيد التأكيد على:

"تنظيم عمليات تمشيط منهجية، وقمع أي نشاط للوطنيين ضد الألمان بالسلاح." أنا متأكد من أن القادة الألمان أنفسهم كيسلرينغ، وولف، وجميع الآخرين، في الواقع، سيكونون مستعدين لاستعادة "الحقيقة" حول هذا الموضوع المهم جداً.[1]

لقد حان الوقت لتقييم مسؤولياتي لا من خلال الاتهامات الشائنة، بل في ضوء عملي الحقيقي، الذي لا أنكره على الإطلاق في جوهره الفعلي. لم أكن قاتلاً، ولا جلاداً، ولا مرحلاً للرجال، ولا سارقاً، ولا سابياً للمواطنين، بل جندي.

لا أستطيع أن أغفل، في ختام هذا الاستعراض الموجز والملخص لعملي كوزير للقوات المسلحة في الجمهورية الاجتماعية، الإشارة إلى إنشاء مكتب المساعدة الإقليمية، الذي قدم خدمات جليلة لعائلات العسكريين، دون أي تمييز بين الانتماء إلى الجنوب أو الشمال. كان الهدف من إنشائه هو منع الفوضى التي تلت 8 سبتمبر من أن تمتد إلى خدمات المساعدة للعائلات.

لاحقاً، تحولت المفتشية إلى مكتب مركزي، تابع لمكتب الوزير. كان يراقب القسم المساعداتي للهيئات العسكرية الطرفية، وله وظيفة استشارية ورعاية لعائلات العسكريين والعسكريين "في الخدمة، والحاضرين في الوحدات، والمفقودين، والأسرى، والمعتقلين، أو الذين كانوا ينتمون سابقاً إلى القوات المسلحة الملكية؛ بالإضافة إلى العسكريين الذين يتلقون العلاج في المستشفيات، وفي فترة النقاهة، وفي انتظار التقاعد".

بالإضافة إلى تزويد عائلات العسكريين التابعين للقوات المسلحة الجمهورية، اهتم مكتب المساعدة المركزي بما يلي:

- زيادة المخصصات المستحقة لعائلات العسكريين المتوفين أو المعلن عن فقدهم، وهم جميعهم تقريباً من القوات المسلحة الملكية، لتناسب تكلفة المعيشة السائدة في ذلك الوقت.
- صرف المخصصات حتى بناءً على المراسلات الخاصة البسيطة، أو الشهادات البسيطة.

---

[1] أنظر الملاحظة رقم 10 في الملحق.

- إجراء المدفوعات من قبل مكاتب البريد المحلية بناءً على جداول خاصة، والتي ضمنت الاستمرارية الميكانيكية للمدفوعات، وبالتالي تمكنت العائلات المذكورة من الاستمرار في استلام مخصصاتها بانتظام، حتى في الفترة المضطربة لانتهاء العمليات الحربية، وفي الأشهر اللاحقة.

إن الضباط العاملين في مكتب المساعدة والوفود لم يُتهموا، هذه المرة على الأقل، بـ"التعاون مع العدو على حساب الشعب الإيطالي"، وقد حظي النشاط الذي قاموا به بتقدير كبير من قبل وزارة الحرب الحالية، لدرجة أنهم لم يُعتبروا عرضة لأي عقوبة أخرى سوى توبيخ بسيط.

ولكن ماذا حدث لأفراد القوات الجمهورية وعائلاتهم بعد 25 أبريل 1945؟ تم تجاهل جميع حقوقهم، ومورست اضطهادات طائفية، بدلاً مما أردت فعله، بروح مختلفة تماماً من الأخوة والتضامن، بأمر واضح بمعاملة متساوية للعائلات التي كان أفرادها في القوات الملكية، أو حتى في صفوف البارتيزان!

يجب أن أذكر الآن ما يتعلق بالعمل الذي قمت به لإنقاذ المنشآت العسكرية، ومنع التدمير الذي أعده الألمان. "لقد أنقذت ما يمكن إنقاذه" هو شعار كل أولئك، من كلا الطرفين، الذين، مدفوعين بالإرادة الصامتة المتضامنة والموحدة لحماية حياة الشعب الإيطالي بعد الحرب، ساهموا في تحقيق هذا الهدف الأسمى.

اسمحوا لي أن أؤكد هنا، بشكل عام، أن هذا خط السلوك قد اتبعه دائماً جميع ممثلي حكومة الشمال، المركزية والمحلية، وعلى رأسهم موسوليني، الذي سعى أولاً، في كل الظروف، لمقاومة التدمير المهدد بكل قوته.

لقد كان عملي الشخصي يهدف بشكل خاص إلى ضمان عدم تورط روما في المعركة، وعدم تحول ميلانو إلى مركز للمقاومة الفاشية المتطرفة، وعدم تفجير ميناء جنوة.

حتى الجنرالات المسجونون في فيرونا وجدوا فيّ من لم يصم آذانه عن صوت زوجاتهم وبناتهم وأحفادهم، الذين توسلوا إليّ كتابة أو شخصياً للتدخل لصالحهم. لقد أكدت للجميع هذا الاهتمام الذي أظهر عملياً في استبعادهم من عقوبة الإعدام، التي كان من المفترض أن يُحكم عليهم بها بالفعل.

وماذا عن الجنرال ماراس، ومعه الملحقين العسكريين الآخرين في ألمانيا للبحرية والطيران، كولومبيني ودي أنجليس؟ في وقت الهدنة، سُمح لهم، الذين كانوا بهذه الصفة في برلين، بالعودة إلى إيطاليا من قبل الألمان، احترامًا للضمانات الدبلوماسية، لكنهم طالبوا لاحقًا بتطبيق إجراءات صارمة ضد الجنرال ماراس، الذي اعتبروه مشاركًا ومسؤولًا عن المؤامرة التي كان من المفترض أن تُحاك ضد هتلر، إذا كان قد قبل دعوة للقاء ملك إيطاليا بعد 25 يوليو، كما طلبت

حكومتنا. لإنقاذهم مع الاثنين الآخرين من السيطرة الألمانية، أخرجتهم من سجن فيرونا واحتجزتهم تحت ضماني الشخصي في قلعة غافي. كانت المراقبة التي قام بها العسكريون الإيطاليون متساهلة لدرجة أنهم هربوا بسهولة من باب القلعة الذي فتحه لهم رقيب حارس! على الرغم من شكاوى القيادة الألمانية، لم ألاحقهم أو أطاردهم. وماذا عن 14 جنرالًا ماسونيًا، الذين كان من المفترض، بناءً على إرادة الألمان، إبعادهم أو اعتقالهم في ألمانيا منذ الأيام الأولى؟ لقد قاومت هذه الضغوط واحتفظت بهم في الخدمة حتى الساعة الأخيرة تقريبًا. وعندما فرض موسوليني، عبر أمانة الشؤون السياسية، إبعادهم، وضعتهم في إجازة، بعد منحهم مخصصات كاملة حتى نهاية الحرب.

لقد كان وضعهم مميزاً للغاية، وبفضل ذلك، وبما أنهم بدوا ضحايا لمعتقداتهم الماسونية، فقد تمكنوا بالتأكيد من الحصول على تمييز واسع النطاق.

كان الجنرال ماليانو قد أُعيد من فرنسا، بناءً على طلبه المتكرر وبفضل اهتمام خاص من الجنرال سورينتينو، الملحق بوزارة القوات المسلحة. قبل مغادرته إلى إيطاليا، وقع، في يد الألمان، التزاماً بخدمة العمل، ولكن بمجرد وصوله إلى إيطاليا، ألغى التزامه، مما أضر بكفيله، الجنرال سورينتينو. بسبب هذا الإخلال بكلمته، طالبت القيادة الألمانية بإعادته إلى ألمانيا، حيث كان سيخضع لظروف اعتقال أكثر قسوة بكثير من ظروف الإقامة المريحة في فرنسا.

من قلعة غافي، حيث كان محتجزاً تحت ضماني، تمكن هو أيضاً من الفرار والالتحاق بصفوف البارتيزان في فال د'أوستا. وكان معه ابنه وزوجة ابنه، اللذان أُسرا يوماً ما من قبل الألمان. اقترح بارتيزان إفريا بعد فترة وجيزة مبادلتهما برهائن كانوا يحتجزونهم. كانت هذه المفاوضات شائعة، لكن الألمان، الذين لم ينسوا تصرف الأب، لم يرغبوا هذه المرة في الموافقة. ولم تتم عملية التبادل إلا بفضل تدخلي الحاسم والمباشر. من فال د'أوستا، وبعد حملة تمشيط ألمانية، فضل بعد ذلك عبور الحدود السويسرية، لينتهي به المطاف هناك في معسكر اعتقال مريح حيث بقي حتى 25 أبريل.

لكن الجنرال فالديلا يفوق الجميع.

منذ أكتوبر 1943، كان قد تولى مهام مدير الإمدادات تحت الأوامر المباشرة للجنرال غامبارا، رئيس الأركان العامة للجيش، لكنه استغل صلاحياته لتزويد تشكيلات البارتيزان أكثر من القوات الجمهورية. تم اكتشاف اللعبة وتم القبض عليه وإيداعه في سجون فيرونا، أو في أماكن أخرى. وبعد أن وصلت التحقيقات إلى الأدلة الكاملة على إدانته، يمكن أن تكون العقوبة هي حكم الإعدام. مستخدماً ذريعة نقص الشهود، أمرت بحفظ القضية. وبعد إطلاق سراحه، أحضره العقيد دي ليو، رئيس جهاز الاستخبارات العريضة (.S.I.D)، إليّ في ديزينزانو. لقد دفعتني هذه

اللفتة القصوى من العفو، بشكل خاص، إلى معرفة الظروف البائسة التي كانت تعيشها عائلته في ميلانو. اضطر الابن الأكبر، وهو ضابط فعلي، للعمل كسائق لتلبية احتياجات والدته وإخوته وأخواته الصغار.

لذلك أردت أن أعلن شخصيًا لفالديلا إطلاق سراحه، بعد أن أوضحت له بدقة أن أدلة إدانته الكاملة قد تحققت. لقد دفعت له جميع المخصصات المتأخرة واعتبرته تحت تصرفي في ميلانو، مع تصفية جميع المخصصات حتى نهاية الحرب.

مقابل كل ذلك، توسلت إليه لمصلحته الشخصية، وحمايةً لكرمي الذي لا يمكن كبحه، أن يبقى هادئاً. في الواقع، في 26 أبريل 1945، كان... قائد ساحة ميلانو تحت أوامر الجنرال كادورنا.

ألقي القبض على الجنرال بيغي أيضًا بتهمة التواطؤ مع البارتيزان، وأُطلق سراحه بالمثل. ومعه الجنرال سفورزا، شقيق وزير الخارجية المحترم، الذي أمرت بتحريره من سجن سكالتسي في فيرونا، وبذلك تمكن من الوصول إلى روما.

ويمكن أن تستمر قائمة عمليات الإنقاذ الفردية إلى ما لا نهاية. وقد يلومني البعض على أنها ضعف، أولئك الذين لم يروا في جانبنا نفس الإنسانية والكرم من الأعداء. أضف إلى ذلك إنقاذ قرى بأكملها في منطقتي من التدمير المهدد، عندما كانت هناك أدلة واضحة تدينهم، مثل فيليتينو، تريفي نيل لاتسيو، أرسيناتسو رومانو، بيجليو، وأفيلي نفسها. ولم تخلُ مناطق أخرى من الشمال من ذلك.

وماذا عن أولئك الستمائة ألف جندي إيطالي الذين، جهلاً بما كان يُرتكب في 8 سبتمبر في روما لخرابهم، جُروا إلى معسكرات الاعتقال في ألمانيا؟

من اهتم بمصيرهم؛ من ساعدهم بكل الطرق؟ ربما دُمِّرت وثائق حكومة الشمال المتعلقة بهذه القضية بعد 25 أبريل، أو إذا وقعت في أيدي الأنكلو-أمريكيين أو مكاتب الاستخبارات الإيطالية، فإنها تُخفى عن الشعب الإيطالي حتى لا يعرف الحقيقة. لكن شهادة غير مباشرة تظهر من الكتاب الأبيض للكاردينال شوستر تكشف ما فعلته الحكومة الجمهورية من أجلهم.[1]

إن العمل الشخصي لموسوليني، الذي قاتل بشدة مع هتلر من أجل هذا أيضاً، والتدخل المباشر من وزارة القوات المسلحة - أي تدخلي أنا - عبر اللجنة التي يرأسها الجنرال موريرا في

[1] الوسيط في ذلك هو الصليب الأحمر، الذي كان يتبع لوزارة القوات المسلحة، وهناك من سيشهد على ذلك باستفاضة في محاكمتي. [أما كتاب الكاردينال شوستر، فعنوانه هو «الأيام الأخيرة لنظام» (ميلانو، «لا فيا»، 1946)، وقد وُصِفَ بأنه الكتاب الأبيض فقط في مقدمة الكاردينال نفسه. (ملاحظة المحرر)].

ألمانيا، أسفر في النهاية عن إخراجهم من معسكرات الاعتقال وإعلانهم عمالاً أحراراً أولاً، لمن أراد قبول صفة المتطوع في العمل، ثم تحرروا بالكامل.

إن هؤلاء الستمائة ألف رجل لم يتم ترحيلهم إلى ألمانيا بسبب خطأ حكومة الشمال، بل بسبب من خان حسن نيتهم من خلال الاستسلام المخزي غير المشروط، بينما كانوا يواجهون العدو، ثم تركهم لغضب حليف الأمس الذي كان يجب أن يوجهوا أسلحتهم ضده.

لقد وفيت بالمهمة التي عهدت بها لنفسي، وهي تخفيف المعاناة قدر الإمكان، وقاومت حتى النهاية، على الرغم من العذاب الأخلاقي الذي نتج عن ذلك، بسبب الصراع الشديد والخلاف المستمر مع الجانب الذي أراد أن يراني الجلاد.

يمكن أن يكون أحد أفضل المتهمين لي هو ذلك البارتيزان من تشكيلات "ماوري"، الذي كان جزءًا من مجموعة نزلت إلى جنوة في 7 أبريل، مرتدياً زي التشكيل الجمهوري "سان ماركو"، لتنفيذ محاولة اغتيال ضدي، والتي كانت منظمة بشكل جيد جداً وكان من المفترض أن تنجح أخيراً حيث فشلت العديد من المحاولات. بعد اعتقاله، واعترافه بالجريمة، نُقل من تورينو إلى بريشيا، لأنه، وفقاً لتلك السلطة السياسية، "لكي تكون المحاكمة أكثر رسمية". على العكس من ذلك، أمرت بتمييزه وحفظت القضية في الأرشيف. يمكن أن يكون آخرون هم إندرو مونتانيللي ووالدته، أو الكابتن ماسبيري وزوجته، أو أكثر من ذلك، المونسنيوران الجليلان من بورليتسا، اللذان، كما يذكر الكاردينال شوستر في كتابه الأبيض، أنقذتهما عندما كانا، كما يقول الأسقف، "محكومين بالإعدام". ولكن هناك، كما سنرى، متهم آخر يظهر ليدين "جرمي الحرب الفائق"!

من السجلات العامة لقضيتي، أستخرج الرسالة التالية التي كتبها المفوض السامي المساعد بيرلينغوير إلى بويري بتاريخ 5 مايو 1945: "لا أعرف ما هي أسس الأخبار التي نشرتها بعض الصحف، والتي تفيد بأن غراتسياني يجب أن يُنقل إلى فلورنسا أو روما. إذا كانت صحيحة، أرى أنه من المناسب الإصرار على محاكمته ليس من قبل محكمة جنرالات، بل من قبل المحكمة العليا للعدل، في محاكمة سريعة جداً. إذا كنت تتفق معي، يمكنك التحدث إلى الرئيس والحلفاء."

إليكم كيف يوضح "يومانوس" في كتاب "الفاشية الحمراء" في الصفحة 86 الأسباب التي دفعت برلينغوير إلى التماس إحالتي إلى المحكمة العليا للعدل. يستمد الخبر التالي من جريدة "إل مومنتو" بتاريخ 27 مايو 1945: "يريد برلينغوير، بصفته المفوض السامي المساعد، أن يُحاكم غراتسياني أمام المحكمة العليا للعدل لأنه، ضد أحكام المحكمة العليا، لا توجد أي وسيلة للطعن، وبالتالي تصبح الأحكام نافذة فورًا، على عكس أحكام المحاكم العسكرية التي يمكن الطعن فيها أمام المحكمة العليا."

ثم خاطب برلينغوير رئيس الوزراء بونومي قائلاً: "29 مايو 1945 - أقرأ في بعض الصحف أن القيادة الحليفة تعتزم عدم تسليم المارشال غراتسياني السابق إلى السلطات الإيطالية، وتعتزم إحالته إلى محكمة دولية بصفته "مجرم حرب". اسمح لي أن أذكّرك بالحديث الذي دار معك ومع سعادة كاساتي، وأن أبلغك بهذا الخبر الذي لا أعرف ما إذا كان صحيحاً. أعتقد أنه إذا سحب الحلفاء غراتسياني من اختصاصنا القضائي، فإن ذلك سيشكل تقويضاً مؤسفاً لاستقلالية عدالتنا، ويمكن تفسيره على أنه علامة على عدم الثقة فيها. علاوة على ذلك، ستكون هذه هي الحالة الوحيدة لمثل هذا الإجراء، الذي لم يُعتمد لمجرمي حرب آخرين."

علاوة على ذلك، اضطر رئيس الوزراء بونومي إلى الرد على المفوض السامي بيرلينغوير قائلاً: "11 يونيو 1945 - هذه هي إجابة ستون: '6 يونيو 1945. سيدي الرئيس العزيز، أشكرك على رسالتك المؤرخة 30 مايو بخصوص مارشال إيطاليا رودولفو غراتسياني. المارشال محتجز حالياً - كسجين حرب -. لقد أبلغت السلطات العسكرية بطلبك وسأخطرك بالرد فور وصوله. - إيليري ستون'".

في هذه الأثناء، وفي نفس تاريخ 11 يونيو، كان المفوض السامي المساعد بيرلينغوير، وبحماس خاص، قد قام بسحب الإجراءات المتخذة ضدي إليه، معتقداً أنه قد أمسك أخيراً بالغنيمة التي طالما حلم بها. لكن هذه الغنيمة أفلتت منه لأنه في 12 يونيو 1945، بعد أن احتُجزت شهراً في تشينشيتا بروما، نُقلت جواً إلى الجزائر العاصمة، ووضعت في معسكر أسرى الحرب 211 برقم AA. 252433، حيث احتُجزت "تحت حراسة" السلطات الحليفة.

كتبت رئاسة الوزراء لاحقاً إلى المفوض السامي المساعد بيرلينغوير: "24 يوليو 1945 - لقد أبلغت اللجنة الحليفة، التي وجهت هذه الرئاسة إليها نداءات لكي يوضع المارشال رودولفو غراتسياني تحت تصرف السلطات الإيطالية، بمذكرة مؤرخة 14 من الشهر الجاري ما يلي:

"من المتوقع أن تُعتمد توجيهات عامة بشأن جرائم الحرب بعد الاجتماع الذي يعقد حالياً في لندن بين ممثلي مجالس معاقبة مجرمي الحرب من الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى، وروسيا، وفرنسا. حتى يتم تحديد هذه التوجيهات، سيحتجز المارشال "تحت الحراسة" من قبل السلطات الحليفة. ويتم إبلاغكم بذلك بالإشارة إلى رسالة المفوضية العليا لديكم المؤرخة 25 مايو 1945".

لقد استمرت فترة الاحتجاز حتى فبراير 1946، عندما أعادني الحلفاء إلى السلطة الإيطالية، ليس كـ "مجرم حرب"، بعد أن تم تمييز قضيتي من قبل مجالس معاقبة مجرمي الحرب في الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى، وروسيا، وفرنسا، في اجتماع لندن.

وذلك بعد أن كانت القيادة الحليفة في روما، منذ فترة طويلة، قد استولت على أربع صناديق كبيرة تحتوي على وثائق تتعلق بحياتي كلها. كنت قد سلمتها لكاهن كنيسة القديسة أغنيس خارج الأسوار، وهناك، وبسبب ظروف لا يزال لا يمكنني فهمها بشكل كامل، صادرها "الخدمة السرية" الأمريكية.

كانت هذه الصناديق جزءاً مما يُسمى "كنزي" الذي أثيرت حوله الكثير من الضجة، والذي لم يكن يحتوي على شيء سوى جميع ذكرياتي وذكريات عائلتي، منذ الولادة فصاعداً: تذكارات حربية - سيوف شرف - رايات الحملات الأفريقية - ألبومات صور - صناديق كاملة من صور التذكارات - شهادات نبيلة - عنوان مدينة روما لمنحي المواطنة الفخرية - الشهادات المتعلقة بتلك التي منحتها لي مدينة ميلانو وبروسينوني - "عصا المارشال" التي منحتها لي مدينة روما في كابيتول، برعاية الحاكم آنذاك الأمير دون بييرو كولونا - عمل فني ذو قيمة فنية عالية وقيمة مادية مماثلة، مصنوع من العاج والذهب، ومحفور بدقة. بالإضافة إلى كل ذلك، قدر من الفضيات التي يمكن أن توجد في منزل أبسط موظف، وليس لمن كان له حظ، مثلي، بأن يكون حاكماً لأربع مستعمرات، وأخيراً نائباً للملك في إثيوبيا.

هذا هو "كنزي"!

لكن الكنز الحقيقي بالنسبة لي كان تلك الصناديق الأربعة من الوثائق، والتي كان الكثير منها ثميناً اليوم، ليس فقط لدفاعي الشخصي، بل لأغراض تاريخية.

هل يمكن أن يكون هناك فحص أكثر جدية من الذي خضعت له لتمييزي من اتهام "الإجرام الحربي"؟

ومع ذلك، فقد سرّ الرفيق توغلياتي أن يصفني بذلك، في الجمعية التأسيسية بكاملها، عندما اعتقد أنه توصل إلى حجة فعالة لمنع الإجراءات القضائية ضد سارقي كنز دونغو... أي حتى تتم محاكمة "مجرم المجرمين الأكبر".

قالها بنفسه!

13. علاقـاتي مع الكـاردينـال شــوســتر، رئيس أساقفة ميلانو

لم تنشأ هذه العلاقات من حادثة عارضة (حادثة 22 أبريل)، كما يحاول الكتاب الأبيض لرئيس الأساقفة أن يظهر، بل لها أصل يعود إلى صيف عام 1944، حيث، عن طريق زوجتي، التي ذهبت إليه لتطلب منه إيصال أخبار لابنتنا في روما، أبلغته برغبتي في لقاء.

لاحقاً، اســتمرت العلاقات مع الكاردينال عن طريق زوجتي والأب البينديكتي دون مارســيلي، الذي وُضع تحت تصرف مكتب القوات المسلحة. استمع الكاردينال إلى زوجتي بتفهم كبير واهتم أيضاً بتأمين مأوى لها في مؤسسة دينية للراهبات، إذا لزمت الظروف ذلك. في إحدى المحادثات، أعرب قداســته عن قلقه من المصــير المحزن الذي ينتظر شــمال إيطاليا، وخاصــة لومبارديا وميلانو، إذا اضــطر الألمان إلى الانســحاب تحت ضــغط الأنكلو-أمريكي. كان يعتقد أنه في هذه الحالة، "يجب أن يتولى شخص ما قيادة كل شيء لتجنب الأضرار ذات الصلة قدر الإمكان، وأن هذا الشخص قد أكون أنا". (هذه كلماته الدقيقة). طلبت أن يُرد عليه بأن الظروف المستقبلية ستحدد لنا الإجراء الذي يجب اتخاذه في الوقت المناسب. في غضون ذلك، طمأنته بأنني سأفعل كل ما بوسعي لمنع ميلانو من أن تصبح مركزاً للمقاومة الفاشية المستمرة، مع ما يترتب على ذلك من عواقب لا مفر منها. لكن المراقبة المشــددة عليّ من قبل الحكومة والألمان منعتني من إجراء تلك الاتصالات المباشرة مع رئيس الأساقفة، التي كنت أرغب فيها أنا نفسي.

بعد فترة وجيزة، وقعت حادثة بورليتســا. لقد تم القبض على مدير ونائب مدير تلك المؤســســة الدينية، التابعة للمطرانية، وبأمر من قيادة "اكس ماس" خضـعا للإجراءات القانونية. لقد اتُهما بالتواطؤ مع البارتيزان المحليين الذين، بعد أن وجدوا الباب مفتوحاً، تمكنوا ليلاً من مفاجأة حارس المعهد ونزع سلاحه وهو نائم. هذه كانت تهمة التواطؤ. لكن الكاهنين دافعا عن نفسيهما بالقول إنهما تصرفا بناءً على أمر من رئيس الأساقفة نفسه، ولم يكن المحامي العسكري لمحكمة البحرية في ميلانو ينوي التوقف أمام إمكانية اتهامه هو أيضاً.

لقد كتب إليّ رئيس الأساقفة يرجوني بالتدخل لإطلاق سراح الكاهنين. وضمن بدوره أنه سيتخذ إجراءات بتعيينهما في مكان عقوبة.

لذلك أمرت بوقف الإجراءات، التي كنت أجهلها حتى ذلك الحين، وأرسلت قائد "اكس ماس" نفسه، بورغيزي، إلى الكاردينال لتوضيح الحقائق وطمأنته. أطلق سراح الكاهنين، وتم حفظ القضية. ولم يتعرضا حتى للعقاب الكنسي. لم يُعترض على ذلك؛ ولم يكن الرضا أكبر من ذلك.

يشير الكتاب الأبيض إلى هذه الحادثة في الصفحة 68، وفي الحاشية، فقط في الحاشية، يذكر أن الكاهنين، اللذين كانا محكومين بالإعدام بالفعل، أُخرجا من السجن بتدخل شخصي من الجنرال غراتسياني.

في نفس الفترة، وقعت حادثة أخرى في كومو تتعلق بكاهن. ومرة أخرى عن طريق الأب البينديكتي. طلب قداسته شوستر تدخلي.

لقد اختطفت مجموعة من البارتيزان بعض رجالنا أو الألمان، وكانت السلطات الألمانية تهدد بالانتقام الشديد. لجأ الكاهن المحلي إلى الكاردينال، الذي أمر الكاهن بالبحث عن المختطفين. بعد بضعة أيام عاد هذا الأخير ومعه المختطفون، لكن الألمان احتجزوه بتهمة التواطؤ مع البارتيزان، وهددوه بالإعدام رمياً بالرصاص. لقد دافعت عن القضية مباشرة لدى الجنرال وولف وحصلت على إطلاق سراح الكاهن.

يتضح من الإعلان التالي بتاريخ 3 ديسمبر 1945، للمونسنيور جوزيبي بيشيراي، أمين لجنة الحبر الأعظم للمساعدة في أبرشية ميلانو، وجود ظرف آخر حيث تدخلت بناءً على طلب رئيس الأساقفة لصالح اثنين وعشرين ضابطاً. "كتب الموقع أدناه، بصفته ممثل صاحب السعادة، في 10 فبراير إلى الجنرال بوكا نيابة عن المارشال غراتسياني، بهدف الحصول على إطلاق سراح اثنين وعشرين ضابطاً من التعيينات الأولى، كانوا قد سُلّموا إلى الألمان من قبل القيادة العسكرية الإقليمية في ميلانو لمجرد أنهم لم يرغبوا في الذهاب كـ "متطوعين" إلى خط القتال.

"وقد أشار الالتماس إلى مغالطة السؤال المطروح على الضباط المذكورين وظلم الإجراء الذي اتخذته السلطة العسكرية في ميلانو، والتي سلمتهم إلى الألمان. وقد طُلب صراحة باسم صاحب السعادة التدخل الفوري للمارشال غراتسياني.

"ويتضح أن هذا التدخل قد حدث بعد أيام قليلة من الالتماس المذكور، حيث أفرجت السلطات الألمانية عن الضباط الاثنين والعشرين الذين أطلق سراحهم، وبذلك أُخرجوا من سجون القوات الخاصة في سان فيتوري، حيث كانوا محتجزين."

في أكتوبر أو نوفمبر 1944، جاء دون مارسيلي ليتوسل إلي، بناءً على تعليمات رئيس الأساقفة، للإسراع في الحصول على رد من المارشال كيسلرينغ على رسالة، كان الكاردينال قد أبلغ فيها المارشال الألماني "أنه إذا تم احترام مدينة ميلانو في حالة الانسحاب الألماني، فإنه سيضمن عدم حدوث أي شيء، لأن لجنة التحرير الوطنية ستسلم إليه، رئيس الأساقفة، قيادة المدينة". لقد قمت بإبلاغ المارشال كيسلرينغ بهذه الرسالة، وقد حافظ على تحفظ شديد.

ثم نشأ نزاع حول قسم الأبرشية العسكرية الشمالية، برئاسة المونسنيور كازوناتو، الذي كان قد عُيّن قبل 8 سبتمبر 1943 من قبل الأبرشية العامة المونسنيور بارتولوماسي. لقد حدث أن كازوناتو، بعد أن أقسم اليمين وجعل قساوسة الجيش يقسمون اليمين للجمهورية الاجتماعية، عبّر مرة، في رسالة موجهة إلى الأب بلاندينو، كاهن الألوية السوداء، بعبارة اعتبرها الحزب، ثم موسوليني، معادية للجمهورية. أمر موسوليني بإقالة كازوناتو من مهامه على الفور؛ لكنني جعلته في إجازة استثنائية فقط، في انتظار تعيين بديل له من روما. لم أكن أرغب في الواقع في الانحراف عن بنود الميثاق، وطلبت من الكاردينال شوستر، بصفته الكاردينال الأبرز في شمال إيطاليا، أن يبادر بهذا التعيين حتى لا يترك الأبرشية بدون رئيس. أجابني بأنه لا يمكنه تولي المبادرة، لكنه سيقوم بالإجراءات اللازمة مع الفاتيكان، عبر سويسرا، وهو ما كان يتطلب، بطبيعة الحال، شهوراً من الوقت والانتظار.

ومع ذلك، يتبين اليوم في الكتاب الأبيض (ملاحظة في الصفحة 122) ما يلي: "منذ احتلال الألمان لشبه الجزيرة، كانت الكرسي الرسولي، عبر سفارة برن، تتواصل أسبوعياً مع كاردينال ميلانو، من خلال القنصلية السويسرية". وبالتالي، بالنسبة لمثل هذا الموضوع المهم، كان يكفي خمسة عشر يوماً للحصول على الرد من روما.

لكن يبدو أن توفير المساعدة الدينية لجنود الجمهورية الاجتماعية كان موضوعاً يقع خارج نطاق الخدمة العليا للعناية بالنفوس بالنسبة لأبرشية ميلانو.

لا يبدو أن رئيس أساقفة فرنسا قد رأى الأمر كذلك، فقد فعل ذلك من أجل المقاومين.

وهكذا، بقيت الأبرشية العسكرية الشمالية بلا رأس، وتُرك القساوسة أحرارًا في التوجه إلى أساقفتهم. بهذه الطريقة، ضمنت عدم انتهاك بنود الميثاق؛ على الرغم من أن موسوليني أمرني عدة مرات، وبشكل قاطع، بعدم الاهتمام بذلك على الإطلاق، وتعيين من أراه مناسبًا بدلاً من كاسوناتو.

في غضون ذلك، بدأ الكاردينال شوستر مفاوضات مع الجنرال وولف حول الاستسلام المحتمل للقوات الألمانية في إيطاليا؛ كل هذا دون أن يتسرب أي شيء إلى حكومة سالو.

بين فبراير ومارس 1945، أجرت زوجتي محادثة أخرى مع الكاردينال. في تلك الفترة، اعتقلت الفرقة السوداء في ليكو مجموعة على الحدود السويسرية، مكونة من ضابط إنكليزي يرتدي ملابس مدنية، وكاهن، ودليل، أثناء عبورهم أراضينا. صرح الكابتن توكر، الذي كان يتحدث الإيطالية بطلاقة، أنه كان عليه إتمام مهمة غاية في الأهمية معي نيابة عن المارشال ألكسندر، وأنه لم يُسمح له بإفشائها لأي شخص آخر سواي. أما الكاهن، فقد أكد أن مهمته المحددة كانت ربطي، عبر الكاردينال شوستر، بالضابط الإنكليزي.

أحضر الجنرال فادويل، رئيس أركان الألوية السوداء، الإنكليزي إلى مقر قيادتي في "فيلا أوموديو" في ديزينزانو؛ ومن هناك أُرسل على الفور إلى دائرة الاستخبارات (S.I.D.) في فولتا مانتوفانا، ليتم استجوابه هناك من قبل رئيس الدائرة، المقدم دي ليو. أكد الأخير المهمة التي تلقاها من المارشال ألكسندر، وهي الاتصال بي، للحصول على ضمان بأن الألمان، عند انسحابهم من إيطاليا، سيتجنبون تدمير المنشآت الصناعية، والأعمال الفنية، وغيرها. في الحقيقة، هذه التوصية كانت زائدة عن الحاجة على الأقل، لأن هدفها كان أحد أهم أهدافي.

بعد الاستجواب الأول، كان على دي ليو أن يوجه الضابط إلى العقيد هيلفريك، ضابط الاتصال الألماني داخل دائرة الاستخبارات، الذي بدوره ربطه بالجنرال هاستر في فيرونا. أعلن الجنرال وولف لاحقاً أنه قد أُعيد إلى سويسرا في مهمة خاصة لم يوضحها.

رأيت من المناسب إبلاغ الكاردينال شوستر بكل شيء، وقد أعرب عن رغبته في معرفة من هو الكاهن الذي رافق البعثة. أرسلت إليه نسخة من صورة أعضاء البعثة عن طريق زوجتي، والكاردينال، الذي تعرف على الكاهن، أبدى دهشته كيف تم اختيار هذا الكاهن بالذات، الذي بدا أنه لا يستحق الكثير من التقدير من جانبه.

الكتاب الأبيض، عند الإشارة إلى هذه الحادثة، يحب أن يقدمها، بأثر رجعي، على أنها "خدعة" سيئة قام بها الألمان فيما يتعلق بي. يقول في الصفحة 136: "رفض الجنرال، وهو يعلم أنه تحت مراقبة الألمان المستمرة، استقبال الأسير، وأعاده إلى القيادة الألمانية، التي أمرت بدلاً من ذلك بإعادتهم إلى سويسرا.

"كما عُرف لاحقًا، كان من حسن حظ غراتسياني ألا ينخدع. كانت تلك خدعة ألمانية، لاكتشاف ما إذا كان "الجنرال العظيم" (هكذا يحلو للأسقف المحترم أن يسميني بسخرية من حين لآخر) قد استسلم لإغراء التواصل مع العدو!"

إذا قالها الكاردينال...

في تلك المناسبة، أبلغت رئيس الأساقفة أن اهتمامي كان دائماً موجهاً لضمان عدم تحول ميلانو إلى مركز للمقاومة القصوى.

في الواقع، كان موسوليني، بناءً على اقتراح من سكرتير الحزب، بافوليني، يفكر في القيام بهذه المقاومة الأخيرة للقوات الفاشية في ميلانو نفسها، كما حدث بالفعل في فلورنسا. حتى أنهم تحدثوا عن رغبتهم في جعل ميلانو "ستالينغراد الإيطالية".

كنت دائمًا أعارض هذه النية لدى الدوتشي، والتي، بينما كانت محاولة عقيمة، كانت ستسبب للمدينة، حيث يمكن أن يجلب الصراع الداخلي الطيران الحليف، أضرارًا وخسائر فادحة. كنت أشير، لتقوية موقفي، إلى أنه لا ينبغي الاعتماد على الفرق تحت قيادتي. فقد كان من المفترض أن تخضع، وهي جزء من التشكيل المتقدم، لمصير الوحدات الألمانية، وفقًا لأوامر القيادة العليا، وأنا معهم. في الواقع، تخلى موسوليني عن الفكرة وقرر أن معقل المقاومة القصوى سيكون فالتيلينا، "لأنه، على أي حال، في أي مكان، يجب أن تسقط الفاشية ببطولة."

هذا الموضوع، الذي نوقش عدة مرات في مجلس الوزراء، نوقش أخيراً في الاجتماع الكامل مع كبار المسؤولين الألمان (الجنرال فون فيتينغهوف، الجنرال وولف، السفير ران). في 16 أبريل في غارغنانو، في المجلس الأخير، أعلن الدوتشي أننا سنجتمع مرة أخرى في ميلانو؛ حيث انتقل في 18 أبريل، واتخذ من قصر الحكومة مقراً له، ومن هناك كان يعتزم الوصول، في الوقت المناسب، إلى فالتيلينا، حيث أكد بافوليني أنه جمع عدة آلاف من الرجال من الألوية السوداء والحرس الوطني الجمهوري، تحت قيادة الجنرال أونوري، من الألوية السوداء.

في تلك الأيام، كلفني الجنرال فون فيتينغهوف، القائد الألماني الأعلى، الذي حل محل المارشال كيسلرينغ، بعرض على الكاردينال شوستر أهمية تعاون رجال الدين والسكان في عملية إنقاذ في حالة الانسحاب الألماني: إذا لم تزعج مجموعات البارتيزان القوات، فسيتم الحفاظ على المنشآت والأعمال الفنية والصناعات.

أبلغت موسوليني بذلك وسألته إذا كان لديه أي شيء ليبلغه إلى رئيس الأساقفة عندما أذهب إليه. أبدى موسوليني اهتمامًا كبيراً وقال لي حرفياً: "بالتأكيد، في اللحظة الأخيرة، يمكن أن يلعب الكاردينال شوستر دوراً مهماً جداً في الأحداث. ما هو انطباعك عنه؟"

أجبت بأنني لم أكن أعرفه شخصيًا، لكنني كنت أعلم اهتمامه بمصير لومبارديا، وخاصة ميلانو، وقلقه بهذا الشأن. وأضاف: "أجده رجلاً جافاً جداً، على أي حال حاول أن ترى."

حتى تلك اللحظة، كان مقر قيادة جيش "ليغوريا" يقع في فيدغولفو، بين ميلانو وبافيا. في الساعات الأولى من الصباح كنت أذهب إلى ميلانو، حيث كنت أبقى طوال اليوم، لإطلاع موسوليني على الوضع العسكري الذي كان في تطور هجومي مستمر. في 21 أبريل، عبر الأنكلو-أمريكيون نهر بو عند مانتوفا، وأنشأوا رأس جسر واسع على الضفة اليسرى. قلت لموسوليني: "إذا كانوا جريئين، فقد يكونون في ميلانو غداً أيضاً. ماذا قررت أن تفعل؟"

ظل مفكراً للغاية، ثم أجاب: "كما يحدث دائماً في هذه الحالات، في لحظة معينة ستسيطر الأحداث، وتفرض قوانينها."

"لا يجب أن نسمح لأنفسنا بأن نتفاجأ سلبياً،" تدخلت، "بل يجب أن نقرر في الوقت المناسب ما نريد فعله." لقد بدا وكأنه مسيطر عليه انتظار قدري، وهو ما كان قد وقع فيه منذ فترة طويلة.

لكن الآن، بعد أن قرأت في كتاب كارلو سيلفستري، "توراتي قالها"، ما أملاه موسوليني في اليوم التالي، 22 أبريل، بخصوص رغبته في "تسليم الجمهورية الاجتماعية" إلى اللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكي الإيطالي للوحدة العمالية، يجب أن أسجل أنه، في اللحظة الأخيرة، لم يكن صادقاً معي بالكامل، كما كنت أنا دائماً صادقاً معه. وهكذا، أخفى عني كل ما يتعلق بالفعل الذي كان على وشك القيام به، بينما أنا، الذي لم أكن مهتماً بالجانب السياسي على الإطلاق، كنت قد ألمحت له منذ الأيام الأولى، في رأيي المتواضع، إلى فرصة استئناف الاتصالات مع الاشتراكية القديمة. وهذا قبل وقت طويل من رؤيتي يعاود الظهور بالقرب منه أحد ممثليها، كارلو سيلفستري.

لقد قال لي منذ زمن: "دورتي قد انتهت في 25 يوليو 1943. هذه ليست سوى ملحق. وصيتي السياسية: إيطاليا، جمهورية، اشتراكية؛ بل إذا صح القول، تطبيق الاشتراكية".[1] والآن سألني: "ماذا ستفعلون؟" أجبت بأن واجبي كجندي هو البقاء حتى النهاية في مركز القيادة لدعم القوات؛ وبدوري سألت: "هل قررتم الذهاب إلى فالتيلينا؟"

أجاب: "بخصوص ذلك، طلبت من بافوليني أن يضمن، على الأقل، الدخول إلى الوادي."

أبلغته حينها أن قيادتي قد انتقلت في تلك الأيام من فيدغولفو إلى مانديللو، في منتصف الطريق بين كومو وليكو، حيث ستكون في مكانها في 25. أضفت أنني سأذهب في 22 إلى الكاردينال شوستر للمهمة المعروفة، وسألت إذا كان لديه أي شيء آخر ليقوله لي بخصوص ذلك. أجاب: "لا شيء أكثر مما قلته لك بالأمس."

حتى هذه اللحظة، كنا كلانا في جهل مطلق بأن رئيس الأساقفة والجنرال وولف كانا يتفاوضان على الاستسلام. لم نتلق أي تلميح من السفير، ولا من الجنرال وولف، ولا من أي شخص آخر.

---

[1] لخص صيغة "التنشئة الاجتماعية (socializzazione) "على النحو التالي» :في السابق كان العمل في خدمة رأس المال، والآن رأس المال في خدمة العمل.«

قبل بضع ليالٍ، دعاني ران إلى عشاء في فيلا على بحيرة غاردا لم أرها من قبل. كنت الضيف الوحيد. أبلغني السفير، عن طريق المقدم هيغنراينر، الضابط المسؤول، أن بإمكاني أن أنام لديه إذا لم أرغب في العودة إلى منزلي في وقت متأخر من الليل.

أُقيم العشاء بين ثلاثة أشخاص: السفير، سكرتير شاب جداً له، وأنا. خدمنا نادل بدا لي إيطالياً؛ لم ألاحظه من قبل في السفارة. ثم انتقلنا إلى غرفة معيشة صغيرة. تحدثنا عن خطورة الوضع القصوى؛ لكن لم تُذكر كلمة واحدة عن مفاوضات الاستسلام الجارية! هل أراد أن ينتقم مني، منذ تلك اللحظة، بالتحديد، من الهزيمة التي ألحقها به الملك وبادوليو في روما في 8 سبتمبر 1943؟

تركني للحظة، وعاد حاملاً علبة تحتوي على مسدس من طراز بريتا، جديد، مطلي بالكروم؛ ورافق الهدية هذه الكلمات: "والآن، لمرة واحدة لدي خبر سار لأبلغكم به: ميناء جنوة لن يتم تفجيره". كرر دعوتي للنوم في الفيلا، حتى في الليالي التالية، إذا رغبت في ذلك. ثم ودعت.

إن الإشارة إلى ميناء جنوة لها سابقة تجعل لفتة ران ذات مغزى كبير. كان معروفاً أن الألمان قد ألغموه بالكامل وأنهم كانوا يعتزمون تفجيره عند الانسحاب. في فبراير 1945، كلف موسوليني لجنة مكونة من بوفارمي غيدي، وماتسوليني، وبيليغريني، وموروني، وزراء الداخلية، والخارجية، والمالية، والإمدادات، على التوالي، وبوجودي أنا، بتقديم احتجاج رسمي بشأن هذه المسألة، وقضايا أخرى ذات طبيعة مالية واقتصادية.

أعطيت الكلمة لي أولاً. شجبت أعمال العنف والنهب التي ارتكبها الألمان بالفعل في البلاد، والتي رفعت الحكومة صوتها ضدها مراراً وتكراراً. وإذا قاموا، عند الانسحاب من إيطاليا، بتدمير الصناعات، والأعمال الفنية، وحتى ميناء جنوة، فإنهم سيلطخون أنفسهم بمثل هذا العار أمام العالم بأسره، بحيث لن يتمكنوا أبداً من استعادة الاحترام أو الحصول على الغفران، لأن هذا الميناء المعجزة لم يكن ذا فائدة إيطالية فحسب، بل عالمية. أكدت أخيراً أننا جميعاً لم نخفِ حقيقة أن النفي أو الموت أو السجن سينهي مأساتنا المأساوية، التي واجهناها على وجه التحديد لحماية الوطن من غضبهم المهدد بعد 8 سبتمبر. طلبت، على حساب تضحيتنا، أن تُجنّب إيطاليا المزيد من الخسائر وأن نُضمن بشكل مطلق سلامة ميناء جنوة.

دعم الوزراء الآخرون بحماس ما قلته، وبنفس الحزم دافعوا عن الأوضاع المالية والاقتصادية الأخرى. بصمت، ولكن بانفعال، "تحمل" السفير تهجمي، الذي لم يكن الأول، ووعد باهتمام خاص.

تم تسجيل الجلسة بالخط السريع؛ وعندما كان على الوزير ماتسوليني أن يدون محتواها، وجد صعوبة كبيرة في إعادة إنتاج تصريحاتي بالكامل، والتي تم تخفيفها. نص ذلك المحضر، حتى مع

هذا التشويه، سيكون اليوم وثيقة بالغة الأهمية بالنسبة لي؛ لكن لسوء الحظ، فقدت النسخة التي بحوزتي.

من بين الذين شاركوا في تلك الجلسة، لا يزال وزيرا بيليغريني وموروني على قيد الحياة، ويمكنهما أن يشهدا للإيطاليين الحقيقة.

ماذا كان معنى لفتة ران في مساء العشاء الأخير؟ هل أراد أن يجعلني أفهم أنه سدد حسابه الشخصي معي، بإنقاذ ميناء جنوة وتذكيري بلقائنا الأول في 23 سبتمبر في روما؟ هل أراد إضافة هدية النيبلونغ للمسدس ولجوء الفيلا، ليقدم لي المكان والوسيلة المناسبة لخاتمة مأساوية، بينما هو، على دراية بالمفاوضات السرية للاستسلام التي كان يجريها الجنرال وولف، كان يرتاح بالفعل مطمئناً على "الضمانات الدبلوماسية"؟

بالعودة إلى الكاردينال شوستر، استقبلني بعد ظهر يوم 22 أبريل في قصر الأسقفية. على رأس الدرج الكبير، استقبلني المونسنيور تيرانيو، الذي سلمته حزامي ومسدسي عند الدخول.

مرتدياً ثياب الكهنوت الأرجوانية (وهو ما لم يحدث في 25 أبريل التالي، في محادثته مع موسوليني)، أدخلني رئيس الأساقفة إلى صالونه الخاص، وهو نفس الصالون الذي جرت فيه المحادثة مع الدوتشي، وبعد أن أجلسني على أريكة مركزية، بينما بقي هو على كرسي بذراعين إلى يميني، دعاني للتحدث. قلت إن لدي مهمة خاصة يجب أن أقوم بها نيابة عن الجنرال فون فيتينغهوف، ولكن قبل الدخول في موضوعها، أردت أن أذكر ذاكرته بما كان، قبل بضعة أشهر، موضوع تبادل أفكارنا، حول ضرورة العمل معاً، في الأيام القادمة، لتجنب أو تخفيف الأضرار المؤسفة، موضحاً أنني كنت مستعداً لوضع نفسي تحت تصرفه والقيام بما يراه مفيداً.

"نعم، نعم، أتذكر،" أجاب، "لكن تعلم، الأمور تغيرت الآن إلى حد ما."

"في الأيام الماضية،" أصررت، "موسوليني، الذي أبلغته بزيارتي لسموكم، قال لي إنه في هذه اللحظات الأخيرة قد تتمكنون من تولي دور مهم للغاية..."

"لكن أي دور؟ وكيف؟ قل، قل: أنا أسقف مسكين، لكن الكنيسة مستعدة لمد يد العون لكم."

"أكرر، يا سيدي، أنني لهذا الغرض، أضع نفسي تحت تصرفكم الكامل، وأنني مستعد، على مسؤوليتي الخاصة، لإجراء اتصالات مع الجنرال كادورنا."

"لا، لا، هذا غير ممكن، أنت مراقب جداً، ملاحظ جداً. لقد فكرت مرة في القائد بورغيزي، لكنهم يصفونه لي بأنه رجل متحمس وعنيف."

أصررت مرة أخرى مكرراً أنني تحت تصرفه الكامل لأكون مفيداً للعمل المشترك، في مصلحة الوطن.

"لكن ماذا تريد... لا أعرف ماذا أقول. أنا أسقف مسكين..."

الآن فقط، بعد أن علمت كيف كان الكاردينال شوستر يتفاوض على الاستسلام دون علمنا، يمكنني أن أدرك إحراجه الواضح. دخلت حينئذ في موضوع المهمة التي كلفني بها الجنرال فون فيتينغهوف، وعرضت عليه الرسالة ذات الصلة.

"سأفعل كل ما بوسعي،" أكد الكاردينال، "لكن يجب الأخذ في الاعتبار صعوبة المحافظة على المراسلات مع المناطق الأخرى."

"سأتكفل بهذا مباشرة،" أجبت، "مكلفاً الكرادلة والأساقفة الآخرين. وبالتالي، يكفي أن تقتصر عمل سموكم على لومبارديا."

أتذكر جيداً أن رئيس الأساقفة لم يبدِ اهتماماً كبيراً بما كنت أطلبه. لا عجب! في مفاوضات الاستسلام، كان الموضوع المهم قد تم النظر فيه بالفعل بشكل واسع. بدلاً من ذلك، سألني عن نوايا الألمان، وأنا، الذي كنت أجهل ما كانوا يخططون له، أجبت بأنهم كانوا عازمين على المقاومة حتى النهاية.

في الواقع، كانت توجيهات القائد الأعلى الجنرال فون فيتينغهوف سارية المفعول حتى 22 أبريل.[1]

في 23 أبريل التالي فقط، تلقيت الأمر ببدء انسحاب قوات جيش "ليغوريا" من الريفييرا. كان من المقرر أن يتبع هذا التحرك في 26 أبريل من جبال الألب. يجب الأخذ في الاعتبار أنه تم حساب أحد عشر يوماً نظرياً لتتمكن كلتا الوحدتين من التمركز على خط تيتشينو-بو، وهو خط مقاومة متوقعة حتى النهاية.

إذا كان الكاردينال شوستر قد أخفى عني كل ما يتعلق بالاستسلام الجاري، فكيف كنت سأخمن أن النوايا الألمانية الحقيقية كانت مختلفة؟ لكان أفضل بكثير لو أنه في تلك اللحظة الحاسمة تحدث معي بصراحة مسيحية، واثقاً بكلمتي كجندي، وأطلعني على الأمور، من أجل تحقيق الخير الأقصى وتجنب الشر الأقصى. ربما كانت أحداث 25 أبريل قد تطورت بشكل مختلف.

---

[1] فقط الآن، من سجلات فيروتشيو لانفرانشي التاريخية، يتبين أن الجنرال فون فيتينغهوف كان على علم بالعمل الذي قام به وولف. لكن لماذا أرسلني حينئذ إلى الكاردينال بهذه المهمة؟ ما كتبه فيروتشيو لانفرانشي في كتابه "استسلام الثمانمائة ألف" يوضح هذا الوضع الآن.

بعد انتهاء الموضوع الرسمي للمحادثة مع رئيس الأساقفة، سمحت لنفسي بالانفتاح والتعبير عن مشاعري الشخصية، التي كادت أن تأخذ طابع الاعتراف. كوني مؤمناً، ومُعجباً بالرهبنة البندكتية، وقد ولدت في المنطقة الصوفية في "أنييني"، وهي واديّ، أردت أن أفتح قلبي لممثل رفيع للكنيسة، ليس لكي أتبجح بمزاياي كما يذكر الكتاب الأبيض، بل لكي أُظهر له ضميري، وأحصل على الراحة الروحية التي ألهمتني إياها الظروف الاستثنائية. استحضرت الصراعات المستمرة التي كان عليّ أن أخضع لها في وجودي المضطرب لأبقى خارج أي روابط طائفية؛ والتشويهات التي كنت هدفاً لها من الفاشية أثناء وظائفي كنائب للملك في إثيوبيا، وبعد هزيمة شمال أفريقيا التي كنت كبش فدائها؛ وظروف القدر التي من خلالها، في 23 سبتمبر 1943، بعد ثلاث سنوات من العزلة، وُضعت في دوامة المأساة الأكثر فظاعة التي أصابت الوطن على الإطلاق. وكيف كنت أقوم بعمل متوازن في كل مجال، بضمير هادئ لا يؤنبني على أي خطأ، والسكينة الناتجة عن ذلك التي كنت أتهيأ بها لمواجهة أي حكم.

من المفيد أن نوضح أن المقالات الصحفية التي تعلق على الكتاب الأبيض لا تشير إطلاقًا إلى الظرفين البارزين للمحادثة: أي ما قلته عن تفكير موسوليني، وعمله المفيد في تلك الظروف الأخيرة؛ وطلبي للمحادثة مع الجنرال كادورنا، والذي لم يقبله الكاردينال. بل إن الكتاب الأبيض نفسه هو الذي أغفل هذه الإشارات الهامة جداً.

ما الذي حدث في يومي 23 و 24؟

أرسلت إلى قداسته، عبر ضابطي الملحق، الرسالة التالية: "عقب المحادثة التي أجريت أمس. أرفق لكم نسخة من رسالة الجنرال فون فيتينغهوف، حتى يتمكن قداستكم، إذا رأى ذلك مفيداً لتحقيق الأهداف التي نسعى إليها، من عرضها على من يراه مناسباً. مع أسمى آيات الاحترام."

وهذا هو نص وثيقة الجنرال فون فيتينغهوف، التي سلمت أنا نسختها الأصلية لاحقاً للكابتن الأمريكي داداريو في اليوم التاسع والعشرين، قبل أن أحجز في سان فيتوري.

"عاجل جداً - سري للغاية: إلى الضابط المساعد الألماني لدى قائد جيش "ليغوريا". سري للغاية لشخص المارشال المحترم، إن قلق الرأي العام الإيطالي بشأن تصرف القوات المسلحة الألمانية فيما يتعلق بتدابير التدمير وشل المصانع الاقتصادية ذات الأهمية الحيوية، خلال انسحاب محتمل، أصبح خطراً متزايداً على الأمن الداخلي في شمال إيطاليا، وخاصة بالنسبة للقوات. القيادة العليا للجنوب الغربي ستأخذ في الاعتبار، في تنفيذ تدابير التدمير، المصالح المشروعة للاقتصاد الإيطالي. ومع ذلك، سيعتمد التنفيذ إلى حد كبير على السلوك المخلص للسكان الإيطاليين وكذلك للمقاتلين. ترى القيادة العليا للجنوب الغربي أنه من المناسب اقتراح وجهات

النظر هذه بحذر ضروري وبشكل سري على الهيئات الإيطالية المختصة، وخاصة الممثلين القياديين للكنيسة، مع تقديم طلب لتأثيرهم في هذا الاتجاه.

"يُرجى من المارشال غراتسياني المضي قدماً في هذا الأمر بالتعاون مع السفير الدكتور ران، والجنرال وولف من قوات الأمن الخاصة، مع إيلاء اهتمام خاص لإقامة اتصال مع ممثلي الكنيسة. ويُشدد بشكل خاص على التعامل السري مع جميع الهيئات الإيطالية-الألمانية المتبقية."

على أي حال، إذا لزم الأمر إثبات أن توجيهات القيادة الألمانية العليا كانت "المقاومة حتى النهاية"، فيمكن العثور على ذلك في مذكرات ذلك الرائد الألماني، الذي يغيب عن ذهني اسمه، والتي نُشرت في صحفنا أو الصحف السويسرية، وقد أتيح لي الوقت لقراءتها أثناء أسري في الجزائر. إنه ضابط ملحق بالقيادة العليا للجنال فون فيتينغهوف، يحكي عن الأيام الأخيرة التي قضاها في مقر القيادة في ريكوارو وبولسانو. يتعلم المرء منه كيف أن المارشال كيسلرينغ، بعد أن علم أن الجنرال فون فيتينغهوف كان يميل إلى الاستسلام، أمره بالمقاومة حتى النهاية، ولم يكتفِ بذلك، بل أرسل في اللحظة الأخيرة الجنرال شولتز ليحل محله. وهو ما يؤكده فيروتشيو لانفرانشي في تاريخه: "استسلام الثمانمائة ألف".

لقد أكدت لي قراءة الكتاب الأبيض أن هناك إغفالات في تقرير مقابلة 22 أبريل، والتي تزيل المحتوى الرئيسي لعملي. علاوة على ذلك، يذكر وجود عدد من القوات الألمانية في إيطاليا، وهو ما زادته غل لساني بشكل مصطنع. كانت نبرة كل ما قلته مبنية على صدق وصراحة واضحين. ما هو السبب الذي كان سيدفعني إلى المبالغة في تقدير القوات المسلحة الألمانية، بينما لا يوجد أحد أفضل مني يمكنه معرفة الوضع؟ أكرر، في 21 أبريل، كان الأنكلو-أمريكيون قد أقاموا رأس جسر على نهر بو في مانتوفا، ويمكن اعتبارهم عملياً في ميلانو، لأنه لم يكن هناك شيء جاهز لعرقلة تقدمهم. كنت أعلم جيداً أننا كنا ندفع نفقات القوات الألمانية لـ 400 ألف رجل اسمياً، لكننا كنا مقتنعين بوجود عدد أكبر بكثير منهم في إيطاليا الآن. كيف يمكن أن يكون المرء مستعداً في تلك الظروف لخدعة مبتذلة، خاصة تجاه أمير من الكنيسة؟ وماذا كنت أتوقع منها؟ لم أذهب إليه لوضع شروط، بل لكي أجد طريقة لتجنب المزيد من الأضرار لنا كإيطاليين.

علاوة على ذلك، لماذا أغفل قداسته شوستر ذكر ما قلته له عن تقدير موسوليني للثقة التي وضعها في عمله في الأيام الأخيرة؟ ولماذا أخفى طلبي مقابلة الجنرال كادورنا، والذي رفضه؟

وجاء اليوم المشؤوم 25 أبريل 1945. في ذلك الصباح الباكر، غادرت فيديغولفو، لأن قيادة الجيش كانت ستنهي نقلها إلى مانديللو في نفس اليوم، وكنت أعتزم الوصول إلى هناك في المساء.

مررت بأقرب نقطة تفتيش عند الفجر، وفوجئت بغياب الرجال الذين كانوا يتواجدون عادة لمراقبتها؛ بدت مهجورة.

في ميلانو، في الصباح الباكر، لم يكن هناك شيء غير طبيعي؛ ولا حتى في فندق "برينسيبي إي سافويا"، الذي كان يحتله الألمان، حيث كان يقيم القنصل وولف (الذي يحمل نفس اسم الجنرال)، وحيث كنت أقيم أنا أيضاً أثناء توقفي في المدينة.

لقد تبادلت مع القنصل وولف، في يوم 23، بعض الأفكار حول الوضع الذي كان يتدهور باستمرار. وقد ناقشنا فرصة إلقائي لنداء عبر الراديو إلى الشعب دون تمييز بين الأحزاب، محذراً الجميع من البقاء هادئين بأسلحتهم استعداداً لتجنب مذابح الأخوة.

طرحت الأمر على موسوليني، مضيفاً أنني قد أتوجه أيضاً إلى أعضاء لجنة التحرير الوطنية. لم يوافق. "يجب أن نحاول شيئاً على أي حال!" أصررت. ربما كان إصراري سبباً في جعله يطلب مقابلة مع رئيس الأساقفة؟

صباح يوم 25، في قصر الحكومة، أبلغني قائد الشرطة، الجنرال مونتانيا، أنه على اتصال بممثل ميلانو للجنة التحرير الوطنية، الذي أعرب عن رغبته في التحدث معي مباشرة. قال لي مونتانيا إن الأمر يتعلق بالاتفاق على تحديد شريط من الأراضي ضمن المثلث ميلانو-ليكو-كومو، حيث يمكن للفاشيين الدخول، بضمان حياتهم، شريطة تسليم أسلحتهم. بعد وقت طويل جداً فقط، عرفت أنه المحامي غارباغني، الذي كان يتصرف باسم حكومة بونومي ونيابة عنها.

في غضون ذلك، وصلت الأنباء الأولى عن اضطرابات قوية من الضواحي.

أعلن محافظ ميلانو، باسي، وهو على اتصال هاتفي مستمر، عن الانتشار التدريجي للانتفاضة.

لأن البعض كان يتحدث عن إضراب، سألته إذا كان الأمر يتعلق بذلك فقط، أم بحركات حرب عصابات حقيقية. أجابني: "لم يعد هناك تمييز يجب القيام به، حركة تندمج في أخرى." عندها، رددت: "هل نحن إذاً في حالة تمرد كامل؟" "يبدو ذلك." بعد فترة وجيزة، علمنا أن الألمان في بوستو أرتسيزيو قد استسلموا للمقاتلين. بقيت في المحافظة طوال اليوم.

لقد أبلغت موسوليني بما قاله لي الجنرال مونتانيا. أجابني حرفياً: "ماذا ستقولون بدلاً من ذلك، عندما تعلمون أن الكاردينال شوستر نفسه دعاني لحضور اجتماع اليوم، في الساعة الخامسة مساءً، في قصر الأسقفية، والذي سيحضره الجنرال كادورنا مع ممثلين آخرين للجنة التحرير الوطنية؟"

"أقول"، أجبت، "إن هذا مهم جداً، ويجب قبوله دون تردد. لكن، في رأيي، لا يجب أن تذهب أنت."

كان الجنرال مونتانيا حاضـراً، مع آخرين، وكان يميل إلى تنفيذ اقتراحه. عارضـت ذلك بحيوية: فوجود الجنرال كادورنا كان يعطي طابعاً رسـمياً للاجتماع في قصـر الأسـقفية، لذلك كان يجب التوجه إلى هناك. وافق موسـوليني في النهاية على هذا الحل، وقرر أن أذهب أنا مع وفد وأن نلتقي في السـاعة الخامسـة مسـاءً. كان موسـوليني نفسـه على علم بمفاوضـات مونتانيا مع المحامي غارباغني، لكنه لم يخبرني شيئاً عن ذلك.

قبل الوقت المحدد بقليل، توجهت إلى مكتبه لإبرام الاتفاقات النهائية، وعندما نظرت عرضـياً من النـافـذة التي تطل على الفنـاء من الممر المؤدي إلى المـدخـل، رأيت أنـه يخرج، يتبعـه بـاراكو، زيربينو، وباسـي. قال لي موظف اسـتقبال إنه ذاهب إلى الحديقة للتمشـي قليلاً، لكن آخر أوضح بعد ذلك بقليل أنه ذاهب إلى قصر الأسقفية. وصل سائق دراجة نارية ليخبرني أنني كنت متوقعاً هناك أيضاً. لم أعرف أبداً ما إذا كان تغيير البرنامج والمغادرة دون إبلاغي كان مقصوداً لإقصائي أو نسياناً عارضاً.

دخلت الفناء الكبير لقصر الأسـقفية مع الجنرال سـورنتينو، في سـيارة مكشـوفة، بكل هدوء. كان الفناء الكبير عند المدخل خالياً تماماً. كان كل شيء يسير بهدوء تام، وكأنه أمر إداري عادي. على رأس الدرج الكبير، اسـتقبلني المونسـنيور تيرانيو، الذي سـلمته حزامي ومسـدسـي، تماماً كما فعلت في 22 أبريل.

عندما دخلت الردهة حيث كان زيربينو، وباسـي، وباراكو، والصـناعي تشـيلا ينتظرون. كان موسـوليني بالفعل يتحدث مع رئيس الأسـاقفة. اقترب مني الصـناعي تشـيلا، الذي لم أكن أعرفه: "يا مارشـال، لقد طلبت أنا أن تأتي أنت أيضـاً." ثم أضـاف: "يجري الآن اعتراف سـريع بين موسـوليني ورئيس الأساقفة، في انتظار وصول ممثلي لجنة التحرير الوطنية."

أرسـلت زوجتي، التي كانت ضـيفة لدى راهبات قصـر الأسـقفية منذ 24 أبريل، رسـالة لي عبر سـكرتير، عندما علمت بوجودي هناك. وبدأت أنا، أمام الجميع، بالرد عليها من طاولة في نفس الردهة.

قبل لحظات قليلة من وصـول ممثلي اللجنة، أبلغني المحافظ باسي أنه، في نفس الجلسـة، علم من سـكرتاري رئيس الأسـاقفة "كيف أن الألمان، عن طريق قداسـته، كانوا يتفاوضـون على استسلام قواتهم في إيطاليا منذ شهرين."

عند دهشـتي، اقترب الصـناعي تشـيلا: "هيا، هيا، يا مارشـال! اليوم يوم عظيم! سـيصـل الجنرال وولف إلى هنا الآن وسيتم توقيع الهدنة."

"لكن أين هم،" سألته، "الممثلون الأنكلو-أمريكيون؟"

لم يظهروا في الواقع، ولم يذكروا، وبدا لي من المستحيل أن تُفوض سلطة كنسية، مهما كانت رفيعة، وغير مسؤولة، لتوقيع هدنة، ناهيك عن استسلام. وتساءلت عما إذا كنا نشهد محاكاة ساخرة مأساوية.

في تلك اللحظة، وصل مندوبو لجنة التحرير: ثلاثة وليس اثنان، كما يقول الكاتب: الجنرال كادورنا، المحامي ماراتسا عن الحزب الديمقراطي المسيحي، والمهندس لومباردي عن حزب العمل، الذي عُين محافظاً لميلانو في اليوم التالي.

التقى الطرفان دون أي تحية متبادلة. أُدخلنا فوراً إلى الصالون الخاص بالكاردينال، حيث كان موسوليني موجوداً بالفعل. كان الاثنان يجلسان على أريكة، بعيدين جداً عن بعضهما، وكان موسوليني على يمين رئيس الأساقفة.

لم يصافح موسوليني ماراتسا، أو أي من الوافدين الآخرين.

جلست الأطراف وجهاً لوجه. من جانب رئيس الأساقفة، كنا نحن؛ ومن جانب موسوليني الآخرون، مع كادورنا في المنتصف وعلى يمينه المهندس لومباردي، وعلى يساره المحامي ماراتسا، الذي كان بذلك يواجه موسوليني تقريباً. أمامي، الجنرال كادورنا؛ لكن بسبب الضوء القوي القادم من النوافذ المقابلة، لم أتمكن تقريباً من تحديد ملامح وجهه. ساد الصمت للحظة.

أعيد مشاهدة المشهد بتفاصيله الدقيقة، أتذكر المحادثة كأنها تحدث الآن. أومأ قداسته بيده نحو موسوليني وممثلي اللجنة، كمن يبدأ ويصرح بالمناقشة. موجهاً حديثه بشكل خاص إلى ماراتسا، سأل موسوليني "ماذا يريدون إبلاغه".

أجاب ماراتسا بسرعة: "لقد اجتمعنا هنا ببساطة لمعرفة ما إذا كان الطرف الفاشي مستعداً لقبول شروط الاستسلام التي ستمليها لجنة التحرير الوطنية. ليس هناك الكثير من الوقت لنضيعه في المناقشات لأننا - (يرافق ما يقوله بإخراج ساعته من جيبه والتحقق من الوقت) - متأخرون بالفعل، وكان من المفترض أن تبدأ الانتفاضة الحزبية في الساعة السادسة مساءً. إذا وافق الطرف الفاشي على الاستسلام، يمكن للفاشيين التجمع في منطقة سيتم تحديدها، تقريباً، بالمثلث ميلانو-كومو-ليكو والعثور على الحصانة هناك شريطة أن يسلموا أسلحتهم؛ مع الاحتفاظ بالحق في محاسبتهم أمام المحاكم عن أفعالهم إذا كانوا مسؤولين عن جرائم محددة."

عند هذه النقطة، بدا لي من الضروري إبلاغ موسوليني، قبل أن يجيب ماراتسا، بما تم إبلاغنا به للتو فيما يتعلق بالاستسلام الألماني.[1] بالتأكيد، إعلاننا المسبق لذلك كان سيوفر للجانب الألماني، الذي أبقانا في الظلام بشأن مثل هذه الحقائق الهامة، فرصة وصفنا مرة أخرى بـ "الخونة".

لم يستطع موسوليني إخفاء مفاجأته الشديدة عند سماع الخبر. وبدوره، أبدى رئيس الأساقفة انزعاجه من هذا الكشف: "نعم، في الواقع، لقد كشف تسريب في غرفة الانتظار الآن هذا الجانب الجديد من الوضع. ولكن، مع ذلك..."

لاحظ أحد أعضاء لجنة التحرير الوطنية، أعتقد أنه كادورنا، أن "الألمان لم يشعروا حتى بالواجب بإبلاغنا، لذا قد يبدو قلقنا مبالغاً فيه".

"بالتأكيد،" اعترضت، "بفعلهم هذا فقدوا كل حق في ولائنا، لكن لا يمكننا أن نشارك في لعبة ربما رتبوها هم لتبرير استسلامهم بعد استسلامنا، وبالتالي تلبيسنا تهمة الخيانة للمرة الثانية أمام العالم، وهي تهمة لن تصيب الفاشيين فحسب بل جميع الإيطاليين. لقد نزلنا إلى الميدان بشرف،" هكذا اختتمت. عند هذه النقطة، استأنف المحامي ماراتسا حديثه: "مع افتراض،" وتوجه إلي، "أن يُسمح لنا بالتأكيد أننا أيضاً نزلنا إلى الميدان بشرف..."

"هكذا اعتقدنا على الأقل، من جانبنا،" قاطعته.

"لقد تم الاعتراف بذلك بالفعل، يا مارشال،" تدخل المهندس لومباردي. وتوجه إلى الكاردينال: "ومع ذلك، فإن الاستثناء الذي أبداه المارشال يضعنا في وضع لا يمكننا فيه المضي قدماً في المناقشة."

"بالتأكيد،" أجاب الكاردينال، "ما يقوله المارشال صحيح. لكن ما يؤكده الجنرال كادورنا دقيق أيضاً: يمكن إيجاد طريقة للتفاهم، لكنني أرجو عدم تعليق دراسة القضية الأخرى."

وقد بدأ تبادل للأفكار بين رئيس البلدية باسي والوزير زيربينو مع المحامي ماراتسا، بشأن التطبيق العملي لما اقترحه، عندما أعلن موسوليني، الذي استعاد وعيه بوضوح من المفاجأة، وبعد أن وزن جوانب المسألة، وخاصة وضعه في الاستسلام، أن العمل الغادر الذي قام به الألمان، الخونة هذه المرة، يضعنا في وضع يمكننا من الانفصال عنهم؛ وأنه، عند عودته إلى قصر الحكومة، سيُعلن خيانتهم عبر الراديو.

---

[1] ما يذكره ويؤكده الكتاب الأبيض للكاردينال شوستر، في الصفحة 168، لا يدع مجالاً للشك حول هذه الظروف.

توسل إليه رئيس الأساقفة ألا يفعل ذلك لتجنب عواقب وخيمة فيما يتعلق بالمفاوضات الجارية. لم يرد موسوليني، ونهض مشيراً إلى الخروج.

"متى ستقدمون الرد على اللجنة؟" سأل رئيس الأساقفة.

"بعد ساعة."

كل ما قيل لتصغير صورة موسوليني ليس منصفاً. لقد سيطر على الاجتماع من اللحظة الأولى حتى اللحظة الأخيرة، عندما نهض فجأة ليخرج وكأنه كان في أحد اجتماعات بالازو فينيتسيا. إنه على الأقل مناهض للديمقراطية أن يحاول المرء تشويه الحقيقة وتحريفها لأغراض ديماغوجية أو لغرور بائس.

في القاعة التي كنا نمر بها للوصول إلى درج الخروج، توسل الكاردينال، الذي كان يتبعنا، إليّ قبل أن ينسحب، ويداه متشابكتان، أن أمنع ذلك البيان الإذاعي: "أتوسل إليك أن تتجنب ذلك؛ سيترتب عليه خراب هائل."

طمأنته بأنه لن يتم ذلك.

وهكذا انتهى الاجتماع في قصر الأسقفية، الذي كان مبنياً على الالتباس المتعمد في إخفاء حقيقة مهمة مثل الاستسلام الألماني حتى اللحظة الأخيرة، واعتبار الاستسلام الفاشي مستقلاً عنه.

يجب التوضيح أنه لم يكن يمكن أن يكون الأمر إلا بخصوص تشكيلات الحزب؛ وليس بالضرورة الفرق، التي، كونها مدمجة في التشكيل المتقدم، كان يجب أن تتبع مصير القوات الألمانية. رأى موسوليني، وقال ذلك عند عودته إلى قصر الحكومة، أن الأمر كان "خدعة مدبرة لإحكام السيطرة عليه تلك الليلة في ميلانو مع الحكومة بأكملها".

في الواقع، يجب أن نتساءل كيف كان يمكن للتشكيلات الفاشية أن تصل إلى المنطقة المشار إليها، بضمان الحصانة الموعودة، بينما كانت الانتفاضة الحزبية تنتشر في كل مكان منذ الصباح، بعنف غير منظم وغير قابل للسيطرة.

بل يجب أن نتساءل عن مدى فعالية قرار ميلانو في المناطق الأخرى من شمال إيطاليا، عندما كان كل مركز من مراكز لجنة التحرير يتصرف بمفرده.

يمكن الاستنتاج أن مثل هذه القضية المعقدة كان يجب الاتفاق عليها بطريقة أخرى؛ ولو أن طلبي لمقابلة الجنرال كادورنا، الذي قدمته في قصر الأسقفية في 22 من الشهر الجاري، قد قوبل بالقبول، لربما كانت هناك مقدمات لتحقيق ذلك، بنتائج مختلفة.

كانت العودة إلى المحافظة صاخبة للغاية. كان موسوليني بحاجة إلى كل هدوئه لاتخاذ القرارات الحاسمة؛ بدلاً من ذلك، امتلأ مكتبه بالوزراء والمسؤولين الغرباء؛ من بينهم الصناعي تشيلا، الذي هاجمه بعنف: "لقد خدعتني،" صرخ، "لقد قادتني إلى حيث طُلب مني الاستسلام غير المشروط. الآن، تشيلا، ستدفع الثمن بحياتك."

"لم يكن يجب أن يحدث هذا،" رد الصناعي؛ "كان يجب أن يأتي رجال آخرون: لقد غاب الجنرال وولف. لكنه سيصل الليلة بالتأكيد، سترى، وسنتفق على كل شيء."

"لا،" صرخ آخرون، "لقد كانت مؤامرة مبتذلة مدبرة بين قصر الأسقفية والماسونية. لم يكن يجب أن تذهب. يجب أن يكون آخر عمل لك،" قال كارلو سيلفستري، "إعلان إيمان اشتراكي. لا يمكن أن يموت موسوليني إلا هكذا." ولوح أمامه بنص البيان الذي كان من المفترض أن يلقيه أمام اللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكي.

"دوتشي، يجب أن نغادر فوراً،" نصح البعض. "لا،" نصح آخرون، ومن بينهم تشيلا وسيلفستري نفسه، "لا يجب أن تغادر ميلانو."

متردداً ومضطرباً من عاصفة الأحداث وعنف الرجال، أظهر موسوليني أنه لا يعرف أي القرارات يتخذها. عندها تمكنت من إقناعه بعدم إلقاء "البيان" المعروف عبر الراديو.

دخل الجنرال الألماني فينينج، قائد ساحة ميلانو، ليبلغه أن طابور الحراسة لرحيل محتمل جاهز. هاجمه موسوليني بغضب، منتقداً سلوك الألمان الغادر، وموجهاً إليهم أشد الإهانات. ظل الجنرال فينينج الرياضي واقفاً باحترام، يتحمل الصدمة دون أن ينطق بكلمة.

بعد أن هدأ، دخل موسوليني غرفة مجاورة لمكتبه وأغلقها على نفسه. كان يحمل مسدساً في جيبه حتى في قصر الأسقفية؛ للحظة خشيت احتمال قيامه بعمل يائس. لكن بعد بضع لحظات، عاد مضطرباً: "هنا يريدون القيام بيوم 25 يوليو آخر: لكن هذه المرة لن ينجح."

منذ الصباح، أخبرني أنه تلقى رسالة موقعة من شخص جدير بالثقة، تحذره في هذا الصدد. لم يظهر المحافظ تينغو، في المقابل، في الفاصل الزمني بين العودة إلى المحافظة وقرار المغادرة، حسب انطباعي. ثم توجه إلي: "ماذا ستفعل يا غراتسياني؟"

"سأذهب للالتحاق بقيادتي بين كومو وليكو،" أجبت. "إذاً،" قال، "لنذهب إلى كومو." وفتح الباب بعزم، وخرج إلى الممر، ونزل السلالم وهو يضغط بين الناس الذين احتشدوا حوله وصعد إلى السيارة.

تبعه كل الوزراء والشخصيات القيادية الذين أرادوا ذلك تلقائياً. دخل الموكب طريق كومو-ميلانو السريع دون حوادث. كان الوقت حوالي الساعة السابعة والنصف مساءً.

ملاحظاتي حول تلك الأيام الأخيرة هي ملاحظات دُونت في حينها وتعكس الحقيقة بأمانة. لقد أتيحت لي الفرصة لقراءة روايات مختلفة جداً للأحداث، إما ملتوية بسبب الجهل، أو مزيفة بسبب التحيز، أو حتى خيالية.

على سبيل المثال، لم يكن هناك أي اجتماع لمجلس الوزراء في 19 أبريل في ميلانو؛ فقد عُقد آخر اجتماع في غارغنانو في 16 أبريل.[1]

لم يشارك بافوليني أي دور فعال في أحداث يوم 25 أبريل في المحافظة وقصر الأسقفية. كان غائباً مساء في كومو. كان آخر لقاء بينه وبيني قد حدث صباح يوم 24 في مكتب موسوليني. دخل في اللحظة التي كنت أقدم فيها للدوتشي آخر الأخبار عن وضع القوات الأنكلو-أمريكية، التي انتشرت في كل مكان في سهل بو، دون أي إمكانية للمقاومة من الجانب الألماني. بدا موسوليني وكأنه لا يريد أن يدرك بعد الحقيقة المأساوية.

قال بافوليني: "دوتشي، لقد أمرت جميع الألوية السوداء في ليغوريا وبيدمونت بالانسحاب إلى لومبارديا، والتحرك جارٍ..."

انتابني حينها شعور بالغضب وقلت حرفياً: "إنه أمر حقير أن تكذب هكذا حتى اللحظة الأخيرة."

رد بافوليني بتهديد: "يا مارشال، احترام شخصك وعمرك شيء، وتحمل إهانة شيء آخر."

"لكن إذا كان كل شيء في خراب،" أجبت، "إذا كنا الآن في مرحلة النجاة لمن يستطيع، فلماذا نخدع بعد؟"

تدخل موسوليني، الذي فهم إلى أين يمكن أن تتجه تلك المحادثة، وبهدوء، كما كان يجيد فرض نفسه عندما يريد، قال، موجهاً حديثه إلي:

"إذاً 8 سبتمبر ثانٍ؟"

"أسوأ بكثير"، أجبت، وصمت بافوليني.

هذا كان آخر لقاء لنا. كان الجنرال مونتانيا حاضراً في المحادثة.

في 26 من الشهر التالي، حوالي الساعة 22 صباحاً، بينما كنت أعود مع سورينتينو وبونومي نحو قيادتي ومصيري، تقاطعنا مع سيارته. كان وحيداً! وانتظر موسوليني في ميناجّو عبثاً طوال اليوم وصول "أعمدته".

---

[1] كان اجتماع 20 يناير في ميلانو اجتماعًا قصيرًا للوزراء الحاضرين.

14. نحو النهاية

وهكذا انتهى في ميلانو اليوم المشؤوم والمأساوي 25 أبريل 1945.

وصلنا إلى كومو دون حوادث. عند مدخل المدينة، كان الجنرال ليرس، رئيس بورك (مكتب الاقتصاد)، ينتظر الموكب، وهي المرة الأولى التي يرى فيها موسوليني.

واصلنا السير إلى قصر الحكومة، الذي غمرته الحاشية كلها، وسرعان ما بدا كمعسكر ليلي. في الفناء الواسع، وبفوضى غير مسبوقة، تكدست السيارات.

استقبل محافظ المنطقة، الدكتور تشيليو، موسوليني والآخرين. وبدأت زوجته، بصفتها مضيفة، في إعداد مائدة كبيرة للعشاء بكل دقة.

جلس موسوليني في غرفة معيشة صغيرة، وبدأ مشاوراته. كان قلقاً جداً من أن شاحنة صغيرة، تحتوي على صندوق الوثائق، قد تأخرت. لم يهدأ قلقه إلا عندما تم استعادة السيارة في وقت متأخر جداً.

اقترح عليه المفوض الفدرالي في كومو، بورتا، أن ينسحب إلى فيلا في منطقة كادينابا، تحت حراسة كتائبه السوداء، التي يبلغ عددها 900 رجل، والذين وصفهم بأنهم آمنون ومصممون على تفجير النفقين اللذين يحددان تلك المنطقة شمالاً وجنوباً، وكانا بالفعل ملغومين. كان من شأن ذلك أن ينتج نوعاً من الحصن سهل الدفاع: هناك يمكن انتظار الاستسلام الألماني.

في حضوري، أظهر موسوليني قبوله لهذا الحل، عندما دخل بوفاريني غويدي المشهد، الذي لم أره منذ عدة أشهر، أي منذ أن استقال من منصب وزير الداخلية. لاحظت وجوده بالصدفة، عند دخولي، دون سابق إنذار، إلى الصالون الصغير: كان الاثنان واقفين؛ بوفاريني ويداه متشابكتان وهو يتوسل إلى الدوتشي.

انسحبت وانتظرت خروج الأول. شرح لي أنه حاول إقناع موسوليني بمحاولة العبور بمفرده إلى سويسرا من جسر كياسو. اعتبر الأمر ممكناً؛ وأكد أن الجندي السويسري والجمركي لدينا يتعاملان بود تاركين الثغرات مفتوحة. عند وصول موسوليني بالسيارة، كان عليه أن يدخل

مفاجأة، ثم، بمجرد وصوله، يكشف عن نفسه ويسلم نفسه للحراسة السويسرية. بدا لي الاقتراح مغامرة، ورفضه الدوتشي أيضاً واصفاً إياه بأنه غير جاد، وغير مثمر على أي حال.

قال: "سأذهب إلى الجبال مع بورتا،"؛ "هل من الممكن ألا أجد خمسمائة رجل مستعدين لمتابعتي؟"

في هذه الأثناء، مرت الساعات، قصيرة وموقرة. طاولة العشاء الأخير بقيت شبه سليمة. ثم تحولت قاعات المحافظة إلى مهاجع. كنت قد ألقيت نفسي على أريكة للتو، عندما استدعاني بوفاريني غويدي، الذي أعلن لي أن موسوليني يغادر المحافظة. كان الوقت حوالي الرابعة صباحاً.

"ماذا قرر في النهاية؟" سألته. أوضح لي بوفاريني حينها المشروع الثاني الذي قدمه له، مؤكداً أنه تم قبوله. كان الأمر يتعلق بمحاولة عبور الحكومة إلى سويسرا، عبر ممر بورليتسا، وهو ما اعتبره سهلاً جداً للتنفيذ. قال لي: "سترى، عندما نصل إلى الجانب الآخر، سأجعله يدلي بتصريحات ستفرض الحكومة على انتباه العالم والإيطاليين!"

وصلنا إلى الدوتشي في الفناء؛ سألته ماذا قرر أن يفعل. أجاب: "في الوقت الحالي، سنذهب إلى ميناجّو."

أُلقي عليه معطف جلدي بني، وصعد بصعوبة إلى السيارة التي بالكاد تمكنت، في متاهة السيارات الأخرى، من الخروج والتوجه نحو باب الخروج.

ارتفعت بعض الأصوات بالتحية المعتادة: "دوتشي!... دوتشي!..." بدت تلك الاستدعاءات الأخيرة أجراس جنائزية في الليل المظلم.

سرعان ما أُخلي الفناء الكبير. توجه كل من الحاضرين إلى الوجهة التي أرادها. تبع الوزراء الحاضرون موسوليني.

مع الجنرالين سورنتينو وبونومي، بقيت في المحافظة للوصول، عند الفجر، إلى مقر قيادتي، كما هو مخطط لي. أراد بوفاريني غويدي وميزاسوما إقناعي بأنه يمكنني متابعة الحكومة في محاولة العبور إلى سويسرا، دون أن أخل بواجباتي كجندي. أجبت أنه، وفقاً لما أكدته بالفعل في مجلس الوزراء، وللموسوليني نفسه، فإن واجبي كجندي وقائد يفرض علي البقاء في مكاني حتى النهاية: "طالما أن هناك جنوداً لي يقاتلون في جبال الألب، لا يمكنني التخلي عنهم دون أن أرتكب خطأً فادحاً. ولأفعل ماذا؟ هروب إلى سويسرا؟"

لكنهم أصروا، مؤكدين أن الواجب السياسي يفوق الآن الواجب العسكري. أي واجب، إذا كانت الحكومة لن تتمكن بعد الآن من ممارسة أي وظيفة من أي نوع؟

على أي حال، وافقت على اللحاق بموسوليني لأودعه. أما الجنرالان سورنتينو وبونومي، فقد شاركاني رأيي بالكامل، معلنين أنهما لن يعبرا إلى سويسرا بأي حال من الأحوال.

بالقرب من كادينابا، وجدنا، قبل أي شخص آخر، المفوض الفدرالي بورتا، الذي سألته إذا كان موسوليني قد وافق بالفعل على اقتراح بوفاريني غويدي الأخير. أجابني بأنه رفضه، وأنه الآن يرتاح في منزل قريب، تحت حراسة رجاله.

في هذه الأثناء، وصل الوزراء، واجتمعنا معهم في "فيلا بونافنتورا" لتبادل الأفكار. وكان الصحفيون أميكوتشي، وكوبولا، ولاندو فيريتي حاضرين أيضاً.

تكلمت لأؤكد وجهة نظري، التي كانت لا تزال محل خلاف، ولكن بضعف، من قبل بوفاريني. ولأن موسوليني كان يرتاح ولا يرغب في الإزعاج، طلبت منهم إبلاغه بقراري، الذي اعتبرته متسقاً مع واجبي. ثم، جنباً إلى جنب مع الجنرالين سورنتينو وبونومي، عدت إلى طريق كومو، الذي أصبح خطيراً للغاية بسبب انتشار مجموعات المقاتلين.

شاء القدر أن أجد، محتجزاً في بروتشيدا، إرمانو أميكوتشي، الناجي الوحيد بين الصحفيين، الذي أدلى لي في يونيو 1946 بالبيان التالي: "عزيزي غراتسياني، بناءً على طلبك، ولأجل الحقيقة، أعلن. صباح يوم 26 أبريل 1945، كنت حاضراً في كادينابا، في "فيلا بونافنتورا"، في اجتماع حضره عدة أعضاء من الحكومة الفاشية الجمهورية، الذين وصلوا الليلة الماضية إلى كومو، برفقة موسوليني. أتذكر أن بعضهم دعاك للذهاب إلى ميناجّو، حيث كان موسوليني يقيم، لطلب منه اتخاذ قرار بشأن الوجهة النهائية، فأكدت أنه بصفتك وزيراً للقوات المسلحة، وقائداً لجيش يقاتل على الجبهة، فإن واجبك هو أن تكون في موقعك القتالي، ولذلك لم تستطع الذهاب إلى موسوليني لعرض الرغبة المعبر عنها، ولا متابعته هو والآخرين. كان هدفك - مهما حدث لك - هو الوصول إلى موقعك كجندي.

"هذا، أتذكر، رددت عليه بحزم حتى لمن اعترض عليك قائلاً إنه بما أن استسلام الألمان قد تقرر بالفعل، وبات وشيكاً، فقد فات الأوان للوصول إلى قواتك، ولذلك كنت مخولاً، بقوة الأحداث، للتخلي، على الرغم منك، عن عزمك ومتابعة موسوليني وأعضاء الحكومة الآخرين. ثم، برفقة وكيل وزارة الطيران، الجنرال بونومي، والجنرال سورينتينو، ودعت الحاضرين وصعدت السيارة متجهاً إلى كومو".

عند وصولنا إلى كومو، استقبلنا في المحافظة بخيبة أمل واضحة، وأُدخلنا إلى صالون بعيد. من الجنرال دي كاستيليوني، قائد تورينو الإقليمي السابق، الذي كان لاجئاً هناك، علمنا أنه في تلك اللحظة، في الطابق السفلي، كان المحافظ تشيليو يسلم السلطات للجنة التحرير الوطنية.

كان يهمنا الاتصال بالسلطة الألمانية المحلية للحصول على أخبار قيادة الجيش؛ لذلك ذهبنا إلى الجنرال لايرس الذي استضافنا. علمنا أنه وصل إلى المقر في الليلة السابقة، لكن طريق كومو- ليكو أصبح الآن غير سالك، لأنه تحت سيطرة المقاتلين بالكامل.

بعد بضع ساعات علمنا أن الجنرال وولف كان في تشيرنوبيو في مقر قيادة قوات الأمن الخاصة الحدودية (الكابتن فويترل) الذي كان مقره في "فيلا غيرترود" لوكاتيلي.

الجنرال لايرس، الذي أعربت له عن الضرورة المطلقة لرؤية وولف، أبدى بعض المقاومة، بحجة أن الكيلومترات الأربعة التي تفصلنا عن تشيرنوبيو لم تكن آمنة للمرور، لكنه قرر أخيراً الاتصال بنا للإعلان عن قدومنا.

في لقائي مع وولف، عبرت له عن كل غضبنا لإخفائه عنا ما يتعلق بمفاوضات الاستسلام، ووضعنا بذلك في الظروف المأساوية لليلة السابقة في قصر الأسقفية. اعتذر قائلاً إن "الأمر كان ضرورة حزينة ومؤلمة أن نتصرف هكذا، لأنه [...] لو تحدثنا مع موسوليني من قبل، لأصبح السر بلا قيمة".

وأضاف أن مفاوضات الاستسلام التي استمرت حوالي شهرين، أجريت من سويسرا، لكن رئيس الأساقفة كان مهتماً بها أيضاً. وأوضح أن الشروط التي فرضها الأنكلو-أمريكيون أصبحت أكثر صرامة باستمرار. وقال: "قبل شهر كنا سنحصل على أكثر من ذلك بكثير".

ثم أضاف أنه كان ينتظر عودة رسول من سويسرا في المساء؛ وأنه بعد ذلك سيغادر في الليل، مع التيقن من العثور على شروط الاستسلام المتفق عليها بالفعل، وأنه لن يعود إلى كومو، بل سيواصل إلى بولسانو، حيث سيلتقي فون فيتينغهوف للتنفيذ المادي للاستسلام.

لقد افتقر الجنرال وولف للثقة بي، لأنه كان يعلم جيداً منذ فترة طويلة كيف كنت أحكم على وضعنا الاستراتيجي بأنه متناقض، وخاصة وضع جيش "ليغوريا". لذلك، فإن فكرة الاستسلام في الوقت المناسب لم تكن لتغيب عن ذهن أي قائد، حتى لو لم يكن يتمتع بالعبقرية!

كان يكفي أن يعبر الأنكلو أمريكان نهر البو، على سبيل المثال في فيرارا، ويقتحموا سهل فينيتو، قاطعين الطرق المؤدية إلى ممرات تارفيسيو، برينيرو، وستيلفيو، لكي يبقى الجيش بأكمله على الجبهة الإيطالية معزولاً؛ وبشكل أكبر قوات جيش "ليغوريا" التي كانت منتشرة في ليغوريا نفسها وفي جبال الألب.

في 31 يناير 1945، عقد اجتماع في مكتب موسوليني في غارغنانو، حضره المارشال كيسلرينغ والسفير راهن والجنرال وولف. عندما تحدثت، مثلت هذا الوضع بطريقة أصفها بالوحشية تقريباً، والذي كنت قد عرضته بالفعل في تقريري الأول للقائد الأعلى في أغسطس 1944، عندما

توليت قيادة جيش "ليغوريا"، وخلصت إلى أنه من وجهة نظري كان من الضروري الأخذ في الاعتبار جيداً الإمكانيات المحتومة للاستسلام في اللحظة المناسبة.

ماذا كان الفائدة خلاف ذلك، فكرت وعرضت في ذلك اليوم، من الاستمرار في قيادة حرب دون أفق نصر، إلا تفاقم الأضرار والدمار في أراضينا؟

استمع المارشال كيسلرينغ، شاحب الوجه، إلى عرضي هذا، لكنه أكد مرة أخرى ثقته في قدرته على صد، بمناورة الاحتياطيات التكتيكية، أي محاولة للعدو لعبور نهر البو.

كيف إذن لم يشعر الجنرال وولف بأنني أؤيد فكرة الاستسلام في أبريل 1945؟ لقد كان واثقًا لدرجة أنه، كما يتبين الآن من الوثائق التي ظهرت وشهادة البارون باريلي، تمكن من ضمان الجانب الأنكلو-أمريكي الذي كان يطلب ذلك بإلحاح، بأنني سأكون بالتأكيد على نفس رأيه.

كانت حملة إيطاليا ستكون شيئًا آخر، لو أن القيادة الألمانية العليا دخلت في فكرة هجوم مضاد واسع النطاق، كما سنحت الفرصة المواتية في عدة لحظات.

يكفي أن نتذكر هجوم الكتيبتين اللتين، انطلاقًا من غارفانيا، اخترقتا بسهولة حتى باني دي لوكا وما بعدها. لو تم إلقاء عدد قليل من الفرق المدرعة عبر تلك الفجوة، مع طيران كافٍ، كما اقترحنا عبثًا، للصعود إلى وادي أرنو وقطع ممرات الأبنين، فماذا كان سيحدث للجيشين الخامس والسابع الأنكلو-أمريكيين اللذين ظلا محاصرين في الأبنين؟

لم يستطع الفوهرر نكران وضوح مثل هذا المنظور عندما اقترحناه، لكنه أجاب (بأسف) أن وضع الإمكانيات لم يسمح له في تلك اللحظة بتنفيذ خطتنا.

أخيرًا، في ذلك اللقاء في 26 أبريل في تشيرنوبيو مع الجنرال وولف، تم تناول موضوع مصير القوات الجمهورية. زودته بتفويض، أذنت له فيه بتمثيلي والمطالبة بأن تُمنح لهم نفس الشروط التي تُمنح للقوات الألمانية.

وهكذا بلغت الهدف الذي وضعته لنفسي، وهو حماية جنودي حتى آخر لحظة.

نصحني الجنرال وولف بالبقاء في مقر قيادة SS في تشيرنوبيو وانتظار إعلان الاستسلام هناك، بما أنه أصبح من المستحيل علي الوصول إلى قيادة جيشي. احتفظت لنفسي بحق التقييم.

تناولنا العشاء معًا، ثم نزلنا إلى "فيلا ليفي" المخصصة للضيوف، حيث نمنا جميعاً. في الليل، حوالي الساعة الثانية، وكما كان في برنامجه، غادر وولف إلى سويسرا.

في الصباح، بعد التأكد من استحالة مواصلة الطريق، صعدنا إلى القيادة، حيث لم نُستقبل بحماس كبير. جاء ضابط صف، أرسله النقيب، ليسألنا عما نعتزم فعله، لأن وجودنا سبب لهم إحراجاً.

رفضت هذا الاستفزاز، وبعد فترة وجيزة عاد الضابط بوجه شاحب جداً ليبلغنا، دائماً باسم النقيب، أنه تلقى الآن أمراً باستضافتنا، ولذلك وضع تحت تصرفنا شقة صغيرة في "فيلا غيرترود" لوكاتيلي،

حيث استقرنا. كما وُضع تحت أمرنا جندي نمساوي يتحدث الإيطالية.

نحن في صباح يوم 27 أبريل، وفوراً نلاحظ حركة المقاتلين الذين يتمركزون على التلال المطلة على الفيلا. الحامية الألمانية بدورها تستعد للدفاع.

كل هذا نلاحظه دون أن يخبرنا القائد بما يحدث.

لأنني لم أرغب في التورط أخلاقياً في أي حادث مقاومة قصوى محتملة لهذه الوحدة التابعة لقوات الأمن الخاصة (SS) التي وجدنا أنفسنا في وسطها، ولأنني لم أعتبر أنه يجب علي الاتصال بلجنة التحرير في كومو، قررت التوجه إلى قصر الأسقفية عبر قيادة قوات الأمن الخاصة في ميلانو (العقيد راوف)، التي كان الاتصال الهاتفي بها مستمراً.

أظهر سلوك قائد وحدة SS اللاحق بوضوح أنه كان ينوي احتجازنا لابتزازنا في الوقت المناسب كرهائن ثمينين محتملين. وفقاً لما نُشر في كتاب "استسلام الثمانمائة ألف"، فإن النقيب فويترل، الذي يعيش الآن حراً في مقاطعة بولسانو "يكرس نفسه للعمل الزراعي"، قد اعترف بأنه كان ينوي بالفعل استخدامنا كرهائن ثمينين في عملية تبادل محتملة مع المقاتلين.

من قصر الأسقفية، جاء المونسنيور بيتشيراي على الهاتف، الذي أمليت عليه الملاحظة التالية لرئيس الأساقفة: "1. وضعي الحالي. - لم أعد على اتصال بأعضاء حكومة الجمهورية الاجتماعية الإيطالية، الذين يتواجدون في مكان لا أعرفه. ومع ذلك، منذ صباح أمس، أمارس فقط وظائف قائد جيش "ليغوريا" المكون من الفرق الإيطالية وبعض الفرق الألمانية، لحماية القوات الجمهورية كما يفرض علي واجبي كجندي وقائد، ومتابعة مصيرهم حتى النهاية.

"2. مهمتي لدى الجنرال ولف. - لقد وضعت معه الاتفاقات المتعلقة بمعاملة القوات الإيطالية، في ظروف الاستسلام الجارية مع القيادة الحليفة، وقد منحته الوكالة التالية: "بموجب هذه الوكالة، أنا، مارشال إيطاليا رودولفو غراتسياني، بصفتي وزيراً للقوات المسلحة، أمنح الجنرال ولف، القائد الأعلى لقوات الأمن الخاصة والشرطة والجنرال المفوض للقوات الألمانية في إيطاليا، كامل الصلاحيات لإجراء مفاوضات نيابة عني بنفس الشروط المطبقة على

القوات المسلحة الألمانية في إيطاليا، مع اتفاقات ملزمة فيما يتعلق بالقوات النظامية للجيش، والقوات الجوية والبحرية، وكذلك الوحدات العسكرية الفاشية".

"3. أنا حالياً في مقر قيادة قوات SS الألمانية في تشيرنوبيو، بالتعاون مع الجنرال وولف في "فيلا غيرترود" لوكاتيللي.

"4. في كومو، استقرت لجنة التحرير الوطنية، التي لم أجد من المناسب، حتى هذه اللحظة، الاتصال بها شخصياً.

"5. قد يصبح موقف السكان والمقاتلين المحليين معادياً تجاهي، لأنهم قد يعتبرونني إما هارباً عابراً إلى سويسرا، أو مختبئاً تحت حماية قوات الأمن الخاصة الألمانية، بينما وضعي الطوعي يعود إلى العمل الذي أقوم به من أجل الأهداف المعروفة.

"6. بما أن وجود قيادة الحلفاء في ميلانو لا يزال غائباً، قررت تسليم نفسي إلى الجنرال كادورنا، بعد ضمان شخصي وشخص الجنرالين بونومي (الطيران) وسورينتينو (الجيش)، الذين يشكلون هيئة أركاني هنا، مطالباً بمنحنا شرف الاحتفاظ بأسلحتنا الفردية. لذلك أنا مستعد للانتقال فوراً إلى ميلانو، لأبقى تحت تصرف الجنرال كادورنا؛ طالباً من قداستكم الضمانات الشخصية، بهدف مواصلة القيام بذلك العمل الذي قد يظل مفيداً فيما يتعلق بوظائفي تجاه القوات.

"7. لا يمكن إنجاز رحلتي من كومو إلى ميلانو، بسبب ظروف الطرق، إلا تحت الحماية. أعتبر على أي حال أنه من الضروري، وأرجو من قداستكم أن تتولى ذلك، التحدث مع الجنرال كادورنا على الأقل عبر الهاتف".

رجوت المونسنيور أن يبلغ محتوى هذه المذكرة للجنرال كادورنا، بالإضافة إلى رئيس الأساقفة.

بعد قليل عاد بالرد الذي أعطاه الأخير: "الجهة المختصة بقبول تشكيل قداستكم ومرافقيه هي قيادة منطقة متطوعي الحرية. القيادة العامة لشمال إيطاليا ستتولى إبلاغ قيادة منطقة كومو باحتمال تشكيل المارشال غراتسياني ومرافقيه. - كادورنا".

على انفراد، أخبرني المونسنيور بيتشيبراي أن الجنرال كادورنا كان آسفاً لعدم قدرته على فعل المزيد، لأن الطريق بين كومو وميلانو كان في حالة اضطراب لدرجة أنه لم يتمكن من ضمان سلامته الشخصية في حال التحرك. وأضاف أيضاً أن رئيس الأساقفة قد استقبل الرسالة بهذه العبارة: "ألم يكن من الأنسب فعل هذا مساء أمس؟"

"مساء أمس،" أجبت، "كان الأمر يتعلق بالحكومة بأكملها؛ ولذلك لم يكن قراري. أما الآن فالأمر يتعلق بي شخصياً، وهو أمر مختلف، في ظروف مختلفة تماماً. علاوة على ذلك، أطلب أن

أسلم نفسي كجندي مهزوم إلى قائد قوات المقاومة، وهذا أقصى ما يمكن أن يفعله جندي. أجد أنه من الغريب أن رئيس الأساقفة لا يفهم ولاء هذا الفعل."

"ليس الجميع،" أجاب الكاهن، "يمكن أن يكون لديهم نفس الحساسية في هذا الشأن."

في ختام المحادثة، أبلغت المونسنيور أن الجنرال وولف، صباح يوم 27، بعد عودة مبعوث أُرسل إلى هناك للقاء ممثلي الحلفاء، قد غادر إلى سويسرا، متأكداً من العثور على خلاصات الاستسلام التي تم التوصل إليها بالفعل، ثم واصل إلى بولسانو بهدف عرضها على الجنرال فون فيتينغهوف للتصديق عليها.

في هذه الأثناء، تعقدت الأمور، وكل شيء كان يشير إلى أن الهجوم من قبل المقاتلين سيتطور قريباً؛ من ناحية أخرى، كان قائد قوات الأمن الخاصة مصمماً على المقاومة.

حوالي الساعة 5 مساءً، وصل إلينا صدى نقاش حاد باللغة الإيطالية، كان يدور في الطابق السفلي حيث كان مقر القيادة ومكتب القائد. حاولنا فهم ما كان يحدث، عندما صعد الجندي النمساوي الذي وُضع تحت تصرفنا: "يا مارشال، إذا أردت تجنب شيء خطير، فهذه هي اللحظة المناسبة للتدخل."

نزلت، يتبعني الجنرالان سورينتينو وبونومي، وعلى الدرج وجدت نفسي أمام القائد الذي كان يتناقش بحماس مع ضابط إيطالي، وقد قدمت نفسي له. هذا الأخير، عندما رآني، تفاجأ جداً؛ كان الملازم فيتوريو بونيتي، من فرقة "فولغوري" المجيدة، من العلمين، كما أخبرنا لاحقاً.

"ألم تكن تعلم أنني هنا؟" سألته.

"لا،" أجاب بدهشة. توجهت حينها إلى النقيب الألماني، وأوبخته على سلوكه المبهم وسألته ماذا ينوي أن يفعل بي.

ابتعد بهدف تلقي تعليمات عبر التلغراف من لايرس أو راوف. أعلن لي الملازم بونيتي أنني منذ تلك اللحظة في يد الحلفاء. على انفراد، طلب مني أن أكون أقل قسوة مع الضابط الألماني، لتجنب الانتقام. أرسل على الفور أمراً إلى قيادة المقاتلين بتأجيل الاستعدادات للهجوم. معه والجنرالين سورنتينو وبونومي، خرجنا إلى العراء، بينما وصل إلى المكان النقيب الأمريكي داداريو، الذي سلمت نفسي إليه.

هذه هي الظروف الدقيقة التي حدث فيها انتقالي إلى أيدي الحلفاء.

أما بالنسبة للنقيب داداريو، سواء من حيث المظهر الجسدي أو اللقب، فقد كان لدي انطباع أنني أمام إيطالي أمريكي أصيل. وعندما سألته عن أصوله، أخبرني أنه من عائلة أبروتسية انتقل جده فقط إلى أمريكا، قادماً من قرية أوفينا بالقرب من أفيزانانو؛ وبالتالي قريباً من قريتي

الأصلية، فيليتينو. كان يعلم إذن عن مسقط رأسي، وكان يعلم أيضاً عن بناء طريق الشاحنات أفيزانانو-كابيستريلو-فيليتينو الجاري تنفيذه تحت إشرافي في السنوات الأخيرة لربط مقاطعة أكويلا بمقاطعات روما، فروزينوني، ليتوريا، وقطع القوس المركزي لجبال إيتنيتش عند سيرا دي سانت أنطونيو (ممر حنبعل). رأيت فيه على الفور نية للحماية تجاهي. مع الملازم بونيتي، كان جزءاً من المهمة الأنكلو-أمريكية المكلفة بجمع إعلان الاستسلام من الحاميات الألمانية، في المثلث ميلانو-كومو-ليكو. وكان معهما مجموعة من المقاتلين الذين أطاعوهم على الفور؛ وقد عهدوا إليهم بضمان شخصي، كلما توقفت السيارة ونزلوا منها لإنجاز الإجراءات مع الوحدات الألمانية المحلية. تصرف الضباط والجنود جميعاً بشكل صحيح تجاهي، ولم يكن لدي أدنى شكوى من أي إهانة من أي شخص. لقد جلست في سيارة يقودها الملازم بونيتي. كان هناك أيضاً النقيب داداريو، والجنرال بونومي، وشومباسي الإريتري إمباي تكليمانوت، رفيقي المخلص في جميع أحداثي السعيدة والحزينة، منذ حملة إثيوبيا فصاعداً. كنا في مقدمة قافلة السيارات الصغيرة.

عند دخول ميلانو، من طريق بريرا، تسببت رشقة كثيفة من الرشاشات على السيارات في عدم وقوع ضحايا، لكنها فرقتنا.

علمنا لاحقاً بالالتباس الذي وقعت فيه إحدى مجموعات المقاتلين. فقد طُلب التوقف، ولم يسمعني أنا ولا الملازم بونيتي ذلك، ولأننا لم نتوقف، فقد أطلقوا النار.

عند وصولنا بالقرب من فندق "ريجينا"، وجدنا الطريق مسدوداً بالأسلاك الشائكة وأكياس الرمل. ولأننا لم نكن نعلم ما كان يحدث، توقفنا للتحقق.

كانت سيارة الجنرال سورنتينو مفقودة (وكما علمنا في اليوم التالي) فقد توقفت تحت تأثير النيران؛ وقد نُقل إلى مقر القيادة العسكرية الإقليمية، حيث قضى الليلة في ظروف مأساوية، تحت التهديد المستمر بالقتل، ملقى على الأرض في زنزانة مظلمة. وكان قائد ميلانو الإقليمي في ذلك اليوم هو الجنرال فالديلا، الذي أنقذ سورنتينو حياته، معي!

بينما كنا نحاول توضيح ماهية هذا المعقل، حيث لم يظهر أحد، ظهرت سيارة بشكل عرضي وأمرت بالتوقف. نزل منها مجموعة من المقاتلين يترأسهم مفوض سياسي لميلانو: كانوا قادمين من الموقع الذي فتح النار؛ ومنهم علمنا أن ذلك المعقل لم يكن سوى مقر قيادة SS الألمانية في ميلانو (العقيد راوف)، حيث استضافونا لبقية الليل.

من هناك تمكنت من الاتصال هاتفياً بقصر الأسقفية، وأبلغتهم أنني أصبحت الآن في ميلانو. مرت الليلة بهدوء.

28 أبريل. لم يكن لدي أدنى فكرة عما سيكون مصيرنا اللاحق. في الساعات الأولى من الصباح، جاء الكابتن داداريو ليصحبنا وأبلغنا أن الجنرال سورينتينو، سالماً، سيلتقي بنا. كان سينقلنا إلى

مكان آمن تحت حماية العلم الأمريكي. لكننا لم نفعل شيئاً سوى الانتقال من فندق "ريجينا" إلى فندق "ميلانو"، وهما قريبان من بعضهما البعض. رفع داداريو العلم الأمريكي الكبير على شرفة الفندق، الذي كان قد نشره بالفعل على السيارة. تمت الرحلة القصيرة دون حوادث، بين صفين من المقاتلين الذين كانوا يعسكرون على طول الرصيف. عند نقطة ما، سأل صوت مهدد: "أين سيارة غراتسياني؟" ورأيت فوهات رشاش عيار 20 ملم تتجه نحونا، لكنها صمتت.

تم إيواؤنا في بعض الغرف في الطابق الأول، والتي سمعت لاحقاً أنها تُعرف باسم "شقة دونيغاني". قبل أن يغادرنا، استدعى الكابتن داداريو أحداً من الإدارة وطلب منه تزويدنا بالإفطار.

ظهر شاب طويل القامة وأسمر، رفع ذراعه في التحية الشيوعية، بقبضة مغلقة، وقال بلطف: "لماذا لا؟ كل شخص يفكر كما يريد! لكننا جميعاً إيطاليون!" وسألنا ماذا نرغب في الأكل. شيوعي بلا عقيدة؟

لقد أوكلنا إلى حراسة رائد (أوسمياني)، وضباط آخرين يغيب عني أسماؤهم. لقد أظهروا سلوكًا محمودًا.

مر الصباح دون حوادث. ولكن في فترة ما بعد الظهر، في لحظة كان فيها الضباط جميعاً غائبين، اقتحم غرفتنا أربعة مقاتلين: ثلاثة مسلحين بمسدسات رشاشة، والقائد بمسدس عادي. جلس هذا الأخير على كرسي بجانبي؛ والآخرون أمامي، على بعد خطوات قليلة، ومسدساتهم الرشاشة موجهة.

كان أحدهم يتردد باستمرار بين الغرفة والسلالم، للتأكد من عدم اقتراب أحد. قدم القائد نفسه: "أتعرف، يا غراتسياني، من أنا؟ يسمونني "الجلاد" في فرقتي. لقد قتلت ثلاثة وعشرين فاشياً. وستكون أنت الرابع والعشرين".

"سنقضي عليك بعد نصف ساعة."

"سنشق قلبك."

"لا، سنقطع معدتك."

"أنا من سيقتلك" تدخل صبي بلا لحية من جبال الأبينيني، الذي أحب أن يصف نفسه بفخر من مدرسة الجبال العالية في تشيرفينو.

"أتعرف،" تابع القائد، "جنرالاً معيناً اسمه بادوليو؟ إنه جنرال عظيم حقاً؛ ليس أنت." واستمر لساعات طويلة في سلسلة التهديدات، والإهانات، والاستفزازات، والتي رددت عليها بهدوء دون أن أتحرك مليمتراً من الكرسي الذي كنت أجلس عليه: "افعلوا ما تشاؤون؛ يمكنكم ذلك كما يحلو لكم".

لكن فجأة، أُغلقت تلك "المحكمة الشعبية" التي كانت في كامل نشاطها؛ وابتعد الأربعة على عجل.

وصلت إلى الهاتف؛ أجابني صوت أنثوي. "أرجوك يا سيدة"، قلت، "أبلغي أحداً من الضباط: تحدث هنا حوادث قد تنتهي بشكل مأساوي."

لن أنسى أبداً ذلك الصوت النسائي الذي كان مخنوقاً بالشهيق ومقطوعاً بالرعب. لا بد أنها كانت تعلم جيداً ما كان على وشك الحدوث!

جاء على الفور تقريباً ضابط بحري، روينا له ما حدث؛ وقد استنكر ذلك بشدة. عاد بعد قليل مع شاب، قدمه كقائد للوحدة؛ ودعاني لعرض الحقائق عليه.

انضباط المقاتلين! كان صبياً في العشرين من عمره، وقف أمامي متصلباً كالجندي في التحية.

"لا تعطوا أي وزن لهذه الحادثة،" قلت، "إنهم شباب متحمسون ومضطربون بسبب الأحداث، ويجب معذرتهم."

وهكذا انتهى يوم 28 أبريل. ومرت الليلة أيضاً

دون حوادث أخرى. في الصباح الباكر، استشعاراً مني لما سيكون عليه اليوم، كتبت في مفكرتي ملاحظات عن أحداث الأيام السابقة وكلمات وداع أخيرة لزوجتي.

كنت أعتزم أن أسلم المفكرة لاحقاً إلى مساعدي الإريتري.

حوالي الساعة التاسعة، دخل المقاتل الحارس غرفتنا وألقى علينا، بازدراء، صحيفة، مصاحباً ذلك بالعبارة: "ها هي نهاية الخونة!" بأحرف كبيرة، أعلن عنوان الصفحة الأولى عن مقتل موسوليني والوزراء الآخرين. بعد لحظة، حضر، برفقة الكابتن داداريو، الجنرال كادورنا، وملازم عقيد فاينا، وعضو في لجنة التحرير الوطنية، بدا أنه البروفيسور فيروتشيو فاري. دخل الثلاثة جميعاً، وصافحونا.

"لقد جئنا،" قال داداريو، "لننقلكم إلى سجن سان فيتوري، حيث ستكونون أكثر أماناً. هل تريد أن تسلمني المسدس يا مارشال؟"

طلبت بضع دقائق لإضافة بضع كلمات لزوجتي في المفكرة، ثم سلمتها إلى النقيب داداريو، بالإضافة إلى محفظتي التي تحتوي على صورة والدي ووالدتي وأختي المتوفين؛ وبعض التذكارات العائلية والدينية الأخرى: من بينها، رفات من جسد دون جيوفاني بوسكو، التي أهداها لي الأب دون فيليس كاني قبل فترة في تورينو؛ وزوجان من النظارات، وقلم حبر جاف، وطلبته بحرارة أن يوصل كل شيء إلى زوجتي، في قصر الأسقفية.

سـلمت أيضـاً إلى النقيب داداريو أربع وثائق: الرسـالة التي كلفني بها الجنرال فون فيتينغهوف بالمهمة المذكورة لدى الكاردينال شوستر؛ الوثائق المتعلقة بمهمة النقيب الإنكليزي معي، من قبل المارشال ألكسندر؛ نسخة من خطابي من تشيرنوبيو إلى الكاردينال شوستر، بشأن استسلامي للجنرال كادورنا؛ نسـخة من التفويض الذي منحته للجنرال وولف في تشـيرنوبيو، لتمثيلي لدى القيادة الأنكلو-أمريكية.

بأسـف شـديد يجب أن أوضح أن النقيب داداريو لم يسـلم المفكرة والأشـياء الأخرى لزوجتي. وعندما طلبت منه ذلك كتابة من أمريكا، حيث عاد، لم تتلق رداً قط. لا أعرف ماذا فعل بالوثائق الأخرى؛ أعتقد أنه سـلمها، مع المفكرة، إلى القيادة الحليفة في إيطاليا، كما يؤكد الكاردينال شوستر في كتابه الأبيض.

توجّهت إلى أعضـاء لجنة التحرير الوطنية، وأعلنت بوضـوح: "أعتقد أنه إذا طُلب مني الإجابة عن أفعالي، فيجب أن يتم ذلك بمحاكمة منتظمة، وليس بمجزرة."

أجاب أحدهم من الثلاثة الذي اعتقدت أنه البروفيسور فيروتشيو فاري: "سيكون كذلك."

"وهذه المحاكمة،" أضفت متوجهاً إلى الجنرال كادورنا، "يجب أن تُجرى بتحقيق منتظم وكامل."

"بالتأكيد"، أكد الجنرال كادورنا.

"لكن دعنا ننهي الأمر"، تدخل أحد المقاتلين الذين كانوا يحرسوننا والذين ألقوا علينا الصحف التي تحمل خبر مقتل موسـوليني والوزراء. أعلن أنه يحمل شـهادتي جامعتين، لكنني لا أعرف اسمه.

توجهت نحو السلالم؛ في نفس لحظة خروجي من الفندق، كان الملازم بونيتي سيسقط ضحية الحادث الذي وقع للسـيارة التي كان من المفترض أن أسـتقلها للانتقال إلى سـجن سـان فيتوري. قبل لحظات قليلة من صعودي إليها، عندما كان بونيتي قد رغب بالفعل في الجلوس خلف عجلة القيادة، انفجرت قنبلة داخل السـيارة مما أدى إلى اشـتعالها. لا يزال يؤلمني معرفة أن الملازم بونيتي فقد بصـره تماماً، بينما أكد لي الكابتن داداريو في ذلك اليوم أن عيناً واحدة فقط كانت في خطر. لكن المسـؤول عن هذه الجريمة هو من وضـع تلك العبوة المتفجرة تحت مقعدي، ليقوم بتفجيري، لكنه بذلك حطم الشـباب المزهر والكريم والقوي للملازم بونيتي، الذي أنحني أمام تضحيته باحترام وألم.

ومع ذلك، نزلت بهدوء تام، آخذاً حقيبتي الصغيرة وغطاء السفر.

في تلك اللحظة، أصدر صوت أمراً بعدم إطلاق النار؛ فأجاب آخر: "لا".

دخلنا إذن إلى ردهة السجن، وسط الأصوات والصيحات. احتج البواب صائحاً بأننا لا نستطيع الدخول دون تصريح دخول رسمي.

"لنأخذه إلى ساحة لوريتو"، صرخ نفس المقاتل الذي أعلن لنا نهاية موسوليني، والذي أعلن أنه يحمل شهادتين جامعتين.

"حان الوقت لإنهاء الأمر!" أجاب آخرون. وهكذا دواليك.

وصلني الصياح كصدى لشيء بعيد لا يعنيني. بروحي التي انتقلت بالفعل إلى عالم آخر، كل ما كان يحدث حولي تركني غير مبالٍ. أُلقينا، بدفعات، داخل مكتب استقبال السجناء، الذي امتلأ بالناس.

"تجرّدوا عراة"، أمر أحدهم بدا أنه زعيم؛ وتوجه إلي: "أتعرف من أنا؟ أنا "تونينو"!"

"يسعدني جداً مقابلتك،" أجبت، "لكنني لم أسمع عنك حتى هذه اللحظة". خاب أمله.

كان رجل آخر، قيل إنه مدير السجن ومسؤول الصحة فيه، يشاهد المشهد صامتاً؛ ولم يبدِ موافقته على تلك الأعمال العنفية غير المجدية.

من كاتب المقال، أتعلم الآن أنه كان الدكتور جاردينو، شيوعي. كان سلوكه سلبياً، لكنه كان صحيحاً جداً تجاهي.

"يجب تطبيق اللائحة بالكامل" صرخ من عدة جهات.

"لا فرق عن الآخرين!"

تجرّدنا وبقينا عراة. كان الجنرال حاضراً.

كادورنا، العضو الآخر في لجنة التحرير الوطني، والمقدم فاينا، والنقيب داداريو، والعديد من الآخرين.

ثم أشار الذي قدّم نفسه باسم "تونينو" إلينا بأنه يجب أن نقوم بانحناءة للأمام، وفقًا للوائح. قال: "لا تدري أبدًا، قد تكون تخبئ شيئًا!"

أجبته: "على جسدي، يمكنك بالأحرى أن تعدّ ثلاثمائة وخمسين ندبة من أديس أبابا!"

لا بد أن هذا الكلام قد أثر فيه وجعله يتخلى عن التطبيق الكامل للوائح.

"أغراض ثمينة؟ أغراض ثمينة؟" تساءل بعد عمليات تفتيش دقيقة وبلا فائدة في الملابس والحقيبة الصغيرة.

أجبت: "ليس لديّ حتى ليرة واحدة". تركت القليل من المال لـ "شومباشي" الخاص بي.

بعد الانتهاء من إجراءات جرد الأشـيـاء المودعة، توجهنا إلى الزنازين، برفقة "تونينو". قبل أن أتبعه، طلبت من المدير أن يُرسـل لي قسـيس السـجن. دخلت الزنزانة 65، وسـورينتينو في 67، وبونومي[1] في 69.

وُضـعت حراسـة مسـلحة أمامها. كان شـابًا بملامح طفولية، يرتدي خوذة. كان يبدو كجندي نظامي. قيل إنه من إستريا.

كانت الزنزانة باردة، بدون مصاريع على القضبان. بعد أن فقدت قبعتي في الزحام، سألت ذلك الشـاب، عبر فتحة الباب، عما إذا كان بإمكانه أن يحضـر لي غطاءً للرأس. بالفعل أحضـر لي واحدًا جديدًا، من الطراز الشيوعي؛ الذي رافقني فيما بعد إلى روما والجزائر.

بعد ذلك، أُزيل الشاب على الفور؛ ووُضع مكانه ثلاثة مقاتلين مسلحين برشاشات.

عاد "تونينو" على الفور تقريبًا، وبنظرة خبيرة، اسـتكشـف كل زاوية في الزنزانة. أعتقد أنه لم يكن يستطيع أن يقتنع بعد بأني لا أمتلك أي أغراض ثمينة. ثم، بنبرة أكثر إنسانية: "ستلاحظون أنكم ستكونون موضع اهتمام خاص دون أن يُعطى هذا الانطباع."

كررت لـ "تونينو" طلب الكاهن، وبقيت أنتظر. لاحقًا، تلقيت حصة من الخبز: معاملة تفضيلية، لأنه في ذلك اليوم، لم أكن "في الخدمة"، لذلك لم يكن يحق لي ذلك. ثم حصـلت على شـبكة معدنية، وفراش ممتاز، وملاءات نظيفة، وبطانيات.

حوالي السـاعة الخامسـة مسـاءً كنت أسـتعد للنوم، وكنت قد ارتديت بيجامة، عندما انفتح الباب ودخل كاهن لم أتعرف فيه على الفور على المطران بيتشييراي، الذي رأيته مرة واحدة فقط في دار رئيس الأساقفة.

لأنني لم أطلبه، أدهشني ظهوره المفاجئ. سألته: "من أنت، ومن أرسلك؟"

أجاب: "أنا المطران بيتشييراي، لكن أليس أنت المارشال غراتسياني؟ ألم تطلبني بنفسك؟"

أصبح الذهول متبادلًا! أجبته أنني طلبت قسيس السجن منذ الصباح، وبما أنني أصررت على معرفة سـبب اسـتدعائه هو، شـرح لي الأسـقف أنه في غياب القسـيس، ربما فكرت الإدارة في استبداله بشخصه.

قلت له: "على أي حال، أنا سـعيد جدًا، لأنه بهذه الطريقة يمكنك أن تعطي زوجتي أخبارًا مباشرة عني." وبينما كنت أرتدي المعطف، أشرت إليه بالجلوس على السرير بجانبي.

---

[1] انظر الملاحظة رقم 12 في الملحق.

قال لي: "على الرغم من أن أفكاري معاكسة لأفكاركم، إلا أنني لا أستطيع إلا أن أقر بأنني لطالما أعجبت فيكم بالاهتمام المستمر بالشرف."

ثم كشفت له عن الانطباع الدقيق، بسبب أحداث الصباح، بأن ضمان إجراءات منتظمة بشأني أصبح مشكلاً للغاية في السجن، حيث كان العنصر المتطرف من المقاتلين يظهر رغبته في المضي قدمًا بطريقة موجزة. أضفت أنه لو عرف الجنرال كادورنا هذا الوضع، بعد الكلمة التي أعطاني إياها في الصباح، لكان عليه أن يتخذ إجراءات لحمايتي، جنبًا إلى جنب مع الجنرالين الآخرين.

رأيت أن المطران بيتشيراي تأثر بما عرضت عليه بهدوء تام. في روحي كنت مستعدًا لكل شيء، منذ خمسة أيام الآن.

قال: "في هذه الأثناء، من الجيد أن نبدأ بترتيب أمور الروح، لأن الظروف بالتأكيد قد تقدم مفاجآت قصوى."

لكنه بدا وكأنه أصابته فكرة، ونظر إلى الساعة: "لكن يجب أن نسرع"، قال، "لأن لدي مكالمة عاجلة في الخامسة والنصف."

أجبت: "إذا شعرت بالضغط، أفضل أن أتنازل. أعتبر هذا الفعل الأسمى أمرًا ذا أهمية قصوى ولا أعتقد أنني أستطيع القيام به بضمير في عجلة من أمري."

رد: "صحيح جدًا"؛ ونهض واختتم بأنّه سيرسل لي رئيس دير الكنيسة المجاورة، مضيفًا أنه كاهن جدير بالثقة، يمكنني أن أضع فيه كل ثقتي.

وهكذا افترقنا؛ لكني انتظرت عبثًا، حتى حوالي الساعة السابعة مساءً، وصول الكاهن. بدلاً من ذلك، دخل النقيب داداريو الزنزانة، ودعاني لاتباعه بسرعة كبيرة. قال لي: "يجب أن نهرب، أسرع، اترك كل شيء؛ في هذه الحالات لا يجب أن نضيع الوقت."

ارتديت الزي الرسمي فوق البيجامة بأقصى سرعة؛ جمعت الأشياء القليلة التي تركوها لي في البطانية وتبعت النقيب. انضم إلينا الجنرالان سورينتينو وبونومي.

ممرات السجن كانت خالية. على باب المدخل المقابل، وقف طابور من مسلحين، معظمهم بملابس مدنية. عندما مررنا أمامهم، أمر صوت "الذراع" ربما لقمع أي بادرة تهديد.

باب السجن كان مفتوحًا. رأيت مجموعة من الرجال، ومن بينهم الجنرال كادورنا والمطران بيتشيراي. قال لي الأخير: "الآن، بين أيدي الحلفاء، ستكون مطمئنًا."

شــعرت بالحاجة إلى شــكره على كل شــيء. معه بالفعل تحدثت عبر الهاتف من تشــيرنوبيو وأرســلت رســالتي إلى كادورنا بواســطته؛ ومعه مرة أخرى في صــباح يوم 28 من فندق "ريجينا" تمكنت من التحدث عبر الهاتف، وعهدت إليه بإبلاغ زوجتي؛ ومعه أجريت محادثة مريحة في السجن قبل قليل. لكل هذا لم أستطع إلا أن أكون ممتنًا له.

أضاف شخص آخر، لكنني لا أتذكر من كان: "كانت محكمة شعبية تُجهز لهذه الليلة". وصلنا إلى مدخل الطريق السريع ميلانو-بيرغامو؛ وهناك كانت تنتظرنا سيارتان أمريكيتان. عند نقطة التفتيش التي كان يحتلها المقاتلون، كان الجنرال كادورنا نفســه يشــرف، ولم يقترب مني، لكنه تحدث مع الجنرالين بونومي وسورينتينو.

صافحني النقيب داداريو بحرارة، طالبًا مني أن أراسله. وهذا ما فعلته من معسكر الجزائر.

صــعدنا إلى الســيارتين؛ وبدأت رحلة مجنونة في الليل المتأخر، نحو بيرغامو وبريشــيا. وجدت نفسي بجانب ضابطين أمريكيين، كانا يتحدثان الإيطالية بطلاقة. كان أخطر خطر واجهناه عند نقطة تفتيش للمقاتلين، التي أمرت بالتوقف وتفتيش السيارة بعناية. "سجين." هكذا أشار إلي الضباط الأمريكيون.

لم يرد أحد؛ واســتأنفت الســيارة طريقها بحثاً عن غيدي. وأخيراً، وبعد تحويلات لا حصــر لها، وصلنا، متجمدين من البرد تقريباً، إلى معسكر الفيلق الرابع المدرع الأمريكي. كانت الساعة حوالي الثانية بعد منتصــف الليل؛ اســتقبلنا العقيد رئيس الأركان بلطف شــديد في "قيادته المتنقلة" وتناولنا زجاجة من الكونياك القديم.

الآن سأعود قليلاً إلى الوراء. في مساء يوم 24، في فيديغولفو، بعد عبور البو في مانتوفا من قبل الأنكلو-أمريكيين، كان وضع جيش "ليغوريا" يائساً.

كان قطع الجبهة الليغورية والألبية وشيكاً. تم الاتفاق مع رئيس أركان الجيش، الجنرال بيمزيل، على أنه في حالة فقدان الاتصــال بالقيادة العليا، يمكننا أن نقرر اســتســلام الجيش، وفصــل مصيرنا ومصير رجالنا إذا تطلبت الأحداث ذلك.

بعد فقدان الاتصال بي، في صباح يوم 29، وقع الجنرال بيمزيل على الاستسلام في الفيلق الرابع المدرع الأمريكي. وبمجرد وصولي، وقعت عليه بدوري.

نصحت الجنرال كريتنبرغ، قائد الفيلق الرابع، الذي طلب مني معلومات عن الوضــع، بالتوجه فوراً إلى خط تيتشــينو-بو، الذي لم تكن قواتنا قد وصــلت إليه بعد، وهي تتراجع من الجبهة الليغورية والألبية، تحت قيادة الجنرال شــليمير. وهذا يعني ضــمان النظام وتجنب المزيد من الأضرار. وتم إرسال الرائد كنيب، من قيادة جيش "ليغوريا" بأمر الاستسلام.

قضينا الليلة في المعسكر الأمريكي، وغادرناه صباح يوم 30. عند المغادرة، كشف لي أحد الضابطين، اللذين قمت معهما برحلة ميلانو-غيدي، عن معرفة قديمة من حرب إثيوبيا. كان الملحق العسكري الأمريكي الذي كان يتابع تلك الحملة؛ لقد عرفته وقدرته في الصومال، ثم في أديس أبابا.

صرخ: "من كان يصدق ذلك حينها!"

أجبته: "إنها الحياة، عزيزي." وتبادلنا التحية بجدية بالغة.

تم نقلنا إلى أوستيليا، حيث انضممنا إلى الجنرال بينكيل، ثم إلى مطار فيلافرانكا، ومن هناك بالطائرة إلى فلورنسا، إلى معسكر للأسرى. كان هذا مركزًا للفرز، يمر عبره تدريجيًا الضباط والجنرالات الألمان رفيعو الرتب، الذين كانوا يُرسَلون بعد ذلك إلى معسكرات اعتقال مختلفة. هناك، أتيحت لي الفرصة لرؤية الرائد نيب مرة أخرى، من قيادة جيش "ليغوريا"، الذي كان قد حمل شخصيًا إلى الجنرال شليمير، قائد الفيلق 75 المنتشر من سان برناردو إلى فينتيميليا، أمر الاستسلام. وقد رفض الأخير قبوله، كما ذكرت، لأنه كان لا يزال تحت تصرفه، في معقل شيفاسو، حوالي أربعين ألف رجل؛ وقد أقسم للفوهرر على القتال حتى النهاية! يجب تكرار هذا لذاك الكاتب المعلق على الكتاب الأبيض لشوستر، الذي ادعى أن "ليغوريا" كانت بالفعل في حالة تفكك عندما أرسلت الرسالة إلى رئيس الأساقفة من تشيرنوبيو. في الواقع، لم يستسلم الجنرال شليمير إلا في 3 مايو، تحت ضغط فرقتين مدرعتين أنكلو-أمريكيتين، كما أوضح الجنرال ترابوكي في مجلده "الخاسرون دائمًا مخطئون".

وبناءً على طلب القيادة الأنكلو-أمريكية، كررت في راديو فلورنسا، برفقة الجنرال بيمزيل، أمر استسلام جيش "ليغوريا"، والذي أُعيد بثه مرارًا وتكرارًا من راديو ميلانو، وأُلقي على قوات الجيش بواسطة الطائرات.

إليكم نص الأمر:

"أمر قائد الجيش. إلى قوات جيش "ليغوريا". في هذه المعركة الأخيرة في إيطاليا، تصرفتم بانضباط وشجاعة معتادين، على الرغم من وجودكم في أصعب ظروف النقص. أي مقاومة أخرى ستكون، بالإضافة إلى كونها عديمة الفائدة، غير إنسانية، وبالنسبة لي، قائدكم، فهي خاطئة.

"القيادة الألمانية العليا في إيطاليا لم تصدر أوامر منذ عدة أيام، ومكان وجودها مجهول. في هذا الوضع، تحملت المسؤولية الشخصية للتوقيع على الاستسلام غير المشروط لدى القيادة الأمريكية في 29 أبريل، وفقًا للأمر الذي تم نقله إليكم عبر الطائرات.

"التزموا بهذا الأمر الذي يحمي شرفكم كجنود وألقوا أسلحتكم - المشير الإيطالي (وقائد جيش "ليغوريا") غراتسياني."[1]

"بصفتي رئيس أركان الجيش الألماني "ليغوريا"، أؤكد دون تحفظ كلمة قائدي، المشير غراتسياني. عليكم إطاعة أوامره - توقيع: بيمزيل، فريق ورئيس أركان جيش "ليغوريا"."

كيف أمكن سلب كل قيمة لجميع أعمالي بعد 25 أبريل، مع الافتراض المسبق بأن قوات جيش "ليغوريا" كانت بالفعل في حالة تفكك كامل؟ الحقائق تجيب. وهاهما التصريحان التاليان يوضحان كيف تحددت الفعالية، حتى في جزر بحر إيجه البعيدة (تصريح الكابتن بيازي) وفي جميع أنحاء الأراضي المتروبولية (تصريح الملازم ديلا فيريتا من الحرس الوطني الجمهوري).

مقتطف من يوميات سجني في الجزائر. "24 أغسطس. اليوم، أفاد ضابط من الحرس الوطني الجمهوري (الملازم ديلا فيريتا) من سرية كومو ببعض "البيانات" المثيرة للاهتمام بعد مغادرة موسوليني صباح يوم 26 باتجاه ميناجّو. إليكم النص: "في ليلة 25 و 26، وصلت إلى كومو، بالقرب من ثكنة مركز التدريب، وحدات متجهة إلى الجبهة: القيادة العامة للحرس الوطني الجمهوري التي انسحبت من بريشيا، وحدة من "ليونيسا" مع حوالي عشر مركبات مدرعة من ميلانو، وقوات من أماكن أخرى: في المجموع، قوة تزيد عن ألف رجل. في نفس الليلة، استدعى موسوليني قائد الثكنة، العقيد فوسا، إلى محافظة كومو: هناك تلقى أمرًا بإعداد نقل جميع الرجال إلى فالتلينا، حيث سيتم إعداد دفاع أخير.

"أعلن موسوليني عن زيارته للثكنة في اليوم التالي، حيث كان سيصدر أوامر دقيقة للنقل. بحلول ظهر يوم 26، لم يصل أي أمر إلى الثكنة.

"أفاد الملازم موتشيولي، الذي كان قد أدى الخدمة كضابط حراسة للدوتشي خلال الليل، أنه على عكس الأمر الذي صدر للعقيد فوسا، غادر موسوليني كومو في الساعة 5 صباحًا يوم 26 أبريل، متوجهًا إلى ميناجّو ومصممًا على عدم إراقة المزيد من الدماء الإيطالية في دفاع لا جدوى منه الآن. أفاد ضابط أنه رأى المشير غراتسياني من كومو، وقد طلب منه إشارة طريق، وكان على وشك التوجه نحو الجيش للعودة إلى جنوده.

"معتقدًا أنه يفسر إرادة موسوليني، قرر العقيد فوسا عدم إقامة أي مقاومة، وحاول التوصل إلى اتفاقات مع لجنة التحرير المحلية، لضمان حصانة الفيلقيين. تم إجلاء الرجال في مجموعات من الثكنة. وغادر الضباط أخيرًا. استقر الوضع في كومو في غضون أربع وعشرين ساعة.

---

[1] انظر الملاحظة رقم 12 في الملحق.

"لم تكن هناك اعتقالات، وأصــدرت لجنة التحرير تصــريح مرور للفيلقيين لكي يتمكنوا من الوصول إلى عائلاتهم. العديد ممن واجهوا سؤال الضمير حول ما إذا كانوا سيقاومون أم لا، وما إذا كانوا ســيطيعون أوامر القيادة الألمانية التي طالبت بمقاومة إضــافية وحماية انسـحابهم إلى ألمانيا، تم توضـيح شـكوكهم بأمر راديو المشـير غراتسـياني، والذي بدا منه أنه لا يوجد أي هدف للمقاومة، وأشار للجنود إلى طريق عائلاتهم."

وهنا بيان الكابتن أوغو بيازي بتاريخ 24 أغسـطس 1945. "بصفتي أقدم الضباط الذين وصلوا للتو من كريت إلى معســكر أســرى الحرب 211، أســمح لنفســي بإبلاغكم عن مصــير القوات الجمهوريـة المتمركزة في الجزيرة في هـذه الفترة الأخيرة. كما تعلمون، بقي مؤخرًا في قلعـة كريت (للدفاع عن خليج ســودا) حوالي أربعة آلاف إيطالي موزعون كالتالي: فيلق المتطوعين الإيطاليين "كريت" 1200؛ الكتيبة 141 من القمصــان الســوداء الهجومية 600؛ ضــمن الوحدات الألمانية 1400؛ معتقلون 800؛ في المجموع 4000.

"نتيجة لرسالة الاستسلام التي أرسلتها شخصيًا عبر الراديو في 1 مايو، بناءً على طلبنا، استدعى الجنرال الألماني قـائـد القلعـة (اللواء بـانثـاك)، في صــبـاح 2 مـايو، قـائـد الفيلق، المقدم كارلو جيانولي، وقادة الكتائب الإيطالية الثلاث، وســألهم عما إذا كانوا يعتزمون الالتزام بأمركم أو مواصلة القتال إلى جانب القوات المسلحة الألمانية، في دور معادٍ للشيوعية. طلب الفيلق بالكامل الالتزام بـأمركم، وكـذلـك الكتيبـة 141 من القمصــــان الســـوداء، بـاســـتثنـاء عـدد قليـل من الميليشيات.

"لم يتم اســتجواب الجنود الإيطاليين المنضــمين إلى الوحدات الألمانية، لأنهم لم يكونوا جزءًا من الجيش الجمهوري الإيطالي. ومع ذلك، حصلنا على تأكيد لهم بأنهم سيتم تحريرهم بعد انتهاء الإجراءات التكتيكية المضـادة (تقليص الانتشـار)، والتي أصـبحت ضـرورية بعد ابتعادنا. ونتيجة للقرارات المتخذة، تم اســتبدال القوات الجمهورية الإيطالية في الخط في 4 مايو، وتم اعتقالها، ثم، بناءً على طلب، تم الترخيص لها بمغادرة القلعة وتسـليم نفسـها لقوات الحلفاء، بعد اتخاذ الترتيبات اللازمة بين القيادة الألمانية وســلطات الحلفاء، لضــمان ســلامة الرجال في عمليات الانسحاب، بالنظر إلى الوضع السياسي في الجزيرة. في السـاعة العاشرة من صباح 6 مايو، سـلم ألف وستمائة إيطالي مستسلم أنفسهم لسلطات الحلفاء."

حتى من هذا الحدث الأخير يتضح كيف أنني، بعدم اتباع محاولة الهروب إلى سـويسـرا التي كان يدعمها بعض أعضاء الحكومة في 26 أبريل، بقيت جنديًا حتى النهاية.

بإعلان الاســتســلام الذي أذيع فيما بعد عبر الراديو، بناءً على طلب قيادة الجيش الخامس البريطاني، تمكنت من توجيه الوضع. وكان لهذا الإجراء أيضًا فعالية لا جدال فيها.

ليس فقط على قواتي، بل على جميع الإيطاليين في الشمال الذين عرفوا بشكل أفضل كيف يتصرفون.

في بعد ظهر يوم 29 أبريل 1945، توجه شخص مخلص لي ويحظى بثقتي الكاملة إلى الكاردينال شوستر، حاملًا معه صحيفة من ميلانو تتضمن تقريرًا عن مفاوضات الاستسلام.

لا بد أن رئيس الأساقفة قد أدرك مدى عبث أمله في الحصول على القيادة. عندما عرض ذلك، سُئل عن الوسائل التي سيستخدمها لممارستها، نظرًا لعدم وجود قوات تحت تصرفه.

أمام مشهد الدماء الذي كان يدور تحت عينيه، وضع الأسقف الجليل يديه على رأسه، معلنًا عجزه عن وضع حد لذلك بأي شكل من الأشكال. "عبثًا" كان يخبر الشخص الذي يجري معه المقابلة، "أتوسل عبر الهاتف، أطلب هدنة!"

كان المقال المنشور في صحيفة ميلانو عنيفًا جدًا ضدي، حيث وصفت بـ "المارشال الشرس"، ونسبت إلي طلب ما لا يقل عن عشرين ألف رهينة يتم اختيارهم من بين المثقفين، و إلا أغرق ميلانو في الدماء وأدمر منشآتها. جعل المحاور رئيس الأساقفة يقرأ الفقرات التي تشير إلي: "يا صاحب النيافة، أنت الذي قُدت المفاوضات، هل يمكنك حقًا القول أن هذا صحيح؟".

أجاب الكاردينال: "لا، هذا كذب بالتأكيد."

"إذن يجب قول الحقيقة؛ فالمسألة تتعلق بشرف حياة رجل."

"اليوم لا يمكن فعل ذلك، لأن العقل لا يعمل، بل فقط العاطفة والانقسام."

"سبب إضافي. يا صاحب السعادة، أنت الذي تعلم، والذي لا تزال تحتفظ بعقلك في الفوضى العامة، يجب أن تنفي ذلك في الصحف."

"لكن لا توجد صحيفة ستنشر..."

"لديك صحفك، 'إيطاليا'، 'الشعب'."

"حتى تلك تخضع لسيطرة لجنة التحرير الوطني."

"إذن أعطني التفاصيل الدقيقة لكيفية سير الأمور: سأكتب أنا."

"لا فائدة من ذلك؛ على الأكثر يمكنني أن أرسل مذكرة إلى كادورنا."

"يجب أن نفعل شيئًا؛ وبسرعة، يا صاحب السعادة."

"لا تقلق، فالمشير غراتسياني سيعاد تأهيله ذات يوم."

"يا صاحب السعادة، غراتسياني لا يريد سوى حقيقة الوقائع، ولا يحتاج الآن ولا لاحقًا إلى أي إعادة تأهيل."

وهكذا انتهى ذلك الحديث، ولم أعرف أبدًا ما فعله الكاردينال. لكن فكرة أنه ربما ظل غير مبالٍ بهذه النداءات بعيدة عني.

لقد أدرك كم كان أمله النبيل في تقليد القديس أمبروز عبثًا، والذي، مع ثيودوسيوس[1] الذي أصبح مطيعًا ومنقادًا، عرف كيف يظهر "بمثال جدير بالإعجاب بنفس القدر من جانب الأسقف، ومن جانب الإمبراطور، الذي يعلم رعاة الأرواح كيف أن الإيمان النقي والحماس النقي يمنحان قوة أكبر من العرش والصولجان".

كان صوت الأسقف الآن "صوت صارخ في الصحراء" أمام "ثيودوسيوس" الحديث الذي، تحت رايات "لجنة التحرير الوطني"، سكرانًا بالانتقام والدماء، يأمر بمذابح عشوائية ضد عدو مهزوم، يستسلم دون مقاومة.

لقد سرّ الكاردينال الأعلى للغاية أن يورد في الكتاب الأبيض محادثته مع موسوليني، مقربًا إياها من محادثة "قديسنا بندكتس" مع توتيلا[2]. لكان من الأكثر حيادية وشمولية لو كان هناك إشارة تاريخية إلى أحداث أبريل 1945 وإلى عمله، لو أنه أشار أيضًا بشكل عادل إلى "ثيودوسيوس المزيف".

كان ذلك يوم 29 أبريل، وهو اليوم الذي نُقلت فيه إلى سجن سان فيتوري، وكان يجري إعداد المحكمة لتلك الليلة وتنفيذ الإعدام في صباح اليوم التالي.

في فلورنسا، احتُجزنا عشرة أيام، وفي 10 مايو، تفرقنا. بقي الجنرالان سورينتينو وبونومي في فلورنسا، بينما نُقلت أنا بالسيارة، عبر ممر راديكوفاني، إلى روما، حيث بقيت حتى 12 يونيو، وهو اليوم الذي نُقلت فيه بالطائرة من مطار تشامبينو إلى معسكر الأسرى رقم 211 في الجزائر.

كان 12 يونيو 1945 هو الذكرى الثالثة والعشرين لمعركة الجيوش الحاسمة في طرابلس، والتي يمكن القول إنها بدأت دورة استعادتنا الأفريقية بعد الحرب العظمى، والتي كنت قد تابعتها خطوة بخطوة.

---

[1] اثر مذبحة تسالونيكي عام 390م والتي قتل فيها الالاف من مواطني المدينة بأمر من الامبراطور الروماني ثيودوسيوس، منعه القديس أمبروز أسقف كنيسة ميلانو من دخول الكنيسة حتى يعلن توبته، رضخ الامبراطور وخلع ملابسه الإمبراطورية وطلب الغفران علناً في كاتدرائية ميلانو. [المترجم]

[2] إشارة إلى أسطورة اللقاء بين القديس بندكتس مع توتيلا ملك القوط الشرقيين حين أراد اجتياح إيطاليا، وهيبة السلطة الروحية أمام سلطة القوة والسلاح. [المترجم]

مرة أخرى، كانت إفريقيا تأسرني، هذه المرة ليس كحاكم أو مهزوم، بل كأسير؛ ومع ذلك، شعرت بإحساس بالهدوء والراحة.

وباستثناء مخالفة للوائح الإنكليزية التي تمنع ذلك، استقبلت في خيمة ضمن ساحة الضباط البريطانيين، وحصلت على طعام من مقصفهم. بعد شهر من الحرارة اللافحة، تم نقلي إلى مستشفى الجزائر في القسم الإنكليزي، بسبب نوبة حادة من التهاب المرارة، وهو مرض بدأت أعاني منه في ديسمبر 1943. بقيت هناك ثلاثين يومًا، وعند عودتي إلى المعسكر، طلبت وحصلت على نقلي إلى قسم الضباط الإيطاليين العام.

عندما أعيد ضباط المعسكر إلى الوطن في 8 فبراير، نُقلت إلى قلعة بيرخادم المخصصة كسجن، على أطراف الجزائر العاصمة، حيث بقيت ثمانية أيام في انتظار المغادرة إلى إيطاليا.

بمناسبة مغادرة المجموعة الأولى من الضباط، التي حدثت قبل بضعة أيام، ألقيت عليهم كلمة أوجزها هنا: "رفاق الضباط، وضباط الصف، والجنود! تحياتي موجهة إلى من يغادر المعسكر. أما من يبقى، فإن كلماتي هي عزاء أخوي. لقد عانينا جميعًا وما زلنا نعاني من تداعيات المأساة والخراب الهائل. كل واحد منا يعاني من أجل هذا الوطن الذي أحببناه كثيرًا وما زلنا نحبه بشدة أكبر لأنه مجروح، ومصاب، ومداس، ومهزوم. كل واحد منا يعاني وعانى من أجل أحبائه الذين قتلوا، أو تعرضوا للإهانة، أو تمزقوا في الصراع الداخلي الأخوي الذي هو أسوأ الشرور.

"لكن اسمحوا لي أن أقول بصراحة مماثلة، إن نكران الدور الذي قمنا به في المأساة لن يجلب السلام لنفوسنا. لا يمكن أن يبتسم لنا سلام الروح بالقول "لقد أخطأت"، أو "كنت هنا بضعة أيام فقط"، كما لو كنا نقول "لقد أصبت" أو "كنت هنا دائمًا"، "لو أن النصر ابتسم لجانبنا". فقط بالاعتراف بشجاعة بأننا عملنا بإيمان بأن هذه كانت مهمتنا، ستشعر روحنا المضطربة والمضطربة بالواجب الأخلاقي الذي يجب أن تستند إليه من أجل المستقبل. لم نلطخ أنفسنا بجرائم مخزية أو مهينة؛ لقد قاتلنا كجنود شرف ضد جنود شرف آخرين: هذا سيجعل من الصعب على إيطاليا أن تديننا، أو ترفضنا، أو تقاطعنا.

"لنتخذ قراراً راسخاً بالعمل مجدداً ودائماً من أجل إعادة بناء وطننا الحبيب، في وحدة الأرواح؛ التي ستكون خلاصها الحقيقي. وليخدم كل "عقيدة" سياسية، يعتنقها كل واحد منكم بحرية، فقط لتحقيق هذا الهدف الأسمى.

"رفاقي الذين تغادرون المعسكر! بالتأكيد ستكونون أول من يرى وطننا. قبلوه عنا في أحبائكم؛ فالجمال الذي وهبه الله له، اعلموا، لا يمكن أن يدمره لا الأحداث ولا البشر."

في 16 فبراير 1946، برفقة الرائد البريطاني إتش. سي. إتش. إدواردز من الوحدة الجوية 217 (ب-217) في بولونيا، الذي كان يتحدث الإيطالية بطلاقة، ومع مساعدي جوزيبي بونفانتي من

ميلانو، أحد جنود فرقة "العاشــرة ماس"، أقلعت من معســكر الجزائر متجهًا شــمالًا أولًا مع الهبوط في إلماس بســردينيا، ثم، بتغيير المســار، إلى نابولي، حيث سُــلمت إلى الكارابينييري في معسـكر بوميليانو داركو. لقد أعادني الحلفاء إلى الحكومة الإيطالية كأسـير "N. AA 252433"، وليس كـــ "مجرم حرب"، حتى لو كان ذلك من خلال تمثيل "لقاء عارض" مع الكارابينييري في بوميليانو داركو، لأن السـلطات البريطانية في الجزائر كانت قد جعلتني أعتقد حتى اللحظة الأخيرة بأنني ســأنقل إلى إنكلترا. كان الرائد إدواردز مرتبكًا جدًا عندما ســألته مرارًا وتكرارًا خلال الرحلة: "هل يمكنني معرفة إلى أين سنذهب؟" كان يجيب: "آه! حسنًا... سيُبلغونني أثناء الرحلة!" كنت أعتبر مثل "طرد مغلق" يجب فتحه أثناء الرحلة. في بوميليانو، أنهى الرائد إدواردز المسرحية بعبارات من هذا القبيل: "آه، أنا آسف حقًا لهذا الحل غير المتوقع...".

في مساء يوم 16 نفسه، نُقلت إلى سجن بروتشيدا،

حيث أُســكن في المهاجع رقم 6 وكان رفاقي البارون أليســاندرو ســاردي، والجنرال غاســتوني غامبارا، والقائد فاليريو بورغيزي، والعقيد (الجنرال في الجمهورية الاجتماعية) إميليو كانيفاري. بقيت هناك ثلاثة أشهر. ثم، بناءً على طلبي، نُقلت إلى قسم الزنازين، حيث تمكنت من الاستفادة من بعض الهدوء والصمت. كان رفاقي هناك بعض السجناء المؤبدين الذين قضوا في السجن من 40 إلى 50 عامًا. منهم تعلمت الكثير من الأشــياء وتعلّمت أن أنظر إلى الحياة من زوايا لم أتخيلها قط.

في الطابق العلوي، كان محتجزاً اللص بيبيو لا ماركا، الذي أرسل لي ذات يوم استبياناً فلسفياً-اجتماعياً-دينياً، مما وضع ثقافتي في هذا المجال في حرج شديد.

من الجزائر، عدت في حالة صحية متدهورة للغاية، واســتمرت في التدهور. في أوائل مايو، اضطررت للخضوع لعملية جراحية نتيجة تقيح بعض من الشظايا الـــ مئتين وسبعة وخمسين من القنابل التي لا تزال عالقة في جسدي المؤلم منذ مؤامرة أديس أبابا.

في يوم 27 يونيو، أصــبت بنوبة مفاجئة من التهاب الزائدة الدودية. أجريت لي عملية جراحية على يد الجراح الدكتور بورنيولي، بشكل طارئ، في عيادة السجن، في ظروف من السهل تخيلها.

بعد إعادتي إلى زنزانتي التي تبلغ مســاحتها 2.50 × 3 أمتار، قضــيت هناك كل فترة "ما بعد الجراحة"، التي كانت خطيرة جدًا بسبب المضاعفات التي طرأت.

وبدأت زوجتي في إجراءات نقلي إلى عيادة في نابولي، وقد اكتملت هذه الإجراءات بعد ســبعة وخمســين يومًا من الروتين البيروقراطي، وتم إدخالي إلى مســتشــفى "إيلينا د'أوســتا" في 28 أغسطس 1946.

ولكن إذا كانت كل المتاعب، والمخاطر، والهموم التي رافقت العشرين شهرًا المأساوية في غاردا، مصحوبة بقلق أخلاقي وعذاب داخلي في كل ساعة، وإذا كانت قسوة عشرة أشهر من الأسر في إفريقيا تحت الخيمة، وظلم السجن، والعمليات الجراحية التي خضعتها، قد أدت إلى إضعاف قوتي البدنية، فإنها لم تمسّ مطلقًا قوتي الروحية والأخلاقية.

الملحق

ملاحظة رقم 1

في 3 مايو، مع اقتراب احتلال أديس أبابا، أصدر موسوليني الأمر التالي إلى بادوليو:

"5007 - بعد احتلال أديس أبابا، سيعطي سعادتكم أوامر بـ: 1) إعدام كل من يضبط في المدينة أو المناطق المحيطة بها مسلحًا بشكل فوري. 2) إعدام كل من يسمى "الشباب الإثيوبي" البربري، والقاسي، والمتبجح، والمسؤولين المعنويين عن عمليات النهب، بشكل فوري. 3) إعدام كل من شارك في أعمال العنف، والنهب، والحرائق. 4) إعدام كل من لم يسلم الأسلحة النارية والذخائر بعد 24 ساعة، بشكل فوري. - أنتظر كلمة تؤكد أن هذه الأوامر ستنفذ كما هو الحال دائمًا - موسوليني."

لم يقم بادوليو بإعدام "الشباب الإثيوبي"، وتم تناول المسألة معي، وفعلت الشيء نفسه.

ملاحظة رقم 2

كنا في سنة النعمة 1939، أي عشية الحرب، وكان المشير **بادوليو**، رئيس الأركان العامة، قد كتب قبل ذلك بوقت قصير في "راسيغنا إيطاليانا" في عدد مخصص للقوات المسلحة:

"الدراسات والوثائق التي جمعها ورتبها **توماسو سيلاني** بعناية ذكية في هذا المجلد، وحصل على تعاون كتاب عسكريين مرموقين، تهدف إلى توضيح قواتنا المسلحة في تطورها المتتابع حتى حالتها الراهنة.

"من خلال الاختبارات التي نقلها التاريخ، يظهر، بشكل أكثر إشراقًا، القيمة المتألقة للجندي الإيطالي، الذي قاد إيطاليا إلى تحقيق انتصارات عظيمة وغزو أكاليل المجد الخالدة. وقد اكتسبت هذه القيمة، الآن، بحق، معنى بديهيًا: لا جدال فيه.

"تم التأكيد بشكل خاص، في العمل، على ما فعلته الفاشية من أجل التعزيز العسكري المستمر للأمة.

"فكرة الحزمة اللوائية، العظيمة في بساطتها، لم يكن من الممكن أن تفشل في نشر نورها في المجال العسكري وأن تجلب إليها تلك المساهمة من الطاقة التي لا تلين والتي تنبع منها بلا مقاومة.

"يتم توضيح الكفاءة الحالية للقوات المسلحة الفردية بشكل شامل من الناحيتين المادية والمعنوية، والتي لا تقل أهمية. يتضح كيف أن الجيش والميليشيا، والبحرية والقوات الجوية لإيطاليا الإمبراطورية، مستفيدة من الخبرة المكتسبة في سلسلة من الحروب المنتصرة، قد أتقنت تنظيماتها، ورفعتها إلى مستوى لم يتم الوصول إليه من قبل، والذي يتكيف باستمرار مع احتياجات هيبة وأمن إمبراطوريتنا.

"إلى جانب القوات المسلحة، تستعد الأمة بأكملها عسكرياً، من خلال تشكيلات ونظم النظام، لتصبح، مع القوات المسلحة، كياناً قتالياً واحداً هائلاً.

"يجد القارئ، باختصار، في هذا المجلد، صورة كاملة وموثقة للقوة العسكرية الإيطالية كما يمكن تمثيلها اليوم: حامية قوية وآمنة للوطن، وعامل ذو أهمية دولية قصوى في هذه الساعة الخطيرة وغير المؤكدة من حياة العالم - **بيترو بادوليو**."

(أي تعليق سيفسد الأمر).

ملاحظة رقم 3

حول قضية الإبلاغ عن المدرعات الألمانية، يحدد ما ورد في الصفحة 595 من كتاب "أوروبا نحو الكارثة" (منشورات موندادوري) النقطة النهائية.

[حديث الدوتشي مع الفوهرر بحضور وزير خارجية الرايخ، ريبنتروب، والكونت تشيانو.]

"ثم يشرح الدوتشي خطته الحربية فيما يتعلق بمصر. يقول إنه قريبًا ستنتقل إلى المرحلة الثانية من الهجوم التي ستؤدي بقواتنا إلى مرسى مطروح ويوضح الأهمية الاستراتيجية لهذا الهدف. أخيرًا ستتم المرحلة الثالثة من الهجوم التي ستقودنا إلى دلتا النيل واحتلال الإسكندرية. يعرض الفوهرر، مشيرًا إلى أن الإيطاليين يشاركون بقوات جوية في المعركة ضد الجزر البريطانية، على الدوتشي مساهمة قواته المتخصصة للهجوم على مصر.

"يرد الدوتشي بالشكر قائلاً إنه لا يحتاج إلى أي مساعدة للمرحلة الثانية من الهجوم، بينما يحتفظ بالحق في إبلاغ الفوهرر بما قد يكون مفيدًا له للمرحلة الثالثة. ومع ذلك، يمكنه القول الآن إن الأشياء الوحيدة التي قد تكون ضرورية هي الشاحنات، وحصة من الدبابات الثقيلة، وبعض تشكيلات طائرات شتوكا."

"يُعلن الفوهرر استعداده لتقديم هذه الوسائل عندما يبلغه بأن الوقت قد حان.

"في نهاية المحادثة، يشير المارشال كايتل، بناءً على الخرائط الجغرافية، إلى الوضع العسكري والسياسي للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية فيما يتعلق بما سبق."

استغرقت المحادثة ثلاث ساعات. (وثقها غالياتسو تشيانو.)

4 أكتوبر 1940، برينيرو.

ملاحظة رقم 4

النص الكامل هو: رقم 3686/01 عملية.

يا دوتشي!

منذ اليوم التالي لاحتلال سيدي البراني، وطاعة لتوجيهاتكم، بدأت التحضيرات المعقدة للتطوير اللاحق للعمليات على مرسى مطروح.

في الواقع، لم تسمح حالة الاتصالات بين حدودنا وسيدي البراني، وظروف الفقر المائي المطلق للمنطقة المحتلة، مقارنة بالنقص المطلق في وسائل النقل، بالاستمرار الفوري للهجوم بعد احتلال سيدي البراني. لذلك، كان لا بد من البدء فورًا في بناء القناة المائية والطريق من كابوتزو إلى سيدي البراني، بطول حوالي 120 كيلومترًا.

وفي الوقت نفسه، كانت عملية جمع القوات وتجميع الوسائل والمعدات اللوجستية تتم لتولي التشكيل الهجومي: ولتوفير وسائل النقل، قامت بعض الوحدات بعمليات نقل لمئات الكيلومترات سيرًا على الأقدام، وكلها كانت تتوق دائمًا إلى المعركة كما يتضح جليًا من المراقبة البريدية.

في أوائل ديسمبر، تم إنجاز الجزء الأكبر من التنظيم، متغلبين على صعوبات من جميع الأنواع.

لقد جلبت القناة المائية، وهي عمل ضخم بني في وقت قياسي وبتقنية رائدة، باستخدام جميع الأنابيب الموجودة في ليبيا بأي شكل، منذ 3 ديسمبر، 4 لترات من الماء في الثانية إلى سيدي البراني، وهو ما يعادل 335,000 لتر يوميًا، بينما الطريق، الذي بني أيضًا بالاستفادة من كل ما يمكن استخراجه من ليبيا، كان قد اكتمل كقاعدة وتم رصه إلى حد كبير.

في المستودعات الأمامية للمؤن والذخائر والوقود، كانت جميع المعدات المتوقعة تقريبًا قد تم تجميعها بالفعل.

كان ينقص فقط استكمال السيارات التي، كما تعلمون، كانت تتدفق من الوطن الأم.

في غضــون ذلك، كانت قواتنا الجوية تقوم بعملية هدم منهجية على الخطوط الخلفية للعدو وعلى المنشــآت اللوجســتية: وفعل العدو الشــيء نفســه، مركزًا هجماته على قواعدنا الخلفية، وخاصة على بنغازي.

قامت قواتنا المتقدمة، بهدف اختبار مقاومة العدو والتعرف على كفاءته، بمســح المنطقة الواقعة أمام تشكيلنا، واشتبكت في معارك ضد المركبات الآلية المعادية، ولاحظت في عمل هذه المركبات تصــاعدًا في العدوانية والجرأة، وبلغت ذروتها في حادثة 19 نوفمبر على جبهة مجموعة "ماليتي".

وبينما كانت الوحدات الكبرى تتخذ التشكيل المتوقع للتقدم الوشيك نحو مرسى مطروح، كنت أحرص على تأمين قاعدة الانطلاق بشكل مناسب بعناصر نارية، من حلفاية إلى ربيعة وسيدي البراني، لضمان حماية القوافل الزاحفة من أي هجمات محتملة على الجانب الجنوبي.

في أوائل أكتوبر، في غضــون ذلك، كشــفت الاســتطلاعات الجوية عن تزايد مســتمر في القوات والوســائل في المنطقة الواقعة شــرق مرســى مطروح، وهو تزايد يمكن أن يُعزى إلى نية العدو في مقاومة هجومنا المتوقع بقوة.

في 7 ديســمبر، وردت أنباء من أســير تم أســره خلال محاولة ليلية ضــد فرقة "ســيرينا" في علم ربيعة، تفيد بأن هجومًا ضدنا سيشن في غضون عشرة أيام. على الرغم من أن الخبر قد يبدو متحيزًا، إلا أنه لم يتم إهماله، بل على الفور أبلغت الجيش به، الذي بدوره وضــع جميع القوات في حالة تأهب. في يوم 8، من خلال عدة علامات (زيادة في الاســتطلاع الجوي على خطوطنا الخلفية، إشارات متكررة [...] من قبل استطلاعنا الجوي، شعرت بقرب هجوم العدو وجددت التنبيه والتشــجيع للقيادات للاســتعداد لمواجهته، إذا ما وقع. كما تم توجيه الطيران للتدخل بشكل جماعي.

كما ترون، لم تكن هناك أي مفاجأة؛ الجميع كانوا يعلمون بالهجوم المحتمل للعدو.

كيف أُعلن عنه فجر يوم 9 ديسمبر وكيف اجتاح جميع فرق التشكيل المتقدم يتضح مما يلي.

في مواجهة المواقع المحصنة التي احتلتها قواتنا، في أرض صحراوية، مسطحة، يمكن اجتيازها، خالية من أي نقطة دعم تكتيكية، كان العدو يلعب جيدًا باستخدام كتل من المدرعات والعربات المدرعة والدبابات المتوســطة والثقيلة، مدعومة ببطاريات متحركة للغاية وبمســاهمة فعالة للغاية من القوات الجوية.

بشــكل عام، كان التحضــير، قصــير المدة للغاية، يُعهد به إلى المدفعية والقوات الجوية: فور توقف القصف الجوي المدمر، كانت المركبات المدرعة تقتحم من جميع الاتجاهات ضد قواتنا.

وهكذا، على الرغم من المقاومة الأكثر عنادًا، كانت المواقع المحصنة، في غضون ساعات قليلة، تسقط الواحدة تلو الأخرى.

كانت مجموعة "ماليتي" هي أول من تعرضت للهجوم، وبدأت تراجعًا منظمًا، حتى اجتاحتها، فجرت معها الفرقة الليبية الثانية، التي أرسلت إليها قوة كبيرة متحركة للمساعدة.

في الواقع، لم يكن للأسلحة المضادة للدبابات والمدفعية في فرقنا تأثير يذكر ضد الكتلة المدرعة، التي تعمل على جبهة واسعة، بشكل مركز، وكانت مضطرة لتشتيت نيرانها على أهداف متحركة متعددة وموجهة بشكل حاسم نحو الهدف.

في التفوق الساحق للمركبات المدرعة، المستخدمة بكثافة، يجب البحث عن السبب الأساسي للنجاح الأولي الخاطف الذي حققه العدو.

لقد حافظت فرقنا، الوطنية والليبية، في هذه المعركة غير المحظوظة، على تقاليد الشجاعة والبطولة لجيشنا عالية. وقد كتب القادة والقوات في سهول الصحراء الغربية المهجورة صفحات من أروع البطولة؛ وقد حدثت حوادث من العظمة الملحمية في الصراع غير المتكافئ بين الصدور العارية لجنود إيطاليا والدروع المحصنة لجنود الإمبراطورية البريطانية.

قاومت بقايا فرقنا، المعزولة، المحاطة من كل جانب، حتى آخر رصاصة، حتى اضطرت، محاطة بالرمز المقدس للوطن الخالد، إلى التراجع أمام القوة الهائلة للعدو.

بعد القضاء على قوات الجنرال ماليتي الباسل، الذي سقط على رأس كتائبه الليبية، وقوات الفرقة الليبية الثانية، اندفعت الكتلة المدرعة نحو سيدي البراني حيث قدمت فرقة "3 يناير" من القمصان السوداء - التي قُصفت أيضًا من البحر والجو - جدارًا من الصدور، مقاومة ببسالة لمدة يومين.

الفرقة الليبية الأولى، التي حاولت الانسحاب إلى سيدي البراني من وادي المكتيلة، حيث تعرضت أيضًا لقصف مكثف من الأسطول الإنكليزي، وجدت الطريق مقطوعًا بواسطة العربات المدرعة وظلت تقاوم لفترة طويلة على الرغم من علمها بمصيرها المحتوم.

هذا الوضع، الذي كان يزداد سوءًا لحظة بلحظة بسبب عمليات التسلل التي تم الإبلاغ عنها بالفعل على طريق بقبق، كان يهدد باجتياح فرق الصف الثاني أيضًا، "كاتانزارو" و"سيرينا". وحتى لو كان من الممكن شن هجوم مضاد ضد العربات المدرعة، لكان ذلك يعني تدميرها المؤكد. لذلك، مستفيدًا من المقاومة التي قدمتها القوات المحاصرة في سيدي البراني، قررت سحب هذه الفرق من قبضة العدو وإعادتها إلى خط حلفاية-بحر-سلوم-كابوزو، حيث كنت قد أنشأت دفاعًا ضد الفرق المدرعة.

وبناءً عليه، أمرت بتراجعهم في بعد ظهر يوم 10.

وقد تم ذلك بشكل منتظم إلى حد ما بالنسبة لفرقة "كاتانزارو" حتى ارتفاع تشيشيديتا، عندما ، حوصرت هي أيضًا ، بعد استئناف المسيرة ، وتعرضت لإطلاق النار من قبل العربات المدرعة، وتشتتت. لقد سمحت التضحية البطولية لبعض الوحدات، التي قاومت حتى يوم 12، لثلثي الفرقة بالوصول إلى خطوطنا في السلوم. أما فرقة "سيرينا"، فقد تهربت بشكل أفضل من قبضة العدو، لكنها وصلت متعبة للغاية إلى الحلفاية، والعدو على أعقابها.

في مساء يوم 12، بينما كان المدافعون المتبقون عن سيدي البراني ووادي المكتيلة، المحاصرون منذ ثلاثة أيام ومنهكون، يقاومون بضراوة أخيرة، كانت مقدمة أرتال العدو المدرعة تتقدم بقوة نحو قواتنا في حلفاية، محاولة تطويق جانبها الأيمن.

خلال أيام 13 و 14 و 15، دار قتال عنيف داخل المربع حلفاية-سيدي عمر-كابوتزو-سلوم، حيث قامت قوات الجنرال برغونزولي بهجمات مضادة قوية، وتمكنت من القضاء على عمليات تسلل معادية خطيرة حاولت قطع تشكيلنا إلى قسمين وعزله عن قاعدة **بردية**. في مساء يوم 15، بينما تقترب أرتال آلية جديدة، بمناورة مركزة نحو سلوم-قبر أبو فارس وسيدي عمر، وتظهر مجموعة بالفعل في سيدي عزيز، تتراجع جميع قوات الجنرال برغونزولي بنظام تام نحو قاعدة بردية، حيث لا تزال تقاوم هجوم العدو بشجاعة تضاهي إرادتها الثابتة في المقاومة حتى النهاية.

للحصول على صورة كاملة للمعركة، يجب تضمين عمل أسطول العدو وقواته الجوية: الأول أبقى قواتنا العاملة على طول الساحل تحت هجومه القوي باستمرار، مركزًا بعنف خاص على سلوم وبردية. أما الثانية، التي تم تعزيزها بوحدات جديدة بوضوح، فقد استهدفت باستمرار قواتنا الزاحفة، والمواقع المحصنة التي احتلتها قواتنا، والخطوط الخلفية، وقواعدنا اللوجستية، وخاصة المطارات وقواعد طبرق وبردية.

بسبب تقلبات الطقس القاتلة، وعواصف رملية في الحقول، وفيضانات لاحقة بسبب الأمطار الاستثنائية، لم تتمكن قواتنا الجوية من إظهار كامل تأثيرها في المعركة. ومع ذلك، بذلت قصارى جهدها كالعادة إلى أبعد الحدود، متغلبة على صعوبات من كل نوع، انخرطت في القتال بحماس لا ينضب وجرأة لا مثيل لها، ضد أرتال العدو.

تكفي بعض البيانات الإحصائية لإعطائك فكرة عن مساهمتها في معركة مرماريكا:

أ) ساعات الطيران: 900 ساعة قصف و 1300 ساعة قتال؛

ب) المتفجرات التي أُلقيت: طوربيدان، 13,000 قنبلة وشظية، بإجمالي يقارب 2000 طن؛

ج) الطلقات النارية من الرشاشات: 170,000؛

د) الطائرات المعادية التي أسقطت بالتأكيد: 42 طائرة، و 20 طائرة محتملة.

من المؤكد أنه من السابق لأوانه التكهن بتطورات هذا الصراع العنيف، الذي حشد فيه العدو أفضل قواته من أربع قارات. ومع ذلك، يمكنني أن أقول لكم الآن إنه إذا كانت فرق مدرعاته، بعد 12 يومًا من بدء الهجوم، لا تزال متوقفة أمام ميناء بردية؛ فإن هذا يعود حصريًا إلى شجاعة جنود إيطاليا - برًا وجوًا - الذين، على الرغم من تفوق العدو الواضح والكبير في الوسائل، عرفوا كيف يواجهون العدو بضراوة، ويضحون بأنفسهم دون تحفظ.

أؤكد لكم مرة أخرى بشكل قاطع، أن الجميع هنا قد قاموا بواجبهم إلى أقصى حد ممكن. وإذا كان عدد الذين سقطوا في الأسر مرتفعًا، فلا ينبغي أن يجعلكم ذلك تشكون في شجاعتهم؛ فقد صمدوا حتى النهاية، أمام العدو الذي كان يتقدم بلا هوادة ومحميًا جيدًا نحو الفريسة المؤكدة، وأطلقوا، مع آخر شرارة من الراديو، صرخة "تحيا إيطاليا".

أمام هذه الحقائق، فإن الحشد الحقير الذي أطلقته الدعاية المعادية ليس سوى كومة من الأكاذيب التي لا تجلب سوى العار لأولئك الذين يجرؤون على كتابتها، والذين يظهرون بذلك أنهم فقدوا حتى ذلك الشعور بالكرامة والاحترام تجاه الشجاعة، حتى لو كانت غير محظوظة، والذي كان دائمًا سمة للشعوب ذات الحضارة الراقية. - غراتسياني.

ملاحظة رقم 5

لا يمكن أن يكون هناك أي شك بعد الآن في أن هذا كان صحيحاً بالفعل، بعد ما قيل بخصوص غزو صقلية في كتاب: "إلى جانب أبي" لإليوت روزفلت (دار ريتزولي للنشر).

في الصفحة 81: "بدلاً من الحديث عن ضربات قوية على أجنحة أوروبا، كان الإنكليز يعتزمون القيام بعمليات صغيرة في البحر الأبيض المتوسط. كانت هذه هي المرة الأولى التي سمعت فيها عن صقلية وأيضاً عن مراحل أخرى على طريق النصر، مثل جزر دوديكانيس، والإنزال في اليونان، والتقدم في البلقان."

في الصفحة 85: "بدأت فكرة أن الضربة القادمة للحلفاء ستوجه ضد صقلية تتشكل، لضمان خطوط الاتصال مع الخليج الفارسي والاتحاد السوفيتي عبر البحر الأبيض المتوسط."

في الصفحة 86: "وصل رؤساء الأركان في تمام الساعة 5 وبقوا لمدة ساعة ونصف: سبعة ضباط إنكليز وأربعة أمريكيين قرروا عملية 'هاسكي'، غزو صقلية. بطريقة ما، كنا قد ارتبطنا بالمشروع الصقلي منذ أن قررنا تطهير شمال إفريقيا من العدو. الآن، مع اتفاق 'هاسكي'، تم التوصل إلى حل وسط بين الرغبة الأمريكية في غزو القارة عبر القناة الإنكليزية في ربيع عام 1943 والرغبة

الإنكليزية في احتلال صقلية وجزر دوديكانيس، تحسباً لغزو أوروبا عبر اليونان والبلقان. يبدو أن تشرشل نصح بالالتفاف حول إيطاليا لضرب ما أسماه 'البطن الرخو لأوروبا' مباشرة. كان دائمًا يرى أنه يجب علينا تنظيم دخولنا إلى أوروبا بطريقة تمكننا من مقابلة الجيش الأحمر في أوروبا الوسطى للحفاظ على منطقة النفوذ البريطاني قدر الإمكان نحو الشرق. على أي حال، اعتبر كل من الإنكليز والأمريكيين 'هاسكي' خطوة مهمة إلى الأمام.

"وبتكليف جيوش الحلفاء بمهمة غزو صقلية على أمل إخراج إيطاليا من الحرب، اعترفوا بأن الغزو عبر القناة الإنكليزية سيتم تأجيله إلى ربيع عام 1944."

في الصفحة 99: "كنت أستطيع أن أستمع إلى أحاديثهم: كان مارشال يشرح الصعوبات التي واجهها رؤساء الأركان الأمريكيون لفرض قرار غزو أوروبا في عام 1943 الآن بعد أن كنا منخرطين في البحر الأبيض المتوسط؛ ولخص كيف تم رفض طلب غزو بورما؛ وكيف تم التوصل إلى اتفاق يقضي بأنه في حالة نجاح غزو صقلية،

أي هجوم على إيطاليا يجب أن يكون له أهداف محدودة للغاية. خلال فترة ما بعد الظهر، بعد مغادرة مارشال، اتصل بي أبي ليوصيني بالصعوبات التي كان على قادة الحلفاء التغلب عليها لوضع خطة غزو صقلية.

كل ما ورد في مجلد **إتش. سي. بوتشر** (دار موندادوري للنشر) "ثلاث سنوات مع أيزنهاور" حول غزو القارة الإيطالية، بعد احتلال صقلية، يكشف عن الارتجال في الخطط المتعلقة.

ملاحظة رقم 6

في تلك المناسبة، أخبرت المطرانين أيضًا بما رواه لي **ريبنتروب** خلال مؤتمر سالزبورغ في أبريل السابق.

لقد أكد أنه خلال إقامته في روسيا لإبرام ميثاق عدم الاعتداء عام 1939، عند حديثه عن الفاتيكان، قال له ستالين حرفيًا:

"هذه المرة لن يكون هناك أفينيون ثانية للبابا..."

ملاحظة رقم 7

وقعت حادثة خاصة في هذا الصدد، في 21 يناير 1944، عشية الإنزال الأمريكي في أنسيو. كنت في روما، وكان علي العودة إلى الشمال صباح اليوم التالي، فذهبت مساءً لتحية المشير كيسلرينغ في مقر قيادته في جبل سوراتي.

سألته عما إذا كانت المعلومات، أو الاستطلاع الاستراتيجي الجوي-البحري، تكشف عن تحركات بحرية قد تشير إلى نية القيام بعمليات إنزال كبيرة في إيطاليا.

استبعد ذلك بشكل قاطع، مؤكدًا أن الجزء الأكبر من الوسائل البحرية كان يتجه نحو السواحل الأفريقية.

أصررت:

"هل فكرتم في فرضية خط مقاومة وراء التيبر، بحيث تنجو روما من المعركة المحتملة في حال انسحابكم؟"

تغير وجه المارشال الألماني إلى الجدية وردد:

"أبداً - أبداً - أبداً، لأنني لن أفكر أبدًا في الانسحاب من خط كاسينو الحالي."

في تلك الليلة، عدت إلى الشمال، وفي صباح يوم 22، وقع الإنزال الأنكلو-أمريكي في **أنسيو**، الذي شكل مفاجأة للقيادة الألمانية، لم تستطع القيادة الأنكلو-أمريكية الاستفادة منها بسبب حذرها الزائد دائمًا.

ملاحظة رقم 8

(ملاحظات للتاريخ)

انتحار كافاليرو

عزيزي تونيللي،

لقد كتب الكثير عن وفاة المارشال كافاليرو، لكن لم يظهر أحد من الذين كانوا معه في تلك الأيام الرمادية من سبتمبر ليتحدث بجدية عن الأمر: لقد كتب الجميع بناءً على ما "سمعوه"، أو

الأسوأ من ذلك، تركوا أنفسهم ينجرفون وراء الخيال، حتى أن قصصًا روائية حقيقية ليس لها أي علاقة بالحقيقة قد ظهرت.

لهذا السبب، قررت أن أنشر الملاحظات التي كتبتها في ذلك الوقت، على أمل أن يحذو حذوي بعض الأصدقاء من قلعة بوتشيا، مما يجعل من الممكن إعادة بناء القصة التي أدت إلى انتحار من كان، ذات يوم، يحمل مصير الجيش الإيطالي في الحرب بين يديه، بكل تفاصيلها.

أُلقي القبض عليّ بأمر من بادوليو في أواخر أغسطس، بينما كنت في إجازة نقاهة بسبب مرض أصابني في الجبهة، ونُقلت على الفور إلى قلعة بوتشيا، ومن ثم تابعت مصير المعتقلين السياسيين الذين كانوا محتجزين هناك حتى مغادرتهم إلى ألمانيا. كتبت ملاحظات عن تلك الأحداث، وبما أن أحد الأصدقاء الذين كنت أقضي معهم وقتًا مفضلاً كان الجنرال سودو، فقد تمكنت من تثبيت العديد من التفاصيل حول كافاليرو أيضًا، والتي كنت سأتجاهلها لولا ذلك، من خلال ما سمعته منه. كان سودو هو الوحيد من المعتقلين السياسيين في قلعة بوتشيا الذي كان رفيقًا لـ كافاليرو في تنقلاته المختلفة في تلك الأيام والذي جلس معه على مائدة كيسلرينغ.

يجب أن أضيف أنه عندما ادعى أحدهم، منذ أشهر قليلة، أن المشير كافاليرو انتحر لعدم قبوله قيادة الجيش الإيطالي في الشمال، سألت الجنرال سودو إذا كان هذا الخبر له أي أساس من الصحة، فأجابني أنه، من جانبه، يستبعد ذلك لأنه على الرغم من اتصاله المتكرر بالقادة الألمان، وعلى الرغم من قربه الدائم من كافاليرو، لم يسمع أبدًا من أي منهم عن مثل هذا الاقتراح الذي، من ناحية أخرى، بالنظر إلى الوضع في ذلك الوقت، لم يكن من الممكن أن يكون قد قدم.

بصفتي قاضيًا في محاكمة فيرونا، اطلعت على مذكرة كافاليرو التي كانت جزءًا من ذلك الملف، وعندئذٍ فقط شعرت أنني قادر على الإجابة على العديد من الأسئلة التي طرحت عليّ حول الحادث المأساوي. نسي بادوليو، في هروبه المتسرع، المذكرة بين أوراقه، وسرعان ما وقعت في أيدي الألمان. كان المشير كافاليرو، بعد إطلاق سراحه من قلعة بوتشيا، يعلم جيدًا أنه كتب المذكرة! وكان يعلم أيضًا، حتى قبل أن يتحدث إليه الألمان، أنها قد تظهر في أي لحظة.

من المفيد هنا أن نتذكر أنه عندما استجوبه الجنرال كاربوني، بينما كان في قلعة بوتشيا، كتب المارشال كافاليرو بخط يده مذكرة أكد فيها، بتفاصيل كثيرة، أنه درس، منذ نوفمبر، عندما كان رئيسًا لهيئة الأركان العامة، انقلابًا ضد موسوليني.

ليس هناك شك في أن كافاليرو انتحر بسبب تلك المذكرة، لأنه كان يخشى مواجهة موسوليني، ونتيجة للمحادثتين مع كيسلرينغ ودولمان اللتين جعلاه يعتقد بالتأكيد أن الانتحار هو السبيل

الوحيد للخروج من الموقف الذي وضع نفسه فيه. ولا يمكن حتى استبعاد أن الألمان أنفسهم هم من نصحوه بالقرار المأساوي.

مع خالص التقدير،

توقيع: رينزو مونتانيا

(من "الثورة المثالية" بتاريخ 15 يوليو 1948).

ملاحظة رقم 9

لكن الآن، أخيرًا، يأتي الحكم من محكمة الجنايات، القسم الخاص، في روما في قضية الجنرال **بيرتي** وبقية أعضاء محكمة الحرب التابعة لـ C.A.R.S. (فيلق تدريب الوحدات الخاصة) و C.O.G.U. (فيلق مكافحة حرب العصابات)، المسؤولين عن إصدار العديد من أحكام الإعدام، التي نفذت فيما بعد، بحق الثوار.

تمت تبرئة جميع المتهمين - الرئيس والقضاة والمدعي العام - لأن الفعل لا يشكل جريمة.

لم تستأنف النيابة العامة الحكم، وبالتالي أصبح غير قابل للنقض.

أكد الحكم مبدأ أن الجمهورية الاجتماعية الإيطالية كانت دولة، بالمعنى السياسي والقانوني للكلمة، وعلى هذا النحو، كانت تتمتع بالسلطات والوظائف السيادية التي تخص الدولة.

قد يثير هذا المبدأ انطباعًا للوهلة الأولى، لكن هذا الانطباع سرعان ما يتحول إلى قناعة بمجرد التفكير في الأسباب التي بنت عليها المحكمة قرارها.

لا ينكر الحكم أن الجمهورية الاجتماعية الإيطالية كانت دولة غير شرعية، ولكن لا يمكن الحكم في هذا الشأن على أساس شكلية مجردة ومطلقة. فبفعل ذلك، كما يلاحظ الحكم، "سوف يؤدي ذلك إلى تشويه الجانب الأخلاقي والقانوني لما كان حقيقة استثنائية، وإن كانت مأساوية".

لقد أدت هدنة 8 سبتمبر، وانسحاب أجهزة الدولة المسؤولة، وتغيير الجبهة واحتلال الأراضي من قبل الجيوش المتنافسة، الألمانية والأنكلو-أمريكية، إلى تقسيم البلاد إلى قسمين، كل منهما في حرب ضد الآخر، وبالتالي إلى انقسام، بالإضافة إلى كونه إقليميًا، كان سياسيًا وعسكريًا أيضًا.

ملاحظة رقم 10

وأخيراً هذه الملاحظة التي تتضمن الحكم الصادر بحقي من قبل الدكتور الألماني **جورج زاخاريا**، الطبيب المعالج لموسوليني، والمأخوذة من كتاب: "موسوليني يعترف" (دار غارزانتي للنشر).

"في تلك الفترة أتيحت لي الفرصة للتعرف على العديد من الشخصيات التي أحاطت بالدوتشي: نظرًا لعددهم الهائل، كانت المعرفة طبيعية غالبًا ما تكون سطحية جدًا وسيكون من السذاجة الحقيقية من جانبي إذا أردت الحكم بناءً على انطباعاتي الشخصية البحتة. كان من المنطقي، نظرًا لموقعي، أن أُعامل باحترام كبير من الجميع، خاصة عندما لوحظ أن عملي كان موفقًا وأن الدوتشي استعاد قوته البدنية والروحية بالكامل."

"الأشخاص الذين عرفتهم عن كثب قليلون وسأذكرهم بإيجاز.

"أقوى انطباع، كما حدث لكل من عرفه عن كثب، تركه المشير غراتسياني في نفسي، والذي جذب اهتمام وتعاطف الجميع بمجرد مظهره الجسدي وملامحه الكلاسيكية الجميلة. كان غراتسياني رجلًا ذكيًا ومثيرًا للاهتمام، حاول بكل قواه إنجاز مهمته الصعبة في تشكيل جيش إيطالي جديد، وهو مشروع يكاد يكون خارقًا بالنظر إلى الوضع السياسي والعسكري العام لإيطاليا، وبالنظر إلى الحالة النفسية الخاصة جدًا للإيطاليين.

"لم يتنازل حتى عندما أضيفت صعوبات جديدة، وليس آخرها تلك التي وضعتها القيادة الألمانية العليا أمامه. كان غراتسياني يواجه الواقع بحدة، ولم يخدع نفسه ولا الآخرين؛ كان يلتزم دائمًا بالحقيقة، مهما كانت قاسية. وكان الضابط الرفيع النموذجي الذي يفكر بعقله الخاص. كان لطيفًا وساحرًا جدًا؛ في تعامله مع الناس كان ودودًا دون أن يعطي أبدًا انطباعًا بأنه يتفضل عليهم. في رأيي، كان غراتسياني بلا شك أبرز شخصية في الحكومة الجمهورية الإيطالية بعد الدوتشي. للأسف، لم تُقدر مزاياه وعمله بما فيه الكفاية من الجانب الألماني بالذات، بينما كان من الأفضل بكثير لو استمعوا إلى نصائحه وخططه المدروسة جيدًا. لم يكن غراتسياني من أولئك الأشخاص الذين يعتقدون أن حكمهم على الأشياء والأشخاص هو الوحيد الصحيح. لقد كان رفيقًا ممتازًا وما زلت أتذكر بسرور تلك الساعات التي قضيتها معه في السفر. أتيحت لي أيضًا فرصة معرفة طريقة حياته؛ كان يعيش في قرية صغيرة بالقرب من سالو في منزل فلاحي بسيط مع مزرعة صغيرة بصحبة زوجته، وكانت حياته متواضعة للغاية، وهو أمر كنت قد تخيلته قبل أن أتحقق منه بنفسي.

"لقد افتقدوا الرجل الذي،[1] على الرغم من كونه ألمانيًا، كان يمتلك الفهم اللازم للشخصية الإيطالية، متجنبًا جميع الخلافات غير الضرورية وحتى الضارة. في بيئة السفارة نفسها، كان هناك الكثير من الغيرة، وقد أدت هذه الحقيقة أيضًا إلى تفاقم الوضع. أخيرًا، أرسلت الحكومة الألمانية وزير الدولة الدكتور **لاندفريد** كمفوض موثوق به، وأكاد أقول كمراقب، إلى **فاسانو**؛ ومع ذلك، توقف نشاطه لاحقًا من قبل القائد وولف، لأن الأخير ادعى أن لاندفريد شارك في هجوم 20 يوليو.

"لعب العقيد وولف من القوات الخاصة دورًا كبيرًا في تطور الأوضاع في شمال إيطاليا، والذي كان الدكتور **لاندفريد** على علاقة شخصية ودية به. رسميًا، كان رئيس شرطة القوات الخاصة وخدمة الأمن الألمانية في إيطاليا، وبالتالي كانت الشرطة الإيطالية خاضعة له. كانت خدمته مقسمة إلى العديد من قيادات القوات الخاصة التي كانت بدورها بقيادة جنرالات من القوات الخاصة.

"إحدى مهام وولف كانت ضمان السلامة الشخصية للدوتشي، وكثيرًا ما تسبب له ذلك في الكثير من المتاعب بسبب حذره المفرط. لم يتم تلبية سوى رغبات موسوليني الصغيرة على الفور. وقد أدرك الدوتشي ذلك على الفور لدرجة أنه قال لي ذات مرة "إن قائد SS كان حارسه وأنه تصرف مرات قليلة فقط بطريقة تجعل "سجنه" أكثر احتمالًا". كما أن مكافحة حركة المقاومة كانت تابعة لقطاع وولف وSS. وكثيرا ما اشتكى الدوتشي في حضوري من أنه في هذه المسألة الحساسة للغاية لم يتم استخدام النظام الصحيح وأن الإجراءات التي اتخذتها SS والشرطة لم تفعل سوى زيادة عدد المقاومين بدلاً من تقليلهم واختفائهم، مما أدى إلى حدوث اشتباكات أو أعمال عنف ودماء كل يوم تقريبًا الآن. طالما أن الدوتشي كان يهتم شخصيًا بالمسائل المتعلقة بحركة المقاومة، فإن هذا لم يشهد سوى تقدم بطيء، بل في بعض القطاعات انخفض عدد المقاومين. من المؤكد أنه كان على حق عندما اعتبر هذه المسألة مسألة داخلية إيطالية وأراد أن يتدخل الألمان فقط عندما يكون ذلك ضروريًا للغاية.

"كان نقص فهم القوات الخاصة لرغبة الشعب سببًا في العديد من الصراعات التي اتخذت في النهاية سمات معارك حقيقية. كان من الممكن تجنب كل هذا بمزيد من اللباقة وقسوة أقل من جانب الألمان."

توقيع: **ج. زاخاريا**

---

[1] الحديث هنا عن العقيد وولف. [المترجم]

ملاحظة رقم 11

الحقيقة بسيطة للغاية

في صباح يوم 25 أبريل، بينما كان الوضع يتدهور بسرعة، سألت مكتب محافظة ميلانو، حيث انتقلت الحكومة، عن التعليمات التي يجب أن أعطيها لموظفي وكيل الوزارة، وما هي الأوامر المتعلقة بتسليم المكاتب والكيانات المختلفة. أُجيبَ عليَّ بالتوجه إلى المحافظة حيث سيتم إبلاغي بشروط وطرق نقل السلطة. ذهبت على الفور إلى هناك، وقرأ لي الوزير زيربينو، على ورقة مكتوبة بقلم رصاص، شروط اتفاق مبدئي مع لجنة التحرير، وقال لي أن أنتظر تأكيد قبول اللجنة. انتظرت حتى الساعة 1 ظهرًا، ثم عدت إلى مكتبي مع اتفاق بأن يتم إبلاغي بطرق الاتفاق بمجرد الحصول على قبول لجنة التحرير. في حوالي الساعة 5 مساءً، بينما بدأت أولى عمليات إطلاق النار في الشوارع بالفعل، لم يصلني أي اتصال، واتصلت بالمحافظة. أُجيبَ عليَّ بالذهاب إلى هناك لتلقي الأوامر. عدت إلى فيا مونفورتي وقيل لي إن الدوتشي ووزراء آخرين كانوا يتفقون في مطرانية الأساقفة على طرق نقل السلطة إلى لجنة التحرير الوطني، وأن مقاطعة كومو قد أُعلنت منطقة محايدة، وأننا على الأرجح سنضطر للذهاب إلى هناك في انتظار وصول القوات الأنكلو-أمريكية. مع أمر بالعودة الفورية، أرسلت سيارتي إلى وكيل الوزارة لإحضار سكرتيري، لكن لم أسمع عن السيارة بعد ذلك. علمت بعد عدة أشهر أن سكرتيري، بينما كان في طريقه لمقابلتي في المحافظة بالسيارة، أصيب في رأسه ونُقل إلى المستشفى، بينما تُركت السيارة، التي اخترقتها الرصاص، على الطريق.

حوالي الساعة 7:30 مساءً، عاد موسوليني والوزراء الآخرون من المطرانية، وقيل لنا إن الاتفاق لم يتم التوصل إليه، وأنه لتجنب النزاعات في ميلانو، يجب أن نغادر فورًا إلى كومو حيث سيتم تحديد الوضع. تمكنت من الاتصال بمكتبي مع العقيد فيلوستو، ممثلاً له أنني بالزي العسكري، وبدون سيارة، لا أستطيع العودة إلى وكيل الوزارة، ولا المغادرة إلى كومو، وأنه يجب عليه بالتالي إرسال سيارة لي، إذا كان ذلك لا يزال ممكنًا، وإبلاغ هيئة الأركان بأن الأفراد يجب أن يلتزموا بأوامر قيادة الساحة. اجتمع موسوليني والوزراء الآخرون لمدة نصف ساعة تقريبًا في مكتب المحافظ، وعندما خرجوا، أبلغني المارشال غراتسياني أنا وبورغيزي أن اقتراحه للجنرال كادورنا بتكليف وحداتنا بالحفاظ على النظام العام في ميلانو حتى وصول الحلفاء لم يتم قبوله، لذلك يجب أن نصل إلى كومو فورًا أو مع قافلة ستغادر خلال الليل ونحاول جلب أكبر عدد ممكن من الأفراد إلى كومو، خاصة أولئك الذين ليس لديهم عائلة في ميلانو، لتسليم أنفسهم هناك إلى الأنكلو-أمريكيين. كانت ساحة المحافظة مليئة بالمركبات التي غادرت بسرعة وتجمعت في قافلة. وصل في تلك اللحظة العقيد كاري بسيارة للانضمام إلى القافلة وبالتالي التمكن من الوصول إلى عائلته في بروناتي. عرض علي مكانًا في السيارة وغادرت معه. عند وصولي إلى كومو، ذهبت إلى

المحافظة حيث طلب مني المارشال غراتسياني البقاء معه ومع الجنرال سورينتينو. في المحافظة، اجتمع العديد من الوزراء وعدد كبير من الناس، بمن فيهم نساء وأطفال. عقد موسوليني نوعًا من المجلس لتحديد ما يجب فعله، وعند ملاحظة المحافظ تشيليو أن كومو قد تتعرض لخطر القصف الجوي بسبب بقاء الحكومة في المدينة، تم فحص أي منطقة مجاورة يجب اختيارها للانتقال إليها مؤقتًا في انتظار اتفاق مع لجنة التحرير الوطني أو وصول الحلفاء. تم تحديد بيلاجيو أولاً، ثم نصح الفيدرالي بورتا بـ ميناجّو. من كومو، لم أتمكن من الاتصال بوكيل الوزارة في ميلانو، لكنني تمكنت من الاتصال بالمقدم بيلون في بيرغامو وأبلغته بأوامر المارشال قائلاً له أن يحاول نقلها بالإذاعة إلى ميلانو وتراداتي لتحذير وحداتنا بأنه إذا أمكن، فعليهم إحضار الأفراد إلى كومو، وأنه يجب عليهم تجنب الاشتباك بين الإيطاليين بأي ثمن، ومحاولة التوصل إلى اتفاقات، حسب الظروف، في انتظار وصول الحلفاء.

في ساعة معينة من الليل، ظهر في المحافظة، وسط دهشة الحاضرين غير السارة، الوزير السابق بوفارمي الذي انفرد للتحدث طويلاً مع موسوليني في صالون. بعد فترة وجيزة، انتشرت شائعة عن احتمال نقل الوزراء إلى سويسرا، وهو نقل اقترحه بوفارمي على الأرجح. في الساعة 4 صباحًا من يوم 26، غادر موسوليني بالسيارة برفقة الفيدرالي بورتا.

تراجع الجنرال سورينتينو وأنا للاستراحة في قاعة. حوالي الساعة السابعة صباحًا من يوم 26، أرسل المارشال غراتسياني في طلبنا. التقينا به في غرفة البلياردو. أخبرنا أن موسوليني وجميع الوزراء تقريبًا غادروا خلال الليل، وأنهم على الأرجح عبروا الحدود السويسرية بالفعل، وأنه لن يتبعهم، بل سيتوجه إلى مقره العام الذي كان ينتقل نحو ليكو.

عندما طُلب رأينا، وافق الجنرال سورينتينو وأنا تمامًا. بينما كنا نتحدث، لدهشتنا الكبيرة، دخل بوفارمي. قال إن موسوليني كان في فيلا بالقرب من ميناجّو، وأن الوزراء الآخرين كانوا أيضًا في ميناجّو، ودعا المارشال للانضمام إليهم. بعد نقاش قصير دافع فيه بوفاريني عن أن المارشال، بصفته وزير القوات المسلحة، يجب أن يتبع الحكومة، أعلن المارشال أنه حتى لو كانت الحكومة لا تزال تعمل، وهو ما لم تعد تفعله في الواقع، فإنه، بصفته قائد الجيش المختلط، كان سيتوجه إلى مقره العام لحماية مصير قواته. بناءً على إصرار بوفاريني، قرر أنه عند ذهابه إلى ليكو، سيمر عبر ميناجّو ليودع موسوليني. عند وصولنا إلى ميناجّو، أخبرنا الفيدرالي بورتا أن موسوليني كان يرتاح في فيلا مجاورة. ثم ذهبنا إلى تلك الفيلا حيث وجدنا جميع الوزراء تقريبًا. ودعهم المارشال، وبما أن الطريق إلى ليكو كان مغلقًا، عدنا إلى كومو لنرى ما إذا كان من الممكن المرور عبر الطريق على الجانب الآخر من البحيرة. وجدنا كومو حيوية للغاية. في الشوارع، كان هناك العديد من الفاشيين ذوي القمصان السوداء والكثير من الناس الذين ربما تدفقوا من ميلانو. ذهبنا إلى المحافظة للحصول على أخبار عن الوضع، ثم إلى الملعب للقاء الجنرال لايرز الذي علم منه

المارشال أن الجنرال وولف كان في تشرينوبيو بانتظار الرد من سويسرا بشأن اقتراح الاستسلام، الذي تم التفاوض عليه منذ فترة طويلة من قبل الألمان مع مبعوثي الحلفاء. قرر المارشال، الذي لم يكن على دراية بالأسس التي تستند إليها المفاوضات بين الألمان والحلفاء، التوجه إلى تشرينوبيو ليعرف من الجنرال وولف ما إذا كانت الوحدات العسكرية الإيطالية قد أدرجت أيضًا في شروط الاستسلام واتخاذ الإجراءات اللازمة وفقًا لذلك. بعد محادثة طويلة في "فيلا غيرترود" بين المارشال والجنرال وولف، تولى الأخير التفويض بالاستسلام للوحدات الإيطالية أيضًا. من "فيلا ليفي"، حيث نمنا ليلة 26، غادر الجنرال وولف حوالي الساعة الثانية صباحًا إلى سويسرا، مع اتفاق على أن يرسل رسولاً في الصباح بشروط الاستسلام التي تحددها سلطات الحلفاء. في صباح يوم 27، عدنا إلى "فيلا غيرترود". تقع الفيلا على تلة صغيرة، محاطة بسور كان كله منظمًا للدفاع ومحاطًا بالجنود الألمان. من نوافذ المكتب الذي كنا فيه، كنا نرى قائد مفرزة إس إس، الكابتن فويترتيل، يخرج ويدخل من السور ويتحدث مع المدنيين الذين كانوا يقفون على طول الطريق. بعد أن أرسلنا إليه عدة مرات، جاء الكابتن فويترتيل أخيرًا حوالي الظهر، وعندما سأله المارشال عما إذا كانت هناك أي أخبار من سويسرا، قال إنه لا يعرف شيئًا، وأن الجنرال وولف لم يترك له أوامر لنا، وأنه سيتشاور مع قيادته العليا في ميلانو. الوضع الغامض للكابتن تجاهنا وكوننا محاصرين مع وحدة من إس إس الألمانية، دون أي أخبار عن الوضع، وضعنا في وضع صعب للغاية، غير قادرين على اتخاذ أي مبادرة. وبما أنه لم يعد من الممكن الوصول إلى المقر العام في ليكو، قرر المارشال إرسال رسالة إلى الجنرال كادورنا يطلب فيها لي وللجنرال سورينتينو أيضًا الانضمام إليه في انتظار وصول الحلفاء. عندما طلبنا من الكابتن فويترتيل نقل الرسالة، قام هذا الأخير، المشكوك فيه، بالكثير من الصعوبات، ثم أخيرًا، بعد قراءة الرسالة، وتوبيخه بشدة من قبل المارشال، سمح بالاتصال الهاتفي، ولكن عبر قيادة إس إس في ميلانو. بعد فترة، تلقى الأب بيكيراي من سكرتارية المطرانية، عبر الخط الهاتفي المباشر لـ إس إس في ميلانو، الرسالة الموجهة إلى الجنرال كادورنا. حوالي الساعة 3 مساءً، مرة أخرى عبر الهاتف، أبلغ الأب بيكيراي المارشال برد الجنرال كادورنا الذي قبل انضمامنا، ولكن بما أن هذا يقع ضمن اختصاص قيادة متطوعي الحرية في كومو، كان علينا المثول أمام هذا المقر حيث كان الجنرال كادورنا يرسل الأوامر. طلبنا من الكابتن فويترتيل التواصل مع محافظة كومو، لكنه أجاب بأن الهواتف لا تعمل، وأنه لا يستطيع فعل أي شيء وغادر.

بينما كنا نناقش ما يجب فعله، رأينا الكابتن فويترتيل يصعد من الطريق الداخلي للفيلا برفقة شخصين، أحدهما يرتدي شارة ثلاثية الألوان والآخر، يرتدي زي "فولغور"، يرتدي شارتين: واحدة ثلاثية الألوان والأخرى بألوان أمريكية. بعد فترة قصيرة، سمعنا حديثًا بالإيطالية في الممر تحتنا، فنزلنا السلالم ووجدنا أمامنا أمام مكاتب القيادة الملازم بونيتي من "فولغور" والمحامي

أورسـيغينو من لجنة التحرير الوطني يتحدثان مع الكابتن فويترتيل ومع ضـباط مختلفين من القوات الخاصـة. لقد أدهش ظهورنا المفاجئ الجميع، ربما الألمان أكثر من الإيطاليين. تعرف الملازم بونيتي على المارشال وقدم نفسه بشكل عسكري صحيح. طلب منه المارشال قراءة الرسالة التي أرسـلت إلى الجنرال كادورنا، وأبلغه بالرد الذي تلقاه، وطلب منه التواصـل مع أي قيادة أو سـلطة إيطالية. في غضـون ذلك، كنت أشـرح للمحامي أورسـيغينو وضـعنا وعدم قدرتنا على التواصل مع أي شخص نظرًا لأن الألمان أخبرونا أن الهواتف لا تعمل. سأل المحامي أورسيغينو الكابتن فويترتيل لماذا لا تعمل الهواتف، ودخل إلى مكتب، وبجهاز هاتف، طلب التحدث مع محافظة كومو. تم إجراء الاتصال على الفور، وانسحب فويترتيل وضباطه وتركونا وحدنا. دفع السـلوك الغامض غير المبرر للألمان الملازم بونيتي إلى التصـرف على الفور، وبالفعل أعلن أنه سيتولى حل المشكلة وخرج من الفيلا. ظل المحامي أورسيغينو معنا. بعد فترة قصيرة جدًا، عاد الملازم بونيتي برفقة ضـابط أمريكي بالزي العسـكري. كان الكابتن داداريو من جيش الولايات المتحدة الأمريكية. كان يتحدث الإيطالية بطلاقة، وقرأ الرسـالة، وبعد اطلاعه على الوضـع، قال إنه ينتمي إلى بعثة أمريكية وأنه يعتبرنا من تلك اللحظة سـجناء للقوات المسـلحة الأمريكية. في حديقة الفيلا، كانت سيارة الكابتن داداريو تحمل علمًا أمريكيًا كبيرًا وسيارة المارشال ألفا روميو. تم وضـع العلم الأمريكي على سـيارة ألفا روميو، واسـتقللنا السـيارتين: الكابتن داداريو، الملازم بونيتي، المحامي أورسـيغينو، المارشـال، الجنرال سـورينتينو، أنا ومرافق المارشـال. قبل المغادرة، سـرح المارشـال الجنود الألمان الذين كانوا يشـكلون حراسـه، وسـلمهم كل الأموال التي كانت بحوزته.

توقفنا في ساحة تشرينوبيو حيث توقفت عدة سيارات. تم إركابي في سيارة يقودها شاب يرتدي معطفًا واقيًا من المطر. بجانبه جلس شـاب آخر يرتدي سـترة بيضـاء. جلسـت في المقعد الخلفي، وبينما كنا ننتظر تشـكيل القافلة، التفت الشـاب الذي كان يقود السـيارة إليّ وقال: "ألا تتعرف عليّ يا جنرال؟" فـأجبتـه: "يا إلهي! ربما أنت من القوات الجوية؟" "لا، أنا الملازم بيريغريني من الجيش. هل تتذكر أننا التقينا في طرابلس؟ كنت مريضًـا وقد أعدتني إلى الوطن بالطائرة." كان الملازم كارلو بيريغريني يتمتع بأقصى درجات الأدب واللطف، وسأحتفظ دائمًا بذكرى امتناني له. انطلقنا من تشـرينوبيو في سـت سـيارات. كانت الأولى سـيارة المارشـال ألفا روميو، الكابتن داداريو والملازم بونيتي؛ والثـانيـة مع أربعة أو خمسـة أشـخاص لا أعرف من كانوا؛ والثـالثـة مع الملازم بيريغريني، ورفيقه روسـاسـيبينا بقميصـه الأبيض، والمحامي أورسـيغينو وأنا؛ وتبعتها سـيارات أخرى في إحداها كان الجنرال سـورينتينو. توقفنا في كومو لفترة وجيزة. بقي المحامي أورسـيغينو في كومو، وواصلنا السير بسرعة نحو ميلانو حيث وصلنا حوالي منتصف الليل. كانت تمطر. كانت الشوارع مهجورة تمامًا. عند وصولنا إلى فيا دانتي،

تعرضنا لوابل من الرصاص أطلق من جانبي الطريق. بسرعة بديهية كبيرة، أطلق الملازم بيريغريني العيار الثالث، وعلى الرغم من أن الإطارات كانت فارغة، فقد تبع السيارتين اللتين كانتا تتقدماننا، حتى بالقرب من قبو حيث توقفنا. نزلنا جميعًا وتوجهنا إلى وسط الشارع لنرى ما إذا كانت السيارات الثلاث الأخرى ستصل أيضًا. كانت سيارتنا مليئة بالرصاص، ومن الغريب جدًا كيف أن بيريغريني وروساسبينا وأنا بقينا سالمين تمامًا. لم يعد هناك إطلاق نار من فيا دانتي، وكان كل شيء صامتًا. اجتمعنا جميعًا على الرصيف بين السيارة والجدار، قلقين على مصير السيارات الثلاث المفقودة. بعد فترة، وصلت شاحنة صغيرة نزل منها مدني مسلح برشاش وكاهن. قال المدني للكابتن داداريو إنه مفوض الحي وأنه أمر بإطلاق النار لأن السيارات لم تتوقف عند الأمر بالتوقف. أجاب الكابتن داداريو بحدة للمفوض وأعاده بالشاحنة ليولي اهتمامه للسيارات الثلاث التي بقيت في الخلف. في غضون ذلك، من خلف القبو، أطلق حارس ألماني "من هناك؟" اقترب الكابتن داداريو وبعض الآخرين من القبو، وبما أن الحارس لم يفهم الإيطالية، فقد طلبوا إحضار ضابط. بعد محادثة قصيرة، دخلنا جميعًا فندق "ريجينا" مقر قيادة إس إس. كان هناك اجتماع طويل في مكتب العقيد الألماني الذي أبلغ الكابتن داداريو بالأوامر التي كانت لديه وأعطى تأكيدًا بأنه، إذا لم يتعرض لهجوم، فإنه سينتظر دون اتخاذ أي مبادرة، وصول الحلفاء. تم تخصيص غرفة لكل من المارشال وأنا، وقبل المغادرة، أخبرنا الكابتن داداريو أنه سيعود في الصباح ليصطحبنا إلى مقر البعثة الأمريكية. في صباح يوم 28، جاء الكابتن داداريو والملازم بيريغريني وبعض الآخرين إلى فندق "ريجينا" وذهبنا معهم بالسيارة إلى فندق "ميلانو". تم إيواء المارشال وأنا في شقة تتكون من غرفة بسريرين وحمام وغرفة انتظار. تم تعليق علم أمريكي كبير على النافذة المطلة على شرفة فيا مانزوني. تم ترك أربعة أو خمسة متطوعين من الحرية لحراستنا في غرفة الانتظار، جميعهم صغار جدًا، وربما كانوا ضباطًا، وكانوا مهذبين للغاية تجاهنا. في وقت لاحق، انضم إلينا سورينتينو الذي كان محتجزًا خلال الليل في مقر قيادة متطوعي الحرية. في الساعات الأولى من بعد الظهر، كان المارشال جالسًا في كرسي بذراعين وبجواره الجنرال سورينتينو بينما كنت أجلس بالقرب من النافذة وأقرأ كتابًا. فجأة سمعنا بعض الضجة في غرفة الانتظار، ثم انفتح الباب على مصراعيه ودخل ثلاثة مقاتلين إلى الغرفة. اتجه أحدهم، قصير القامة وممتلئ الجسم، يرتدي منديلًا أحمر على رأسه، نحو المارشال، وضع قدمًا على الكرسي، وبينما كان يوجه الرشاش على بعد أربع أصابع من وجه المارشال، قال: "أنت المارشال غراتسياني؟ هل تعرف من أنا؟ أنا جلاد "ماتيوتا". لقد قتلت ثلاثة وعشرين بالفعل. ستكون أنت الرابع والعشرين." ثم التفت نحو الجنرال سورينتينو: "وأنت مساعده؟ ستكون الخامس والعشرين." ثم التفت إليّ: "وأنت من تكون؟ آه، أنت شاب وسيم من سلاح الجو. ربما سنترك لك جلدك." ظل المارشال هادئًا وأجاب بهدوء على بعض الاتهامات المتعلقة بالاعتقالات

وأشـــياء عامة أخرى لا قيمة لها كان المقاتل يوجهها إليه. في غضــون ذلك، كان المقاتلان الآخران يدخلان ويخرجان من الغرفة يحثان رفيقهما على الإسراع حتى قال أحدهما شيئًا لا أعرف ما هو وغادروا الثلاثة على عجل. قبل المغادرة، قال من هدد المارشـــال: "ســـنعود بعد نصــف ســاعة وســنقتلك." لحســن الحظ، ســاعد ســلوك المارشــال الهادئ على تجنب مأســاة. فور مغادرة المقاتلين، أبلغ الرجال الذين كانوا مكلفين بحراســتنا رؤســائهم بما حدث، وبعد فترة وجيزة جاء رجل، أظن أنه الرائد أوزمياني ، وقال إن قيادة كتائب "ماتيوتا" قد اســتقرت في نفس الفندق، وكيف أن بعض العناصر الأكثر حماسًا، بعد علمها بوجود المارشال، تسببت في الحادث بمبادرة منهم. قبل المغادرة، قام بزيادة عدد متطوعي الحرية المكلفين بحراســتنا. في وقت متأخر من بعد الظهر، برفقة لا أتذكر من، هل هو الكابتن داداريو أو شخص آخر، جاء صحفي إنكليزي يرتدي الزي العسكري لإجراء مقابلة مع المارشال وأخبرنا عن آخر الأحداث في دونغو وساحة لوريتو.

نمنا ليلًا دون أي شيء غير طبيعي. في صباح يوم 29، أرسـل الجنرال كادورنا لإبلاغ المارشـال أنه سيأتي إلى الفندق للتحدث معه وأننا يجب أن نستعد للانتقال إلى مكان آخر. حوالي الساعة 9، وصــل الجنرال كادورنا برفقة الكابتن داداريو، والملازم بيريغريني، وبعض أعضــاء لجنة التحرير الوطني. أبلغ المارشال أنه نظرًا لانتشار خبر وجوده في فندق "ميلانو"، ونظرًا لأن الوضع في المدينة كان فوضــويًا إلى حد ما ولم يكن من الممكن الســيطرة على العناصــر المتطرفة، فمن المناســب، لتجنب الحوادث، الانتقال إلى مكان أكثر أمانًا. هذا المكان لا يمكن أن يكون في الوقت الحالي سوى سان فيتوري حيث كان هناك حرس، وسنحتجز هناك حتى يتم تسليمنا، بصفتنا أسرى حرب أمريكيين، إلى الوحدات الحليفة الأولى التي ســتصــل إلى ميلانو. بينما كنا ننزل ســلالم الفندق، ســمعنا انفجارًا تبعه انفجارات أصــغر. أُبلغنا أن الملازم بونيتي، الذي كان قد بقي في السيارة بانتظارنا، أصيب بجروح مختلفة، من بينها إصابة خطيرة في عينه، بسبب انفجار قنابل يدوية كانت على المقعد. (علمت بعد عدة أشهر أنه لسوء الحظ فقد الملازم بونيتي بصره بالكامل في الحادث.) اشــتعلت النيران في الســيارة واســتمرت في الاحتراق، مما أدى إلى انفجار خراطيش الرشــاشــات التي كانت على متنها. بعد انتهاء الحريق، تم إحضــار ســيارات أخرى اســتقلناها مع الجنرال كادورنا، وأعضــاء لجنة التحرير الوطني، والكابتن داداريو، والملازم بيريغريني، وتوجهنا إلى سان فيتوري. بعد دخول السجن، بينما كنا نسير نحو الزنازين، احتج بعض المقاتلين الحاضرين لأننا لم نتعرض للتفتيش، ثم تم إدخالنا إلى مكتب لإجراء هذه الإجراءات الشــكلية. بينما كان المارشـال يخلع ملابسـه ويتعرض لتفتيش دقيق، اقتربت من الجنرال كادورنا وسـألته عما إذا كان يمكنه إعطاء أخباري لأختي التي كان يعرفها. لقد فعل لي هذه الخدمة بلطف شــديد، وأنا ممتن له جدًا. طلب مني إعداد تقرير عن وضعي، وأصدر أمرًا للمدير بتزويدي بما أحتاجه للكتابة. بعد انتهاء التفتيش، أغلق علينا في ثلاث زنازين منفصــلة، الواحدة تلو الأخرى. قضــيت اليوم كله في

كتابة التقرير. حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر، سمعت طلقة بندقية في الممر، تبعتها أوامر وأوامر مضادة. عندما بدأ الظلام يحل، انفتح الباب فجأة، ودخل من ترأس تفتيشنا، أعتقد أنه كان نائب مدير السجن، مسرعًا إلى زنزانتي، وأمسك بذراعي وقال: "بسرعة، بسرعة، هل لديك شيء لتتركه لأحد، هل لديك شيء لتقوله لأحد؟" في نفس الوقت، ظهر الكابتن داداريو في مدخل الباب، وحيا عسكريًا، وقال:

"يا جنرال، خذ أغراضك لأن عليك أن تأتي معي." في الممر، وجدت المارشال مستعدًا بالفعل، يرتدي زيّه العسكري، ومعطفه، وعلى رأسه قبعة صغيرة رمادية مخضرة، بدون رتب أو شارات، وتحت ذراعه حقيبته ملفوفة ببطانية. كان سورينتينو مستعدًا أيضًا بمعطفه وبطانيته تحت ذراعه. لم يكن لدي معطف ولا حقيبة، ونزلت معهم الدرج، يتقدمنا الجنرال كادورنا، والكابتن داداريو، واثنان آخران لم أتعرف عليهما. في بهو السجن، كانت فرقة من المقاتلين مصطفة، وأمامهم كاهن قيل لي فيما بعد إنه دون بيكيبرائي. صعدنا إلى سيارة كبيرة متوقفة أمام الباب وانطلقنا تسبقنا وتتبعنا بعض سيارات الجيب الأمريكية. عبرنا كورسو سيمبيون ثم دخلنا الطريق السريع. بعد بضعة كيلومترات، توقفت القافلة. تم إركاب المارشال في سيارة جيب حيث كان هناك عقيد أمريكي. صعدت سورينتينو وأنا إلى سيارة جيب أخرى برفقة جنديين أمريكيين. ودعنا الجنرال كادورنا والكابتن داداريو، وبينما كنا نواصل طريقنا إلى بيرغامو، عاد بقية القافلة إلى ميلانو.

في عمق الليل، وصلنا إلى غيدي، المقر العام للفيلق الرابع الأمريكي. انتظرنا بعض الوقت في عربة مكتب العقيد رئيس هيئة الأركان، ثم تم إدخالنا إلى صالون القائد العام للفيلق الرابع. هنا، وقع المارشال غراتسياني على استسلام القوات المسلحة الإيطالية التابعة للجمهورية الاجتماعية الإيطالية. بقي المارشال ليلته في صالون العربة، بينما تم إعداد خيمة بسريرين لسورينتينو ولي. في صباح يوم 30، انطلقنا في سيارة جيب تابعة للمقر العام للفيلق الرابع. أمام عربة القيادة، قام القائد العام وأركانه بالتحية العسكرية تحية لنا. بعد توقف في أوستيليا، وصلنا إلى مطار فيلافرانكا حيث صعدنا إلى طائرة أمريكية ذات محركين برفقة جنرالات وضباط ألمان. هبطت الطائرة في مطار بيريتولا بفلورنسا. كان هناك قائد إنكليزي يتحدث الإيطالية والألمانية بطلاقة في انتظارنا، وبسيارتي جيب كبيرتين، قادنا جميعًا إلى فيلا في بوجيو إمبيريالي. أعتقد أن الفيلا كانت أحد مقرات "الاستخبارات البريطانية".

في الأول من مايو، طلب الإنكليز من المارشال التحدث عبر الراديو لإبلاغ الوحدات التي كانت لا تزال تتحرك بأمر وشروط الاستسلام. وافق على ذلك وتم اقتياده إلى محطة راديو فلورنسا. بقينا في فلورنسا حتى 10 مايو. في ذلك التاريخ، غادر المارشال غراتسياني بالسيارة مع رائد إنكليزي،

وتم تسليم الجنرال سورينتينو وأنا إلى معسكر أسرى الحرب في سكانديتشي، ومن هناك، في 13 مايو، غادرنا من مطار بيزا، وتم نقلنا إلى معسكر الأسرى الأمريكي في كارينارو، بالقرب من أفرسا.

هذا هو الوصف الأكثر دقة لما رأيته بأم عيني وسمعته بأذني، وبالتالي لا يوجد شيء مخترع، ولا شيء منقول عن طريق السمع. الأحداث التي كنت حاضرًا فيها ليس لها أي أهمية في الصورة العامة لأحداث نهاية أبريل 1945، لكنني قرأت العديد من الروايات، بعضها خاطئ تمامًا والبعض الآخر غير دقيق إلى حد ما، ولذا رأيت أنه من المناسب نشر هذه الملاحظات السريعة التي توضح كيف جرت الأحداث بالفعل، دون خيال أو تزييف. أفهم أنه خلال تلك الأيام الفوضوية، كانت الأخبار تروى بتفاصيل خيالية، لكنني لا أفهم، بعد سنوات، ما هي الفائدة من تحريف الحقيقة. ليس صحيحًا على الإطلاق أن المارشال غراتسياني كان لديه خطة للذهاب إلى سويسرا، ولا أنه تخلى عن زملائه في الحكومة في لحظة الخطر. بل على العكس تمامًا! لقد غادر المارشال مقره العام مؤقتًا لأداء واجباته الحكومية طالما كانت هناك حاجة لذلك، ثم حاول منطقيًا العودة إلى موقعه القيادي. نظرًا لتدهور الوضع، فقد اضطر في مرحلة معينة إلى الاستسلام للأحداث، وبالتالي التصرف وفقًا للظروف. في اللحظة التي ودع فيها الوزراء، كان من المؤكد أنه سيكون أكثر أمانًا لو بقي معهم هادئًا وواثقًا، أكرر، في تلك اللحظة، من القدرة على الوصول إلى سويسرا أو فالتيللينا بدلاً من الذهاب في الشوارع لمحاولة الوصول إلى المقر العام. الشيء نفسه في كومو، بدلاً من الذهاب إلى تشرنوبيو للاهتمام بمصير قواته، كان من الأكثر حكمة البقاء في الملعب مع الألمان في انتظار الحلفاء.

لا يمكن للمرء أن يتحدث "بعد" دون أن يتأثر في منطقه بما حدث "بعد"، دون أن يأخذ في الاعتبار أن من كان في تلك الظروف المعينة لم يكن بإمكانه التكهن بما سيحدث "بعد".

فيروتشيو لانفرانكي، في حديثه عن لقاء المارشال مع الملازم بونيتي، يكتب عن دموع الملازم ثم عن نوبة قلبية أصابت المارشال.

كنت حاضرًا، لكنني لم أر دموعًا ولم أشهد أي عارض صحي. خلال الأيام الستة من المحن المختلفة، لم يشتك المارشال أبدًا من أدنى شعور بالضيق. فقط في فلورنسا عانى من تفاقم آلام ناجمة عن قرحة اثني عشرية. يروي لانفرانكي أيضًا أنه بعد إطلاق النار في فيا دانتي، تراجع المارشال شاحبًا ومرتعدًا إلى الجدار. في الظلام، كان من الممكن ملاحظة بياض شعره فقط، أما بالنسبة للاختباء أو الارتعاش من الخوف، فيبدو لي أنه لم يكن هناك أي سبب لذلك لأن الشارع كان مهجورًا، والصمت مطلقًا، والهدوء تامًا. القلق الوحيد: مصير السيارات الثلاث التي بقيت في الخلف مع الجنرال سورينتينو. أما عن المارشال بملابسه الداخلية وقميصه، كما يكتب لانفرانكي دائمًا، عند الخروج من سان فيتوري، أتذكر تمامًا أن المارشال كان يرتدي زيه

العسكري بانتظام عندما قدمنا أنفسنا إلى مقر قيادة الفيلق الرابع الأمريكي في غيدي، ولم يكن بإمكانه بالتأكيد أن يرتدي ملابسه في سيارة الجيب، لأنه من ميلانو إلى غيدي كان يسبقني ببضعة أمتار فقط، وقد رأيته جالسًا دائمًا، ولم يخلع معطفه أبدًا. لكن هذه تفاصيل صغيرة تافهة لا قيمة لها. ما لا أستطيع فهمه على الإطلاق هو الإصرار على المبالغة في تزييف كل شيء، في الرغبة في محاكمة النوايا وتقديم تفسيرات سخيفة لم تخطر ببال الشخص الذي تشير إليه، عدم الرغبة في الاعتراف بحسن النية أبدًا.

من المنطقي أن يحتاج الكتّاب والصحفيون إلى تزيين القصص وإضفاء اللون عليها، ولكن ما المصلحة في تحريف الحقيقة؟ ألا يمكن للمرء أن يزين حدثًا دون الخروج عن الموضوعية؟ لماذا يريدون تحويل كل بادرة كرم إلى مظهر ضعف، أو الأسوأ من ذلك، جبن، وكل بادرة كرامة إلى مظهر غطرسة أو وقاحة؟

هل من الممكن أن يتحول رجل أمضى حياته كلها بين المخاطر والأخطار، أظهر دائمًا قيمة عظيمة وشجاعة لا تقهر، فجأة إلى شخص غير كفؤ وجبان؟ هل من الممكن أن رجل كرس حياته كلها لخير الوطن، فقط لأنه رأى من المناسب اتخاذ موقف معين بدلاً من آخر، يجب أن يُقدم ويُحكم على كل فعل من أفعاله، وكل عمله، وكأنه نية متعمدة لإلحاق الضرر ببلده، وللإساءة إلى شعبه؟

كم من الناس في فرنسا، وكم في جميع أنحاء العالم مقتنعون في ضميرهم بأن المارشال بيتان خائن لوطنه؟

فلنفترض مبدأ أن من يخسر يكون مخطئًا، وبالتالي يتحمل العواقب، ولكن لا نحرف الحقيقة، لأنه إذا أخطأ البشر في حق من يخسر، فإن الزمن، ذلك الرجل النبيل العظيم، دائمًا ما يثبت كذب الكاذبين!

توقيع: روكيرو بونومي

الوكيل السابق

وقائد القوات الجوية

للجمهورية الاجتماعية الإيطالية

ملاحظة رقم 12

نص بلاغ "الاستسلام" الذي أعلنته في 1 مايو، ورد في عدد من جريدة "لوس أنجلوس" في ميلانو، بتاريخ 2 مايو 1945.

استسلام غراتسياني

دعا الجنرال ، بصفته أسير حرب للأنكلو-أمريكيين، في إعلان إذاعي، جيش ليغوريا، الخاضع لقيادته، إلى الاستسلام. كان جيش ليغوريا يتألف من ثلاث فرق ألمانية وثلاث فرق فاشية جديدة.

وقد صرح بأنه لم يتلق أخبارًا من المقر العام الألماني في إيطاليا منذ عدة أيام، وبالتالي فإن أي دفاع سيكون لا جدوى منه.

من الصعب العثور على شخصية أكثر إثارة للجدل، ومناقشة، وفي بعض النواحي، غير قابلة للتفسير – بين كبار القادة العسكريين الذين برزوا خلال الفاشية – من تلك التي قدمها رجل مثل رودولفو غراتسياني. قائد القوات الليبية عام 1913، شارك في الحرب العالمية الأولى وحصل على رتبة رائد لخدماته الحربية. جنرال فرقة عام 1930، وبعد عامين أصبح جنرال فيلق. عام 1935 حاكماً للصومال، وفي عام 1936 تم تعيينه مارشال إيطاليا. مع حرب الأربعين، بدأ التدهور السريع بسبب انسحابه من سيدي البراني إلى العقيلة. أجبر على التقاعد في عام 1941، وبعد 8 سبتمبر 1943 انضم إلى جمهورية سالو، وأصبح رئيساً للأركان العامة فيها. استسلم للحلفاء في 1 مايو 1945، ودخل السجن. أُطلق سراحه عام 1950، وانضم إلى اليمين المتطرف ليغادره بعد سنوات قليلة. شخصيته، التي كانت صعبة وقاسية في سنوات نجاحه الأكبر، أصبحت أكثر انغلاقاً وخشونة. كان غراتسياني، الذي يفتقر إلى الدبلوماسية بامتياز، متمرداً ومنعزلاً، وكثيراً ما أراد أن يكون بطلاً، ولكن في معظم الأحيان لم يكن سوى شخصية "مزعجة"، من بين الأكثر إزعاجاً التي رعاها "النظام" في داخله.

رودولفو غراتسياني (1882-1955)، أحد أكثر الشخصيات إثارة للجدل في التسلسل الهرمي العسكري الفاشي، كتب بهذا المجلد الذي نقدمه هنا مذكرات دفاع ذاتي حقيقية تعكس تاريخنا الدرامي خلال الصراع الأخير ولقاءاته وصراعاته مع موسوليني، بالبو، وبادوليو.